sharif mahmoud





تاريخ العالم
الحديث والمعاصر

د. فائق طهبوب   د. محمد سعيد حمدان

جامعة القدس المفتوحة

الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات

sharif mahmoud

تاريخ العالم الحديث والمعاصر

د. فـــائق طهـــبـــوب

د. محمد سعيد حمدان

• اسم الكتـــــاب	تاريخ العالم الحديث والمعاصر
• تــــألـــيـــف	د. فائق طهبوب د. محمد سعيد حمدان
• النــاشـــــــر	الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات
• تاريخ الطبـــعــة	12/ 2007
• رقـــم الإيــــداع	25890/ 2007
• التـرقـيم الدولى	978-977-6274-05-1
• الحـــــقــــوق	جميع حقوق النشر محفوظة للناشر
• الـــعـــــنـــوان	ص.ب: 203 مكتب بريد هليوبوليس- مصر الجديدة 11757 القاهرة- جمهورية مصر العربية
• البـريد الإلكتـرونى	info@uarab.net u_arab@yahoo.com
• الموقع الإلكتـرونى	www.uarab.net
• مـــوبـــايـــل	002-101-1763677 002-010-3401184

محتويات الكتاب

رقم الفصل	عنوان الفصل	الصفحة
(00)	المقدمة	ج
(01)	أوروبا منذ عصر النهضة وحتى مطلع القرن التاسع عشر	1
(02)	الثورات والحركات القومية في أوروبا	69
(03)	الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي	137
(04)	الحرب العالمية الأولى	183
(05)	الحرب العالمية الثانية	231
(06)	عصبة الأمم وهيئة الأمم والمنظمات المنبثقة عنها	287
(07)	حركات التحرر من الاستعمار	333
(08)	النظام العالمى الجديد	419

sharif mahmoud

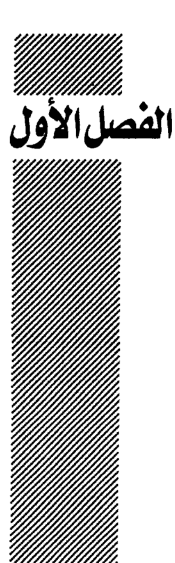
المقدمة

عزيزنا القارئ، مرحبا بك في هذا الكتاب الذي يتناول تاريخ العالم الحديث والمعاصر، بدءا من عصر النهضة في أوروبا مرورا بالثورات والحركات القومية والثورة الصناعية بها ونشأة الاستعمار، هذا إلى جانب تناول الأسباب التى أدت إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية ونتائجهما، ثم ظهور فكرة التعاون الدولي لحل المنازعات التي كانت تقوم بين الدول الكبرى ثم حركات التحرير من الاستعمار في بلدان العالم الثالث وعوامل قيامها.

ثم يعالج الكتاب موضوعاً هاماً هو النظام العالمي الجديد، وكيف تشكل هذا النظام على أثر انتهاء الحرب الباردة والوفاق الدولي الذي تلا ذلك، واتجاه المجتمع الدولي نحو التفاهم ودون حروب، وقبول مبادئ التعايش السلمي من الدول كبيرها وصغيرها، وخلق المناخ الملائم للدول بعامة ودول العالم الثالث بخاصة لبناء حياتها والقضاء على تخلفها.

sharif mahmoud

الفصل الأول



أوروبا منذ عصر النهضة وحتى مطلع القرن التاسع عشر

sharif mahmoud

1. المقدمة

1.1 تمهيد

نرحب بك، عزيزي القارئ، في الفصل الأول من كتاب «تاريخ العالم الحديث والمعاصر» وهو بعنوان "أوروبا منذ عصر النهضة وحتى مطلع القرن التاسع عشر"، ونقطة البداية في هذه الأحداث هي نواحي التقدم التي أصابت أوروبا منذ العصور الحديثة في المجالات الفكرية والفنية والعلمية والاجتماعية والسياسية، فلقد تمرد الإنسان الأوروبي على قيود الإقطاع والاستبداد والكبت الفكري وانطلق ينشد الحرية بجميع أبعادها وفي النهاية استطاع بكفاحه أن يحطم الأغلال التي كبلته خلال العصور الوسطى.

ويمثل عصر النهضة طوراً جديداً من أطوار الحضارة الأوروبية يختلف عما سبقه فقد تغيرت نظرة الفرد الأوروبي تجاه الدين والكنيسة والحياة والمجتمع، وبعثت الآداب والعلوم والفنون القديمة، وانطلق العقل البشري في آفاق جديدة متحررة من قيود الكنيسة والإقطاع وقامت حركة الكشوف الجغرافية.

ثم قامت حركات التحرر في أوروبا متأثرة بآراء كثير من الفلاسفة ومنها الثورة الفرنسية وعصر نابليون وكذلك الثورة الأمريكية.

وقد رأينا أن نقسم مادة الفصل الأول إلى :

أولاً : النهضة الأوروبية وعواملها: و مظاهرها، وآثارها على المجتمعات الأوروبية.

ثانياً : من نتائج النهضة الأوروبية الكشوف الجغرافية وحركة الإصلاح الديني.

ثالثاً: عرض أحداث هامة جاءت بعد عصر النهضة منها الثورة الأمريكية واستقلال الولايات المتحدة وكذلك الثورة الفرنسية وحروبها وعصر نابليون.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن:

1- تشرح المفاهيم والمصطلحات والتعميمات، وتبين والاتجاهات الواردة في الوحدة.

2- توضح عوامل وأسباب النهضة الأوروبية.

3- تبين أشكال ومظاهر النهضة وأثرها على المجتمعات الأوروبية.

4- تقوِّم نتائج حركة الاصلاح الديني في أوروبا.

5- تتتبع مراحل الكشوف الجغرافية.

6- تتبع عوامل وأسباب قيام الثورة الفرنسية ودور نابليون بونابرت.

7- تتعرف إلى عوامل قيام الثورة الأمريكية واستقلال الولايات المتحدة.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف السابقة حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل.

فيما يتعلق القسم الأول من هذا الفصل بالهدفين الثاني والثالث ويرتبط بمعنى النهضة وبالمفاهيم والمصطلحات العلمية لها، وكذلك عوامل وأسباب مظاهر النهضة الأوروبية وأثرها على المجتمعات الأوروبية. أما القسم الثاني فيتناول الهدفين الرابع والخامس وهو نتائج حركة الإصلاح الديني في أوروبا والكشوف الجغرافية. أما القسم الثالث فيتناول قيام الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وعصر نابليون. ويرتبط بالهدفين السادس والسابع.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي القارئ، حاول الانتفاع ما أمكن بالقراءات الآتية نظراً لاتصالها المباشر بموضوع هذا الفصل.

1- أندرسون، ماثيوس، تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا. ترجمة نورالدين حاطوم، دار الفكر. دمشق 1977 ص426.

2- الشناوي، عبدالعزيز، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ج1 مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1977 ص34، 51.

3- فيشر، هربرت، أصول التاريخ الأوروبي الحديث. ترجمة زينب عصمت، احمد عبدالله، دار المعارف بمصر 1961، ص419-426.

4- نعنعي، عبدالمجيد، أوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة. دار النهضة العربية. بيروت، ص270، 290.

5- Gottscalex, Louis & Lach, F.D: Europe and Modern World, Chicago. 1951, v,1 P. 180-188.

2. نشأة النهضة الأوروبية

1.2 مدخل

يقصد بالنهضة، عزيزي القارئ، البعث والتجديد ويمثل عصر النهضة الأوروبية Renaissance طوراً جديداً من أطوار الحضارة الأوروبية، وتعتبر مرحلة انتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة وهي عملية بطيئة لم تحدث بين عشية وضحاها، بل وقعت تدريجياً لتشمل عدة قرون. ويعتبر المؤرخون أن عصر النهضة هو بداية التاريخ الحديث بل يحاول البعض أن يجعل عام 1453 وهو سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك العثمانيين بداية لعصر النهضة حيث نزح العلماء إلى ايطاليا ومعهم تراث اليونان والرومان. وهناك رأي آخر يعتبر عصر النهضة فترة زمنية تمتد بضعة قرون من سنة 1300 إلى سنة 1500 وتصل في بعض أجزاء أوروبا إلى سنة 1600. ويمكن القول بأنه ثمار الاتصال الحضاري بين أوروبا الغربية ومراكز المدنية الإسلامية.

ويمثل هذا العصر طوراً جديداً من أطوار الحضارة الأوروبية يختلف عن كل ما سبقه. فقد تغيرت نظرة الفرد الأوروبي تجاه الدين والكنيسة والحياة والمجتمع وبعثت الآداب والعلوم والفنون القديمة، وهي تشير إلى النشاط الفكري الذي شمل جميع نواحي الحياة الأوروبية وانطلق في آفاق جديدة متحررة من قيود الكنيسة والإقطاع. فظهرت المخترعات الحديثة كالطباعة واختراع البارود وقامت حركة الكشوف الجغرافية.

ولقد كان من أبرز عناصر النهضة الأوروبية إحياء الفن والأدب الكلاسيكيين، فقد قامت حركة كبيرة للتنقيب عن الآثار والمخلفات الأدبية واليونانية والرومانية القديمة ودراستها، واتخذ أصحاب هذه الحركة من الإنسان وحياته موضوعا لدراستهم، واهتموا بضرورة إطلاق حرية الفكر وتأييد حرية الفرد. ونجحت المدن في أن تصبح وحدات سياسية حرة في وسط إقطاعي متزمت، وأن تغدو مهدا للطبقة الوسطى ونمو الشعور القومي، وأن تكون معول هدم في بنيان النظام الإقطاعي والحد من نفوذ الكنيسة.

ومن خصائص النهضة أنها لم تظهر في جميع البلاد الأوروبية في وقت واحد، بل ظهرت فيها تباعا، فقد بدأت في مدن شبه الجزيرة الإيطالية حتى إذا اكتملت ونضجت انتقلت إلى سائر البلاد في غرب أوروبا.

2.2 أسباب قيام النهضة وعواملها

بدأت النهضة الأوروبية في مدن شبه الجزيرة الإيطالية ثم انتقلت إلى الدول الأوروبية، وكانت في حقيقة أمرها امتداداً لما سبقها من تيارات حضارية شهدتها أوروبا في العصور الوسطى. ولكي يتسنى لنا أن نفهم أسباب وعوامل قيام النهضة الأوروبية لا بد لنا أن نلقي نظرة على العصر الوسيط والتيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية السائدة فيه ويمكن التعرف على عوامل قيام النهضة من خلال استعراضنا للمواضيع التالية:

- سيطرة الكنيسة الكاثوليكية من الناحية الروحية والثقافية والمادية.
- النظام الاقطاعي بوصفه قاعدة للحياة الاقتصادية والاجتماعية.
- نشأة المدن وما نتج عنها من تغير اقتصادي وسياسي واجتماعي.

1.2.2 سيطرة الكنيسة الكاثوليكية

كان الناس في أوروبا في العصور الوسطى يدينون بالمسيحية وكانت البابوية نظاماً دينياً تطور بمرور الزمن فأصبح نظاماً سياسياً خصوصاً بعد انتصاره على الأباطرة في العصور الوسطى، ورأى المسيحيون في البابوية السند الكفيل لحمايتهم، الأمر الذي أضفى على شبه الجزيرة الإيطالية مكانة ممتازة، فشعر الإيطاليون بنوع من السيطرة الدينية على بقية أنحاء أوروبا.

وكان التقسيم الاجتماعي في العصور الوسطى يضع رجال الدين في قمة المجتمع، أما بقية الناس فكانوا يقسمون إلى طبقتين: النبلاء ويكونون الطبقة الثانية، وما دون النبلاء يسمون الطبقة الثالثة، وقد تولى رجال الكنيسة الوظائف الدينية والمدنية وغدا البابا بجانب صفته الدينية حاكما دنيوياً لا يختلف عن الملوك والأمراء المعاصرين له، يحكم بواسطة أجهزة حكومية تابعة له، دب في أوصالها الفساد والفسق والمجون وبيع الوظائف الدينية وإرهاق الناس بالضرائب. وكان للكنيسة من الممتلكات الإقطاعية الواسعة الشئ الكثير، كما كان رجال الدين يتمتعون بثراء كبير نتيجة للهبات التي كان الفرسان والإشراف والفلاحون يقدمونها لهم مقابل الدعاء والسماح بدفنهم في الأديرة مما آثار استهجان المسيحيين في شمال أوروبا فظهرت حركات إصلاحية معادية للكنيسة الكاثوليكية.

من جهة أخرى أخذ البابوات ينافسون الأمراء الايطاليين في تشجيع الآداب ورعاية الفنون وينفقون الأموال للنهوض بالعلم ونشر المعرفة وانتشار المكتبات وشراء المخطوطات والكتب وإقامة الأكاديميات، ويحتل البابا نيقولا الخامس (1443-1455) صفحة مشرقة، حيث بسط رعايته على رجال الفنون والآداب وأنشأ مكتبة الفاتيكان ذات الشهرة الواسعة، وكذلك البابا ليو العاشر (1513-1521) الذي قام بتشييد كنيسة القديس بطرس.

إلا أن الضعف أخذ يتطرق إلى الكنيسة نتيجة لعدة عوامل كان أهمها النزاع بين البابوية والإمبراطورية وكذلك ظهور حركات الإصلاح المعادية للكنيسة نتيجة للفوضى التي حلت بالكنيسة والفساد الذي عم رجال الدين.

2.2.2 النظام الإقطاعي

يطلق إصطلاح النظام الإقطاعي على مجموعة النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت سائدة في غرب أوروبا خلال العصور الوسطى والتي ظلت سائدة حتى نهاية القرن الخامس عشر.

كان لسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب سنة 674م آثار سيئة على أوروبا، اذ انتشرت الفوضى لعدم وجود حكومة موحدة تحافظ على الأمن وترعى مصالح الناس، فلجأ هؤلاء إلى وجهاء الأقاليم والنبلاء طلباً للحماية، وكان ثمن ذلك تنازل الناس عن حرياتهم وأراضيهم.

ومنذ ذلك الوقت ظهر النظام الإقطاعي الذي قسم المجتمع إلى طبقتين:

الطبقة الحاكمة التي تملك الأراضي والطبقة المحكومة التي تعمل فيها وكان رجال الدين يتمتعون بثراء ونفوذ كبيرين، ومصادر ثروتهم تعود إلى الهبات التي كان يغدقها عليهم الملوك والأمراء لنيل تأييدهم وعطفهم.

لم تعرف هذه المجتمعات الحكومة بمعناها الحديث، فقد كان النبيل سيدا على أملاكه الزراعية ومن يعمل عليها وهو بدوره خاضع لنبيل آخر له حقوق كثيرة على أتباعه.

وبدأت مرحلة أفول النظام الإقطاعي خلال القرن الثالث عشر وتعرض هذا النظام إلى الاضمحلال بسبب جهود بعض الأمراء الأقوياء الذين حاولوا أن ينتزعوا السلطة

لأنفسهم ويقضوا على التفكك، وبدأت تحل محله الملكيات القوية المتحدة التي عرفت بعد ذلك بالدولة واستعان هؤلاء الأمراء في تحطيم الإقطاع وتوحيد الدولة بالطبقة الوسطى الجديدة، وهي طبقة التجار والأغنياء التي نمت في المراكز التجارية والمدن.

3.2.2 نشأة المدن

عرفت المدن منذ العصور القديمة، وبلغت المدن الرومانية أقصى درجات التقدم والازدهار بين القرنين الأول والثاني بوصفها مراكز إدارية وحضارية واقتصادية، غير أن هذه المدن أصابها الانحلال بعد انهيار الامبراطورية الرومانية، ومما ساعد على انهيار هذه المدن في بداية العصور الوسطى، أن الاقتصاد اتخذ طابعاً زراعياً وأصبحت الأرض الزراعية المصدر الرئيس للثروة.

وفي القرن الحادي عشر بدأت المدن في النمو والتطور نتيجة عدة عوامل رئيسة كان أهمها: إحياء التجارة والصناعة وظهور طبقة التجار والصناع وقيام المجتمعات التجارية والصناعية. وقد شجع الأمراء الإقطاعيون في أول الأمر التجار على الإقامة بجوار قلاعهم لما كانوا يجنون من فوائد مادية من الضرائب التي كانت تفرض على التجار، وقد أسهم هؤلاء التجار في بعث الحياة والنشاط في المناطق التي يقيمون فيها، وانتقل بذلك مركز الثقل العسكري من حصن الأمير الإقطاعي إلى هذه التجمعات المدنية التي أصبحت كل منها نواة المدن التي تطورت. وتمكن سكانها من تحرير أنفسهم من سلطان السيد الإقطاعي، بل أخذت المدن تطالب بالاستقلال الذاتي عندما وجدت أن النظام الإقطاعي القائم يحول دون تطورها. وقد شكل التجار والصناع نقابات خاصة بهم في المدن تعاونت فيما بينها، مما أدى إلى النجاح المطرد للمدن وإلى ازدياد عدد سكانها وقدراتها الإنتاجية.

كذلك لعب الموقع الجغرافي دوراً هاماً في نشأة المدن وتطورها مثل البندقية التي كانت تطل على بحر الادرياتيك ومدينة كريمونه التي كانت ملتقى روافد لمجاري أنهار كبرى ونوع ثالث وهي المدن التي كانت تتحكم في ممرات وطرق برية رئيسية مثل فيرونا وبولونيا في ايطاليا. وقد ساعد موقع إيطاليا المتوسط بين الشرق والمغرب ان تقوم مدنها بدور الوسيط التجاري، وقد تزعمت مدينتان هامتان بقية المدن الأخرى وهما البندقية وفلورنسا نظراً لقربهما من ممرات التجارة والمواصلات في جبال الألب.

كذلك كـان للحروب الصليبيـة دور هام في القضاء على نظام الإقطاع وتشـجيع التجارة والصناعة، بحيث لم تعد الأرض المصدر الوحيد للثروة.

ومن هنا اعتمدت النهضة في نموها وانتـشارها على المركز القوي الذي سعت اليه المدن في نهاية العصور الـوسطى، فقد نجحت المدن في أن تصبح وحدات سيـاسية حرة في وسط إقطاعي متزمت، وان تغدوا مهاداً للـطبقة الوسطى ونمو الشعور القومي، وان تكون معـول هدم في بنيان النظام الإقطـاعي والحد من نفوذ الكنيـسة، وأصـبحت هذه المدن تمارس نشاطهـا السياسي والاقتـصادي في حرية كاملة واسـتطاعت أن تسيطر على الحياة.

وقد تجـمعت في المدن الثـروات وبخاصـة الأموال الـسـائلة لأن سكان هذه المدن اعتـمدوا على التـجارة والصناعة وابتـعدوا عن سـيطرة النبلاء الإقطاعـيين، بل أخذوا يهاجـمون أمـراء المناطق المجاورة وأجبـروهم على الخضـوع لسلطة النقابات أو مـا كان يـسمى بالكومون. ولذلـك فإن النهضة الأوروبية قـامت في لحمتها وبنائهـا على أكتاف سكان المدن، وهم أفـراد الطبقـة الوسطى، وكانت هذه المدن مـراكز صـالحة للإشـعاع الفكري والقومي والحضاري ومهادا للنشاط الاقتصادي والسياسي في أوروبا.

3.2 مظاهر النهضة الأوروبية

1.3.2 الحركة الإنسانية

في عصر النهضة انطلق الفكر من عقـاله وأخذ العلماء يبحثون في شؤون الكون دون حدود أو قـيود على أسـاس من التحليل العلمي والـتجربة، وكـانت أولى مظاهر النهضة بعث الدراسـات الإغريقية واللاتينية، وإنشـاء مؤسسات علمية مـثل الاكاديميات والمكتبات ترعى هذه الدراسات، وظهرت الفلسفـة التي تؤكد قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته عن طريق العـقل، ويطلق تعبير الحركـة الإنسانية Humanism على الحركة الأدبية في إيطاليا في عصر الـنهضة، وقد ثار فلاسفة وكتاب عـصر النهضة على القديم ودعوا إلى التـجديد ومن هؤلاء دانتي Dante وبترارك Petrarch (1304-1374) الذي شغف بدراسة وإتقان الـلغة اللاتينية واعتبرها لغة الأدب واسـتطاع أن يتذوق الاتجاهات الإنسانية التي حفلت بها كتابات الرومان فجعلت منه عالما عملاقا يمثل طرازاً جديداً من رجال الفكر، وقام بجمع المخطوطات وعمل جاهداً على نشر الدراسات الإنـسانية ونجح

في تكوين مدرسة فكرية تتكون من متحمسين لهذه الدراسات. وقد كرس هؤلاء الفلاسفة جهودهم لمهمة بعث الآداب الكلاسيكية القديمة، وقامت الحركة الإنسانية بدراسة المخطوطات، وكانت الكاتدرائيات والكنائس والأديرة تزخر بعدد وافر من هذه المخطوطات.

وقد نشط البحث أولا عن المخطوطات اللاتينية وقامت الأسر الحاكمة في المدن الإيطالية بتمويل عمليات البحث في المخطوطات وشرائها حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة مشتركة بين حكومات المدن الإيطالية انقلبت إلى منافسة حادة بينها، وكان الإيطاليون ينظرون إلى اللغة اللاتينية على أنها لغة الحضارة الرومانية، أما إحياء الدراسات اليونانية فيرجع الفضل فيه إلى عدد معين من العلماء اليونانيين الذين استقروا في مدينة فلونسا وغيرها من مراكز العلم. وقد زار هؤلاء العلماء القسطنطينية بهدف دراسة اللغة اليونانية. كما حدث قبل سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين قيام تقارب فكري بين الدولة البيزنطية والمدن الإيطالية التي أشتهر حكامها بتشجيع العلوم والفنون والآداب. (عبدالعزيز الشناوي 1977 ص34).

وكان بوكاشيو (1313-1375) Giovanni Bocaccio أول إيطالي زارها ينشد التعمق في هذه اللغة، وأدى الاهتمام باللغة اليونانية إلى بعث تراث الإغريق القدماء والاهتمام به.

ولقيت الدراسات الإنسانية، عزيزي القارئ، في اختراع الطباعة على يد جون غوتنبرغ John Gotinberg سنة 1453، خير معين لها على الانتشار حيث انتشرت الكتب المكتوبة باللغات القومية وحلت محل اللاتينية واللهجات المحلية، ويمكن اعتبار الطباعة أهم اختراع ظهر في عصر النهضة فقد أسهمت في إثراء الحياة العقلية على مر العصور، وقد كان لاكتشاف الورق والنجاح في صنعه هو الذي مكن الطباعة من أداء رسالتها. وكان صاحب المطبعة يجمع بين إلمامه التام بفن الطباعة والعلم الغزير والثقافة الواسعة، ومن أبرز أعلام الطباعة الإيطاليين الدومانوزيو (1449-1514) (Aldo- Ma-nuszio) الذي تعمق في دراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية وغدا متخصصاً في النقد والنحو وتاريخ الأدب وعلم الأخلاق.

وقد انتعش علم التاريخ وظفر بعناية فائقة حيث انتهت الفكرة التي جعلت التاريخ يعتمد على السماع والرواية وحلت محلها دراسة التاريخ على أساس علمي

موثق، الأمر الذي أدى إلى ظهـور مدرسة النقد التاريخي، ففي فلونسـا ظهرت مدرسة تاريخية لهـا طابعها المميز أصبـحت مركز المنهج الحديث في كتـابة التاريخ. ومن أعلام هذه المدرسـة نقولا مـيكافـيللي (Niccolo Machiavelli) (1469-1527) الذي كتب تاريخ فورنسا كما كتب عام 1512 كتابه (الأمير)، موضحـا فيه المبادىء الأساسية لبناء الدولة وشرح الاستـبداد في الحكم من الناحية النظريـة والعملية. (السيد رجب حراز 1974 ص215-225).

2.3.2 النهضة الفنية

شـهد القـرن الرابع عشـر بداية تأثر الفنون الجـميلة في إيطاليـا بالروح العلميـة والإنسانية، ولا سيما في مجال البناء، بعد أن كان الفن مسخراً لخدمة الكنيسة والأهداف الدينية. فقد حرر الفنانون الإيطاليون أنفسهم وعقولهم من قيود العصور الوسطى وكرسوا طاقاتهم في الارتقاء بمستوى الفنون الجمـيلة إلى أسمى درجات الكمال وبخاصة في فنون البناء والتصويـر والنحت. ففي البناء اتجه الفنان فيليـوبرونسكي إلى درس الفن الروماني القديم وترك أسلوب الفن القـوطي القائم على الأقبيـة العالية والدعائم المعلـقة وعاد إلى الشكل الكلاسيكي الذي اعتمد على فن العمود الذي ينتهي بالتاج، ووصل فن البناء حد الكمال على يد الفنان ميشيل أنجلو Michelangelo (1475-1564) الذي أضاف إلى فن العمود والتاج، والدقة في التفاصيل وتناسب الأبعاد.

وشهدت مدينة فلورنسا هذا التطور الكلاسـيكي في فن البناء ثم نافستها في هذا الفن مدينتا البـندقية وروما، ومن أشهـر النوابغ في فن العمارة في مطلع عصـر النهضة فيليب بريلشكي Philippe Brunelleschi (1377-1446).

أما فن التصوير فقد تميز بنزعة دنيوية مـسرفة في صراحتها، فرسم الفنانون صوراً تنبض بالحيـاة أبرزوا فيها جـمال الوجه البشـري وسائر أجزاء جسم الانسـان، وصوروا جمـال الطبيعـة ومشاهدها الخـلابة. ويعتبـر رفائيل زانزيو Raphael Sanzio (1520-1483) على رأس الفنانيين الذين برعوا في فن التصوير في إيطاليا، فـقد جسد العبقرية في فن التـصوير بما خلفه من آثـار فنية بلغت حد الـروعة وبخاصـة في لوحة العـشاء الرباني. كـذلك فإلـى جانب النحت تميـز ليـوناردو دي فنشي Leonardo de Vinici (1452-1519) ببـراعته في الـرسم وذلك من خلال الصـورة التي تمثل (خلق آدم) وفي أجمل أعماله لوحة العشاء الأخير ولوحة الموناليزا. (نورالدين حاطوم 1968، ص103).

وقد تحرر فن النحت من القيود التي وضعتها الكنيسة، وأصبح فناً علمانياً بعد أن كان فنا دينيا، وحدث مزج بين الدين والدنيا في تناسق تام، إذ كانت التماثيل الرائعة التي خلفها الاغريق والرومان لا تزال قائمة لم تمتد اليها يد الزمان، كما أن أعمال البحث والتنقيب عن الآثار قد أسفرت عن الكشف عن تماثيل أخرى أصبحت نماذج حية ناطقة أمام فناني النهضة مما ساعد على ازدهار فن النحت، ومن أشهر أساتذة فن النحت لورنزو جيبرتي Lorenzo Ghiberti (1378-1455) وكذلك ميشيل أنجلو الذي اعتنى بفنون العمارة والنحت والتصوير وهو أحد العباقرة العالميين الذين اشتهرت آثارهم في عصر النهضة.

3.3.2 إحياء العلوم

كان نفوذ الكنيسة في أوروبا في العصور الوسطى قوياً جداً، وكان التعليم السائد تعليماً دينياً ويتم تحت إشراف الكنيسة، وفي عصر النهضة أخذ العلماء يبحثون في شؤون الكون دون قيود معتمدين على التحليل العلمي والتجربة، وقد توافد على إيطاليا عدد من علماء الشرق البيزنطي على أثر سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين في عام 1453 وجلبوا معهم الكثير من المخطوطات وقاموا بالتدريس في الجامعات الإيطالية فانتشرت الثقافة الفكرية الجديدة، ورافق إحياء الثقافة الكلاسيكية القديمة انبعاث التراث العلمي الاغريقي، وخاصة في حقل الطب والرياضيات والفلك والفيزياء. ومن أشهر أطباء ذلك العصر الدكتور فيزاليوس البلجيكي الأصل الذي نشر مقالة سنة 1543، دعا فيها إلى إخضاع كل شئ للنقد وجعل التجربة وسيلة البحث العلمي. والعالم البولندي كوبرنيكوس N. Cobernicus (1473-1543) الذي قلب مفهوم علم الفلك عندما قال إن الأرض وسائر الكواكب السيارة تدور حول الشمس وحول نفسها. ومن أشهر الفلاسفة العقلانيين ديكارت (1561–1626) الذي نبذ كل المعتقدات القديمة التي لا تتفق ومنطق العقل. أما العالم الايطالي ليوناردو دي فنشي الرسام والنحات والموسيقي والمهندس، فقد ابتكر آلات رافعة ومحركات وأشكال طائرات، ثم ظهر الفيلسوف الانجليزي فرنسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626) الذي يعد أحد رواد العلم التجريبي الحديث حيث وضع منهجا للبحث العلمي في كتابه (التجديد الكبير) لخص فيه الطريقة التجريبية الجديدة. ويمكن اعتبار اختراع البارود من أهم مظاهر عصر النهضة، فقد تم اختراع المدفع والبندقية لتحل محل الجواد والرمح والدرع وهذا بدوره أدى إلى إضعاف سلطان الامير الإقطاعي، ومكن الملوك من إحباط هجوم الأمراء الاقطاعيين وقيام الملكيات القوية في أوروبا.

4.2 أثر النهضة على المجتمعات الأوروبية

قبل أن يبدأ اضمحلال النهضة في شبه الجزيرة الإيطالية، كانت روحها ومظاهرها قد تسربت عبر جبال الألب إلى أصقاع شتى من القارة الأوروبية، كلما سمحت الظروف الداخلية لهذه الأقطار بتقبل المؤثرات الحضارية. ذلك أن عوامل كثيرة جعلت انتشار حركة النهضة إلى خارج ايطاليا أمراً ليس فقط ميسوراً بل محتماً. فاختراع الطباعة سهل ويسر عملية توزيع المؤلفات العلمية والأدبية على جماهير عريضة. ولم يقتصر ناشرو الكتب الايطاليون في طباعة تراث القدماء ومؤلفات علماء عصر النهضة وكذلك في توزيعها في إيطاليا كما في خارجها. ثم أن تردد الباحثين وطلبة العلم من بلدان غرب أوروبا على جامعات إيطاليا وأكاديمياتها، جعل منهم أساتذة وعلماء في مدن أوروبا الكبيرة ورواداً لفكر النهضة الأوروبية ومعجبين بالتراث القديم وشديدي التأثر بعقلية الأنسانيين. وكذلك كان الإنسانيون الإيطاليون في تجوالهم في الخارج ينشرون أفكار النهضة ويعلمون الناس تذوق آداب القدماء وفنونهم. وما ترددت جامعات أوروبية كثيرة في استدعاء أساتذة ومحاضرين إيطاليين يدرسون طلبتها فنون وآداب النهضة الإيطالية.

ويعتبر رازمس Didie Rasmes أكبر داعية للنهضة خارج شبه الجزيرة الإيطالية وهو عالم هولندي، طبقت شهرته دول أوروبا حتى إن فرنسا وانجلترا والمانيا كانتا تدعيه لنفسيهما استناداً إلى أنه أقام بكل منها زمناً يحاضر باللغتين الإغريقية واللاتينية، وتجمع حوله علماء تلك البلاد وصفوة المثقفين فيها. وقد شغف بالبحث عن الكتب القديمة وجمعها والتعليق عليها ونشرها للإفادة منها، وقد وضع عدة مؤلفات باللغة اللاتينية.

كان رازمس يرى أن الدراسات الإنسانية وسيلة لغاية، هي إصلاح المجتمع الأوروبي وتخليصه من الشرور والآثام والفضائح الخلقية التي كانت ترتكب جهاراً وكذلك من الجهالة المتفشية فيه. وبعبارة أخرى كان يرى أن الدراسات الإنسانية يجب أن تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى علاج الأمراض الاجتماعية والمساوئ الخلقية. فكان رازمس في طليعة الرواد الذين دعوا إلى الإصلاح الديني، ولكن لم تتجاوز رغبته في إنهاض الكنيسة الثورة عليها أو الخروج على روما، وقد ظهر قبيل مارتن لوثر بفترة وجيزة.

ويختلف رازمس عن الإنسانيين الإيطاليين في أنه لم تظهر في كتاباته أي نزعة وثنية، بل كان مسيحيا مستنيراً معتدلاً، اتسمت كتاباته بالطابع الأوروبي العام والبعد

عن العنف. واستبدت به رغبة قوية في نشر الدراسات الإنسانية وتثقيف الناس بها حتى عقدت له الزعامة الثقافية في أوروبا، وكان يرى أن التعليم أرقى مهنة. وقد توفي في مدينة بال بسويسرا سنة 1536 حيث كان يستعد لطبع مؤلفاته. وقد أطلق عليه بعض المؤرخين: فولتير اللاتيني.

نبحث معاً، عزيزي القارئ، في البنود الآتية النهضة في كل من ألمانيا وفرنسا واسبانيا وانجلترا.

1.4.2 النهضة في ألمانيا

لم تجد الدراسات الإنسانية في الأوساط العلمية والدينية في ألمانيا أول الأمر مناخاً صحياً تزكو فيه على الرغم من تشجيع بعض الحكام لأصحاب هذه الدراسات، وعلى الرغم من أن بعض الجامعات الألمانية قد أفسحت للدراسات الإغريقية واللاتينية مجالاً في برامجها، فقد كانت معارضة رجال الدين الألمان لهذه الدراسات من القوة والعنف بحيث حدت من انتشارها في نطاق واسع، وقد ربط هؤلاء الرجال بين الدراسات الإنسانية وإيطاليا باعتبار أن هذا الإقليم هو مهد الدراسات الإنسانية منذ بدأت النهضة، وكان الألمان بوجه عام ورجال الدين بوجه خاص يشعرون بمقت شديد لرجال الكنيسة في روما نظراً لما كان يتناقله الناس في أحاديثهم ومجالسهم من أخبار تدل على تدهور رجال الكنيسة في روما في مستواهم الخلقي والديني والثقافي. وطالب الألمان بالعودة إلى المسيحية الأولى في بساطتها وطهارتها وتقواها، ورأوا أن هذا الغرض لن يتم إلا بتفهم المسيحية تفهماً صحيحاً سليماً قبل أن تفسدها فلسفة العصور الوسطى وتعقيداتها، وقبل أن تدخلها الخرافات والبدع والأساطير الدينية.

ظهر في ألمانيا حنا روخلن Johan Reuchlin (1455-1552) كان من أعلام الفكر الألماني الحديث، تخصص في الدراسات الإغريقية واللاتينية في روما وغيرها من مدن إيطاليا وفي باريس وبال. وجاهد في سبيل نشر هذه الدراسات بين مواطنيه وقد أدرك الشعب الألماني بما لا يدع مجالاً للشك أهمية الدراسات الإنسانية في شرح الكتاب المقدس، وبالتالي في تفهم الديانة المسيحية على أساس سليم، ومن هنا حدث ارتباط وثيق بين الدراسات الإنسانية والرغبة في الإصلاح الديني، وقد ترتبت على هذا الوضع عدة نتائج: فقد استهدفت الدراسات الإنسانية في ألمانيا خدمة المسيحية، وخلت كتابات

أعلام النهضة الألمان من أية نزعة وثنية، وغدت النهضة في ألمانيا دينية فلسفية جافة تتميز بطابع الجدية الصارمة البعيدة عن تقديس الجمال. ولم تلبث أن تطورت إلى قيام ما يعرف بحركة الإصلاح الديني، وهي حركة معادية للكنيسة الكاثوليكية في روما، اعتمدت على العنف وأدت إلى تصدع العالم الكاثوليكي ونشوء مذاهب مسيحية أخرى خاضت صراعاً حربياً رهيباً استطال عهوداً وأحقاباً.

2.4.2 النهضة في فرنسا

لم تظهر الدراسات الإنسانية في فرنسا إلا مع مطلع القرن السادس عشر، وبعد غزو الفرنسيين لايطاليا، وذلك بسبب انشغالها طيلة قرون بحروب المائة سنة وبالمشاكل الداخلية. في هذا الوقت انتشر تدريس اليونانية في الأكاديميات الفرنسية وخاصة في باريس حيث حاضر أساتذة إنسانيون في اليونانية والعبرانية واللاتينية القديمة.

أما في الأدب فقد اتجه الكتاب إلى نشر المؤلفات القديمة ونقدها والتعليق عليها، وظهر أثر ذلك في مؤلفات كالفن Calvin (1555-1595) ومونتين Montaigne (1533-1592) الذين بدأو النظم والنثر الفرنسي الحديث ومن أبرع مؤلفات رابليه روايته Gargantua حيث مثل فيها أخلاق عصره، وشهّر بكثير من الجماعات المحافظة على القديم.

على أن النهضة الحقيقية في فرنسا إنما هي نهضة فن الحفر والعمارة التي بلغت شأوا عظيماً بعد أن استمدت قوة جديدة من نماذج النهضة الإيطالية حتى بلغت غايتها في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وكان أعظم من يمثلها بيير لسكو Pierre Lescot (1510-1578) الذي اشترك في بناء قصر اللوفر، ومثل فيه طراز النهضة في أرفع أصولها سواء أكان في تناسب الأجزاء أم في تناسق الزخارف واستعمال الأقواس والأعمدة.

وأما نهضة الحفر فتتمثل في أعمال «جان جوجان» الذي زين واجهات اللوفر بالتماثيل الرمزية المستمدة من الخرافات الوثنية القديمة.

وعند عودة شارل الثامن من إيطاليا حمل معه عدداً من فناني النهضة الإيطاليين. وما كان من السهل على هؤلاء تطبيق أساليب الفن الايطالي في وقت كانت جذور الفن القوطي ما تزال قوية راسخة. ومع هذا فقد قامت في مطلع القرن السادس عشر منشآت

أخذت من فنون النهضة خطوطها العامة وحافظت في التفاصيل والنقوش على التراث القوطي فقامت قصور عظيمة ذات طراز مختلط في حوض نهر اللوار مثل قصر شامبور Shambord وقصر بلوا Blois إنما استمر التفاعل وصار للفرنسيين في أواخر القرن فن يتسم بطابع النهضة الفرنسية تجلى بصورة خاصة في أساليب ليسكو مخطط قصر اللوفر.

ولعل الميزة الأساسية التي اتصف بها الفرنسيون هي أنهم في إقبالهم على دراسة تراث القدماء ونشره ما تخلوا عن شخصيتهم القومية وثقافتهم الفرنسية فجاء عصر النهضة في فرنسا أصيلا بعيداً عن تقليد القدماء في الأدب كما في الفن والفلسفة. (عبدالعزيزي الشناوي 1977 ص51).

3.4.2 النهضة في إسبانيا

كان اتصال إسبانيا بالدراسات الإنسانية في إيطاليا قديماً إلى حد ما بسبب ما للإسبان من وجود سياسي في إيطاليا يتمثل بعرش الفونسو الخامس الأرغواني في ميلانو وكذلك بالكلية الأسبانية في بولونيا. ونشطت هذه الاتصالات أيام اثنين من الباباوات الإسبان كاليكست الثالث والإسكندر السادس. وتمثل هذا الاتصال خاصة بمن وفدوا على بلاط الملوك الكاثوليك من الإنسانيين الإيطاليين ينشرون أفكارهم ومعارفهم بين الأسبان. ونشطت في أواخر القرن الخامس عشر الدراسات اليونانية واللاتينية القديمة بل والعبرانية أيضاً في جامعات هامة مثل جامعة إشبيلية وشلمنقة والكالا Alcala التي برزت في وقت من الأوقات بصفتها واحداً من أبرز مراكز الدراسات الإنسانية، في غرب أوروبا. إلا أن الحركة الإنسانية ما لبثت أثر قيام حركة الإصلاح الديني ووقوف إسبانيا بقوة إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية، أن تعرضت لمعارضة قوية من جانب الدولة والكنيسة أوقفت تقدمها وتطورها.

وفي زمن الملوك الكاثوليك لاقت فنون العمارة الإيطالية إقبالاً كبيراً من الإسبان دون أن يتخلى هؤلاء عن تمسكهم بالفن القوطي. فبرزت المؤثرات الإيطالية بقوة في كلية القديس غريغوار في بلد الوليد وكذلك في واجهة بلدية أشبيلية. إنما في منتصف القرن السادس عشر.

كان الإسبان قد كونوا لأنفسهم طرازاً في العمارة والنحت خاصاً بعصر النهضة تبرز فيه أصالتهم في قصر شارل الخامس وفي قصر الحمراء بغرناطة.

4.4.2 النهضة في إنجلترا

دخلت الدراسات الإنسانية إنجلترا متأخرة بعض الوقت، لأن هذه البلاد كانت منصرفة إلى مشكلات الحرب التي قامت بينها وبين فرنسا، والتي اطلق عليها اسم حرب المائة عام (1338-1453) ثم لم تلبث أن شغلت مرة أخرى بحرب داخلية عرفت باسم حرب الوردتين (1455-1485)، فلما وضعت هذه الحرب الأخيرة أوزارها أخذت الدراسات الإنسانية طريقها إلى إنجلترا، وكان جماعة من الإنجليز قد شدوا رحالهم إلى شبه الجزيرة الإيطالية ونهلوا من الدراسات القديمة في فلورنسا والبندقية وروما وغيرها ما شاء لهم نهمهم العلمي. وكان معظم هؤلاء الإنجليز من أكسفورد، ولما عادوا اتخذوا من أكسفورد مكاناً لإلقاء محاضراتهم ونشر آرائهم الجديدة، فأطلق عليهم «مصلحو أكسفورد» Oxford Reformers.

وقد أسهم رازمس في ازدهار الدراسات الإغريقية في إنجلترا، ففي زيارته الأولى لها سنة 1499 حاضر في جامعة أكسفورد في هذه الدراسات. وفي زيارته الثانية لإنجلترا - وقد امتدت من سنة 1510 حتى سنة 1513 - حاضر في جامعة كمبردج، وترعرعت بينه وبين أعلام الإنجليز في الدراسات الإنسانية أواصر صداقة وثيقة، ويعتبر إرازمس من أعلام مصلحي أكسفورد بسبب زياراته لإنجلترا ولعلاقاته الوطيدة مع علمائها.

اهتم مصلحو أكسفورد بدراسة الأدبيات القديمة ونادوا بضرورة إطلاق الفكر الإنساني من القيود التي كانت تفرضها الكنيسة على حرية البحث العلمي وحرية الفكر. وكان هؤلاء المصلحون متأثرين بروح النقد المنتشرة في عصرهم وكانوا لا يرضون عن مساوئ الكنيسة، ولكنهم لم يذهبوا في مطالبتهم بإصلاحها إلى حد المناداة بانفصالها تماماً عن روما.

ومن أعلام النهضة في إنجلترا توماس كولت Thomas Colet الذي أدخل تعليم اللغة الإغريقية في جامعة أكسفورد، وسير توماس مور Thomas More وكلاهما كان صديقاً لإرازمس. وتعاون الثلاثة على نشر الإنجيل، وحتى يصل إلى كل فلاح خلف محراثه، وكل ناسخ خلف منواله، وحتى يكون سلوى كل مسافر.

وأخذت الدراسات الإنسانية طريقها من جامعة أكسفورد إلى جامعة كبمردج على يد رازمس الذي حاضر في اللغة الإغريقية، وكون حلقة من دارسين نابغين شغوفين

بتلك الدراسات، ثم تعاقب بعده عدد من صفـوة الأساتذة الإنجليز يحاضرون في اللغة الأغريقـية في رحـاب تلك الجامـعة، حتـى إذا جاءت سنة 1541 أصدر هنري الثامن مرسومـاً ملكياً بإنشاء خمسـة كراسي أستاذية في جامعـة كمبردج للغة اليـونانية واللغة العبرية واللاهوت والقانون المدني والطبيعة.

وأهم فارق بين النهضـة في إنجلترا النهضة في كلٍ من إيطاليا وفرنسـا أن النهضة في الدولتين الأخيرتين اتجهت اتجاهاً وثنياً، أما في إنجلترا فقد أخذت النهضة طابعاً دينياً يستـهدف خدمـة المسيحيـة، ولذلك لم تكن النهضـة في إنجلترا مقـصورة على الآداب والفنون، بل شملت أيضـاً الدين، وحاولت التوفـيق بين الفن والعقيدة، وبين الجـمال والدين.

واتجـهت النهـضة فـي إنجلترا أول الأمـر إلى جـعل الآداب القـديمة في مـتناول المثقفين، فـأخرجت تراجم لأعلام الفكر القديم، مثل هوميـروس، وفرجيل، وبلوتارك وغيـرهم، كما ترجـمت إلى اللغة الإنجليزيـة ألوان من الإنتاج الأدبي لأعلام النهـضة الإيطالية، ولم تقـدم إنجلترا في القرن السادس عـشر روائع أدبية مبـتكرة إلى الدراسات الإنسانية، حتى إذا جاء القرن السابع عشر بلغ الإنتاج الأدبي في اللغة الإنجليزية الذروة في الروعـة والإبداع، وقد تمثل هـذا الإنتاج في مـؤلفـات شيكسـبيـر Shakespeare (1616-1564) وجون ملتون John Milton (1674-1608).

تدريب (1)

كيف ساعدت الدراسات الإنسانية على انتشار أفكار النهضة في المجتمع الأوروبي؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- من أسباب ظهور النهضة الأوروبية النظام الإقطاعي، أشرح ذلك.

2- من مظاهر النهضة الأوروبية النهضة الفنية، وضح ذلك.

3. من نتائج النهضة الأوروبية

نتطرق، عزيزي القارئ، في هذا القسم من الوحدة إلى بحث حركة الكشوف الجغرافية وحركة الإصلاح الديني.

1.3 حركة الكشوف الجغرافية

تعتبر حركة الكشوف الجغرافية من أهم مظاهر عصر النهضة، وما أسفرت عنه، من كشف العالم الجديد، وأصقاع أخرى من العالم، وتنظيم طرق ملاحية جديدة عبر المحيطات والبحار.

فالدول الأوروبية الحديثة أرادت السيطرة على الشعوب الضعيفة، ورغبة الاستعمار هي أهم الدوافع وأقواها في حركة الكشوف، ولا يمكن أن نغفل الدوافع الثابتة وهي الدوافع الدينية المتمثلة في رغبة الدول في نشر المسيحية في البلاد المكتشفة. ولا شك ان الدافع الديني كان من الدوافع القوية لدى البرتغال وإسبانيا، ولاسيما عقب الحروب الصليبية التي خاضتها إسبانيا ضد المسلمين. وكان من نتائج انتصار الإسبان على المسلمين زيادة تعصبهم الديني وحماسهم الوطني وقد وقفت الكنيسة الكاثوليكية وراء المكتشفين تمدهم بالمال والمساعدة من أجل نشر المسيحية بين شعوب البلاد المكتشفة، وتعوض خسارتها الناتجة عن حركة الإصلاح الديني، والتي أدت إلى تحول كثير من الكاثوليك إلى المذهب البروتستانتي، لذلك كانت معظم الرحلات الكشفية تصطحب معها المبشرين بهدف نشر المذهب الكاثوليكي.

أما العامل الاقتصادي فكان أيضاً من الأسباب الهامة، فقد كانت أوروبا في حاجة ماسة إلى السلع الشرقية من توابل وبهارات وعطور وعقاقير، وكانت هذه المنتجات تأتي عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر إلى مصر أو مدن الشام ومنها تنقل بحراً إلى المدن الايطالية ومن هناك يجري توزيعها على مختلف بقاع أوروبا، إلا أن هذه الطرق لم تكن تخلو من المخاطرة والمصاعب بالإضافة إلى سيطرة العرب والبنادقة على هذه الطرق، فظهرت الرغبة لدى إسبانيا والبرتغال في ضرب هذا الاحتكار التجاري والتخلص من الرسوم الجمركية الفادحة التي كانت تفرضها السلطات الحاكمة في مصر والشام.

تمكن هنري الملاح Henri Nanigateum (1394-1460) بوصفه رئيساً لطائفة فرسان المسيح، أن يفتح مدينة سبتة في المغرب العربي، ولكن فشل في الاستيلاء على طنجة سنة 1436 فاتجه إلى الشواطئ المغربية من أجل توسيع رقعة بلاده مؤمناً بالفكرة الشائعة التي تشير إلى إمكانية الوصول إلى الهند عن طريق الإبحار حول افريقيا، ولم يعبأ هنري للخرافات الي كانت سائدة بين الناس، فأسس أكاديمية بحرية ومرصداً في ساجر(Sagers) على الطرف الجنوبي لشاطئ البرتغال، وزودهما بمجموعة ضخمة من الخرائط والمراجع، واستقدم صفوة العلماء والجغرافيين. ثم اكتشف جزر الأزور وماديرا والرأس الأخضر، وقد تابع فاسكودا جاما الكشوف البرتغالية، فأبحر من لشبونة واجتاز رأس الرجاء الصالح إلى مالندي ثم إلى قاليقوط وبهذا اكتشف الطريق الجديد إلى الهند دون الحاجة إلى التجار الوسطاء من العرب والمسلمين. واعتبر الملك عمانويل ملك البرتغال سيادة بحار الهند من حقه وحده. أما البوكيرك فسيطر على الطرق المائية التي تؤدي إلى الهند واستطاع أن يحتل هرمز ومسقط ولكنه أخفق في السيطرة على البحر الأحمر.

أما الكشوف الإسبانية فقد اتجهوا في رحلاتهم الاستكشافية صوب الغرب، وكان كرستوفر كولمبس يحمل فكرة إمكان الوصول إلى الهند بالإبحار غرباً في المحيط الاطلسي، وبعد أن أقنع فردنند ملك أرغونه وإيزابلا ملكة قشتالة أبحر في أغسطس 1492 برحلته الأولى، فوصل إلى إحدى جزر البهاما وسماها سان سلفادور، وكشف شاطئ كوبا وجزيرة هايتي وسماها إسبانيولا وهو يعتقد أنه وصل إلى جزر الهند الشرقية، وفي رحلة أخرى عام 1502 وصل أمريكا الوسطى بالقرب من سواحل بنما. أما الرحالة أمريجو فسبوتشي فقد وصل إلى شواطئ أمريكا ومن هنا جاء اسم أمريكا ثم واصل الإسبان اكتشافاتهم بعد كولمبس، ففي عام 1519 قام الرحالة فرديناند ماجلان بالبحث عن الطريق الغربي المؤدي إلى الهند الشرقية فوصل إلى شواطئ البرازيل ثم سار على طول الشواطئ الشرقية لأمريكا الجنوبية وعبر مضيق النار (مضيق ماجلان) حتى وصل إلى المحيط الهادي ثم بلغ الفلبين عام 1521 حيث قتل في إحدى المعارك.

ثم بدأت الدول الأوروبية الأخرى تنافس إسبانيا والبرتغال، فاتجهت فرنسا إلى المناطق الشمالية من أمريكا الشمالية فاكتشف جاك كارتييه Jacques Cartier (1491-1557) نهر سانت لورنس عام 1525 في كندا. وبعد ذلك اتجهت فرنسا إلى الهند وبفضل شركة الهند الشرقية الفرنسية استطاعت أن تضع يدها على بوندشيري

وسورات وقاليقوط. أما إنجلترا فقد أرسل الملك هنري السابع، الملاح جون كابوت إلى أمريكا الشمالية فوصل جزيرة لبرادور ونيوفوندلند المقابلة لكندا ثم بلغ شاطئ كندا وتابعت إنجلترا اهتمامها باكتشاف العالم الجديد، فكانت بداية الاستعمار الانجليزي المنظم لسواحل أمريكا الشمالية، وكذلك لم تنس إنجلترا أن توجه أنظارها إلى الهند فاستولت عام 1591 على سورات ومدراس وأسست شركة الهند الشرقية الانجليزية التي قامت بدور بارز في الاستعمار الإنجليزي للهند.

وقد ترتبت على حركة الكشوف الجغرافية العديد من النتائج السياسية والاقتصادية الهامة التي أثرت على تاريخ أوروبا والعالم. فقد انتقل مركز التجارة من حوض البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي وأدى تدفق التجارة والثروات إلى قيام الثورة التجارية، ودبت الحياة في المدن التجارية الأوروبية، فتقدم العمران وأنشئت البنوك والمصارف، وبالتالي انتقلت الزعامة التجارية في العالم من يد دول البحر المتوسط إلى يد دول غرب أوروبا. كذلك أدى اتساع حركة الكشوف إلى قيام صراع بين الدول الأوروبية على المستعمرات، تبعها نشوب كثير من الحروب التي انتهت بامتلاك الدول الأوروبية لإمبراطوريات ضخمة خارج القارة الأوروبية.

ومن جهة أخرى قام المهاجرون الأوروبيون، الذين فروا من أوروبا عقب الاضطهاد الديني الذي لحق بهم على يد الكاثوليك، بنشر المذهب البروتستانتي في إستراليا وأمريكا الشمالية.

أما أهم النتائج العلمية فكانت ظهور نظريات البحث العلمي وإعادة النظر في كثير من النظريات التي سادت أوروبا في العصور الوسطى، وتقدمت صناعة السفن ودخلت أوروبا عصر البخار. ومن نتائج الكشوف الجغرافية على عالمنا العربي أن فقد السيطرة على التجارة العالمية التي كانت تمر في أراضيه، سواء في الخليج العربي أو بحر العرب أو البحر الأحمر والبحر المتوسط وأدى هذا التحول التجاري إلى إضعاف المركز الاقتصادي للوطن العربي مما أثر في مركزه السياسي، هذا مع العلم بأن للعرب فضلاً كبيراً على البرتغاليين في وصولهم بحراً إلى الهند. فقد أرسل حاكم ماليندي إلى الأميرال البرتغالي فاسكودي غاما ربانا عربياً هو شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي النجدي، وكان على حظ وافر من الخبرة الملاحية، وترك ثروة قيمة من المؤلفات العلمية في فنون الملاحة من أهمها كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد). وقد اطلع

ابن ماجد القائد البرتغالي على اسطرلاب عربي مصنوع من المعدن وعلى آلات مربعة وأخرى مثلثة من الخشب كان يسجل بها أرصاده، كما قدم له مجموعة من خرائط عربية ممتازة موضحاً عليها خطوط الطول والعرض. أما شعوب الهند والهند الصينية وجزر الهند الشرقية فقد عانت من الاحتكار التجاري والاستعمار السياسي والثقافي ونهب الثروات والخيرات.

2.3 حركة الإصلاح الديني

تسربت النهضة من إيطاليا إلى غيرها من البلدان الأوروبية، ولكنها اتخذت أشكالاً مختلفة من بلد إلى آخر. فقد ظهرت في ألمانيا حركة دينية أكدت على دراسة الكتاب المقدس والرجوع إلى المصادر الأولى للمسيحية. وكان الألمان بوجه عام ورجال الدين بوجه خاص يشعرون بكره شديد لرجال الكنيسة في روما نظراً لتصرفاتهم السيئة وسوء مستواهم الخلقي والديني والثقافي. وقاموا بمهاجمة رجال الدين الكاثوليك الذين انغمسوا في الرذيلة وأصبح همهم الأول جمع الأموال التي كانوا يحصلون عليها من الضرائب الباهظة إلى جانب توليهم الوظائف الدينية، ونتيجة لهذه الأوضاع قامت حركة الاصلاح الديني تطالب بإصلاح الكنيسة ثم طالبت بإصلاح العقيدة نفسها.

وقد أدرك الشعب الألماني أهمية الدراسات الإنسانية في شرح الكتاب المقدس، وبالتالي الديانة المسيحية على أساس سليم، ومن هنا حدث ارتباط وثيق بين الدراسات الإنسانية والرغبة في الإصلاح الديني، وهي رغبة جاشت في صدور الجماهير الألمانية، ومن ثم اتخذ دعاة الإصلاح الديني من الدراسات الإنسانية وسيلة لتحقيق رغبتهم بعد أن كان رجال الدين يعارضون هذه الدراسات، وطالب الألمان بالعودة إلى المسيحية الأولى في بساطتها وتقواها.

ارتبطت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا باسم مارتن لوثر Marten Luthir (1483-1546) وقد كانت هذه الحركة أعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر. إذ خرج عليها أكثر من نصف سكان أوروبا الغربية، فقد كان موقف حكام ألمانيا في الوحدات السياسية ومن تدهور الكنيسة في روما، الرغبة في التخلص من سيطرتها والاستئثار بأموال الكنيسة وممتلكاتها الشاسعة والقضاء على نظام صكوك الغفران. وقد عاش لوثر في بيئة انتشرت فيها الخرافات الدينية مما دفعه إلى ترك دراسة

القانون واتجه لدراسة اللاهوت في روما، وهناك شاهد بنفسه مفاسد البابوية ورجال الكنيسة، وعندما سمع لوثر أحد رجال الكنيسة وهو يبيع صكوك الغفران.

يقول "إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء نفسها فإن صكوك البابا كفيلة بأن تمنحه الغفران الكامل" (Gottscalek. L. & Lach. FD: 1951. V.1, P185). وكان البابا بحاجة إلى مبلغ من المال لبناء كنيسة القديس في روما وكانت الكنيسة تدعى ان هذه الصكوك تغفر لمشتريها ما كان قد اقترفه من آثام ومعاص، فاعتقد لوثر أن الكنيسة كانت تخدع الناس بهذه الطريقة الملتوية. ومن هنا انتهز لوثر فرصة الاحتفال بعيد الشهداء في كنيسة وتنبرغ اكتوبر 1512، فعلق على باب الكنيسة في ذلك اليوم احتجاجاً طويلاً يتألف من خمس وتسعين حجة ضد البابوية وصكوك الغفران، ووجه الدعوة لمناقشة هذه الحجج لكل من شاء من العلماء. (السيد رجب حراز، عصر النهضة 1474 ص440).

وجه لوثر الهجوم إلى كنيسة روما، وأعلن أن البابا ليس من حقه أن يحتكر تفسير الكتاب المقدس، ودعى إلى ضرورة إنقاص عدد الأديرة وعدم الحج إلى روما، والسماح بزواج رجال الدين وأضاف بأنه حتى المجلس الكنسي بما فيه البابا قد يكون مخطئا في تفسير أسرار الدين المسيحي، وادعى أن لكل شخص الحق في قراءة الانجيل وتفسيره بحسب آرائه. وهكذا هاجم لوثر الكنيسة في سلطانها وعقيدتها، وكان رأيه دعوة ثورية تجرد الكنيسة ما كانت تعتبرة حقاً لها وحدها، وأجابت الكنيسة على هذا الهجوم بحرمان لوثر من الغفران وتجريده من حقوقه المدنية، واعتباره خارجاً على السلطة القائمة وإهدار دمه وقد بذلت محاولة لإلقاء القبض على لوثر وترحيله إلى روما، فلجأ إلى حاكم إقليم سكسونيا الذي ساعده وسمح له بالإقامة في قلعة وارتبرغ، وخلال سنة واحدة استطاع لوثر ترجمة الإنجيل إلى اللغة الالمانية، مما سهل على الناس الاطلاع عليه. وكانت دعوة لوثر تلقى قسطاً كبيراً من النجاح، وأطلق على دعوته اسم المذهب البروتستنتي، ولقد فشلت جميع المحاولات التي قامت بها كنيسة روما ضد اللوثرية، وخصوصاً بعد اعتناق كثير من الأمراء الألمان المذهب الجديد ووقوفهم ضد الأمراء الكاثوليك. ومع أن لوثر توفي في هذه الظروف العصبية، إلا أن النزاع استمر بين الكاثوليك والبروتستنت في الأعوام التالية حتى أمكن الوصول إلى تسوية في صلح أوجزبرغ في فبراير 1555، وكان أهم قرارات الصلح هو الاعتراف بحق كل دولة من

دويلات الإمبراطورية الألمانية في اختيار المذهب الذي تريده سواء أكان كاثوليكيا أم بروتستانتيا، وهكذا كان صلح أوجزبرغ انتصاراً عظيماً للوثرية، وكانت خطوة في تجزئة أوروبا دينياً.

وفي سويسرا تزعم حركة الاصلاح الديني جون كالفن John Calvin (1509-1564) وهو من مواليد فرنسا، اعتنق البروتستانتية وترك باريس إلى سويسرا تجنباً للتعذيب ونشر كتاباً لخّص فيه معتقدات المذهب الديني الجديد، وما لبث ان أصبح حاكما لمدينة جنيف التي غدت في عهده أعظم مركز بروتستانتي في أوروبا الوسطى.

وقد اتفق مذهب كالفن مع مذهب لوثر في مبادئ ثلاثة:

1- الكتاب المقدس وحده ودون سواه هو المرجع الذي يعتمد عليه في جميع المسائل الدينية.

2- السيد المسيح وحده هو الذي يشفع للناس لدى الله.

3- التبرير يكون بالإيمان وليس بالاعمال.

ثم أضاف كالفن مبدأين هامين:

1- الايمان بقضاء الله وقدره، فالله سبحانه وتعالى قد كتب جميع الاعمال التي تصدر عن كل انسان من مولده حتى وفاته فلا سبيل إلى تغييرها ويسمى هذا المبدأ (القدرية).

2- الفصل بين الكنيسة والدولة فلا تتدخل الدولة في شئون الكنيسة، فالكنيسة لها مهام روحية (نورالدين حاطوم، 1968، ص180).

تدريب (2)

تعتبر حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر أعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية. اشرح ذلك؟

أسئلة التقويم الذاتي (2)

ما أهم النتائج العلمية لحركة الكشوف الجغرافية؟

4. أحداث مهمة جاءت بعد عصر النهضة

نبحث، عزيزي القارئ، معك في هذا القسم من الوحدة بعض الأحداث المهمة التي تلت عصر النهضة ومنها الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وعصر نابليون بونابرت.

1.4 الثورة الأمريكية

1.1.4 دول أوروبا والصراع الاستعماري

أدت الكشوف الجغرافية إلى تطورات عالمية جديدة أهمها انتقال طرق التجارة العالمية من مراكزها القديمة في البحر المتوسط والشام وبرزخ السويس والبحر الأحمر والخليج العربي إلى المحيطات الكبرى، وبخاصة المحيطان الاطلنطي والهندي. وهكذا قلت أهمية المراكز القديمة - ومنها البندقية (في إيطاليا) والإسكندرية والسويس وعدن وموانئ الشام وظهرت مراكز جديدة من أهمها لندن ولشبونه (في البرتغال) وأمستردام (في هولنده).

وما لبث الصراع على المستعمرات أن آثار الحروب بين الدول الأوروبية التي سعت كل منها إلى أن يكون لها نصيب أوفر من الممتلكات فيما وراء البحار، خاصة وأن اكتشاف أمريكا قد أدى إلى ازدياد تدفق المعادن النفيسة على أوروبا. وكان الأسبان هم أول من اقتحم ميدان الاستعمار في العالم الجديد - ولكن سرعان ما طالب البرتغاليون بنصيبهم من الغنيمة، وعندئذ تدخل البابا فقسم القارة الجديدة بين الدولتين وأعطى البرازيل للبرتغال وما تبقى لإسبانيا. وفي الوقت نفسه كان البرتغاليون يندفعون نحو الجنوب والشرق.

ولكن الدول التي استبعدتها التسوية البابوية عن أمريكا لم ترضخ لهذه التسوية. وهكذا تطلع الإنجليز والدانمركيون والسويديون والهولنديون والفرنسيون إلى الحصول على ممتلكات في أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية وأدى هذا إلى امتداد حروب أوروبا إلى المناطق حديثة الاكتشاف. وكان الإنجليز في النهاية هم أنجح المتسابقين في ميدان الاستعمار.

وقد أسس الإنجليز أولى مستعمراتهم في أمريكا الشمالية عام 1707 وعرفت باسم جيمس تاون James Town. وقد بلغ عدد المستعمرات الأمريكية في منتصف

القرن الثامن عشر ثلاث عشرة يقطنها حوالي مليون ونصف نسمة. وكان الإنجليز يشكلون الغالبية العظمى من سكان تلك المستعمرات، ولذا فقد انتشرت في المستعمرات الآراء والعقائد والأنظمة السياسية البريطانية.

وكان أكثرية هذه المستعمرات تابعة مباشرة للتاج البريطاني، والقسم الآخر منها كان تابعاً للشركات البريطانية التي تولت استعمار الأراضي لحسابها.

وكانت الخلافات السياسية والدينية التي نشبت ببريطانيا خلال القرن السابع عشر قد دفعت كثيراً من الإنجليز إلى الاستقرار الدائم بأمريكا الشمالية التي ثبت أن بالإمكان أن تكون الحياة فيها تفيض بالآمال. لهذا تزايد عددهم في أمريكا الشمالية مما مكنهم من التفوق العددي في أثناء الحروب التي نشبت في سبيل امتلاك أمريكا. وما أن انتهى الربع الثالث من القرن الثامن عشر حتى كانت أوروبا قد سيطرت على معظم شواطئ العالم. وقد ساعدتها على ذلك عدة عوامل منها ظهور الكتاب المطبوع والخريطة المطبوعة والسفينة الشراعية عابرة المحيطات. وهكذا امتلأت قارة أمريكا الجديدة بأناس وفدوا عليها من غربي أوروبا. كما كانت جنوب أفريقيا وأستراليا ونيوزيلندة على استعداد لاستقبال سكان من الأوروبيين.

وعلى حين أن الدافع التجاري ظل غالباً في الشرق الآهل بالسكان والحافل بالمنتجات، فإن الأوروبيين في أمريكا انجروا وراء الذهب والفضة ثم تحولوا إلى الزراعة وإقامة أوطان جديدة يسكنونها إلى الأبد. وهكذا أدى ازدياد الهجرة الأوروبية إلى ما وراء البحار إلى انتقال الثقافة الأوروبية والعناصر الأوروبية إلى مناطق واسعة من العالم. ولم يتنبأ الساسة الأوروبيون بمشاكل هذه العناصر، وبالتالي لم يستعدوا لمواجهتها على اعتبار أنهم لم يفكروا إلا في المؤسسات العسكرية وموارد الثروة. كما كانوا يعاملون مواطنيهم من سكان المستعمرات باعتبارهم شعباً ذليلاً عاجزاً عليه أن يخضع للدولة الأم.

وعلى حين استقر الفرنسيون في كندا، أقام الإنجليز مستعمراتهم الثلاث عشرة على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية والإسبان في فلوريدا والمناطق الجنوبية، بالإضافة إلى الأملاك الاسبانية في أمريكا الوسطى والجنوبية. وكانت الهجرة إلى أمريكا الشمالية قد جرت بطريقة جعلت اللغة والنظم الإنجليزية غالبة في المناطق الشرقية. لهذا حظيت البلاد بوحدة عامة خاصة وأن الألمان والفرنسيين لم ينشئوا لأنفسهم مستعمرة خاصة

منفصلة، بل اختلطوا بالوافدين البريطانيين الأوائل متخذين لغتهم ووجهات نظرهم، وحين نشب الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا خلال حرب السنين السبع (1756-1763) كان من المؤكد أن يحرز البريطانيون النصر في النهاية لأن سكان المستعمرات البريطانية وعددهم مليون ونصف في أواسط القرن الثامن عشر - شكلوا كتلة كثيرة التكاثر متماسكة متضامنة واسعة الموارد، على حين أن فرنسا الجديدة كان لا يزيد سكانها على المائة ألف، كما كان للبريطانيين أسطول أفضل مما ساعدهم على سرعة تعزيز قواتهم.

2.1.4 الإنجليز في أمريكا الشمالية

وبعد أن منيت فرنسا في حرب السنين السبع بسلسلة من الهزائم قضت معاهدة الصلح في عام 1763 باستيلاء انجلترا على كندا من فرنسا وعلى فلوريدا من إسبانيا التي كانت قد دخلت الحرب ضد الإمبراطورية البريطانية. والنتيجة هي أن أمريكا الشمالية أصبحت بريطانية من المحيط الأطلنطي حتى نهر المسسبي باستثناء نيواورليانز. وفي الوقت ذاته انتقلت لويزيانا من السيادة الفرنسية إلى السيادة الاسبانية. وقد تصادفت انتصارات البريطانيين في كندا مع انتصاراتهم في الهند - وقد طرد الفرنسيون من كندا كما طردوا من الهند. (عبدالعزيز نوار، عبدالمجيد نعنعي، 1973 ص43).

وتلا ذلك ازدياد التوتر بين المهاجرين الإنجليز في أمريكا الشمالية والدولة الأم. ولم يعان سكان المستعمرات البريطانية من الظلم والطغيان، اذ أنها كانت تتمتع بحرية سياسية لا مثيل لها في أي جزء من العالم خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. فوجود لغة غالبة - هي الإنجليزية - قد سهل قيام أمة حقيقية. كما أن خبرة سكان المستعمرات بأشكال الحكم النيابي قد جعل المعمرين يطمحون إلى المزيد من الحرية، فالبريطانيون هم وحدهم الذين سمحوا لمستعمراتهم بأن تقيم مجالس شعبية وأن تقيم حكومات يتمتع فيها الناخبون والنواب بمسئولية سياسية فعلية، مما جعل أهالي المستعمرات الإنجليزية ذوي عقليات وخبرة سياسية كما أن احترام الحقوق المدنية الجوهرية كان ناتجاً عن تمتع أهل المستعمرات بما كان يتمتع به البريطانيون في وطنهم من إيمان وطيد بحرية الكلام والصحافة والاجتماع. كما تغلغل مبدآن أمريكيان أساسيان في عهد الاستعمار، أحدهما مبدأ الديمقراطية بمعنى أن لكل البشر حقاً في المساواة في الفرصة، والآخر هو الشعور بأن قدراً خاصاً كان ينتظر الشعب الأمريكي. فالثراء العام وطاقة الشعب وجو

الحرية الـذي أحاط بالثراء والطـاقة قد بث في الأمـريكان تفاؤلاً شـديداً واعتـداد كبـيراً بالنفس. وهكذا كـان المستعـمرون أينما ذهبـوا يحملون مـعهم - من الناحـية النظرية - حقوق البريطانيين الأحرار المولد وتراثهم الخاص بالصراع الإنجليزي من أجل الحرية.

وكانت المستعمـرات البريطانية تختلف من حيث نشأتها وطابعـها العام والعناصر الأوروبية التي كانت تسكنها. غيـر أن الاتحاد الذي افتقدته تلك الولايات ذات الأصول المتباينة والظروف الطبيـعية المختلفة لم يلبث أن فرضته عليهم أنانيـة الحكومة البريطانية. فقـد كانت تفـرض عليهم الضرائـب دون أن يكون لهم رأي في إنفاقهـا، كمـا جرت التضحـية بتجارتهم من أجل المـصالح البريطانية. فـقد حرم على المستعـمرات أن تنشئ صناعات تنافس صناعة الدولة الأم. كما ألزم سكان المسـتعمرات بشحن صادراتهم على سـفن بريطانية وبألا ينـزلوها إلا في موانئ بريطانـية. ومن الأسـباب الرئيـسة لحـرب الاستقلال تلك الانتصارات التي حصلت عليها بريطانيا دون عناء كبير. فقد خلص طرد الفرنسيين من كندا والاسـبان من فلوريدا، المستعمـرين من هذين الجارين الخطرين، مما أضعف اعتـمادهم على الوطن الأم. لهذا غدا المستـعمرون وقد قلت حاجتـهم للمعونة البريطانيـة، أكثر استـعداداً لتحدي ادعـاءات إنجلترا. حقـيقة أن الكثيـرين منهم حملوا السلاح بمحض اختيارهم في أثناء الحرب ضد فرنسا. إلا أن القليلين منهم قبلوا المشاركة في تصفية المشكلات المالية المترتبة على تلك الحرب.

وكان الأمريكيون قد بدءوا في الوصـول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي: فكانت لهم جامعتهم ومكتبـاتهم وصحفهم وعلماؤهم وكانت مستعمـرات الشمال تصدر الأخشاب والقمح، بينـما كانت مـستعـمرات الجنوب تصدر التـبغ والأرز والسكر والقطن إلا أن بريطانيا ظلت تعاملها، وكأنها لم تتعد سن الطفـولة. كما أنها منعت دخول المستعمرين إلى الأقالـيم الغربية الـبكر ذات الإمكانيات الكبـيرة وذلك بحـجة الحيلـولة دون وقوع الاصطدام مع الهنود الحمر. كمـا أن المستعمرين كانوا خاضـعين للقوانين الإنجليزية التي كان يصدرها برلمان لـندن الذي لم يكن الأمريكان ممثلين فيه، في الوقت الذي اعـتقدوا أنهم قادرون على وضع تشريعهم بأنفسهم.

كـان الحكم في المسـتعـمـرات يرتكـز على ثلاث قـواعـد: الحـاكم، المجلس الاستشاري، المجلس التشريعي. وكان الحاكم يعينه الملك ويتولى قيادة الحامية العسكرية والقيام بالمحـافظة على الأمن ورعاية مصالـح المستعمرين وله الحق فـي الاعتراض على

قرار المجلسين. أما المجلس الاستشاري فكانت سلطاته محصورة في إبداء المشورة للحاكم ولكن المجلس التشريعي كان يتمتع بسلطات قوية وذلك لكونه منتخباً بواسطة سكان المستعمرة.

وقد كانت لهذا المجلس (وهو أشبه ما يكون بمجلس العموم البريطاني) صلاحية فرض الضرائب وإمكانية التحكم في رواتب الموظفين ابتداء من الحاكم، وبالتالي استطاع المجلس فرض كلمته وإعطاء المستعمرة مظهراً من مظاهر الحكم الذاتي في ظل السيادة الملكية البريطانية.

3.1.4 طريق الثورة

في الوقت الذي كانت فيه فكرة الحكم الذاتي تعمق جذورها في نفوس سكان المستعمرات وفي الوقت الذي بدأ فيه هؤلاء السكان يحسون بروح القوة والاعتداد بالنفس نتيجة وقوفهم إلى جانب الإنجليز وانتصارهم على الفرنسيين في حرب السنين السبع (1756-1763) وفي هذا الوقت نفسه كانت فكرة السيادة المطلقة للدولة الأم على مستعمراتها تزداد قوة لدى ملك بريطانيا جورج الثالث وحكومته. فقد كان هذا الملك من أشد أنصار الحكم المركزي في المستعمرات ويؤمن بأنه لابد أن يستمر سكان المستعمرات خاضعين كلياً للحكومة الأم حتى ولو لم يكونوا ممثلين في البرلمان البريطاني وأن تستمر السيادة البريطانية دون الاهتمام بآراء السكان ومصالحهم.

كانت بريطانيا تجتاز في عام 1763 أزمة مالية خطيرة بسبب النفقات الباهضة التي تكبدتها خلال حرب السنين السبع. ولذا فقد عمدت الحكومة البريطانية إلى فرض الضرائب على سكان المستعمرات دون الحصول على موافقة المجالس التشريعية في المستعمرات.

اعتبر سكان المستعمرات فرض الضرائب على هذا النحو إلغاء لمظهر جوهري من مظاهر الحكم الذاتي الذي تمتعت به المستعمرات منذ زمن طويل. وتمسكوا بحقهم في رفض دفع الضرائب خاصة وانهم غير ممثلين في البرلمان الذي توطد وجوده على أساس المبدأ الشهير "لا ضرائب الا بالتمثيل النيابي للشعب" (No taxation without representation) ولكن جورج الثالث تشبث بحقوق السيادة المطلقة وبالتالي اتسعت الهوة بين الطرفين وأصبحا على طرفي نقيض.

ومن أهم الضرائب التي أصرت الحكومة البريطانية على فرضها:

1- قانون السكر عام 1764، وهو يفرض ضريبة على السكر المستجلب من المستعمرات الفرنسية والإسبانية. وبعد صدور القانون باشرت السفن الحربية البريطانية بمراقبة السواحل لمنع التهريب فشعر التجار بالخطر يهدد مصالحهم مما جعلهم يحنقون على بريطانيا.

2- قانون الدمغة سنة 1765 وينص على وجوب استعمال أوراق خاصة متفاوتة القيمة من سنت إلى خمسين دولارا لجميع الجرائد والمجلات والمنشورات والمستندات القانونية. وقد عارض سكان المستعمرات هذا القانون وبخاصة الصحفيون والمحامون ورجال الأعمال.

وقد اضطرت الحكومة البريطانية تحت ضغط المقاومة الشديدة التي أبداها سكان المستعمرات إزاء فرض مثل هذه الضرائب إلى إلغاء ضريبة التمغة. ولكنها تمسكت في الوقت نفسه بحقها في فرض الضرائب على المستعمرات. وقد اعترض أعظم الساسة البريطانيين الثلاثة في ذلك الوقت وهم تشاتام، بيرك وفوكس على إلزام المستعمرات بدفع الضرائب وأيدهم في الرأي عدد من الطبقة الوسطى البريطانية. وعليه فقد ظلت النار مشتعلة تحت الرماد ولم تلبث أن اندلعت حينما أصدرت الحكومة البريطانية ضرائب أخرى على الزجاج والرصاص والورق والشاي وسلع كثيرة غيرها. واضطرت برطانيا إزاء الهيجان الذي عم المستعمرات أن تلغي جميع الضرائب ما عدا ضريبة الشاي التي فرضها جرانفيل (Grenville) ولكن سكان المستعمرات رفضوا الموافقة على دفع أية ضريبة، وفي 16 ديسمبر (كانون أول) عام 1773 تسلقت مجموعة من الرجال المتنكرين في زي الهنود الموهوك ثلاثة سفن في ميناء بوسطن، والقوا بكل حمولتها من الشاي في الماء. وكان نتيجة هذا الحادث إغلاق ميناء بوسطن في وجه التجارة وإخضاع مستعمرة "ماساتشوستس" التي يقع فيها الميناء إلى حكم لندن المباشر ويعرف هذا في التاريخ الأمريكي باسم حفلة الشاي، إلا أن الأمريكان أحتجوا على الاعتداء على حرياتهم، فأعلنت المستعمرات تضامنها مع بوسطن، واجتمع أول مؤتمر في فيلادلفيا لدراسة وسائل المقاومة. (هربرت فيشر 1961، ص423).

4.1.4 استقلال الولايات المتحدة

عندما صدرت هذه الإجراءات التعسفية بحق مدينة بوسطن ومستعمرة ماساتشوستس اشتد سخط سكان المستعمرات وعقدوا مؤتمرا في فيلادلفيا عام 1774 تمخض عنه الكونجرس الأمريكي الأول الذي ضم مندوبي الولايات المشتركة في المؤتمر.

لم يطالب أعضاء المؤتمر بادئ الأمر بالثورة على بريطاانيا أو الانفصال عنها بل صرفوا جل اهتمامهم إلى التمسك بوجوب موافقة ممثلي الشعب على فرض الضرائب. وبناء على ذلك فقد قرر المؤتمر منع استيراد البضائع الانجليزية لحين وقف الإجراءات التعسفية. ولكن الحكومة البريطانية استمرت في سياستها وأرسلت قوات اضافية إلى بوسطن مما أدى إلى وقوع اصطدامات عسكرية مع سكان المستعمرات. وبدأ واضحاً أن العودة إلى علاقات طبيعية بين الفريقين باتت مستحيلة.

وفي هذه الظروف عقد المؤتمر الثاني للولايات في فيلادلفيا عام 1775 وقرر أن تتولى المستعمرات حكم نفسها وأن تنشئ جيشاً للدفاع عنها.

قبل أن تصل الأمور بين بريطانيا والمستعمرات الأمريكية إلى حد القطيعة النهائية، قامت المستعمرات بإرسال التماس أخير إلى الملك جورج الثالث لإعادة النظر في الإجراءات التعسفية والاعتراف بحق سكان المستعمرات في الموافقة على فرض أية ضريبة قبل إقرارها. ولكن الملك كان يضع السيادة المطلقة فوق أي اعتبار آخر وأصر على إخضاع المستعمرات بالقوة فكان أن أعلنت المستعمرات استقلالها في 4 يوليو (تموز) عام 1776 وأطلقت على نفسها اسم الولايات المتحدة الامريكية.

وكانت هنالك عوامل أساسية أدت إلى نجاح حركة الاستقلال الأمريكية على الصعيدين المحلي والدولي، أهمها ما يلي:

1- مساندة كثير من الدول الأوروبية لثورة المستعمرات الأمريكية وبخاصة فرنسا وهولندا وإسبانيا، وذلك لوجود تنافس استعماري مرير بين هذه الدول وبين بريطانيا، حيث كانت هذه الدول تتطلع نحو الحلول محل بريطانيا في الولايات الأمريكية خاصة في المجالات التجارية والاقتصادية.

2- ظهور المفكرين الأوروبيين الذين أخذوا يدافعون عن مطالب سكان المستعمرات الأمريكية في الحياة العادلة الكريمة وتحررهم من الحكم المطلق المستبد الذي كانت تمارسه بريطانيا في تلك المستعمرات. ومن أهم هؤلاء المفكرين «توماس بين» ThomasPaine الإنجليزي الذي كان يعيش في أمريكا، وكان لكتابه (حسن الادراك) الأثر الكبير في تقبل فكرة الاستقلال.

3- تفرق القوات الأمريكية عسكرياً ومعنوياً.

وسرعان مـا بدأت الحوادث والاشتبـاكات وبدأ الانجليز يحـتكون بالحرس المسلح الذي شكله الأمريكان وبدأ القـتال حين حاولت السلطات البريطانيـة أن تعتقل اثنين من الزعماء الأمريكان، وهكذا بدأت حـرب الاستقلال الأمريكية. وامتـد الصراع أكثر من ست سنوات دار خلالها القتال في كل مستعمرة ووقعت اثنتا عشرة معركة هامة. إلا أن المستعمرين الأمريكان ظلوا أكثر من سنة يقفـون موقف الإحجام عن القتال وعدم الرغبة في قطع علاقاتهم ببلادهم الأصلية. فلم يصـدر كونجرس ونواب الولايات الثائرة وثيقة إعلان الاسـتقلال في فيـلادلفيا إلا بعد منتـصف عام 1776 كما جـرى انتخاب المزارع جورج واشنطون لقيادة قوات الاستقلال الوطني.

أما وثيقة إعـلان الاستقلال فقد قام بكتـابتها توماس جيفـرسون، ثم وافق عليها ممثلو المستعـمرات الثلاث عشرة ولقـد جاء فيها ما يلي: «نـحن ممثلوا الولايات المتحدة الامريكية، المجتـمعين في مؤتمر عام، نعلن رسـمـياً أن المستعمرات المتحـدة قد حصلت على حقهـا في أن تصبح دولا حرة ومسـتقلة، وأنها قد تخلصت من كل خـضوع لتاج بريطانيا العظمى، وأن كل صلة سيـاسية بينها وبين دولة بريطانيا العظمى مـقطوعة تماماً ويجب أن تكون كذلك».

وفي عام 1777 هزم واشنطن جـيشاً بريطانيـاً واضطر قائده إلى التـسليم. وفي العام نفسه أعلن الفرنسيون والإسبـان الحرب على بريطانيا مما أدى إلى تهديد مواصلاتها البحرية تهديداً شديداً. ثم سلم جيش بريطاني ثان دون شروط في عام 1781 ولم يكن من السهل على المسـتعمرات المتحدة أن تـكسب الحرب دون مساعدة فـرنسا التي كانت ترحب بمساعدة الأمريكان ولكن على أساس عدم الاشتراك في الحرب. وحيا الفرنـسيون فكرة تحرير العـالم الجديد وكثر المتطوعون الـذين كانوا يرغبون في الانتقـام من إنجلترا. وهكذا قررت فرنسـا وإسبانيا الاعتراف باسـتقلال أمريكا، برغم أن أسبانيا كانت ترى أن الثورة ستعطى مثلاً سـيئا لمستعمراتها الأمريكية. إلا أنها كـانت تود استرجاع ميناء جبل طارق الذي سبق للإنجليز ان انتزعوه منها.

وأخيراً اعترفت معاهدة باريس 1782 بين الإنجليز والأمريكان باستقلال الولايات المتحدة وسيادتها. أما معاهدة فرساي بين الإنجليز والإسبان والفرنسيين 1783 فقد أكدت هذا الاستقلال وإن بقـيت كندا موالية لبريطانيا. وقد قدمت بريطانيـا تنازلات سخية - فلو شاءت حكومتها لتشددت بشـأن الحدود إلا أنها تنازلت للجمهورية الجديدة عن كل

الأراضي الواقعة بين جبال الليجني ونهر الميسيبي مع جعل الحدود الشمالية حيث هي الآن تقريباً، بينما جرى تسليم فلوريدا لإسبانيا.

وظلت الولايات المستقلة حديثاً - لمدة أربع سنوات - وليست لها إلا حكومة عامة ضعيفة تتولى الشئون بمقتضى مواد دستور ينص على قيام اتحاد مفكك بينها. ولاح في البداية أنه لا بد من انقسامها إلى مجتمعات مستقلة بعضها عن بعضها الآخر، إلا أن أمرين أديا إلى الحيلولة دون ذلك، هما عداء الإنجليز لهم وإظهار الفرنسيين رغبة في الاعتداء عليهم. لهذا وضعوا دستور 1788، قامت بمقتضاه حكومة اتحادية أشد قوة لها رئيس يتمتع بسلطات ضخمة جداً ومجلسان منتخبان. ولقد أعطى الدستور لكل المواطنين في كل دولة (أو ولاية) الحق في كل الامتيازات التي تمنح للمواطنين الذين لم يشملوا الهنود الحمر (سكان البلاد الأصليين) أو الزنوج (الذي جرى استجلابهم من افريقيا). وسرعان ما ظهر الزورق البخاري النهري ثم السكة الحديدية والبرق (التلغراف) مما أنقذ الولايات المتحدة من التمزق.

وقد ازداد عدد سكان الولايات المتحدة زيادة هائلة ثم ازدادت ثرواتهم. وسجل تاريخ الولايات المتحدة نوعاً من الرخاء المتواصل المتزايد لا مثيل له في التاريخ. وهذه الرفاهية التي لا مثيل لها ترجع في المحل الأول إلى جهود الأمريكان الفردية بالإضافة إلى الخيرات الوفيرة التي أنعمت بها الطبيعة عليهم. واستمر الاتجاه نحو الغرب إلى أن وصل الأمريكان في نهاية المطاف إلى المحيط الهادئ. وهكذا اتسعت الأراضي الزراعية والمراعي وازدهرت الزراعة وتربية المواشي واستخراج المعادن والصناعة. ولم يكن ثمة بد من مواجهة غارات الهنود الحمر والملاريا والوحوش الضارية وقطاع الطرق وغير ذلك من الأخطار. وهكذا انفسح المجال لظهور ونمو هذه الدولة الكبرى التي قيض لها أن تصبح احدى الدولتين العظميين اللتين تتصدران دول العالم منذ الحرب العالمية الثاني، وتتزعم النظام العالمي الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1989.

5.1.4 مبدأ مونرو Monroe

ولعل من أبرز النتائج المباشرة لاستقلال الولايات المتحدة أنها اعتبرت أي تدخل أوروبي في شئون الأمريكتين عملاً غير مقبول وبخاصة بعد أن أكد سكان مساحات واسعة من أمريكا الجنوبية استقلالهم عن كل من إسبانيا والبرتغال. ففي عام 1823 أعلن الرئيس مونرو مبدأه الشهير الذي جاء فيه ما يلي: «إننا مضطرون، برغم العلاقات

الودية القائمة بين الولايات المتحد والدول الأوروبيــة، إلى أن نعلن أننا نعتبر كل محاولة من جانبها لمد نفوذها إلى أي جزء من نصف العــالم هذا خطراً يهدد أمتنا وسلامتنا. إننا لم نتدخل، في شئون المستعـمرات الحالية للدول الأوروبية. ولكننا لا يمكننا أن نقبل أي تدخل من جانــب أي دولة أوروبية في شئــون الدول التي أعلنت استــقلالهــا وحافظت عليه، خاصة إذا ما كــان هدف هذا التدخل هو التحكم فيها أو السيطرة على مــستقبلها بأي شكل من الأشكال".

وكان هذا بمثــابة إنذار للدول الأوروبية فهمــت بريطانيا مغزاه ورحــبت به، لأنها كانت ترغب في إبــعاد المنافسين لهــا عن مجال الأمــريكتين ولكنها أخطأت في حــساب مقومات الاستقلال الأمريكي، خــاصة وأن الولايات المتحدة كانت قد بدأت في التصنيع وعملت على فرض رســوم جمركية لحمــاية صناعتها الناشئة واســتغنت عن المصنوعات البريطانية.

تدريب (3)

ما العوامل التي ساعدت الإنجليز في أمريكا على تحقيق الاستقلال؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- اشرح حق بريطانيا في إدارة مستعمراتها في أمريكا؟ 2- اشرح أسباب ونتائج (حفلة الشاي) في بوسطن؟

2.4 الثورة الفرنسية

يعرف القرن الثــامن عشر، وعلى الأخص تلك السنوات التي سبقت قــيام الثورة بعصر الاستنارة، وهو عصر يمتاز عما ســبقه بالعلم والمعرفة والتقدم الفكري والفلسفي، حيث ظهر كتاب فلاسفة أمثال فولتير - ومونتسكيو وروسو وقام هؤلاء بنشر الآراء الحرة في الكتب والصحف وألفــوا كتبا تعــترض على نوع الحكم في فرنســا وتطالب بإصلاح شامل في كافة نواحي الحــياة. فزاد عدد القراء زيادة عظيمة وزاد عــدد المثقفين في أفراد الطبقة الوسطى والتجار وأرباب الحرف زيادة كبيرة.

فمونتسكو Mountskeu (1775-1689) : حاول وضع نظام جديد لفرنسا يقوم على أساس احترام حرية الفرد، وتغيير سلطات الحاكم. ألف كتاب (روح القوانين) ونشره عام 1748، وقد كشف كتابه هذا عن فكرتين أساسيتين، أولاهما أن أشكال الحكومة تختلف باختلاف البيئة والظروف، وأن نظام الحكم الاستبدادي يلائم الامبراطوريات الواسعة فقط، وأن النظام الديمقراطي ينجح في دول المدن الصغيرة فقط. وثانيهما فكرته التي كانت ترمي إلى نقد الحكم المطلق في فرنسا وهو حكم يسميه بالحكم الاستبدادي، وهو يريد لفرنسا ملكية دستورية برلمانية انتخابية تحترم حقوق الأفراد والحريات العامة (ماثيوس اندرسون 1977 ص426).

أما فولتير Voltaire (1778-1694): فيعتبر من أكثر مفكري وفلاسفة الثورة الفرنسية، وكان يتمتع بموهبة في الكتابة الساخرة اللاذعة التي تركزت على مهاجمة مساوئ الحكم في فرنسا بشتى أشكاله، وكان يؤيد الحكومة المستنيرة أيا كان نوعها، وقد قضى فولتير أحد عشر شهراً من شبابه في سجن الباستيل. وطالب بأن يكون للملك ومستشاريه المستنيرين المخلصين للوطن من القوة والسلطة ما يمكنهم من السير قدماً نحو تحقيق الاصلاح والعدل. ونشر فولتير مجموعة من الكتب والمقالات أهمها «رسائل فلسفية عن الانجليز» «والأخلاق» وكتابه المشهور «لويس الخامس عشر. (عمرعبدالعزيز، 1994 ص294).

أما جان جاك روسو Rousseau (1772-1721) فهو «رسول الديمقراطية» فقد تجلت آراؤه في مؤلفاته الثلاثة - العقد الاجتماعي، وتربية أميل، والاعترافات. وقد نادى في كتابه «العقد الاجتماعي» بأن الإنسان ولد حراً، ومساوياً لغيره في الحقوق، ولضمان هذه الحرية والمساواة والمحافظة عليها انضم الأفراد بعضهم إلى بعض، وأبرموا بينهم عقداً اجتماعيا، وأقاموا الدولة التي يتواجد على رأسها الحاكم الذي يحكم بصفته وكيلاً عن الأمة وعليه أن يلتزم بما تريده الأمة، وإذا انحرف عن ذلك عزل عن منصبه، وهكذا فإن روسو يدعو إلى أعتبار الشعب المصدر الوحيد للسلطات.

وفي عام 1789 قامت في فرنسا ثورة كانت بداية لعصر من عصور الانقلاب الاجتماعي وكانت نقطة تحول أساسية في مسيرة النظم السياسية والاجتاعية والاقتصادية في فرنسا كما في سائر بلدان غرب أوروبا. وهي إحدى الثورات العالمية التي أعطت مفاهيم جديدة وصاغتها في قالب جديد يستهوي الشعوب، شعارها الحرية والإخاء والمساواة،

وهدفت الثورة إلى تحرير الحياة السياسية من طغيان الملكية واستبدادها والقضاء على مخلفات عصر الإقطاع من طغيان طبقة النبلاء، والامتيازات الواسعة لطبقة رجال الدين.

والواقع أن ثورة 1789 وإن كانت قد قامت في فرنسا إلا أنها جاءت تعالج عللا شائعة في كل أوروبا، ولفهم أحداث هذه الثورة لابد من تقصي الأسباب والدوافع الحقيقية التي أوجدتها، وهي عوامل فكرية وسياسية واجتماعية حركت مشاعر الشعب الفرنسي وجعلته يتقبل المبادئ التي نادت بها الثورة ويعمل على تحقيقها بالقوة. ويمكن حصر هذه الأسباب بالعوامل التالية:

1.2.4 أسباب ودوافع قيام الثورة الفرنسية

1- النظام الملكي:

في أواخر القرن الثامن عشر كانت الملكية الفرنسية ما تزال تسير وفق ما بشر به وعمل بموجبه لويس الرابع عشر من نظريات الحكم الاستبدادي المطلق. بل إن الاستبداد كان حقاً من حقوقه المسلم بها، يمارسه في مجال السلطة التنفيذية كما في التشريع، إذ كان يضع ما يريد من قوانين. وما كان يحد سلطته التشريعية هذه إلا المحاكم العليا التي كانت تملك حق مناقشة القوانين ودراستها دون أن تكون قراراتها ملزمة للملك. والواقع أن هذه المحاكم بما كان يجري فيها من مناقشات قد ساهمت في إرشاد الناس إلى مساوئ الحكم.

وزاد من صعوبة موقف الملكية عشية الثورة ان الملك لويس السادس عشر الذي جرت الثورة في أيام حكمه كان ضعيفاً متردداً مستهتراً تتحكم به الملكة وأيضاً بعض أعوانه والمقربين اليه يضاف إلى ذلك أن بعض أعوانه والمقربين منه الذين كان يفترض فيهم أن يكونوا دعامة النظام وسنده كان قد فتر ولاؤهم له أو أنهم أدركوا أن الزمن تخطاه وأن مفاهيم عصرهم قد تجاوزت النظام القائم. وقد برزت هذه الظاهرة بصورة خاصة بالتحاق الكثيرين من أبناء النبلاء من المثقفين بركب المبادئ الحرة فدعوا للثورة وطلبوا التغيير وتخلوا بذلك عن النظام الذي طالما ارتكز إلى ولاء طبقتهم الممتازة.

2- نظام الطبقات:

ولعل أكثر ما كان يؤذي مشاعر الفرنسيين ويثير فيهم الشعور بالغبن والمظلمة تمسك النظام الملكي بنظام الطبقات الموروث من أيام العصور الوسطى والذي يجعل

الفرنسيين درجات تختلف في المراتب وتتفاوت في الحقوق والواجبات ويمكننا أن نميز في سلم الرتب الاجتماعية الفئات التالية:

1-**طبقة الاشراف**: ورث هؤلاء عن أسلافهم سادة اقطاعات العصور الوسطى امتيازات لم يعد لها ما يبررها وما عادت تتوافق مع واقع فرنسا الاقتصادي والاجتماعي والفكري. كان هؤلاء يملكون جل أرض فرنسا الزراعية ويستثمرونها بواسطة فلاحين يعيشون عليها في ظروف قاسية مجحفة. وأيضاً كان هؤلاء يستأثرون تقليدياً بالمناصب العليا في الجيش والإدارة وفي نفس الوقت يحافظون على حقهم بالإعفاء من أكثر الضرائب.

2-**طبقة الاكليروس ورجال الدين**: كانوا يشكلون طبقة ممتازة لها نفوذ طاغ يرتكز من جهة، لامتيازات تقليدية موروثة من العصور الوسطى ومن جهة ثانية، لثروة مادية عظيمة لقد كانت الأديرة والرهبانيات الكثيرة المنتشرة في جميع أرجاء فرنسا تملك مساحات واسعة من أجود الأراضي الزراعية تشكل في مجموعها خمس أراضي فرنسا يعمل فيها ألوف الفلاحين في ظروف قاسية شديدة. ويزيد في موارد الكنيسة ما يدخل صناديقها سنوياً من حاصلات ضريبة العشر التي كانت تجبى من المواطنين وكذلك فان رجال الأكليروس كانوا معفين من أكثر الضرائب.

3- **الطبقة الثالثة**: وتضم سواد الفلاحين والعامة من سكان المدن. وعلى هؤلاء تحمل عبء الضرائب وتقديم الجنود في أيام الحرب وخدمة الكنيسة والعمل في مزارع النبلاء. وبعبارة موجزة يلتزمون بواجبات كبيرة لا يقابلها إلا حقوق ضئيلة فهم محرومون من أبسط حقوق الانسان الطبيعية، ولم يكن القانون الفرنسي يعترف لهم بحقهم في الحريات العامة ولا يعطيهم حق المساواة مع النبلاء أو الأكليروس أمام القانون ولا كان يسمح لهم بالمشاركة الفعالة في الحياة السياسية أو بحقهم في اختيار النظام السياسي والاقتصادي الذي يتلاءم مع رغباتهم ومصالحهم.

وقبل قيام الثورة بمدة طويلة كان تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قد أوجد في قلب الطبقة الثالثة فئة جديدة تعرف باسم البورجوازية وتميزت بما جمعته من ثروة وبما توفر لأبنائها من علم وثقافة ونفوذ اقتصادي.

وقد مارس بعضهم الأعمال الحرة وبرعوا في التجارة وبعض الصناعات الناشئة. ومما سهل مهمة هؤلاء وجعلهم مع الوقت يسيطرون على التجارة والصناعة الناشئة ترفع أبناء النبلاء عن ممارسة مثل هذه الأعمال. ومن أبناء هؤلاء من تفرغ للعلم والثقافة وكثر من بينهم الأطباء والمحامون والأدباء والأساتذة. ولم يمض كبير وقت حتى صارت هذه الفئات المثقفة الناشطة قادرة، بل وراغبة، في مزاحمة أبناء النبلاء على المراكز الكبيرة في الدولة. وكان منها كتاب وعلماء وفلاسفة ساهموا في تنوير الجماهير وجعلها تشعر بما هي فيه من ظلم وتدرك ما لها من حقوق مغتصبة.

3- الوضع المالي:

كانت فرنسا تشكو عجزاً مزمناً في خزينتها العامة تعود جذوره إلى أيام الملك لويس الرابع عشر. وازدادت الأزمة حدة بسبب ما تحملته الخزينة الفرنسية من أعباء لتمويل عمليات الحرب الأمريكية ولمساعدة الاميركيين في ثورتهم على حكم الإنكليز. يضاف إلى ذلك أن إسراف البلاط ومصاريف النبلاء وامتيازاتهم ما كانت تعرف حداً تقف عنده.

وكان يزيد في سوء الأوضاع المالية وفي تذمر المواطنين، أبناء الطبقة الثالثة، فساد السياسة الضرائبية للدولة. فالقسم الأكبر من الضرائب كان يصيب أبناءها دون النظر إلى أوضاع الكثيرين منهم المتردية في وقت كانت جل هذه الضرائب إن لم نقل كلها تذهب في غير الصالح العام. وكان يزيد في وطأة الضرائب أساليب جبايتها القاسية واعتماد الجباة في حالات كثيرة على مظاهر خارجية لتقدير قيمة الضريبة.

4- العامل الاقتصادي:

رافق الأوضاع السياسية والمالية السيئة تدهور في الوضع الاقتصادي العام للبلاد تعود جذوره إلى أكثر من نصف قرن. فقد ارتفع معدل الأسعار في السنوات الخمسين السابقة للثورة بنسبة 65٪ بينما لم ترتفع الأجور بأكثر من 22٪. وقد زادت الأزمة الاقتصادية التي حدثت سنة 1788 في تردي الأوضاع العامة إذ أصابت الطبقة البورجوازية في مداخيلها بشكل عنيف وتناولت العمال والفلاحين في لقمة عيشهم.

جاءت المواسم الزراعية، وبخاصة موسم القمح، عاطلة في السنة المذكورة فعم القحط أنحاء البلاد، وانخفض إنتاج القمح إلى أدنى مستوى عرفته فرنسا. وعندما جاء

ربيع سنة 1789 كان قد عز رغيف الخبز، وارتفع سعره ولم يعد بمتناول الكثيرين من أبناء الطبقة الفقيرة. وكانت المعاهدة الاقتصادية المعقودة مع بريطانيا قد زادت في حدة الأزمة بما أتاحته للتجار من تصدير القمح للانكليز سعياً وراء الربح الوفير، برغم حاجة الفرنسيين لقمحهم.

5- أثر الثورة الامريكية:

ساهمت الثورة الأمريكية في إثارة اهتمام الشعب الفرنسي بالمفاهيم التي قامت تلك الثورة بتطبيقها في بلادها خاصة بعد استقلالها التام عن بريطانيا عام 1783. فقد أصبحت الثورة الأمريكية مثالاً يحتذى بالنسبة للشعب الفرنسي وخاصة بعد أن عاد المتطوعون الفرنسيون الذين حاربوا إلى جانب الثوار الامريكيين إلى بلادهم مشبعين بالآراء الامريكية التحررية.

2.2.4 الجمعية الوطنية وسقوط الباستيل

وبرزت خلال هذه الأزمة التي استمرت ستة أسابيع فكرتان كان لهما أثرهما في تاريخ فرنسا: الأولى إعلان ممثلي الفئة الثالثة أنهم مندوبو الشعب والثانية الدعوة إلى وضع دستور جديد للبلاد وأخيراً في 17 يونية عام 1789 أطلق أعضاء الطبقة الثالثة على أنفسهم اسم «الجمعية الوطنية» ودعوا الباقين ليجتمعوا معهم للعمل على إصلاح الأحوال، وقد حاول الملك أن يستخدم شخصيته في إقناع الطبقة الثالثة بأن تسلك مسلكاً أكثر اعتدالاً واحتفاظاً بالتقاليد القديمة، وتقرر إغلاق قاعة الاجتماعات في المجلس لإعدادها لجلسة يحضرها الملك، وحضوره يقضي - على حسب التقاليد القديم قبول ما يأمر به دون اعتراض، لذلك اتخذ الأعضاء قرارهم بالاستمرار في عقد اجتماعهم في مكان آخر، وتزعم الحركة الأب «سييز» Sieyes و«ميرابو». واختاروا لذلك مكاناً قريباً هو «ملعب التنس» وبعد سماع الخطب الحماسية المثيرة أقسم الجميع على ألا ينفضوا قبل وضع دستور جديد لفرنسا.

لقد كان هذا القسم في ملعب التنس بداية حقيقية للثورة الفرنسية، وفي هذه الساعات الحاسمة حدث تحول جديد لصالح الثورة، عندما أعلن عدد من النبلاء الأحرار، وفريق من صغار رجال الدين الانضمام إلى الحركة الجديدة.

ومنذ ذلك الحين شرعت الجمعية الوطنية في تقويض النظام القديم، وقررت أن تصبح جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد للبلاد، على أن الأمور لم تكن تسير على ما

يرام لكي تتفرغ الجمعية لذلك التغيير، فقد انطلقت إشاعات السوء عن عزم لويس السادس عشر استخدام القوة ضد الحركة الجديدة. فكثرت أعمال العنف التي قام بها العاطلون فهاجموا المخازن العسكرية ونهبوا متاجر الأغذية ثم اتجهت الجموع إلى حصن الباستيل.

وكان حصن الباستيل من الحصون الإقطاعية القديمة، ثم تحول الحصن إلى سجن رهيب كان رمزاً على الطغيان والاستبداد، وقد هاجمه المتظاهرون في حماس جنوني، وقتلوا الحراس، وأخرجوا المسجونين وطافوا بهم شوارع باريس في نشوة الانتصار على النظام القديم.

ولما كان لويس السادس عشر في حالة لا يستطيع معها دفع هذا الخطر المتزايد، فقد حاول الانحناء للعاصفة بعد اعتراضه على حادث الباستيل، وزار باريس بنفسه في 17 يوليو (تموز) كإعلان عن رضائه عن أهلها، بل حضر بنفسه صلاة الشكر التي أقيمت في كاتدرائية نوتردام. وهناك استقبله الشعب استقبالاً حافلاً لأنه لم يكن قد تخلى بعد عن ولائه للعرش الفرنسي، وأجاب الملك بعض المطالب كإبعاد بعض وزرائه، وإعادة «نكر» وزيراً للمالية، وإبعاد الجند عن باريس وفرساي، والاعتراف بلجنة المواطنين التي تألفت في باريس باعتبارها حكومة بلدية جديدة، كذلك نتج عن سقوط الباستيل تدعيم مركز الجمعية الوطنية واستمرارها في تحقيق مهمتها في وضع دستور جديد لفرنسا، وبدأت الجمعية تعمل على إعادة النظام إلى نصابه بتحقيق المطالب التي كانت تنادي بها الجماهير، كما نتج عن سقوط الباستيل أيضاً أمر كان له خطورته في تطور الأحداث، وهو هجرة عدد كبير من الأشراف وأعداء الثورة إلى الخارج للعمل ضد الحركة الجديدة.

اجتمعت الجمعية الوطنية في جلسة خاصة مساء الثلاثاء في 4 أغسطس (آب) سنة 1789 للبحث عن الوسائل الكفيلة بإعادة النظام والقانون إلى الشارع في فرنسا. وأقرت الجمعية الوطنية القوانين التالية:

... إلغاء حقوق النبلاء الإقطاعية وما يلحق بها من امتيازات قضائية وبالتالي تحرير الفلاحين من أي قيد أو التزام تجاه ملاكي الأرض.

... إلغاء أعمال السخرة والضرائب المفروضة على المطاحن والأفراد.

... إلغاء امتيازات المقاطعات والجمعيات الحرفية.

... إصلاح القضاء بحيث يتساوى أمامه الجميع في الحقوق والواجبات.

... إعلان المساواة التامة بين المواطنين في الحصول على الوظائف العامة.

لاقت هذه القرارات استحساناً كبيراً لدى الفرنسيين وبصورة خاصة في أوساط الفلاحين باعتبار أنها أزالت نهائياً وبصورة قانونية كل ما كان قد بقي في فرنسا من آثار النظام الإقطاعي. إلا أنها من ناحية ثانية أعطت نتائج سيئة على الصعيد المالي، إذ ألغت دون دراسة وتمحيص كثيراً من الضرائب كانت الدولة تقوم مقابلها بخدمات أساسية. ومع أن الزعيم الثوري ميرابو قد استدرك هذا الأمر بناء على أشارة من وزير المال نيكر، وجعل الجمعية الوطنية تقر ضريبة تبلغ ربع جميع المداخيل التي تزيد على أربعماية ليرة بحيث لا تصيب إلا أصحاب المداخيل المميزة، إلا أن مردود هذه الضريبة كان أقل مما كان منتظراً وأخذ الناس يدركون تدريجياً أن ما حدث منذ شهر مايو (آيار)، والذي كان في الأساس يهدف لإنقاذ فرنسا من مصاعبها المالية والاقتصادية، إنما انتهى في الواقع إلى تزايد مستمر في حدة هذه الأزمة. وهذا سبب خيبة أمل شديدة لكثير من الناس، وخاصة لأولئك الذين كانوا يريدون إصلاح الأوضاع لا قلبها وتغييرها.

وفي 26 أغسطس (آب) أصدرت الجمعية الوطنية وثيقة حددت حقوق الإنسان والمواطنين على الدولة والأمة وأبرز ما فيها.

... الناس يولدون أحراراً ويظلون أحراراً متساوين في الحقوق.

... الغرض من الحكومات ضمان وحماية الحقوق الطبيعية للإنسان وهي الحرية، الملكية، حماية الأرواح، وحق رد المظالم.

... لا يسجن أحد أو يوقف إلا في الحالات التي يحددها القانون.

... لكل أمة الحق في مشاركة حكومتها في وضع القوانين وتقرير الضرائب.

ويلاحظ أن هذا الإعلان قد تأثر بشكل واضح بنصوص وثيقة إعلان حقوق الإنسان الأميركية. كما أن روح أئمة الفكر الفرنسي الأحرار من أمثال روسو وموتنسيكو تبدو فيه واضحة الأثر. وقد نشرت الجمعية الوطنية هذا الإعلان لتجعل منه مقدمة للدستور الذي كانت قد ندبت نفسها لإعطائه للفرنسيين. (روبرت بالمر 1982، ص87).

وقد أوقت الجمعية عنايتها لإصلاح الأوضاع اقمائدة، فقد وزعت اقضرائب على أساس المساواة، وأقغيت الحواجز الجمرفية باقنمبة قلإنتاج اقوطني، وطبقت الحرية الاقتصادية، وأصبح كن حق فل كواطن أن يمتثمر أكواقه في كيدان اقتجارة، فما تم إصلاح اقكنيمة اقفرنمية، وحركانها كن أكلافها اقواسعة اقتي يتمتع بها فبار رجال اقدين دون غيرهم وكصادرة تلك الأكوال لمصلحة اقدوقة حتى يمكن اقتغلب على الأزكة الماقية. وبموجب اقدستور المدني الجديد فقد انلفض عدد الأساقفة وغيرهم كن رؤساء اقكنائس وأصبحوا يعينون بالانتلاب وتصرف كرتباتهم كن خزينة الحكوكة، وأصبحت تبعيتهم قلبابا تبعية اسمية.

وفي عام 1791 فرغت الجمعية كن وضع اقدستور، ووقعه قويس اقمادس عشر، وفان أهم كا عنى به واضعو اقدستور، هو كبدأ (فصل اقملطاخ) أي اقفصل بين اقملطة اقتنفيذية واقتشريعية واققضائية، وقكن ترفزخ اقملطة اقعليا في (الجمعية اقتشريعية)، وحرم قويس كن كعظم صلاحياته، وقم يبق قه سوى حق تأجيل سريان اققوانين اقتي لا يقرها، وقكن قيس كن حقه أن يمنعها. وقد تقرر أن يكون أول اجتماع قلجمعية اقتشريعية الجديدة في أول أفتوبر/تشرين أول 1791 وقكن قبل أن يتم هذا الاجتماع حدثت عدة تطورلخ، أثرخ على نجاح الحكوكة الجديدة، فقد ظهرخ حرفة كعارضة قلتغيرلخ اقدينية واقمياسية اقتي أحدثها اقدستور الجديد وازداد عدد المهاجرين اقذين شرعوا يحرضون اقدول الأجنبية على اقتدخل. وازداد الموقف خطورة عندكا أظهر قويس اقمادس عشر عدم رضائه على كا فان يحدث. ففي يونيو/حزيران 1791 اصطحب زوجته كاري أنطونيت وأطفاقه وحاول اقفرار كن اقبلاد آكلا في الابتعاد عن أخطار اقثورة، وقكي يمتطيع كناشدة كلوك أوروبا أن يمدوا اقيه يد المماعدة. وقكن قموء حظه، افتشفت شلصيته عند بلدة فارن VARENNES على نهر الميز باقرب كن الحدود، فاعتقل وأعيد إقى باريس، وفانت بداية اقنهاية باقنمبة إقيه. واضطر قويس بعد ذقك إقى أن يقمم اقيمين على احترام اقدستور الجديد. وقكنه فقد كحبة كن فانوا لا يزاقون كتعلقين وقكنه به، إذ شاع بين اقناس أنه فان ينوي أن يمتعدى أعداء اقبلاد على رعاياه. أكا زوجته كاري انطوانيت اقتي فانت الجماهير تدعوها (المرأة اقنمموية) فقد أصبح اقشعب يكرهها فراهة اقتحريم.

3.2.4 حروب الثورة 1791م-1792م

عندكا اجتمعت الجمعية اقتشريعية في أول أفتوبر سنة 1791 واجهتها عدة صعاب، فان أوقها أن كعظم أعضائها فانوا كن غير ذوي الخبرة، وقم يكونوا كن اتجاه

سياسي واحد بل انقسموا إلى يمين ووسط ويسار. وكان حزب اليمين مِنْ دعاة الملكية الدستورية المقيدة كما نص عليها دستور 1791، أما حزب الوسط فكان يضم النواب الذين كانوا يتمسكون بالدستور، ويؤمنون بالثورة، وبالنظام الجديد ولكن لم تكن لهم قيادة، ولا رأى محدد أو اتجاه واضح. أما حزب اليسار فكان يضم أغلبية من زعامات وفدت من الأقاليم وبوجه خاص من أقليم «الجيروند» ومنهم عدد من الأعضاء كانوا من الداعين لإعلان الجمهورية، ومنح أفراد الشعب جميعاً حق الانتخاب دون التقيد بشرط امتلاك المواطن لعقار ما، أي أنهم كانوا ضد البرجوازيين الذين كانوا لا يزالون يتحكمون في توجيه الثورة لمصلحتهم وكان النواب البرجوازيين يخشون من التمادي في إعطاء حقوق لطبقة العمال والفلاحين تضر بمصالحهم الاقتصادية وهكذا انقسم أعضاء الجمعية إلى أحزاب متعارضة الأهداف. أما الشعب الفرنسي نفسه فقد اختلفت آراء أفراده، فمن الفرنسيين من كانوا على استعداد لقبول الملكية الدستورية الجديدة ويتمنى نجاحها، ومنهم جماعات من المحافظين كانوا يرون أن الثورة تغالت كثيراً فيما أحدثته من تغييرات، بينما كان هناك فريق من المتطرفين (الراديكاليين) الذين كانوا يعتقدون أن الثورة لم تنجز بعد كل أهدافها.

وقد كان هناك مجالات أخرى تلتقي فيها الاتجاهات المتعارضة تناقش الأوضاع الراهنة وهي النوادي والصالونات، وكان أشهر النوادي نادي كوردليه ونادي اليعاقبة. Jacobin وقد تأسس الأول باسم «جمعية أصدقاء حقوق الانسان والمواطن»، وكان أعضاؤه من المتطرفين (الراديكاليين). أما نادي اليعاقبه فقد تأسس باسم «جميعة أصدقاء الدستور» وكان من أعضائه أشهر رجال الثورة أمثال «ميرابو» و «سييز» و «لافاييت» و «روبسبير»، وكان لهذا النادي نفوذ واسع في جميع أنحاء البلاد بعد أن أصبح له فروع في جميع أنحاء فرنسا تجمع أعضاء من الطبقة الوسطى، ويمدها النادي في العاصمة بمطبوعات الدعاية.

وتجدر الإشارة إلى ثلاثة شخصيات يعتبرون أشد زعماء الثورة تطرفاً وهم «مارات ودانتن دوبسبير»، أما الأول "مارات" فقد كان طبيباً ماهراً، ولكنه اشتغل بالسياسة ونشر آراءه في وجوب إجراء إصلاح في نظام الحكم تستفيد منه جميع طبقات الشعب، وقد أعجبت به وبآرائه جماهير الشعب في باريس واعتبرته الزعيم البطل. أما «دانتن» فكان محامياً ذكياً فصيح اللسان يأسر سامعيه عندما يخطب، ولذلك اعتبرته الجماهير

زعيماً من قادة الثورة، وأخيراً نجد أن ثالثهم روبسـير أكثرهم تعصباً وتطرفاً، وميلا إلى تحقيق آرائه وخططه بأي ثمن.

وعندما انعـقدت الجمعيـة التشريعيـة، ظهر التناقض في آراء أعضائهـا من حيث نظرتهم لمستقـبل فرنسا، ففيـهم المتمسك بالنظام الملكي المقيد الذي نص عليـه الدستور الجديد ومنهم من كان يفـضل إعلان الجمهورية في فرنسـا. ولم تتهيأ الفرصة للجـمعية للإنجازات الداخليـة، فقـد لاحت في الجو أخطار خارجـية استـولت على انتبـاه القادة والزعماء وأعضاء الجمعية التشريعية، إذ أصبحت الثورة مهددة بالتدخل الأجنبي. وكان للثورة الفرنسية اثارها البالغة في أوروبا، فعلى الصعيد الشعبي، أخذت مبادؤها الجديدة شكل فلسفة عامة، لأنها أعلنت حقوق الإنسـان، وكانت الطبقات المحرومة في المجتمع الأوربي أكثر الناس ترحيباً بالحرية والإخاء والمساواة وكان لها أيضاً أثرها عند المجاهدين الذين كانوا ينادون باستقلال بلادهم وإصلاح حال شعوبهم.

أما على الصعيد الدولي أو الحكومي، فقد لاقت الثـورة الفرنسية معارضة شديدة ومناوأة مستمرة، فقد عارضها جـوستاف الثالث ملك السـويد، وكاترين الثانية إمبراطورة روسيا، وفـردريك وليم الثاني ملك بروسيا وليـويولد الثاني عاهل أسرة هبـسبرج التي تحكم الإمبراطورية النمسوية.

وفي شهر أغسطس (آب) عام 1791 اجتمع الامبراطور ليوبولد بملك بروسيا في بلنتز في إقليم سكسـونيا بالمانيا، وكـانت نتيجة الاجـتماع إصدار تصـريح «بلنتز» الذي أعلن «أن الامبراطور سيتخذ الخطوات العسكرية لإعادة النظام في فرنسا إذا وافقت سائر الدول»، وترتب على هذا التصريح ازدياد حماسة الفرنسيين وتصميمهم على الدفاع عن بلادهم. وبينما كـان المتطرفون من زعمـاء فرنسا يستـعدون للحرب، مات الإمـبراطور ليوبولد الثاني وخلفه ابـنه «فرنسيس الأول» الذي استأنف المفاوضات مع بروسـيا للقيام باتخاذ الإجراءات الـعسكرية ضد فرنسا، وعـندئذ لم تر الجمعيـة بدا من إعلان الحرب على النمسا في 20 ابريل(نيسان) 1792.

وكان لإعلان الحرب أثره في جمع شمل جميع الطبقات من عمال وتجار وفلاحين حول الثورة خوفاً من عودة المهجرين الإرسـتقراطيين مما يترتب عليه إحياء النظام القديم وانقلبت الاغلبية ضد «لويس السـادس عشر» لأن شخصيتـه اقترنت بالدول المعادية التي تبيت العدوان على فرنسا.

وقد اتهمه الشعب بمساندته وتأييده للعدوان النمسوي أملا في إنقاذ عرشه فاقتحمت الجموع قصر التويلري وتغلبت على الحرس السويسري وقتلت الكثيرين منهم. وكانت نهاية لويس السادس عشر.

4.2.4 حكومة المؤتمر وإعلان الجمهورية 1792م-1795م

وفي الوقت الذي وصلت باريس أنباء فشل العدوان على الحدود الفرنسية، كانت قد تألفت في باريس «حكومة المؤتمر» التي أعلنت قيام الجمهورية في فرنسا، وجعلت مهمتها تحقيق هدفين: أولهما تدعيم الثورة في فرنسا وثانيهما القيام بعمليات حربية ضد الدول المعادية. ولكن زعماء تلك الحركة لجأوا في تحقيق ذلك إلى الإرهاب وسفك الدماء، واتخاذ الدكتاتورية وسيلة للحكم ولذلك سمي عهدهم بعهد الارهاب.

وقد اختلفت تكوين حكومة «المؤتمر» عن الجمعية التشريعية، فقد احتل مقاعد اليمين حوالي مائتين من الجيرونديين الذين يمثلون الطبقة المتوسطة المعتدلة واحتل المقاعد العليا من مجلس المؤتمر حوالي مائة عضو ولذلك أطلق عليهم اسم (الجبل)، وهم من اليعقوبيين المتطرفين، أما في الوسط فكانت تجلس الاغلبية من الأعضاء المستقلين الذين لا تعرف ميولهم إلا أنهم بمرور الأيام وتتابع الأحداث اتجهت ميولهم نحو المتطرفين من حزب الجبل.

وقد حاكم المؤتمر لويس السادس عشر وتخلصوا منه ومن أسرته بالإعدام في 12 يناير/ كانون ثان سنة 1793 وفي الوقت نفسه تولى القائد الفرنسي «ديموريه» اكتساح الجيوش المعادية عبر الرين وغزا الأراضي المنخفضة النمسوية واستولى على عاصمتها «بروكسل» وبدأت حكومة المؤتمر تعلن عزمها على تحرير الشعوب الخاضعة للإمبراطوريات الأوروبية ودعتها إلى الثورة ضد النظم الاستبدادية القديمة ووعدت بأن الجمهورية الفرنسية سوف تؤيدها.

وأمام هذا التحدي بدأت محادثات دولية اشتركت فيها كل من إنجلترا - التي هالها احتلال الفرنسيين لبلجيكا - وهولنده وإسبانيا وسردينيا، وأسفرت الاتصالات عن تكوين تحالف ضد فرنسا، وعمد الحلفاء إلى استعادة بلجيكا، وهنا جندت حكومة المؤتمر جيشاً وطنياً جديداً مزوداً بأكفأ الضباط والقواد، وفي خلال عدة أسابيع نجحت القوات الفرنسية في اكتساح بلجيكا من جديد. وبينما كانت فرنسا في الداخل تعاني من (عهد

الارهاب) كانت جيوشها تنتصر انتصارات عظيمة على التحالف الأوروبي، وقد ساعدها على الانتصار على أعدائها أن الذين تحالفوا ضدها كانوا على غير وفاق فيما بينهم.

وترجع أسباب هذه الانتصارات إلى أربعة أسباب: أولها أن الحلفاء لم يضعوا خططاً مشتركة، بل تركت الأمور لكل دولة تدبر حربها ضد فرنسا بوسائلها الخاصة، وثانيها أن عبء القتال كان ملقى على كاهل بروسيا والنمسا، أما انجلترا فقد كانت تفضل أن تحارب في البحر، أما في البر فقد اكتفت بتمويل جيوش حلفائها، وفي الوقت نفسه كانت النمسا وبروسيا على خلاف معظم سنوات الحرب. وثالثاً اعتقاد الحلفاء أن القوات الفرنسية لن تصمد طويلاً أمام الجيوش النمسوية والروسية المدربة على الحروب، في حين أنهم وجدوا أنفسهم فجأة أمام جيش فرنسي من طراز جديد ورابعها ظهور عدة كفاءات عسكرية في الجيش من أبناء الثورة كانوا مؤمنين بمبادئها ومتفانين في الدفاع عن استقلال فرنسا وسلامة أراضيها.

أضف إلى هذه الأسباب وجود حكومة فرنسية مركزية هي حكومة المؤتمر، التي اتبعت في الداخل سياسة الحزم والإرهاب والقوة، على يد لجنة منبثقة عنها هي لجنة الأمن العام التي كان على رأسها روبسبير وهي التي اتبعت الإرهاب وأرسلت إلى مقصلة الإعدام كل من ارتابت في سلوكه نحو الثورة في جميع أنحاء فرنسا. وقد لقى نفس المصير عدد كبير من زعماء الثورة، حتى أن روبسبير نفسه اتهم زميله دانتون بالاعتدال ثم أرسله إلى المقصلة وقد حكم روبسبير بعد ذلك فرنسا حكما دكتاتوريا انتهى أيضاً باقتياده إلى مقصلة الاعدام التي ساق اليها العديد من خصومه وزملائه، وبموته انتهى حكم الارهاب. (عبدالمجيد نعنعي 1978، ص270)

5.2.4 دستور سنة 1795م

وانتهى ذلك الحكم بإنشاء حكوم الإدارة في عام 1795 بناء على الدستور الجديد الذي وضعته حكومة المؤتمر وبموجب هذا الدستور تمارس الحكم في فرنسا هيئات ثلاث:

- حكومة الإدارة وتتألف من خمسة مديرين يتناوبون الرئاسة كل ثلاثة أشهر وتسقط عضوية واحد منهم سنوياً. تمارس هذه الهيئة السلطات التنفيذية في الدولة ويجري انتخاب المديرين من قبل المجلسين التشريعين.
- مجلس الخمسمائة ويضم خمسمائة عضو ممن تزيد أعمارهم على الثلاثين سنة وتسقط عضوية ثلثهم سنوياً. ويمارس هذا المجلس سلطة التشريع.

- مجلس الشيوخ ويضم 250 عضواً ممن تزيد أعمارهم على أربعين سنة. ومهمة هذه المجلس مراقبة أعمال مجلس الخمسمائة.

ويعتبر هذا الدستور إلى حد ما ردة إلى الوراء إن لم نقل إلى اليمين. ففي الوقت الذي أعطى كل من يحسن القراءة والكتابة حق التصويت فإنه جعل المنتخبين الثانويين - باعتبار أن الانتخاب كان على درجتين - ممن يملكون قدراً معيناً من العقارات بحيث أن عددهم كان عشرين ألفا وهذا الرقم أقل بكثير مما سمح به دستور سنة 1791. ويتولى هؤلاء اختيار كبار الموظفين في المناطق وأعضاء المجلسين.

وبذا يكون الدستور الجديد قد أعطى خيوط الحكم لعشرين ألفا من الأغنياء والملاكين، وفي هذا تأكيد لسيادة ونفوذ الطبقة البورجوازية المعتدلة سياسياً والتي تعادي بطبيعة مصالحها أسباب العنف والهدم. وقد أراد بذلك المشرع ضمان استمرارخط الاعتدال في السياسة الفرنسية وبالمقابل حافظ دستور سنة 1795 على إنجازات الثورة الأساسية مثل إلغاء الملكية والقضاء على امتيازات الإشراف وإعلان حقوق الانسان والدستور المدني للإكليروس.

ولما كان أعضاء المؤتمر الوطني مسؤولين مباشرة، أو غير مباشرة عن إعدام الملك وعن الكثير مما حدث في عهد الإرهاب فقد ساورهم الخوف حول مستقبلهم فأصدروا مع الدستور أمراً تشريعياً يقضي باختيار ثلثي أعضاء البرلمان الجديد من أعضاء المؤتمر الوطني. هذا القرار أغضب الملكيين واليمينيين عامة لأنهم كانوا يريدون التخلص من كل السياسيين المشاركين بشكل أو بآخر بعصر الارهاب. في أكتوبر (تشرين أول) نظمت الفئات الميسورة والمحافظة مظاهرات واسعة هاجمت دار المؤتمر الوطني. وأوكل إلى شاب من سلاح المدفعية اسمه نابليون بونابرت حماية دار المؤتمر. وبطلقات قليلة وجريئة من مدافعه قضى هذا الشاب على المظاهرات وأعاد الأمن والنظام، مما أتاح له ترقية سريعة، فبات قائد القوات الداخلية وحصل في السنة التالية على قيادة الحملة الايطالية.

تدريب (4)

كان شعار الثورة الفرنسية الحرية والإخاء والمواساة، وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

- اشرح أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية.
- وضح دور الصالونات والأندية في توعية الشعب الفرنسي.

3.4 نابليون بونابرت 1799م-1815م

ارتبط التاريخ الفرنسي والتاريخ الأوروبي ما بين عامي 1799 و 1815 بشخصية نابليون بونابرت حتى أطلق المؤرخون على تلك الفترة «عـصر نابليون» وقد بدأ نجمه في الظهور عندما عهدت إليه حكومة المؤتمر بقيادة الحملة على إيطاليا.

كانت فرنسا قـد بلغت في عهد حكومة المؤتمر شأوا بعيـدا في التفوق الحربي في غرب أوروبا، فقد أصبحت هولندة جمهـورية تابعة لفرنسا، وكانت بلجيكا قد انضمت نهائياً لفـرنسا وكذلك جمـيع الأراضي الألمانية حتى حدود الرين واحـتل جيش فرنسي إقليم الريفـيرا الإيطالي، وانسـحبت بروسيـا وإسبـانيا من الحرب، ولكـن ظل الصراع العنيف بين فرنسا والدولتين الكبيرتين اللتين تمثلان المقاومة الصارمة للثورة الفرنسية وهما بريطانيا العظمى والنمسـا، أما بريطانيا فلم يكن من السهل على فرنسـا أن تهزمها على أرضها لأن البحر والأسطول البريطاني القوي يحـميانها من أي عدوان. واختلف موقف النمسا تمام الاختلاف، فقد استطاعت فرنسا أن تنتزع

منها الأراضي المنخفضة النمسـوية (بلجيكا)، ثم شرعت تعد حملة لضم ولايات شبه الجزيرة الإيطالية التي كان بعضها خاضعاً لحكم النسما المباشر.

وقد نجح نابليون بونابرت في حـملته الإيطالية بفضل نبوغه وقـوة عزيمته، وكان الجنود الشبان الذين رافقـوه تغمرهم حماسة وطنية متـدفقة، لأنهم كانو يؤمنون بأن في عنقهم واجب يؤدونه نحـو فرنسا، وهو أن ينشـروا رسالتهـا في تعميم الحـرية والإخاء والمساواة وهو مـا نادت به الثورة الفـرنسيـة. وكانوا يرون في الشـعب الإيطالي شعـباً محـروماً من الحـرية والتقدم، وقـد عبـر نابليون عن ذلك أبلغ تعـبيـر عندما أذاع أول منشـوراته التي قال فـيهـا «أيها الشـعب الإيطالي، لقـد جاء الجـيش الفرنسي ليـحطم أغلالكم، وأن الأمة الفرنسية هي صديقة كافة الشعوب، فقابلونا في ثقة، تكن أملاككم وديانتكم وتقاليـدكم محل الاحتـرام والإجلال، فنحن نشن الحرب كـخصوم شـرفاء، وليس نزاعنا ونضالنا إلا مع الطغاة والذين يستعبدونكم».

وقد تـوالت انتصـارات نابليون في إيطاليـا التي بدأها بمهـاجمـة مملكة سردينيـا وإرغامـها على الخـروج من الحرب والانفـصال عن حليـفتهـا النمسـا، وتوالت هزائم النمسويين في إيطاليا.

واضطرت النمسا إلى طلب الهدنة، إلا أنها تلكأت في عقد الصلح عندما علمت بوجود أزمة داخلية في فرنسا، واحتمال وقوع انقلاب ضد الثورة، وفي الوقت نفسه ساد الخلاف بين زعماء حكومة الإدارة أنفسهم، وانقسم الشعب انقساماً خطيراً حيث ظهر عدد من مؤيدي الملكية يناوئون الحكومة، وكان نابليون بونابرت، المعتز بانتصاراته في إيطاليا، واختط لنفسه سياسة خارجية خاصة فعقد مع النمسا صلح كامبوفورميو 17 أكتوبر 1797 وبموجبه:

1- اعترفت النمسا بجمهورية شمال إيطاليا التي أسسها نابليون وأطلق عليها اسم «جمهورية الالب الشمالية» SISALPINE تحت سيطرة فرنسا.

2- تستولي فرنسا نهائياً على بلجيكا، والجزر الأيونية القريبة من الساحل اليوناني.

3- تتخلى النمسا عن كل ممتلكاتها في إيطاليا في مقابل حصولها على البندقية وما يحيط بها من أرض تعويضاً لها عما لحقها من الخسائر.

وبموجب هذا الصلح أقرت النمسا فتوحات الجمهورية الفرنسية، وأصبحت فرنسا سيدة إيطاليا، وبانسحاب بروسيا والنمسا من الحرب، أصبحت بريطانيا وحدها تواجه الحرب مع فرنسا وكان ميدان صراعهما الأول في مصر.

أما نابليون فقد أصبح في نظر الشعب الفرنسي بطل المستقبل، ورجل فرنسا الأول فلما استدعى للعودة إلى فرنسا استقبل استقبالاً حماسياً حاراً، وعهدت إليه الحكومة بقيادة جيش يتدرب على غزو إنلجترا، إلا أن تفوق الأسطول البريطاني جعلت نابليون يعتقد أن عملية الغزو سابقة لأوانها، واقترح على حكومة الإدارة توجيه ضربة غير مباشرة إلى إنجلترا بغزو مصر وقطع الطريق بين إنجلترا وإمبراطوريتهم في الهند، وكانت مصر آنذاك تحت حكم المماليك وضمن إطار الدولة العثمانية.

واستطاع في عام 1798 أن يخدع الأسطول البريطاني، وينزل جيشاً فرنسيا بالقرب من الإسكندرية، ولكن بريطانيا أرسلت في أعقابه القائد «نلسن» حيث تمكن من تحطيم الأسطول الفرنسي الذي كان راسيا في خليج أبي قير، وحطمه عن آخره وبذلك قطع الطريق على القوات الفرنسية المرابطة في مصر. ووجد نابليون نفسه منعزلا بقواته عن فرنسا، فلم يجد بدًا من تدعيم حكمه في مصر، والاعتماد على الموارد المصرية

وحدها، وفي الوقت نفسه فكر في توسيع دائرة حكمه في الشرق فأقدم على غزو الشام، إلا أنه عجز بجيشه عن اقتحام حصن عكا، وعاد بفلول قواته إلى مصر.

ولما اشتد به اليأس، قرر ترك قواته بمصر والعودة إلى فرنسا التي وصلها في أكتوبر/ تشرين أول سنة 1799، وهناك استقبله الشعب بالحفاوة والتكريم كبطل يستطيع إنقاذ الموقف العصيب الذي تردت فيه البلاد في أثناء غيابه في الداخل والخارج. ولذلك كانت عودة نابليون إلى فرنسا فجأة بمثابة عودة الأمل إلى نفوس الفرنسيين، وخصوصاً بعد أن ذاع نبأ تحطيم الأسطول الفرنسي في المياه المصرية وتكوين (التحالف الثاني) بين روسيا والنمسا وإنجلترا ضد فرنسا.

1.3.4 فرنسا في عهد القنصلية

حانت الفرصة لنابليون بونابرت لتحقيق آماله في حكم البلاد وتمكن بمساعدة بعض أعضاء حكومة الإدارة وعلى رأسهم «سييز» Sieyes من تدبير انقلاب للحكومة استولى به على السلطة وأعلن شكلاً جديداً من أنواع الحكم وقرر في دستوره الجديد وضع السلطة التنفيذية في يد ثلاثة قناصل ينتخبهم مجلس الشيوخ لمدة عشر سنوات. وعهد لنابليون بمركز قنصل أول، خول حق إعلان وإبرام المعاهدات وإصدار القوانين وتعيين الوزراء وكبار الموظفين ورئاسة الجيش والإدارة. يساعده في مهامه القنصلان الآخران لوبران Lebrun وكامباسرس Cambaceres وقد اختارهما نابليون بنفسه. وبذا تركزت في يده بالفعل كل السلطات.

أما سلطة التشريع فقد أعطيت لثلاثة مجالس هي:

1- مجلس الشيوخ: وينتخب أعضاؤه لمدة حياتهم. ومهمة هذا المجلس انتخاب أعضاء المجلسين الآخرين والإشراف على تنفيذ أحكام الدستور.

2- مجلس التريبيون (Tribunat) ويضم مائة عضو مهمتهم دراسة القوانين المقدمة من القنصل الأول دون أن يكون لهم حق رفضها أو قبولها.

3- المجلس التشريعي ويضم ثلاثمائة عضو ومهمتهم الاقتراع على مشاريع القوانين دون مناقشتها. (عبدالمجيد نعنعي، 1978 ص289).

كانت أولى المهمات التي واجهها نابليون كقنصل أول قضية الحرب مع دول التحالف الثاني (إنكلترا، النمسا، تركيا وروسيا).

وقبل أن يتسلم نابليون الحكم كانت روسيا قد انسحبت من الحرب عمليا إنما دون أن توقع معاهدة سلم مع فرنسا. ذلك أن روسيا التي كانت قد انتصرت على الفرنسيين في آب (أغسطس) سنة 1789 في إيطاليا عادت فهزمت في سويسرا في تشرين أول/أكتوبر من نفس السنة على يد الفرنسيين، فسحبت جيوشها من أوروبا. وكان على نابليون إذاً أن يركز هجومه على النمسويين الذين أعادوا احتلال ايطاليا كلها ما عدا جنوى بعد انسحاب الروس أعد نابليون جيشاً كبيراً اجتاز به جبال الألب متبعاً الخطة التي نفذها قديماً هنيبعل. ولما التقى بالنمسويين هزمهم في معركة مرنغو Marengo في 14 حزيران (يونيو) سنة 1800. وكان هذا النصر أول الانتصارات التي أحرزها في عهد القنصلية. وقد أثارت أخبار هذه المعركة موجة من الحماس العارم في فرنسا مما زاد في نفوذه السياسي وطلب النمساويون الهدنة وإجراء مفاوضات الصلح ثم وقعوا على معاهدة لونفيل في آذار (مارس) سنة 1801. وأبرز ما في شروط هذه المعاهدة:

1- تستولي فرنسا على الإمارات الألمانية الواقعة بين حدودها وبين نهر الراين.

2- تنسحب النمسا من إيطاليا نهائيا ويتولى الفرنسيون شؤونها كما يريدون، معترفة باحتلال فرنسا لبلاد البيامون وبجميع الجمهوريات التي أقامها الفرنسيون في سويسرا وهولندا وإيطاليا.

وبعد انسحاب النمسا من الحرب بقيت إنكلترا لوحدها تقاتل نابليون، ولما كانت فرنسا لا تقوى على محاربة انكلترا بحريا فقد أظهر نابليون ميلا للمصالحة.

أما في بريطانيا فإن الأوضاع الداخلية كانت تفرض ضرورة التفاهم السلمى مع نابليون ذلك أن مصاريف الحرب الباهظة أدت إلى تزايد الضرائب، ثم إن قيام الثورة في إيرلندا التابعة للتاج الإنكليزي هدد الانكليز في أشد أوقاتهم قساوة. ذلك أن سكانها كانوا منذ زمن طويل يريدون الاستقلال وكانوا يعلنون العصيان والتمرد كلما رأوا انكلترا في حرب خارجية أو في موقف حرج وهذا ما فعلوه سنة 1798.

وبالفعل تمكن البلدان من بدء مفاوضات أدت إلى معاهدة صلح إميان وقعت في 25 آذار (مارس) سنة 1802 وأبرز خطوطها:

1- تقبل إنكلترا بحدود فرنسا الطبيعية أي بضم بلجيكا وقسم من هولندا وأراضي الراين اليسرى إلى الجمهورية الفرنسية.

2- تقبل إنكلترا بقاء إيطاليا تحت النفوذ الفرنسي مع الاعتراف بما أجراه فيها نابليون من تغييرات.

3- تعيد إنكلترا جزيرة مالطة لأصحابها الأصليين أي منظمة فرسان مالطا وتحتفظ بجزر سيلان ورأس الرجاء الصالح. كما أن فرنسا انسحبت من مصر تاركة البلاد للسلطة العثمانية.

2.3.4 إنشاء الإمبراطورية النابليونية

وبعد عقد صلح اميان، وهو الصلح الذي اعترف بالأوضاع القائمة في الحدود الاوربية، تفرغ نابليون للإصلاحات الداخلية، وتثبيت المكاسب التي نادت بها الثورة، ولكي يزيل الشك في نياته أمام الشعب أعلن بصفته القنصل الأول أنه يعتبر مهمته هي "إنهاء الثورة وتدعيم مكاسبها".

وكان اهتمامه الأول موجها نحو إعادة النشاط الاقتصادي في فرنسا، وتدعيم سلطة الدولة على جميع المواطنين، ولم تعد هناك حكومات إقليمية أو طبقات مميزة أو وظائف وراثية. كذلك كرس جانبا من وقته وجهده من أجل وضع قانون شامل موحد اعتبر أشهر الموسوعات القانونية في التاريخ وأصبحت الجمهورية الفرنسية في عام 1802 تنعم بشيء من الهدوء والاستقرار الخارجي وكان لنابليون القنصل الأول شعبية كبيرة جعلته ينجح في الاستفتاء على انتخابه قنصلاً مدى الحياة. وفي عام 1804 أقر الشعب باستفتاء عام أيضا دستوراً جديداً جعل فرنسا امبراطورية، وظهر اسم نابليون بونابرت لأول مرة باسم نابليون الأول إمبراطور فرنسا.

وبينما كان الوضع الداخلي مستتبا في فرنسا، كانت هناك ظروف خارجية تهدد فرنسا، فقد كانت بريطانيا - رغم صلح إميان - لا تفتأ تعمل على إسقاط نابليون ونظامه، ولا تقبل أن تستكين أمام أطماعه، وخصوصاً أن قوة فرنسا كانت في ازدياد مطرد، وأن نابليون يرمي إلى أغراض توسعية ضخمة، ومما زاد في تخوف انجلترا ما علمته من عزم نابليون على استعادة مصر، ولذلك رفضت الجلاء عن جزيرة مالطة (وكان هذا الجلاء مقرراً في صلح اميان). وبدأت تسعى لإثارة النمسا وروسيا ضد العدوان المشترك - ونجحت في مسعاها حيث عقد (التحالف الثالث) الذي يجمع بريطانيا والنمسا والسويد وروسيا (1805) ولما كان نابليون قد تخلى نهائياً عن مشروع غزو انجلترا، فقد رأى أن يسير بجيوشه إلى ألمانيا واستطاع أن يهزم القوات النمسوية في

«أولم» ULM (20 أكتوبر/ تشرين أول 1805) وواصل حملة نحو الشرق فاحتل «فينا» ثم اتجه شمالاً حيث اكتسح جيشاً روسيا نمسوياً مشتركاً عند اوسترلتز في موارفيا (2 ديسمبر/ كانون أول)، فانسحبت فلول الجيش الروسي إلى داخل بولنده، أما النمسا فقد اضطر الإمبراطور (فرانسيس الاول) إلى قبول صلح برسبرج - تنازل بموجبه عن اقليم البندقية لنابليون بونابرت الذي ألحقها بممتلكاته في إيطاليا. كذلك هزم جيوش بروسيا ودخل برلين في أكتوبر/ تشرين أول 1806 وأجبرها على تخفيض عدد قواتها.

بقيت أمامه روسيا، وفي غمرة انتصاره، رأى أن يتعقب قواتها التي كانت رابضة في بروسيا الشرقية وهزمها في واقعة (فرلاند) - ثم رأى من الحكمة ألا يتغلغل شرقا في الأراضي الروسية - فتقابل في «تلست» مع القيصر ألكسندر الأول ليتفاوضا في شروط الصلح وكان القيصر معجباً بشخصية نابليون ومقدراً له عدم إقدامه على اقتحام الحدود الروسية بعد انتصاره العظيم، ولم يطلب منه نابليون سوى أن تكون روسيا حليفة له ضد بريطانيا العظمى التي وصفها للقيصر بأنها أساس جميع المشكلات في أوروبا، وقبل القيصر أن يكون حليف نابليون ضد انجلترا.

3.3.4 الحصار القاري

تحولت بروسيا إلى دولة صغرى تسير وفق سياسة نابليون، ولم يبق أمام نابليون بعد انتصاره الحاسم على النمسا وبروسيا وتحويله روسيا إلى دولة حليفة له، غير بريطانيا التي صمدت أمامه، ووقفت عقبة كؤودا في سبيل تحقيق كل أطماعه، وقد سبق أن نابليون قد يئس من نجاح مشروعه في غزو انجلترا، وقام عام 1805 بمحاولة التحطيم الأسطول البريطاني عندما أمر أحد قواده الذي كان مرابطاً على السواحل الإسبانية (في ميناء قادس) أن يهاجم الأسطول البريطاني الذي كان يقوده (نلسن) إلا أن نلسن استطاع أن يحطم الأسطول الفرنسي في موقعة الطرف الأغر في 12 أكتوبر/ تشرين أول 1805، ومع أن الانجليز فقدوا قائدهم العظيم نلسن، إلا أن مصرعه لم يغير الحقيقة الواقعة وهي تفوق إنجلترا البحري، وتثبيت سيادتها على البحار، واستحالة غزوها في المستقبل القريب ولهذا رأى نابليون أن يلجأ إلى الحرب الاقتصادية، تساعده في ذلك سيطرته السياسية على القارة الأوروبية ليمنع وصول البضائع البريطانية إلى الموانئ الأوروبية «وأصدر» مرسوم برلين في عام 1806 الذي يفرض (الحصار القاري) على البضائع الإنجليزية، وقد ساعده انتصاره على النمسا وبروسيا وروسيا على انضمامها للنظام القاري وإغلاق موانئها في وجه السفن والبضائع البريطانية، ولم تجرؤ الدول المحايدة في القارة الأوروبية على مخالفة هذا النظام.

ورضخت جميع دول القارة لهذا النظام إلا دولة واحدة صغيرة هي (البرتغال) التي كانت اقتصادها يعتمد على بريطانيا في المقام الأول، فرفضت الامتثال. فانتهز نابليون فرصة لغزوها وأرسل قواته إليها عبر إسبانيا (1807) - وقد كان يهدف في هذه الحملة إلى تحقيق غرضين: أولهما إخضاع البرتغال حليفة انجلترا كي تطبق نظام الحصار القاري، وثانيهما تطويع إسبانيا للحكم الفرنسي وتتويج أخيه (جوزيف) ملكاً على إسبانيا وبذلك تسير الأخيرة في فلك الإمبراطورية الفرنسية. وقد توج أخوه فعلا في يوليه/ تموز 1808، وكانت تلك المغامرة في شبه الجزيرة الأيبيرية أول بداية لأفول نجم نابليون بونابرت في أوروبا، إذ لم يقدر مدى وطنية الإسبان وكراهيتهم للحكم الأجنبي، فقد قامت ضد القوات الفرنسية في إسبانيا ثورة شعبية مسلحة استخدم فيها الإسبان حرب العصابات التي قطعت المواصلات الفرنسية وحيرت القواد الفرنسيين، أضف إلى ذلك أن البريطانيين أرسلوا المساعدات العسكرية للثوار الإسبان ثم أرسلوا جيشاً تحت قيادة ولزلي الذي أصبح فيما بعد: (الدوق ولنجتن) إلى البرتغال (أغسطس/آب 1808) وقد تمكن بمساعدة الإسبانيين والبرتغاليين من طرد القوات الفرنسية من البرتغال، وتلا ذلك حرب التحرير في إسبانيا التي استمرت حتى عام 1831 بعد أن استنزفت قوى نابليون وجلبت عليه أسوأ العواقب.

4.3.4 انحلال وسقوط الامبراطورية

منذ عام 1808 حتى عام 1814 أخذت تتضاءل قوة نابليون برغم عدد الانتصارات التي أحرزها في تلك الفترة، وكان كلما تقدم به السن تضاءلت حيويته وضعف نشاطه بينما ظلت أطماعه في التوسع والغزو في ازدياد مستمر، أضف إلى ذلك أن جيوشه التي كان يعتمد عليها في تحقيق تلك الأطماع قد تغيرت أوضاعها، فقد كانت في بداية حروبه تتألف من مواطنين فرنسيين ملأتهم الحماسة والوطنية ومدفوعين بإيمانهم بالمبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية، ولكن نابليون، أمام التوسع في فتوحاته، لجأ إلى ضم جنسيات مختلفة لقواته كالألمان والبولنديين والهولنديين والإيطاليين والدنمركيين.

كذلك تغيرت نظرة الشعوب إلى مجئ الفرنسيين إلى بلادهم، فقد صدقوا في بادئ الأمر أن الفرنسيين جاءوا لتحريرهم من استعباد الامبراطوريات وتحقيق الحرية والإخاء والمساواة، ولكن بمرور الأيام أيقنوا أنهم كانوا يأملون في سراب، فقد أثبت

الحكم الفرنسي أنه لا يقل استبداداً وتعسفاً عن الحكم القديم، فقد تعرضوا لوابل من المظالم كقوانين الضرائب والمصادرات والتجنيد الاجباري، ولذلك أصبحت نظرتهم إلى الفرنسيين تميل إلى اعتبارهم غزاة لابد من الجهاد في سبيل التخلص منهم.

وكان النظام القاري أسوأ نظام أثر على حياتهم اليومية فقد ترتب على وقف التجارة مع بريطانيا تحطيم اقتصاد الشعوب التي خضعت له، وعانت من جراء ذلك الطبقات الوسطى وطبقة العمال في كل مكان فقد أدى النظام القاري إلى نقص في المؤن وارتفاع في الأسعار وركود في التجارة.

واعتقدت النمسا في عام 1809 أن الوقت قد حان لإعلان الحرب على فرنسا للمرة الرابعة إلا أنها كانت محاولة سابقة لأوانها لأن نابليون تقدم بقواته نحو «فينا» وهزم النمسويين في موقعة (واجرام) واضطرت النمسا أن تقبل صلحاً آخر خسرت به مزيداً من أراضيها. ولكن على الرغم من أن السنتين التاليتين 1810 و 1811 شهدتا امبراطورية نابليون وهي أوج قوتها وعظمتها إلا أن الأسباب كانت تتهيأ لتحطيم ذلك البناء الكبير، فالقارة الأوروبية كانت تعاني من بقاء النظام القاري الذي فرضه بونابرت وكان القيصر اسكندر الأول على رأس الحانقين عليه، لأن بروسيا كانت تستفيد من تجارتها مع بريطانيا فهي تتبادل محاصيلها الزراعية بما تنتجه المصانع الإنجليزية، ولما اضطرت إلى إغلاق موانيها في وجه البضائع إلى روسيا، ثم قرر الانسحاب رسمياً من النظام القاري واستؤنفت العلاقات التجارية بين روسيا وانجلترا، واستحكم الخلاف بين نابليون واسكندر الأول.

وفي شهر يونيو/حزيران عام 1812 أعلن نابليون الحرب على روسيا، وعبرت قواته نهر نيمن Niemen ثم اخترق الأراضي الروسية وقد اتبع الروس سياسة استدراج القوات الفرنسية إلى العمق في الأراضي الروسية، فكانت القوات الروسية تتقهقر أمام الفرنسيين الذين تبعوهم حتى إذا أصبحت قوات نابليون على مشارف موسكو تحولت القوات الروسية إلى موقف الدفاع، ولكنها لم تستطع منع جيوش نابليون من دخول موسكو في (15 سبتمبر/ايلول 1812)، ولكن سقوطها دفع سكانها إلى إشعال النار فيها ومغادرتها، ووجد نابليون نفسه يعسكر بقواته في مدينة خربة مع جنود أنهكهم التعب والإعياء. فحاول التفاوض مع القيصر الذي رفض جميع العروض، وبعد خمسة

أسابيع قضاها يائسا خائفاً من البقاء منعزلاً أصدر أمره بالانسحاب، وعندما بدأت قواته في الانسحاب داهمه شتاء روسيا القارس بأمطاره وثلوجه، فتجمد الكثيرون من البرد، ومات عدد آخر من الجوع وشردت الخيول ونفق معظمها وتخلى الجنود عن واجباتهم العسكرية وانتشرت الأمراض بينهم، وانحل الجيش إلى جماعات يتلمسون الفرار مشياً على الأقدام فوق الجليد، ولقى حتفه من قواته حوالي نصف مليون، ووقع مائة ألف آخر في أسر الروس، وهكذا تبدد (الجيش الاعظم) ومنى نابليون بأكبر هزيمة كانت نذيراً جديداً بقرب زوال امبراطوريته.

وبعد هذه الكارثة العظمى، وجدت الحكومات والشعوب الاوروبية التي رزحت تحت حكمه أن الفرصة قد حانت للتحرر من طغيانه، وتحولت أوروبا بأكملها إلى أرض معادية له، وكان الألمان أكثر الشعوب شوقاً لخوض معركة التحرير فتجمعوا حول بروسيا لتقودهم نحو النصر، وفي الوقت نفسه عزم قيصر روسيا على أن يقوم بمحاولة أخيرة للقضاء على غريمه، وفي يناير/كانون ثاني 1813 بدأ القيصر حركة التحرير.

وسرعان ما انضمت بروسيا إلى روسيا، ومعها جميع الولايات الشمالية والوسطى الألمانية، ولكن نابليون استمات في سبيل إحياء قواته ليهزم روسيا وبروسيا قبل أن تنضم النمسا اليهما، واستطاع فعلاً أن يلحق بهما الهزيمة في (لوتزن)، ولكن هذا النصر المؤقت كلفه الكثير من الخسائر في القوات والمعدات، ولذلك قبل عقد هدنة مع أعدائه ليعيد تنظيم جيشه، أملاً في الحصول على انتصار حاسم.

عندئذ انضمت النمسا إلى تحالف ضم كلا من روسيا وبروسيا والسويد وبريطانيا العظمى، وقبل أن تنقضي مدة الهدنة قامت القوات المتحالفة الروسية والبروسية والنمسوية بمهاجمة القوات الفرنسية عند مدينة ليبزج (اكتوبر/تشرين أول 1813) واستمرت تلك الموقعة التي سميت (بحرب الامم) ثلاثة أيام، واضطر نابليون إلى الانسحاب بفلول جيشه إلى فرنسا.

وتعقبته القوات المتحالفة بقصد غزو فرنسا من الشمال والشرق، بينما كانت الجيوش البريطانية الإسبانية تعبر جبال البرانس لغزو فرنسا من الجنوب بقيادة ولنجتن الذي طهر الأراضي الإسبانية من الاحتلال الفرنسي، وقد قام الشعب الفرنسي ودافع عن أرضه ولكن الحلفاء كانوا متفوقين في العدد والعدة ودخلوا باريس (مارس/آذار 1814).

وبعد ثلاثة عشر يوماً من الهزيمة قبل نابليون أن يتنازل عن العرش وفي مقابل ذلك أرسله أعداؤه إلى جزيرة «ألبا» بالقرب من شمال غرب الساحل الإيطالي تاركين له حق السيادة على تلك الجزيرة الصغيرة والاحتفاظ بلقب (الامبراطور)، ومعاشا سنوياً مقداره مليونان ونصف من الفرنكات.

واتفق الحلفاء على عودة آل بوربون إلى عرش فرنسا، واختاروا لذلك لويس الثامن عشر (شقيق الملك السابق لويس السادس عشر)، الذي عاش في انجلترا طوال عهد الثورة ونابليون، واتخذ لنفسه لقب (لويس الثامن عشر) لأنه قدر أن أحقيته للملك تلي أحقية ابن أخيه الصغير الذي توفي عام (1795) والذي كان مفروضاً أن يكون وليا للعهد. أما أهم التغيرات التي حدثت في أوروبا بعد هزيمة نابليون فهي عودة الملك فردنالد السابع إلى عرش أسبانيا، وعودة البابا بيوس السابع إلى روما، واعتلى الملك فكتور ايمانويل عرش سردينيا، وعادت فرنسا إلى حدود ما قبل الثورة.

وبعد استتباب السلام قرر المنتصرون أن يجتمع مندوبوهم في فينا لبحث المشكلات التي طرأت على الخريطة الأوروبية خلال فترة الحروب، ومناقشة مستقبل كثير من الدول مثل بلجيكا وهولنده والمانيا وبولنده وإيطاليا وإسبانيا، كما كان هناك كثير من المسائل التي تخص العلاقات الدولية تحتاج إلى البحث والتنظيم، وكان لكل من دول الحلفاء أطماع متعارضة أدت إلى إثارة خلافات كثيرة في أثناء عقد المؤتمر.

لم يقنع نابليون بالمنفى الذي فرض عليه فكان تواقاً إلى العودة إلى فرنسا، وفي شهر فبراير/شباط عام 1815 أسعفته الظروف فقد اشتدت الخلافات بين أعدائه، واحتد النقاش بينهم في فينا، وانقسمت آراء أعضاء المؤتمر، فاختلفت النمسا وبريطانيا مع بروسيا حول مصير سكسونيا وبولندا، وغيرهما، وفي الوقت نفسه كانت الظروف مواتية له في فرنسا، فقد أدت عودة المهاجرين الفرنسيين إلى البلاد وتمسكهم بالامتيازات والآراء القديمة إلى قلق أغلبية الفرنسيين، بينما لم يتحمس الكثيرون لعودة أسرة بوربون للحكم.

وفي أول مارس/آذار 1815 نجح نابليون في الفرار من جزيرة ألبا واستطاع دخول باريس، وأعلن عودة الإمبراطورية ورحب به قواده وضباطه القدامى الذين وعدهم ووعد الشعب بمعاودة الحرب والغزو، وسيادة الحرية والمساواة، وتأسيس حكومة دستورية.

وعندما علم المؤتمرون في فينا بعودته وأدركوا مدى الخطورة التي عادت تهدد أوروبا تناسو خلافاتهم وأعادوا تحالفهم، وقرروا غزو فرنسا من جديد. وأما نابليون فكان يستعد لملاقاتهم بجيش جديد سار ليقابلهم في بلجيكا.

وفي يونيه/ حزيران، عند واترلو WATERLOO خاض نابليون معركة ضارية، وكانت القوات الانجليزية والهولندية قد تجمعت في بلجيكا بقيادة (ولنجتون) وانضمت اليها القوات البروسية بقيادة بلوخر BLUCHER، وانهزم نابليون هزيمة حاسمة في واترلو، ثم فر إلى باريس، حيث أعلن للمرة الأخيرة تنازله عن العرش في (22 يونيه/ حزيران 1815). (عبدالمجيد نعنعي. 1978، ص315).

سلم نابليون نفسه للإنجليز، وتقرر نفيه وحيداً في جزيرة سانت هيلانه في جنوب المحيط الأطلنطي. وهناك في تلك الجزيرة النائية عاش خمس سنوات ونصف إلى أن مات في عام 1821.

وأعاد الحلفاء لويس الثامن عشر إلى العرش، ومنحوا فرنسا سلاما كانت شروطه أقل تسامحا من شروطهم الأولى عقابا لها على رضاء الشعب الفرنسي بعودة نابليون ففقدت بعض حدودها، وفرضوا عليها غرامة كبيرة، وإعادة التحف الفنية التي كان نابليون قد سلبها من البلاد التي غزاها من قبل وعاد ممثلو الدول الكبرى للاجتماع في مؤتمر فينا.

تدريب (5)

فشل مؤتمر فينا في تحقيق الأماني القومية لكثير من الدول الأوروبية. وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- كيف استطاع نابليون الوصول إلى مرتبة القنصل الأول ثم إمبراطور فرنسا؟
2- فرض نابليون الحصار الاقتصادي لإخضاع انجلترا. وضح ذلك.

5. الخلاصة

في هذا الفصل «أوروبا منذ عصر النهضة وحتى مطلع القرن التاسع عشر «أثرنا عدداً من الموضوعات التاريخية والحضارية:

حيث تطرق الفصل إلى أهمية عصر النهضة وأثره في التغيرات الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية خلال القرن التاسع عشر، وتركزت الجهود على دراسة الجوانب الحضارية التي استمدت منها الامم مبادئ حضاراتها.

كذلك بين الفصل اهتمام المؤرخين بالأحداث البارزة والمهمة التي حصلت نتيجة التطور العلمي والثقافي في أوروبا، وكان أهمها الكشوف الجغرافية، وحركة الإصلاح الديني، فقد كان للرحالة الإيطاليين دور كبير في هذه الاكتشافات ومنهم كريستوفر كولومبس وهنري الملاح وأمريجو يجوفسبوتش، أما حركة الإصلاح الديني فكان مارتن لوثر الداعي الأول لهذه الحركة.

أما أحداث القرن الثامن عشر فقد اهتم الباحثون بدراسة موضوع الثورة الأمريكية التي أدت إلى استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وركز المؤرخون على العلاقات البريطانية - الأمريكية والظروف التي أدت إلى انفصال المهاجرين الإنجليز عن بريطانيا الأم.

كذلك اهتم المؤرخون بحدثين مهمين خلال هذه الفترة وهما الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت، فأحداث الثورة الفرنسية ومبادئها ترتب عليها نتائج هامة في المجتمع الأوروبي، كذلك كان لفترة حكم نابليون آثار إيجابية وأخرى سلبية على المجتمع الفرنسي والمجتمع الأوروبي. فكان مؤتمر ڤينا والقرارات الصادرة عنه سبباً من أسباب قيام الثورات المتعددة في أوروبا سواء ثورات 1830 أو 1848.

6. لمحة مسبقة عن الفصل الثاني

بعد أن اطلعت، عـزيزي القارئ، على أهمـية عصـر النهضـة الأوروبية بصفـته أساساً للتـغيرات العلميـة والثقافيـة والاجتماعيـة وأن لهذا العصر تراث اسـتمدت منه مخـتلف الدول الأوروبية أصــول حضارتهـا، بل وامتدت آثار هذا الـعصر إلى جـميع شعوب العالم.

كـذلك تعرفت، عـزيزي القارئ، أيضـاً على أهم أحـداث القرن الثـامن عشـر وبخاصة الثورة الأمـريكية والثورة الفرنسية وعصـر نابليون وأثر هذه الأحداث في تاريخ أوروبا، فإننا نقدم لك في الفصل الثانى وصفاً تاريخـياً لأهم الثورات والحركات القومية في أوروبا، لتتعرف على أسباب نشأة الفكر القومي ونتائجه وعوامل الوحدة بين الأقطار الأوروبية ثم نتتبع بالتفصيل حدثين هامين وهما الوحدة الإيطالية والاتحاد الالماني.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- قيام الإنسانيين الإيطاليين في تجوالهم في أوروبا بنشر أفكار النهضة وتعليم الناس تذوق آداب القدماء وفنونهم.

2- استدعاء الجامعات الأوروبية أساتذة ومحاضرين إيطاليين لتدريس طلبتها فنون وآداب النهضة الإيطالية. ويعتبر أرازمس من أكبر دعاة النهضة وكان يحاضر في باللغتين الإغريقية واللاتينية وكان أرازمس يرى في الدراسات الإنسانية وسيلة لإصلاح المجتمع الأوروبي وتخليصه من الشرور والآثام، والجهالة المتفشية به ومن جميع الأمراض الاجتماعية والمساوىء الخلقية واتسمت كتابات أرازمس بالطابع الأوروبي العام، ولقد عرف عنه رغبته القوية في نشر الدراسات الإنسانية وتثقيف الناس بها.

3- أدرك الشعب الألماني أهمية الدراسات الإنسانية في شرح الكتاب المقدس وتفهم الديانة المسيحية على أساس سليم، وخلت كتابات أعلام النهضة الألمان من أي نزعة وثنية حتى غدت النهضة في ألمانيا دينية فلسفية تتميز بالجدية.

4- ظهرت الدراسات الإنسانية في فرنسا بعد غزو الفرنسيين لإيطاليا وانتشار تدريس اليونانية في الأكاديميات الفرنسية، وظهر أساتذة إنسانيون حاضروا في اليونانية واللاتينية القديمة.

5- انتشرت أفكار النهضة في إسبانيا بواسطة الإنسانيين الإيطاليين الذين وفدوا على بلاط ملوك إسبانيا ونشروا أفكارهم ومعارفهم بين الإسبان. كما نشطت في الجامعات الإسبانية مثل جامعة إشبيلية وشلمنقة الدراسات اليونانية واللاتينية وأصبحت هذه الجامعات في وقت من الأوقات إحدى أبرز مراكز الدراسات الإنسانية في غرب أوروبا.

6- أما في إنجلترا فلقد أخذت الدراسات الإنسانية طريقها إليها بواسطة جماعة من الإنجليز كان معظمهم من اكسفورد شدوا رحالهم إلى إيطاليا ونهلوا من دراساتها القديمة في فلورنسا والبندقية وروما، وعاد هؤلاء إلى إنجلترا واتخذوا

من أكسفورد مكاناً لإلقاء محاضراتهم وأطلق عليهم (مصلحو أكسفورد) ثم أخذت الدراسات الانسانية طريقها إلى كمبريدج، والجدير بالذكر أن النهضة في إنجلترا لم تكن مقصورة على الإدارة والفنون فقط بل شملت أيضاً الدين.

تدريب (2)

خرج على الكنيسة الكاثوليكية أكثر من نصف سكان أوروبا الغربية، وفي مقدمة هؤلاء حكام الوحدات السياسية في ألمانيا الذين رغبوا في التخلص من سيطرة الكنيسة والاستئثار بأموالها وممتلكاتها الشاسعة والقضاء على نظام صكوك الغفران التي كان يمنحها البابا وكانت الكنيسة تدعي أن هذه الصكوك تغفر لمشتريها ما كان قد اقترفوه من آثام ومعاصي، فهاجم لوثر الكنيسة وأعلن أن البابا ليس من حقه أن يحتكر تفسير الكتاب المقدس. ودعا إلى ضرورة إنقاص عدد الأديرة وعدم الحج إلى روما، وأن لكل شخص الحق في قراءة الإنجيل وتفسيره حسب آراؤه وكانت آراءه هذه دعوة لوثرية لتجريد الكنيسة ما كانت تدعيه حقاً لها وحدها. وقد لاقت آراء لوثر ودعوته قسطاً كبيراً من النجاح وأطلق عليها المذهب البروتستنتي واعتنق عدد كبير من الأمراء الألمان المذهب الجديد وظل النزاع مستمراً بين الكاثوليك والبروتستانت بعد موت لوثر، إلى أن تم تسوية الخلاف في صلح أوجزبرغ 1555 وكانت أهم قراراته هو الاعتراف بحق دويلات الإمبراطور الألمانية في اختيار المذهب الذي تريده وتعتبر قرارات هذا الصلح أعنف ضربة تلقتها الكنيسة الكاثوليكية وكانت خطوة في تجزئة أوروبا وانتصاراً عظيماً للوثرية.

تدريب (3)

1- مساندة كثير من الدول الأوروبية وبخاصة فرنسا وهولندا وإسبانيا وذلك لوجود تنافس استعماري بين هذه الدول وبريطانيا.

2- مساندة المفكرين الأوروبيين لسكان المستعمرات الأمريكية والدفاع عن مطالبهم في الحياة الحرة الكريمة وتحررهم من الحكم المطلق والمستبد ومن أبرز هؤلاء المفكرين -توماس بين- الانجليزي والذي كان يعيش في أمريكا وكان لكتابه (حسن الإدراك) أثر كبير في ذلك.

3- تفوق قوات المستعمرات على إنجلترا عسكرياً ومعنوياً.

4- اعتقال السلطات البريطانية لاثنين من الزعماء في المستعمرات، وهكذا بدأت حرب الاستقلال والتي امتدت أكثر من ست سنوات دار خلالها القتال في كل المستعمرات ووقع خلالها اثنتا عشرة معركة وتم اختيار المزارع جورج واشنطن لقيادة قوات الاستقلال الوطني وقام توماس جفرسون بكتابة وثيقة الاستقلال والتي وافق عليها ممثلو ثلاثة عشرة مستعمرة وفي عام 1777 هزم واشنطن القوات البريطانية التي اضطرت إلى الاستسلام.

5- مساعدة فرنسا للمستعمرات في حربها ضد بريطانيا بالعديد من المتطوعين.

6- اعتراف فرنسا وإسبانيا باستقلال المستعمرات البريطانية

تدريب (4)

1- الناس يولدون أحراراً ويظلون أحراراً متساوين في الحقوق.

2- الغرض من وجود الحكومات هو ضمان وحماية الحقوق الطبيعية للإنسان وعلى رأسها الحرية، الملكية، حماية الأرواح، حق رد المظالم.

3- لا يسجن أحد أو يوقف إلا في الحالات التي يحددها القانون.

4- لكل أمة الحق في مشاركة حكومتها في وضع القوانين وتقرير الضرائب.

5- توزيع الضرائب على أساس المساواة.

6- تطبيق الحرية الاقتصادية وأصبح من حق كل مواطن أن يستثمر أمواله في ميدان التجارة.

7- إصلاح الكنيسة الدينية وحرمانها من أملاكها الواسعة وانخفاض عدد الأساقفة وأصبح يتم تعيينهم بالانتخاب وتصرف مرتباتهم عن طريق الدولة.

تدريب (5)

على أثر انتصار القوات المتحالفة الروسية والبروسية والنمسوية على القوات الفرنسية عند مدينة ليبزغ في موقعة (حرب الأمم) أكتوبر/ تشرين أول 1813 واضطرار نابليون إلى الانسحاب بجيشه إلى فرنسا تم تنازله عن العرش بعد ثلاثة عشر يوماً من الهزيمة ونفيه إلى جزيرة (إلبا) قرر المتصرون أن يجتمع مندوبوهم في مؤتمر فينا لبحث

المشكلات التي طرأت على الخريطة الأوروبية خلال فترة حروب دول أوروبا مع نابليون ومناقشة مستقبل كثير من الدول مثل بلجيكا وهولندا وألمانيا وبولندا وإيطاليا وإسبانيا، بالإضافة إلى بحث العديد من المسائل الخاصة بالعلاقات الدولية، حيث كان لكل دولة من دول الحلفاء أطماع خاصة ومتعارضة أدت إلى إثارة خلافات كثيرة وانقسام آراء أعضاء المؤتمر إذ اختلفت النمسا وبريطانيا مع بروسيا حول مصير سكسونيا وبولندا. هذا الخلاف واشتداده بين أعداء نابليون مكنه من الفرار من منفاه من جريزة إلبا والعودة إلى باريس وإعلان عودة الامبراطورية، وعندما علم المؤتمرون في فينا بعودة نابليون أدركوا مدى الخطورة التي عادت لتهدد أوروبا فتناسوا خلافاتهم وأعادوا تحالفهم والتقوا جيش نابليون في معركة واترلو، والتي هزم بها نابليون هزيمة حاسمة وفر إلى باريس وأعلن تنازله عن العرش للجهة الأخرى.

8. مسرد المصطلحات

- الأكليروس Clericalism :

وهم رجال الدين وتعتبر الأكليروس محاولة للتدخل من قبل المجتمع الكنسي بشؤون المجتمع الدنيوي وإبقاء تبعية السياسة تجاه الدين.

- الجيرونديون Girondins :

أعضاء حزب سياسي فرنسي نشأ في أثناء الثورة الفرنسية، وجاءت تسمية الحزب بهذا الاسم لأن معظم القادة المُنظّمين له ينتسبون لمقاطعة جيروند، والجيرونديون جمهوريون ويمثلون البرجوازية والطبقة المتوسطة ويؤمنون بالملكية الخاصة ويخشون من سيطرة باريس على فرنسا كلها كما كانوا يفضلون التخلص من الملكية في فرنسا وإنشاء جمهورية فيدرالية، جاءوا إلى الحكم بناء على دستور عام 1791 وفي شهر يونيو/ حزيران 1793 أجبرت مظاهرة من عامة الناس في باريس المؤتمر المحلي على إزاحة واعتقال الجيرونديين.

- صكوك الغفران Indulgences :

كانت الفكرة قائمة على أساس أن ثواب الكنيسة يفوق كل خطايا المؤمنين والبابا يملك فيضا من ذلك الثواب، وانّ دفع مبلغ من المال للكنيسة هو رمز للتوبة. وقد أرسل البابا ليو العاشر رسله لبيع صكوك الغفران بعد أن خويت خزائنه من المال. وقد استاء الشعب الالماني من تصرف البابا، وهنا ظهر مارتن لوثر وهاجم بيع البابا للصكوك، فاصدر البابا قرارا بحرمانه، لكن لوثر أحرق القرار علنا وهاجم الكنيسة الكاثوليكية، وظهر في الديانة المسيحية مذهب جديد هو البروتستانتية الى جانب المذهب الكاثوليكي.

- اليعاقبة Jacobins :

أعضاء أكبر جمعية سياسية ثورية وحكمت في أثناء الثورة الفرنسية، واستمدت هذه الجمعية اسمها من مقرها في باريس بالقرب من كنيسة جيمس الذي يعني بالفرنسية جاكوب أي يعقوب، وكانت المنظمة الوطنية في البلاد التي تكونت لفترة قصيرة بعد

بداية الثورة وينحدر معظم أعضاء جمعية اليعاقبة من الطبقة الوسطى. وقد اعترضوا في بادئ الأمر على الحروب الخارجية خشية أن تؤدي إلى الديكتاتورية العسكرية، ولكنهم أيدوا الحرب عام 1792 عندما نشبت مع بروسيا والنمسا وذلك أملاً في الوصول إلى الحكم. جاء اليعاقبة إلى السلطة عام 1793 وبدأوا عهد الإرهاب وأرسلوا مئات الفرنسيين إلى المقصلة وكان روبسبير أكثر زعمائهم نفوذاً ولكن أتباعه انقلبوا عليه عام 1794 وأعدموه وفقد اليعاقبة بعد وفاته السلطة.

9. المراجع

أ - المراجع العربية:

1- أندرسون، ماثيوس، تاريخ القرن الثامن عشر في اوروبا، ترجمة نورالدين حاطوم. دار الفكر، دمشق 1977.

2- بالمر، روبرت: الثورة الفرنسية وامتداداتها. ترجمة هنريت عبود. دار الطليعة، بيروت 1982، ص87.

3- البطريق، عبدالحميد: تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا. جامعة الرياض 1978.

4- جرانت1. جـ و تمبرلي هارولد: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين جـ1 ترجمة بهاء فهمي واحمد عزت عبدالكريم، القاهرة 1950.

5- حاطوم، نورالدين: تاريخ النهضة الأوروبية. دار الفكر الحديث. لبنان *1968*.

6- حراز، السيد رجب: عصر النهضة: دار النهضة العربية، القاهرة *1974*.

7- الشناوي، عبدالعزيز محمد، أوروبا في مطلع العصور الحديثة جـ1. مكتبة الأنجلو المصرية 1977.

8- فيشر، هربرت: تاريخ أوروبا في العصر الحديث. تعريب أحمد هاشم، وديع الضبع. دار المعارف بمصر 1972.

9- فيشر، هربرت: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ترجمة زينب راشد، أحمد عبدالرحيم مصطفى. دار المعارف بمصر 1970.

10- نعنعي، عبدالمجيد، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة. دار النهضة العربية 1983.

11- نوار، عبدالعزيز، نعنعي عبدالمجيد: تاريخ الولايات المتحدة الامريكية. دار النهضة العربية، بيروت 1973.

12- نيفنز، آلان، وستيل هنري، موجز تاريخ الولايات المتحدة. ترجمة محمد بدر الدين جـ1 القاهرة 1974.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Gottscalek, Louis & Lach, F.D: Europe and Modern world, V,1 Chicago 1951.

2- Morrison: S.E., The Oxford History of the United States (1783-1917).

3- Woodward ,E. L.: French Revolutions. 1934.



الفصل الثانى

الثورات والحركات القومية في أوروبا



1. المقدمة

1.1 تمهيد

أهلا بك، عـزيزي القارئ إلى الفـصل الثانى من كـتاب "تاريخ العالـم الحديث والمعاصـر" وهو بعنوان "الثورات والحركات القـومية في أوروبا"، الذي يعالـج أسباب انتشـار الفكر القومي في أوروبا، والنتـائج التي ترتبت على انتشـاره، وكيف أصـبحت الحدود القومـية تتوضح معـالمها بصورة متـزايدة وحلت في بلدان كثيرة مـحل الحواجز الطبقية التي كانت شائعة في ظل النظام الإقطاعي في العصور الوسطى.

إضافة إلى بحث وتحليل عوامل الوحدة في الأقطار الأوروبية، وهكذا فإن ظهور الدولة القومية القوية في أوروبا قد رافقـه حدوث تحولاتٍ جذريةٍ وواضحةٍ في التركيب الأساسي لبنية المجتمعات الأوروبية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد اتجهت شعوب أوروبيـة كثيرة نحو التجمع على أسس قـومية وضمن حدود واضحة في وحدات سياسية مستقـرة، وكان يرافق ذلك ظهور الملكيات القومية باعتبارها أكثـر الأنظمة ملاءمـة لأوضاع أوروبا. ولا بد من التـعرف على التحـولات السياسـية والاقـتصـادية والاجتـماعـية والفـكرية التي عاصـرت الفكر القـومي منذ مؤتمر فـينا 1815 وحتى منتصف القـرن التاسع عشر إضافـة إلى دراسة العوامل والظروف التي ساعدت على قيام الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن:

1- تشرح المفاهيم والمصطلحات والتعمـيمات وتحدد القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في الوحدة.

2- تلم بأسباب الفكر القومي ونتائجه في أوروبا.

3- تتعرف إلى نتائج انتشار الفكر القومي في أوروبا.

4- تشرح مقررات مؤتمر فينا.

5- تحلل عوامل الوحدة في الأقطار الأوروبية.

6- تتتبع تطور حركة الوحدة الإيطالية منذ النشأة.

7- تستخلص أسباب نجاح الاتحاد الألماني.

8- تقوّم أثر الاتحاد الألماني على التوازن الدولي.

3.1 أقسام الفصل

تتسق أقسام هذا الفصل الستة مع قائمة الأهداف السابقة، حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل، فيما يرتبط القسم الأول بالهدفين الثاني والثالث. أما القسم الثاني فيرتبط بالهدف والرابع، أما القسم الثالث المتعلق بالتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فيرتبط بالهدف الخامس، أما القسم الرابع الخاص بتطور الوحدة الايطالية فيرتبط بالهدف السادس، ثم يأتي القسم الخامس وهو اسباب نجاح الاتحاد الالماني فيرتبط بالهدفين السابع والثامن.

4.1 القراءات المساعدة

القراءات التالية، عزيزي القارئ، مفيدة لتعميق فهمك لموضوع الفصل:

1- البطريق، عبد الحميد: التيارات السياسية المعاصرة. دار النهضة العربية. بيروت، 1974، ص (33-38).

2- حاطوم، نور الدين: تاريخ الحركات القومية، ج1، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967، ص (190-193).

3- Hages, Carlton, Political and Cultural History of Modern Europe New York. 1936. P(28-33).

2. لمحة تاريخية

يوجد دلائل واضحة عزيزي القارئ، على أن القرن السادس عشر كان غنياً بدرجة كبيرة بأحداث جذرية، شملت مختلف مظاهر الحياة، بحيث جعلت منه شيئاً آخرَ مختلفاً عما سبقه من عصور كما جعلت منه منطلقاً قوياً لما اصطلح المؤرخون على تسميته بالعصور الحديثة.

ولعل الميزة الأساسية للحياة السياسية في العصور الوسطى، كانت تفكك السلطة السياسية وغياب الحكومات المركزية القومية القوية. فأمبراطور الأمبراطورية الرومانية المقدسة الذي كان يمارس السيادة قانونيا على قسم كبير من سكان أوروبا كان ينازعه السلطان الفعلي عدد كبير من الحكومات الملكية والأميرية والمدن الأسقفية والمدن الحرة تتمتع كل منها بقسط وافر من السلطان والنفوذ مما كان يجعل في حالات كثيرة سيادة الأمبراطور إسمية.

أما في غرب أوروبا وبخاصة في إنكلترا وفرنسا فالسيادة كان يمارسها ملوك ضعاف ينازعهم النفوذ الفعلي إقطاعيون كبار، لبعضهم من اتساع الأرض وكثرة المال ووفرة الأتباع ما يجعلهم أحياناً أقوى من الملك وأعز حالا. واذا كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذ واسع على سكان أوروبا تمارسه من فوق الحدود والأنظمة السياسية والإقطاعية فإنها قد أضاعت الكثير من طاقاتها بما كانت تبذله من محاولات لفرض سلطانها وسيادتها الزمنية ليس فقط على الشعوب، بل وحتى على الملوك والأباطرة، وبخاصة في ذلك الصراع الطويل والمرير الذي خاضته البابوية ضد الأمبراطورية في القرون الأخيرة من العصور الوسطى، والذي استنفذ الكثير من طاقاتها وقدراتها وحتى من سمعتها ومهابتها. ومع ظهور العصور الحديثة برزت في أوروبا، وبصورة خاصة في مناطقها الغربية أشكال جديدة للحكم. فالحدود القومية أخذت تتوضح معالمها بصورة متزايدة وحلت في بلدان كثيرة محل الحواجز الطبقية التي كانت شائعة في ظل النظام الاقطاعي في العصور الوسطى. وبذا اتجهت شعوب أوروبية كثيرة نحو التجمع على أسس قومية وضمن حدود واضحة في وحدات سياسية مستقرة. وكان يرافق ذلك ظهور الملكيات القوية باعتبارها أكثر الأنظمة ملاءمة لأوضاع أوروبا آنذاك. ومع تزايد انتشار

هذا الشكل الجديد للدولة صار الأوروبيون منذ مطلع القرن السادس عشر يتصرفون كأمم ترتكز إلى دعائم قومية ويلتزمون بولاء كبير لدولهم ولحكامهم. وفي هذا الوقت بدت ظاهرة الدولة الملكية القومية أوضح ما تكون في إنكلترا وفرنسا وإسبانيا.

1.2 ظهور الدول القومية

تمتاز هذه الفترة بأحداث مهمة استمرت وتبلورت نتائجها حتى اليوم، فقد تمكنت الطبقة الوسطى من التحالف مع الملكية، لضرب الطبقة الإقطاعية التي كانت تعترض التقدم الذي كانت تنشده الطبقة الوسطى. وكان التجار يؤلفون جزءاً من هذه الطبقة المتوسطة التي لم تلبث أن أحرزت السيطرة في المجتمع بفضل تركيز النشاط الاقتصادي في يدها. ولما كانت التجارة والصناعة هما مصدر الثروة والقوة اللتين صارت تتمتع بهما هذه الطبقة المتوسطة، فقد قلت أهمية الأرض الزراعية التي كانت بمثابة الثروة التي يتمتع بها النبلاء والامراء في العصور الوسطى. ولابد لنا أن نلاحظ أن هناك ترابطاً بين السيطرة الاقتصادية والسيطرة السياسية. فالسياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة والترابط بينهما دائم ومستمر. ولذلك فبعد أن أصبحت الطبقة الوسطى هي المسيطرة اقتصاديا كان لابد لها أن تسيطر سياسياً.

وكان زوال النظام الإقطاعي بوصفه نظاما سياسياً، قد جعل الطبقة الوسطى تسعى إلى الاستئثار بكل السلطة والنفوذ وما لبثت أن وجدت أن الوسيلة لتحقيق ذلك هي إنشاء الحكومة المركزية القوية التي تستطيع وحدها تنشيط التجارة الوطنية بفتح الأسواق وتصريف المنتجات وتنظيم البلاد والمحافظة على الأمن وإعداد الجيوش للدفاع عن سلامة البلاد. ولقد كان للطبقة الوسطى من ثرائها وغناها ما يجعل الحكومة المركزية في حاجة مستمرة لمعونتها المالية حتى تستطيع تأدية واجبها على الوجه الأكمل. وبذلك تكون الطبقة الوسطى قد ضمنت السيطرة من خلال الحكومة المركزية (الملكية المطلقة). ولم تجد الطبقة الوسطى غضاضة في أن يتنازل الأفراد عن حرياتهم ويقبلوا الخضوع لسلطات ملك مطلق في نظير أن يسهر هذا الملك على مصالحهم، وعلى شرط ان يخضع هذا الملك المطلق بدوره لنفوذ أولئك الذين يتكفلون بنفقات الحكم الطائلة. ولقد ساعد على ظهور الدول القومية، إحساس أهل الإقليم الواحد بالمصلحة المشتركة إلى جانب الاتفاق في اللغة والجنس والدين وظهور ونمو الشعور القومي الذي أدى بدوره إلى زيادة التماسك بين أفراد الأمة والاعتزاز بهذه القومية الجديدة.

2.2 ظهور اللغات القومية

نال موضوع ظهور اللغـات القومية وتطورها اهتماماً كـبيراً من المؤرخين والعلماء فقد ذهب الإنسانيون في إعجابهم بالتراث القديم حداً كبيراً جعلهم يسعون إلى محاكاته في كل شيء، في الأفكار والمضمـون كما في الشكل وفي أساليب التـعبير. فـقد كانوا يصرون على تقليـد الأسلوب اللاتيني القديم في كتـاباتهم إعجابا منهم به. ومـا حاول أحد منهم في بدء عصر النهضة استعمال الإيطالية، لغة الجماهير السائدة، باعتبارها لغة العوام ولكونها برأيهم متخـلفة غير قادرة كاللاتينية القديمة، على احتـواء المعاني السامية والأفكار المعقدة.

إنما مع انتشار العلم والمعرفـة، خاصة بعد اكتشاف الطباعـة، بين مختلف فئات الناس والاهتمام المتزايد الذي أبداه سكان المدن بعامة تجاه العلوم والآداب والفنون، وجد جماعة الإنسانيين أنفسهم مسوقين بقـوة إلى استعمال العامية- الإيطالية - إذا هم أرادوا لكتابـاتهم رواجا وانتشـاراً. ذلك أن جمـاهير المدن ظلت في أغلبـيتـها تجهل اللاتـينية لصعوبتـها وتعقيد قـواعدها. وبسرعة مدهشـة فرضت اللغة الايطالية نفـسها على أدباء عصر النهضة وشعرائها كبديلة أو على الأقل كمساوية للغة اللاتينية تصلح للتعبير الأدبي والفلسفي والشعري، فاستعملها وبرع في مداولتها كتاب وشعراء كثيرون.

وما تم في إيطاليا حدث مثله في فرنسا حيث فرضت الفرنسية في القرن السادس عشر وجـودها كلغة أدب وثقافة واستعـملها مفكرون كبار مـثل مونتاني Montaigne. وفي إسبـانيا أكـد سرنتس في القـرن السادس عـشر وجود اللغـة الاسبـانية وأولويتـها ومرونتها باعتماده اياها في كتابه دون كيشوت.

والقومية الحديثة من القوى النشيطة في التاريخ المعاصر. ويرجع أصلها إلى القرن السادس عشـر، عصر التفكيـر الديمقراطي والحقوق الـطبيعية والـسياسية التي بـشر بها الفلاسفة الإنجليز ووسعها الفلاسفة الفرنسيون.

ولاشك ان الفكرة القـوميـة، تأخذ اشكالا مـختلفـة بحسب الظروف وبحـسب مراحل نموها وانتشارها. والجدير بالذكر أن هذه الدول القـومية لم تظهر فجأة بل كانت موجودة قبل أن تظهر بشكلها الجديد.

اذاً فالملكيـة المطلقة هي الطابع السيـاسي لعصر النهـضة الاوروبية، ولاسيـما في إنجلترا وفرنسا وإسبانيا. ولقد ساعد على نمو هذه الملكية التحالف الذي حدث بينها وبين

الطبقـة الوسطى وانهيـار النظام الاقطاعي نتـيجة لهـذا التحـالف، ولقد ساعـد التطور الاقتصادي وانتشار الأسلحة الملوك على الانتصار في حروبهم، مما مكنهم في النهاية من توحيد الأمة على أساس قومي.

وكان الطريق الوحيد المعقـول لخلق أمة موحدة هي خضوعها كلهـا بكافة طبقاتها لتشريعات وقوانين واحدة تصدر من هيئة عليا واحدة. وقبل أن يسدل الستار على عصر النهضـة الاوروبية كانت الملكيات المطلقـة في غربي أوروبا قد اسـتطاعت السيطرة على مقاليد الحكم وبخـاصة في انجلترا وفرنسا وإسبانيا والبـرتغال، وإليك، عزيزي القارئ، عرضاً مفصلاً لكل منها.

1.2.2 انجلترا

يمتاز تاريخ إنجلتـرا، عزيزي القارئ، بأنه أول نـظام ملكي مركزي، فـمنذ الفتح النورماندي سنة 1066 كانت أحوال إنجـلترا السياسيـة والحربية قد سـاعدت الملك وليم النورماندي على غزوها، وإخضاعها لسلطانه إخضاعاً تاماً.

على أن الحكم الاستـبدادي الذي أقامـه النورمانديون في إنجلتـرا لم يكن سوى نعمة خافية. وتفسير ذلك أن أوروبا كلهـا ابتليت منذ انهيار الامبراطوية الرومانية بحالة من الفوضى والحروب دون أن تجد لهذه الحالة علاجا. ولقد نجح النورمانديون في إيجاد حالة من الاستقرار في انجلترا.

وقد نجح وليم النورماندي في أن يأخذ جميع العصاة بشدة. وقام بفرض سيطرته على البارونات. وجـعل تمليك الإقطاعات في إنجلترا من حق التـاج مباشرةً في مـقابل الخدمـة الحربية في جـيش الملك. وجعل شـؤون القضاء في أيـدي رجاله وأدخل نظام المحلفين في المحاكم مما أكسب العرش هيبةً واحتراماً.

وأخمد الملك هنري الثاني ثورة إقطاعـية ضد الملكية سنة 1171، واضطر النبلاء بعدها إلى اعتـبار الحكومة الملكية حقيـقة لاسبيل إلى إنكارها. وأسهـموا بعد ذلك مع فرسان الأقاليم ونواب المدن في القيام بشؤونها. وقد ساعد على ظهور الحكومة المركزية القوية في العهد النورماندي، أن إنجلترا في ذلك الوقت كانت بلداً صغير المساحة يسهل على نواب الملك الإشراف علـيها وتنفيـذ رغباته في تأكـيد السلام. كـما ساعـد ظهور الطبقة الوسطى في إنجلترا الحكومـة المركزية على تنفيذ سياستهـا في تقييد حرية الإقطاع وتجريده من أسلحته.

وتدين انجلترا لعهد هنري الثاني (1154 - 1189) بسلسلة من الاتصلاحات الإدارية والقضائية، وعى منها الانجليز اربعة دروس عظيمة هي: ان دفع الضرائب التزام ضروري، وأن المحكمة تستمد سلطانها من الملك، وأن هناك قانوناً واحداً يسري على كل أنحاء البلاد، وضرورة التعاون في شؤون الحكم.

ويرجع إلى عهد هنري الثالث انتشار عقد البرلمانات التي جمعت بين فرسان الأقاليم ونواب المدن، وممثلي تغار رجال الدين، إلى جانب البارونات وكبار رجال الكنيسة. وكان مصدر القوة في هذه المجالس أن معظم أعضائها جاءوا من طبقة اجتماعية متوسطة ذات خبرة بالشؤون العامة في الأقاليم المختلفة.

كما ساعدت الإتصلاحات القانونية والإدارية على إذابة طبقة النبلاء النورمانديين وتحويلهم إلى طبقة أرستقراطية وطنية منسجمة مع سائر الطبقات. وزالت بذلك العقبة الكبرى التي كانت تعترض قيام أمة إنجليزية واحدة.

واذا كانت الصفة الاستبدادية هي التي لازمت الملوك النورمانديين وساعدتهم على تأكيد السلطة المركزية في البلاد، فإن الثورة التي شملت رجال الكنسية والبارونات وأهل المدن ضد الملك جون (1199 -1216) كانت البداية في قيام الحكم الملكي الدستوري في انجلترا. فقد تمكن زعماء الثورة من انتزاع العهد الأعظم Magna Carta سنة 1215 من الملك جون، وهو العهد الذي يعتبر أول القوانين العامة في الدستور الإنجليزي، وهو بحق حجر الزاوية في بناء الحريات الإنجليزية، كما يتضح من العهد الأعظم إجماع كلمة البارونات ورجال الدين والطبقة العامة على تقييد الملكية والحد من سلطاتها المطلقة.

ولقد ركز ملوك انجلترا كل همهم عقب انتهاء حروب المائة عام وحرب الوردتين على ضرورة إنهاء حالة الفوضى التي أحدثتها هذه الحروب. فقام هنري تيودور السابع (1485-1509) بتأسيس ملكية التيودور وبذلك أتبحت انجلترا ذات حكومة مركزية قوية مع بداية العصور الحديثة.

2.2.2 فرنسا

منذ مطلع القرن الحادي عشر وفي قلب العصور الوسطى دخلت الملكية الفرنسية في تراع مرير ومستمر مع النبلاء الإقطاعيين وذلك من أجل العمل على توحيد المملكة فعليا وجعل سلطان الحكومة المركزية يمتد، من فوق نفوذ الإقطاعيين إلى جميع أنحاء

النبلاء. وعندما انتقل عرش فرنسا إلى آل فالوا Valois، أضاف هؤلاء إلى السعي المستمر لتقوية سلطان العرش والدولة في الداخل مهمة أخرى أشد تعقيداً وأكثر صعوبة وهي العمل لتحرير أجزاء كبيرة من الأرض الفرنسية التي آلت إلى العرش الإنجليزي عن طريق الوراثة أو الزواج. ومن أجل تحرير هذه الأراضي كانت تلك الحرب الطويلة: حرب المائة التي خاضها الفرنسيون ضد الإنجليز. وبانتهاء هذه الحرب سنة 1453 كان الفرنسيون قد أخذوا كل أراضيهم -ماعدا مرفأ كاليه- من الانجليز. إلا أن الإنجاز الأهم والأعظم الذي تمخضت عنه هذه الحرب هو أنها صهرت الشعب الفرنسي ووثقت العلاقات بين أفراده برغم ما كان قد بقي في فرنسا من حواجز إقطاعية، وجعلته يتكتل ربما للمرة الاولى منذ قرون عديدة وراء ملوكه سعياً وراء قضية. وكان لكل هذا نتائج باهرة أهمها إبراز الوحدة القومية للأمة الفرنسية وتقوية الملك الفرنسي الذي كان يتصرف في أثناء الحرب الطويلة كزعيم وقائد أول لكل الأمة، وتوسيع نفوذه وتركيز سلطان دولته على حساب النبلاء.

وقد تأيد سلطان الملوك الفرنسيين في السنوات الأخيرة من هذه الحرب حينما حصل شارل السابع سنة 1429 من مجلس الطبقات على مكسب دستوري عظيم يسمح له بإنشاء جيش دائم وبجمع الضرائب من الشعب كل الشعب مباشرة، وهذه حقوق كان النبلاء يتمسكون بها لأنفسهم بحزم وعناد منذ ظهور الإقطاع.

إن الجيش الذي تركه شارل السابع وكذلك الخزينة دائمة الموارد مكنا ابنه لويس الحادي عشر من متابعة الصراع ضد النبلاء لانتزاع ما كان قد بقي لهم من امتيازات العصور الوسطى، وقد حقق الكثير في هذا المجال. كذلك تمكن هذا الملك خلال حكمه الطويل من ضم أراضي بورغنديا وبيكاردي حين توفي صاحبها شارل الجسور دون وريث سنة 1477 وكذلك ضم لفرنسا البروفانس سنة 1481، عند وفاة آخر ملوكها دون وريث مباشر.

وبذا حقق لويس الحادي عشر منجزات ضخمة، على الصعيد الداخلي في مجال التمكين لسلطان العرش على حساب النبلاء، وعلى الصعيد الخارجي عن طريق العمل على جعل فرنسا تستكمل وحدتها القومية. وعلى هذا فقد واجهت فرنسا بعد وفاته سنة 1483القرن السادس عشر وهي قوية متماسكة ذات نظام ملكي مركزي قوي يعمل بعناد وإصرار على تخليصها من آخر ما علق بها من رواسب العصور الوسطى.

3.2.2 اسبانيا والبرتغال

يرتبط قيام دولة إسبانيا المسيحية بالكفاح الصليبي ضد المسلمين الذين حكموا البلاد منذ القرن الثامن الميلادي. وكان تأسيس أول دولة مسيحية في شمال غربي إسبانيا، ثم لم تلبث أن توسعت حدودها في القرن التاسع وسميت مملكة ليون. وفي القرن العاشر استقلت قشتالة كدولة مسيحية جديدة، ثم ظهرت في الشمال مملكة نافار.

وفي القرن الحادي عشر انضمت ليون إلى قشتالة وتولت مملكة قشتالة أمر النضال ضد المسلمين، ثم النزاع بينها وبين مملكة أرغونة. واستمر هذا النزاع بينهما مدة حتى اتحدت أرغونة مع قشتالة عند زواج إيزابيلا صاحبة قشتالة من فردنند الثاني ملك أرغونة في سنة 1469. فكان هذا الزواج الأساس الذي قامت عليه وحدة إسبانيا. وفي السنوات التالية استطاعت الملكية أن تقوى على حساب النبلاء ورجال الدين، وانتهزت الملكية فرصة إدخال محاكم التفتيش إلى إسبانيا في سنة 1481فاستخدمتها في القضاء على اليهود وعلى المسلمين. وعندما سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في أيدي الملوك الكاثوليك سنة 1492 تم توحيد إسبانيا على أساس الملكية المطلقة ذات الحكومة الموحدة المركزية. ثم تمكن الملوك في آخر الامر من السيطرة على مجالس الشورى المعروفة باسم الكورتيز في كلٍ من قشتالة وأرغونة.

أما البرتغال فكانت في بادىء الأمر إحدى الإمارات التي خضعت لقشتالة. ثم استطاعت في بداية القرن الحادي عشر أن تتحرر من سيطرة قشتاله عليها، ثم نبذت سياسة قشتاله نهائياً على يد الفونسو الأول من أسرة يرجندي التي حكمت بين 1097-1383. وفي عهد الفونسو الأول تمكنت البرتغال من طرد المسلمين من لشبونة في سنة 1147 وما لبثت أن قامت الملكية البرتغالية التي استكملت توحيد البلاد وتوطيد حقوق العرش وبخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها مع الكنيسة، وفي بداية القرن الخامس عشر شرعت البرتغال في تأسيس إمبراطورية بحريةٍ كبيرة.

3.2 القومية في القرن التاسع عشر

يعتبر القرن التاسع عشر قرن الانتصار النهائي للقومية وانتقالها إلى مناطق أخرى من العالم غير الأوروبي. فلقد كان الصراع في سبيل القومية، أو إنشاء وحدة على أساس قومي، عاملاً حاسماً في حركات الأسر الحاكمة ودافعاً داخلياً في حياة جماهير

السكان على حد سواء. ولم يقتصر الشعور القومي على تلك المقاومة البطولية من جانب الشعوب الضعيفة ضد الاندماج السياسي، بل نلمسه أيضاً في حركات عاطفية تقوم على إحياء عادات ولغات وآداب وفنون كانت في سبيلها إلى الزوال. وهكذا أخذ كل شعب يحس بكيانه ويسعى إلى أن ينفض عن كاهله أي تسلط أو عدوان أجنبي وأن يقيم دولته الخاصة المستقلة التي يحكمها أبناؤها، ولهذا امتلأ التاريخ الأوروبي خلال القرن التاسع عشر بالثورات القومية الساعية إلى الاستقلال: فاستقلت بلجيكا عن هولنده في عام 1830 وثارت شعوب البلقان ضد الحكم العثماني وأقامت دولاً مستقلة هي: اليونان وبلغاريا ورومانيا والصرب. وسعى البولنديون إلى تحرير بلادهم التي اقتسمتها روسيا القيصرية والنمسا وبروسيا، كما سعى كل من الألمان والايطاليين إلى القضاء على السيطرة النمساوية وتوحيد شتى الامارات التي انقسمت اليها البلاد.

وبالاضافة إلى هذا فإننا نجد الشعور القومي لدى الشعوب الأقوى يثير مطامح غريبة عن «المصير» القومي وما يصاحبه من التطرف في الوطنية، وبذل القومية لمحاولات الخروج بها عن حدودها الطبيعية وضم الأقاليم القريبة أو البعيدة لشعوب غير راضية عن الاندماج وهو دليل على الانتقال من القومية إلى الاستعمار. فالهجوم على حريات الأجناس الأضعف واشتداد النزعات العدوانية أثار لدى الشعوب، المغالاة في الوعي القومي.

وقد أثار ذلك تسابقاً استعمارياً رهيباً بين الدول الأوروبية الكبرى أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى، خاصة وأن الثورة الصناعية كانت قد توطدت أقدامها في أوروبا الغربية فكانت عاملاً آخر من العوامل التي أدت إلى التسابق بين الدول الكبرى في سبيل الاستحواذ على المستعمرات.

4.2 تعميق الفكر القومي

من الصفات التي أطلقت على القرن التاسع عشر ، أنه قرن الحركات القومية، ولقد أدى انتصار ألمانيا في حروبها بين 1866 و 1880 إلى أن يصاب كثير من مفكري ألمانيا بمركب من مركبات التصاعد الذاتي القومي، حتى لقد خيل لبعضهم ان الله قد أعد الشعب الألماني ليحمل رسالة الحضارة والتقدم إلى مختلف أرجاء العالم، وأنه على العبقريات الألمانية أن تتولى مسئولية التخطيط لمستقبل العالم الزاهر، في وقت آذنت فيه

- بحسب اعتقادهم حينذاك - الإمبراطورية البريطانية أن تغيب، وان يصبح الألمان ورثتها. ومن منابر الجامعات الألمانية وعلى يد "هنريخ فون ترالشكة" ترددت مثل هذه الدعوات التي أثارت مخاوف الدول الأوربية وبخاصة تلك التي تجاور ألمانيا وتضع يدها على بلاد يسكنها ألمان مثل النمسا والمجر وسويسرا وإيطاليا. وأصبح من الممكن أن تستمر الإمبراطورية الألمانية الفتية في شن الحروب لاستكمال وحدة الألمان ولتكوين « الجامعة الألمانية ».

هذا بينما كانت الروح القومية في بريطانيا قد توطدت منذ وقت مبكر، وأدى الاتساع الشاسع المتزايد للإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار، والتقدم الصناعي والازدهار الإقتصادي والنظام الملكي البرلماني الديمقراطي الحزبي، الذي كانت تدعمه الحرية السياسية - أدى كل هذا إلى أن يشعر الإنجليز بأن مقوماتهم ومكانتهم أعلى وأسمى من أي من شعوب القارة الأوربية، حتى لقد ظهرت دعوات إلى أن تتحمل بريطانيا مسئوليتها نحو تحقيق «الإمبراطورية العالمية»، مما شجع على تأسيس « عصبة الاتحاد الفيدرالي الامبراطوري » .

وفي إيطاليا كانت الروح القومية متأججة بعد تلك الجهود الضخمة التي بذلت في سبيل تحقيق وحدتها التي تمت في عام 1880 بالسيطرة على روما، لتتطلع إيطاليا من بعد إلى تحقيق آمال كبرى لاتقوى بإمكانياتها ووضعها في القرن التاسع عشر على أن تحققها، ونعني بذلك استعادة مجد إيطاليا عندما كانت صاحبة واحدة من أعرق أمبراطوريات العالم،الأمبراطورية الرومانية.

أما فرنسا، فكانت روحها القومية قد ازدادت حدة بعد أن سلبتها ألمانيا إقليمي الإلزاس واللورين، وأصبح استرداد هذين الإقليمين جزءاً من الكرامة القومية الفرنسية، ففرنسا التي شاركت مشاركة فعالة في ظهور الدولة القومية الإيطالية، وكانت تؤيد الحركات القومية الأوربية، وحققت لإيطاليا وحدتها القومية بدماء الفرنسيين، أصبحت مهانة في كرامتها القومية، بعد أن سارت القوات الألمانية عبر شوارع باريس الكبرى، وأثارت شفقة خصومها الذين كانوا في نظرها أقل منها حضارة وثقافة وعراقة.

وفي البلقان، كان استقلال اليونان عن الدولة العثمانية الإسلامية حافزاً قومياً وصليبيا لبقية الشعوب البلقانية، لتحقيق استقلالها القومي. فتوالت الثورات حتى استقلت رومانيا وصربيا، وبلغاريا والجبل الأسود. وظهرت الدعوات القوية لتكوين

الجامعة السلافية التي كانت خطراً كبيراً على كيان الإمبراطورية النمساوية لما كان تحت يدها من ملايين السلاف، ولما أقدمت عليه من إعطاء المجريين كياناً ضمن المملكة الثنائية «النمسا - المجر» مرتكبة خطأ قاتلاً في عصر القوميات حين سلطت المجريين على الشعوب السلافية الواقعة في إطار الإمبراطورية (النمسا - المجر). وحين سيطرت على إقليمي البوسنة والهرسك في 1878 ثم ضمتهما إليها في 1908 مما أعطى الفرصة لإلهاب المشاعر القومية لدى الصرب وقيامها بتزعم حركة تحرير السلاف، وما نراه حاليا من مشاكل قومية في يوغوسلافيا إنما هو نتيجة لأخطاء سياسية قديمة.

وكانت بلغاريا مثل زميلاتها البلقانيات، متأججة القومية ضد الحكم العثماني. ثائرة عليه حتى نكبت الدولة العثمانية على يد روسيا وفرضت عليها معاهدة سان ستيفانو وظهرت بلغاريا الكبرى (1878)، وكان هذا أمل البلغاريين إلا أن الدول الكبرى المعادية لروسيا قلمت أظافر هذه الدولة البلغارية، فظلت آمال البلغاريين معلقة باسترداد ما كان لبلغاريا من اتساع حينذاك. كما كان من مظاهر نمو القومية البلغارية تخلص الكنيسة البلغارية من الإكليروس اليوناني وإحلال رجال الدين البلغار محله.

وعبر الأطلنطي كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد عبرت محنة قاسية (الحرب الأهلية 1861-1865) وأخذت الفوارق بين مختلف قوميات المهاجرين تزول وأخذت القومية في القارة الأمريكية تتأصل، لتنطلق من بعد لا إلى الدول الأقل تخلفاً والحديثة الاستقلال في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى فقط بل وإلى ما وراء ذلك.

وفي أقصى الشرق، كانت دولة تنهض على الأسلوب الأوروبي القومي، ونعني بذلك اليابان، ولقد وضع الشعب الياباني نفسه على الطريق الصحيح فنجح في مسيرته في وقت مبكر وقصير على عكس جارته الإمبراطورية الصينية الكبرى التي أصبحت نهباً للدول الكبرى بل واليابان من بعد.

وفي الشرق الأوسط كانت القومية المصرية تتأصل منذ بناء مصر الحديثة على عهد محمد علي، ولم تضعف هذه الروح برغم الاحتلال البريطاني منذ 1882.

ومن المظاهر التي رافقت نمو الحركة القومية معاداة سلطة الكنيسة الكاثوليكية السياسية ويقصد بها مناهضة الدور السياسي للكنيسة الكاثوليكية حتى تصبح الدولة هي المسؤولة عن أي نشاط غير متعلق بالنواحي الدينية. وقد كانت طبيعة هذه المعاداة

للكنيسة متغيرة من دولة لأخرى. وقد بدأت هذه الحركة بمطالبة رجال الثورة الفرنسية الكبرى بمصادرة أملاك الكنسية ثم العمل على الفصل بين الكنيسة والدولة وإخضاع رجال الدين للقوانين المدنية، وقد كان عدم اعتراف الكنيسة ومناهضتها للحركات الليبرالية والقومية وصدور مرسوم بابوي بهذا المعنى سبباً في اشتداد الصراع بين الكنيسة والحكومة، فقد تزعم رايكاليو فرنسا خلال الجمهورية الثالثة إبعادالكنيسة عن السياسة والتعليم، وظهرت حركة مشابهة في اسبانيا في 1873 وكذلك ظهرت في أمريكا اللاتينية.

وفي إيطاليا، ارتبطت حركة مناهضة الدور السياسي للكنيسة بالحركة القومية حتى فقد البابا سلطاته الزمنية في 1870 باستثناء منطقة الفاتيكان.

وفي المانيا على عهد بسمارك، التي كان نصفها كاثوليكيا ونصفها الآخر بروتستنتياً تصاعدت تلك الحركة وعرفت باسم الصراع حول المعتقدات.

والحق أن القرن التاسع عشر مليء بالنظريات السياسية، وبجدل رائع حول نظم الحكم الملائمة للعصر وللشعب، ففي الوقت الذي كانت فيه الرأسمالية والامبريالية تنمو بسرعة في أوروبا الغربية كانت النظريات الاشتراكية تظهر هنا وهناك في أوروبا حتى لقد ظهرت في فرنسا اشتراكية لها طابعها الخاص بلورها فيلسوفها سيسموندي، وحاول "لوى بلان" أن يثبت الجانب التطبيقي من نظريته الاشتراكية، وفي بريطانيا ظهرت الجمعية الفابية إلى جانب التجمعات العمالية، حتى ظهر حزب العمال امتداداً للنظام الحزبي البرلماني الانجليزي القائم على التنافس بين حزبين رئيسين.

ولقد كان النظام الحزبي البرلماني من النظم التي أخذت بها الدول الأوروبية بعد نجاحها الكبير في بريطانيا، ولكن ظلت فرنسا تعاني من تعدد الأحزاب، كما أن أحزاب المانيا ظلت ضعيفة أمام السلطات الحاكمة.

كذلك كان التوسع في منح حق الانتخاب من مظاهر تلك الفترة وصاحب ذلك كفاح من أجل المرأة للحصول على هذا الحق. (عبد العزيز نوار، 1982، ص14-17).

3. مؤتمر فينا ومبدأ القومية

أوجد نابوليون زمن حكمه الامبراطوري حالة شاذة في أوروبا لم يكن من المعقول أن تقبل بها أو تسكت عنها الدول الكبرى. فقد عمل على تغيير خريطة أوروبا السياسية بشكل جذري. ففرنسا اتسعت حدودها بشكل لم تعهده في أي عصر من عصورها، فأصبحت تضم زيادة على أراضيها الأصلية بلاد بلجيكا وكل الأراضي الواقعة بين الحدود الفرنسية ونهر الراين، وفي إيطاليا استولى على كل الساحل الايطالي من الحدود الفرنسية حتى روما. كما أنه جعل من ابنه ملكاً على المدينة المقدسة. وبذلك ارتفع عدد المديريات الفرنسية من ثلاث وثمانين إلى مائة وثلاثين مديرية.

ولم يكتف بأن وسع الحدود الفرنسية على هذه الصورة بل أخذ يغير معالم الدول الأوروبية بما يتناسب مع مصالحه. فسويسرا بقيت جمهورية في الشكل الا انها صارت تابعة له بالفعل. أما في بولونيا فقد أقام دوقية فرسوفيا وأعطاها لصديقه ملك ساكسونيا متجاهلاً ما لبروسيا والنمسا من مصالح وأطماع تاريخية في بولونيا.

وفي ألمانيا فقد أقام بين الأراضي التي ألحقها بفرنسا وبين أراضي بروسيا والنمسا دولة شكلها من عدد من الدويلات الالمانية أسماها «اتحاد الراين». وقد جعل الدولة المذكورة تحت حمايته. وفوق كل ذلك تجاهل حقوق عائلات مالكة أوروبية تعود إلى قرون عديدة وأعطى عروشها لإخوته وأقربائه. فقد أعطى أخاه جوزيف عرش نابولي ولويس عرش هولندا وجيروم عرش وستفاليا. (نور الدين حاطوم، 1967، ص190-193).

أما شقيقته كارولين فقد أهدى زوجها مورا عرش نابولي، أما لومبارديا والبندقية ومعظم أملاك البابا السابقة ضمها في مملكة واحدة وجعل نفسه ملكاً عليها الا أنه كلف بإدارتها نيابة عنه (يوجين بوهارنية) ابن زوجته الاولى جوزفين. وأخيراً لم يفته أن يعطي خاله مركزاً يليق به فجعله كاردينالا.

ومن خلال هذه الصورة نرى لأوروبا السياسية زمن نابليون خريطة تختلف اختلافاً كبيراً عنها قبل الثورة الفرنسية بل إن عدم التوازن الساسي في القارة وهيمنة فرنسا على امورها يظهران بوضوح. وهذا يتعارض بشكل أساسي مع مصلحة الدول الكبرى وبخاصة إنكلترا وروسيا. ولعل هذا يوضح لنا الضراوة التي قاتلت بها دول

أوروبا، الثورة الفرنسية ونابوليون طيلة ثلاث وعشرين سنة. وقد خلف بونابرت في أوروبا للدول الكبرى آثاراً أشد خطراً وأكثر بقاء في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

فالغزو العسكري الفرنسي كان يتبعه إنشاء حكومة وطنية متعاونة مع الفرنسيين تبادر فوراً إلى سن دستور جديد للبلد يحدد سلطات الحكومة ويصون حقوق المواطنين. ولما كان نابوليون مؤمناً أشد الإيمان بسيادة القانون فقد كان يعطي هذه البلدان مع الدستور الجديد القانون المدني الفرنسي الذي هو من إنتاج الثورة الفرنسية. وفي مرحلة تالية كان يباشر في هذه البلدان حركة إصلاح داخلي شبيهة بتلك التي أحدثتها الثورة في فرنسا. فامبراطورية نابوليون يمكن اعتبارها من هذه الناحية الوارثة الأمنية للثورة ولربيبتها الجمهورية الفرنسية.

كانت اصلاحاته توجه ضد كل ما هو إقطاعي، فأعطت المساواة للجميع وقضت على نظام الطبقات في المجتمع لتجعله يتألف من أفراد متساويين في الحقوق والواجبات، كما أفقدت النبلاء امتيازاتهم، وفي كل مكان من أوروبا خضع لنفوذ نابوليون أضاعت الكنيسة بعض نفوذها وامتيازاتها، فالغي سلطانها وقيدت محاكمها وألغيت ضريبة الأعشار وصودرت أملاك الكنيسة وبات التسامح الديني هو القاعدة، والقانون يتساوى في ظله المؤمن والكافر والكاثوليكي وغير الكاثوليكي.

وبصورة عامة لقد عمل نابوليون في كل بلدٍ ضم إلى الامبراطورية على إدخال المبادىء الأساسية للثورة الفرنسية، وقد وجد نابوليون في كل مكان تقريباً أنصارا ومؤيدين لإصلاحاته من أبناء الطبقات المستنيرة المتشبعة بمبادىء القرن الثامن عشر التحررية. وسنرى فيما بعد أن هذه الإصلاحات قد خلفت أثراً بعيداً للغاية في إيطاليا وفي جنوب ألمانيا مما سيكون له أبعد الأثر في تطور البلدين السياسي.

وحتى البلدان التي لم تخضع لحكم نابوليون المباشر كبروسيا وروسيا فقد حدث فيهما تجديد أو محاولة تجديد للدولة لم تكن بعيدة عن روح الثورة الفرنسية ومبادئها.

وعقب انهيار الإمبراطورية كان لابد أن يرفض سادة أوروبا المنتصرون إبقاء خريطة أوروبا النابولونية وأن يصروا على إعادة الاوضاع إلى ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية أو على الأقل إلى أوضاع أكثر ما تكون ملائمة لمصالحهم. ليس هذا فقط بل أنه بدا

لهم من الضروري القضاء على كل التيارات القومية والجمهورية والتقدمية التي أثارها نابوليون في البلدان التي خضعت لحكمه. ولما كانت معاهدة باريس الأولى قد نصت على عقد موتمر عام للصلح في مدينة فينا لحل جميع مشاكل القارة المعلقة، فقد توافد إلى عاصمة النمسا ملوك وأمراء يمثلون كل بلدان أوروبا. وحتى أولئك الذين زالت إماراتهم فقد حضروا ايضاً في محاولة لجعل المؤتمر يعيد لهم دولهم أو على الأقل للحصول على تعويض عما فقدوه. وقد بلغ عدد الوفود 216 وفداً.

1.3 أعمال المؤتمر

أمام صعوبة التوفيق بين رغبات ومصالح هذا العدد الضخم من الحكام اتبعت خطة عمل تقضي بأن يجتمع ممثلو الدول الكبرى الأربع روسيا، بروسيا، انجلترا والنمسا في اجتماعات سرية ثم يبلغون المقررات لمندوبي الدول الأخرى. وقد اعتبرت فرنسا في البداية من الدول المستبعده إلا أن الرغبة في مراعاة جانب لويس الثامن عشر ومساعدته في تثبيت دعائم حكمه ومهارة تاليران النادرة كل ذلك جعل فرنسا تشترك في إرضاء الدول الكبرى.

اتضح من مجرى المناقشات أنه كانت هناك أهداف عامة اتفق الجميع على ضرورة تحقيقها في أوروبا وأخرى تخص كل دولة على حدة وهذه كانت مثار نزاعات وخلافات لاحدّ لها.

أما الأهداف المشتركة بين الجميع فيمكن تلخيصها بما يلي:

- القضاء على الأنظمة الثورية الجمهورية في أوروبا كلها والعمل على التخلص من كل الأفكار الجديدة أينما وجدت لمنع تكرار أحداث الثورة الفرنسية.
- السعي إلى تقوية العروش الملكية وإعادة أصحابها إلى سلطانهم القديم أينما أمكن ذلك والعودة إلى الأنظمة الاجتماعية التقليدية.
- العمل على إضعاف فرنسا سياسيا وعسكريا لمنعها من تهديد أمن اوروبا وسلامها.

وإلى جانب هذه الاهداف كانت للدول الكبرى بصورة خاصة أهداف ومطامع متضاربة ومتنافرة لحد بعيد وهذا ما اتضح وهدد بفشل عقد المؤتمر سنة 1814 مما شجع نابوليون على ترك منفاه والعودة إلى باريس وقيام حكم المائة يوم. وسنعرض باختصار أهداف كل من الدول الكبرى ومصالحها.

1- **الأهداف الفرنسية**: كان تاليران، ممثل فرنسا في المؤتمر يريد أن يعيد لبلاده مكانتها الدبلوماسية واعتبارها كدولة كبرى. ولتقوية ثقة الدول بها أعلن تنازلها بصورة نهائية عن كل مطلب لها في الأراضي التي احتلها نابوليون، كما أعلن تمسكه بمبدأ شرعية النظام الملكي والأنظمة التقليدية الموروثة. وكانت فرنسا أيضا تريد إضعاف النفوذ النمساوي في إيطاليا قدر الإمكان.

2 - **الأهداف الإنكليزية**: كانت ترمي إلى المحافظة على سيطرة إنكلترا على البحار وعدم بحث هذا الموضوع إطلاقاً كما كانت تريد إحاطة فرنسا من جميع جهاتها بدول قوية لمنع توسعها في المستقبل. وكانت تريد أن تضع حداً لمطامع روسيا في السيطرة في أوروبا أو الشرق.

3- **الأهداف النمساوية**: كانت النمسا تدرك صعوبة استعادة مكانتها القديمة بعد هزائمها على يد الفرنسيين ولذا فقد اكتفت بالمطالبة بالمحافظة على أراضيها وصيانة مصالحها القديمة في إيطاليا كما أبدت رغبتها بعدم السماح لروسيا بالسيطرة على بولونيا.

4- **الأهداف الروسية**: كان قيصر روسيا يطالب بأن تكون بولونيا له وبأن يعترف له بالزعامة على أوروبا كلها. وكان يريد أن يتألف حلف عام من الدول الاوروبية الكبرى بزعامته وذلك لتأمين السلام والإبقاء على الملكية وعلى نظم الحكم التقليدية.

5- **الأهداف البروسية**: طالبت الحكومة البروسية بالتوسع في الأراضي الألمانية كما أظهرت رغبة شديدة في الحصول على مقاطعتي الإلزاس واللورين الفرنسيتين، بينما كان الشعب البروسي يطالب بالسعي لتوحيد الدول الألمانية في دولة قوية شاملة أو على الاقل اختصار عدد الدويلات الألمانية قدر الامكان.

وأمام تعارض مصالح الدول الكبرى طالت المفاوضات كثيراً وامتدت من منتصف أيلول/ سبتمبر سنة 1814 حتى آذار/ مارس سنة 1815. والواقع أن مؤتمر فينا كان في الأغلب سلسلة من المفاوضات السرية بين الدول الكبرى لعب فيها مندوبو الدول الصغرى دور المتفرج. وكانت أكثر القضايا إثارةً للخلاف هي مسألة مصير بولونيا وساكسونيا مما أدى إلى تأزم الموقف وانقسام الدول الكبرى إلى معسكرين: روسيا وبروسيا اتفقتا على ان تأخذ الاولى بولونيا والثانية ساكسونيا. ومن جهة اخرى كانت انكلترا والنمسا تعارضان ذلك. إلا أن عودة نابوليون من منفاه جعلت الدول الكبرى

أكثر ميلا للتفاهم. وأخيراً وفي 9 حزيران/ يونيو سنة 1814 كانت الدول الكبرى قد توصلت إلى تسوية فيما بينها وأعلنت المقررات النهائية للمؤتمر ودعيت الدول الصغرى للموافقة عليها.

2.3 مقررات مؤتمر فيينا

ويمكن تلخيص هذه المقررات بما يلي:

1- أعيدت فرنسا إلى ماكانت عليه قبل الثورة ولكن سمح لها بالاحتفاظ بمدينة أفينيون. إلا أنها أحيطت بسلسلة من الدول المستقلة لتحول دون توسعها في المستقبل. فقد ضمت هولندا وبلجيكا في دولة واحدة وأعطي عرشها لآل أوروانج وأعطيت نيس وسافوي إلى سردينيا. كما ضمن المؤتمر سلامة وحدود سويسرا.

2- حصلت إنكلترا على مكاسب فقط في المستعمرات فأخذت: مالطة ورأس الرجاء الصالح وغيانا وترينيدا وجزيرة سيلان.

3- أخذت بروسيا قسما من أراضي سكسونيا وقسما من بولونيا ووستفاليا.

4- حصلت النمسا على بعض المكاسب في إيطاليا فاحتلت لمبادريا والبندقية.

5- أخذت روسيا أراضي فنلندا وبسارابيا العثمانية. وما تبقى من بولونيا جعل دولة مستقلة عين ملكا لها قيصر روسيا.

6- الممالك الألمانية التي أقامها نابوليون لم ترد إلى أصلها إنما أصبح عددها 38 ضمت في اتحاد ألماني لضمان سلامتها الداخلية وحدودها.

7- فيما يختص بإيطاليا أعيدت للبابا أملاكه وكذلك الأمراء الإيطاليون الذين طردهم نابوليون أعيدوا إلى إماراتهم ما عدا تلك التي اعطيت للنمسا أو سردينيا.

8 -أخذت أراضي النرويج من الدانمارك وأعطيت للسويد. (عبد المجيد نعنعي، 1978، ص324).

وقد ألحقت بهذه المقررات معاهدة باريس الثانية.

وهكذا نرى أن زعماء أوروبا قد أعادوا رسم خريطة أوروبا آخذين بعين الاعتبار مبدأين أساسيين: العودة إلى الشرعية القديمة متى أمكن ذلك والمحافظة دوما على التوازن بين دول القارة بحيث لاتتجدد تجربة الإمبراطورية الفرنسية. والواقع أن الخوف من التجربة الفرنسية والرغبة في تجنب الثورات حتى ولو أدى ذلك إلى معارضة مبدأ

القوميات ورغبات الشعوب، هما اللذان حددا الخطوط الرئيسة لخريطة أوروبا السياسية لما بعد سنة 1815.

وكان لشخصية مترنيخ (1773-1859) Metternich مستشار النمسا، أثر واضح في توجيه سياسة المؤتمر حتى أنه يطلق على هذه الفترة (عصر مترنيخ)، فكان يؤمن بأن السلام والأمن لن يتحققا لدول أوروبا إلا بالمحافظة على حقوق الملوك الشرعية، وقد استخدم لإحكام سيطرته على النمسا والمانيا وإيطاليا وغيرها من بلاد أوروبا أساليب التجسس والرقابة على الصحف والقمع المسلح لكل الحركات الحرة، وانتهى نفوذه بقيام ثورات 1848 مما اضطره إلى الفرار من فينا.

وأمام الخوف من تجدد الثورة وللحد من المبادىء الحرة فقد بادرت الدول الكبرى إلى اتخاذ الترتيبات التي رأتها كفيلة بتحقيق هذه الغاية وهي:

1.2.3 التحالف المقدس

وقعت عليه كل من بروسيا وروسيا والنمسا في 26 ايلول/ سبتمبر سنة 1815 ثم انضمت اليه فرنسا فيما بعد. وكان القيصر هو صاحب فكرة هذا التحالف. وأهم مبادئه: التعهد بتطبيق مبادىء الدين المسيحي والتقيد بمبادىء العدل والمحبة والسلام في العلاقات بين الدول. ويعتبر الملوك الموقعون انفسهم كأنهم رسل الله على الارض وبما أن الله هو الذي أنشأ الانظمة الاجتماعية القائمة والفروق بين الطبقات. فإنهم يعتبرون أنفسهم ملزمين بالدفاع عن الانظمة وعن الفروقات الطبقية.

وبرغم الإطار الديني لهذا التحالف فانه لم يكن في الواقع سوى تعبير عن رغبة ملوك أوروبا بالقضاء على كل محاولة ديموقراطية أو جمهورية تحررية في أوروبا والعالم.

والواقع أن فكرة التحالف المقدس كانت خيالية وغير عملية بل كانت تعارض كل الأماني الشعبية السائدة في تلك الأيام. ثم أن صدور الفكرة عن قيصر روسيا المعروف برجعيته ومطامعه الواسعة في أوروبا جعل الشكوك تنتشر حول الغاية من هذا التحالف. ولم يوقع عليه الإنكليز لاعتبار مبادئه غامضة وغير عملية، ولعدم ثقتهم بقدرته على مواجهة الأوضاع الجديدة في أوروبا التي قامت بسبب الآثار الفكرية والاجتماعية المتحررة التي أوجدها نابوليون في أوروبا في كل مكان حلت فيه جيوش فرنسا الثورة.

وكانت نتيجة هذا التحالف خنق الحياة الفكرية في المانيا بعد سنة 1815 وقمع الحركات الدستورية والقومية في إيطاليا وإرجاع إسبانيا إلى الحكم الملكي المطلق ومحاولة القضاء على الحركات الاستقلالية في أمريكا الجنوبية مما سبب لأوروبا فيما بعد الكثير من الثورات والاضطرابات.

2.2.3 التحالف الرباعي

وفي 20 تشرين ثاني/ نوفمبر سنة 1815 وقعت الدول الأربع الكبرى: روسيا وبروسيا والنمسا وانجلترا تحالفاً رباعيا الغاية منه دعم مقررات مؤتمر فينا والعمل على المحافظة على الوضع الراهن في أوروبا ولو بالقوة العسكرية لمدة عشرين سنة. كما أنه يهدف إلى منع انتشار المبادىء الاجتماعية والاقتصادية للثورة الفرنسية. وقد نص التحالف على عقد اجتماعات دورية للمشاورة في الشؤون الأوروبية. وقد لقي هذا التحالف معارضة شديدة من الرأي العام البريطاني مما جعل الحكومة البريطانية تتخلى عنه تدريجيا فيما بعد.

يمكن اعتبار مقررات مؤتمر ڤينا والمعاهدات الملحقة به أعظم اتفاق ديبلوماسي أمكن الوصول اليه في أوروبا منذ صلح وستفاليا سنة 1648. وقد كان لهذه المقررات نواحٍ ايجابية هامة. لقد قبل الفرنسيون بنتائج موتمر ڤينا لأنها أنزلت بفرنسا أقل قدر ممكن من الخسائر. يضاف إلى ذلك ان مقررات المؤتمر قد أوجدت حلا للمشلكة البولونية التي ظلت طيلة القرن الثامن عشر مثار خلافات وحروب في أوروبا. كما أنها خففت من حدة الصراع لمدة خمسين سنة تقريباً بين بروسيا والنمسا على الزعامة بين الدول الالمانية.

إلا أنه إلى جانب هذه النواحي الإيجابية فقد كان للمقررات نواحٍ اخرى سلبية كثيرة. فدعاة القومية والحكم الديموقراطي قد أصيبوا بخيبة أمل في كل مكان من أوروبا وخاصة في ألمانيا. فقد أغفلت قرارات المؤتمر مبدأ القومية الذي بلغ أوج ازدهاره في القرن التاسع عشر، فاستيقظت شعوب أوروبا على مبادئ الثورة الفرنسية وأخذت تطالب بحقها في الحرية والديمقراطية والوحدة القومية. كما أن رسم الحدود بين الدول وتوزيع المناصب والمكاسب قد تم دون الأخذ بعين الاعتبار إرادة شعوب هذه البلدان ومصالحهم القومية والاقتصادية، ولعل مرد ذلك إلى أن الذين أشرفوا على أعمال المؤتمر كانوا من خصوم الأفكار القومية والديموقراطية وهما القوتان الاكثر فعالية في العصر التالي للمؤتمر.

وبصورة عامة ومهما كانت الانتقادات التي وجهت إلى أعمال المؤتمر فإنه وفق في تحقيق غايته الاساسية وهي اقامة سلم دائم يرمي إلى توازن في القوى بين دول اوروبا. وقد حصلت أوروبا بالفعل على ذلك السلم الذي استمر حوالي نصف قرن لم تعكر صفوه إلا حركات ثورية جزئية قامت سنة 1830 وسنة 1848.

تدريب (1)

أغفلت تسويات مؤتمر فينا عام 1815 مبدأ القومية المزدهر في ذلك الوقت، مما هيأ الظروف لتجدد الثورات، اشرح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- اشرح دور الطبقة الوسطى في ظهور الدول القومية.

2- يعتبر العهد الاعظم «ماجنا كارتا» وهو الحكم الملكي الدستوري في انجلترا الصادر عام 1215 أول القوانين الدستورية في أوروبا، اشرح ذلك.

4. التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية

1.4 ثورات 1830م

في سنة 1830 قامت سلسلة من الثورات والحروب الداخلية انتشرت في أكثر البلدان الأوروبية كرد فعلٍ للسياسة الرجعية المحافظة وما يرافقها من ضغط وتدخل في شؤون الدول الصغرى من قبل ميترنيخ وزير خارجية النمسا وقيصر روسيا بصورة خاصة. وفي كل البلدان التي قامت فيها الثورة كان هدف الاحرار إقامة حكم دستوري يضمن للمواطنين حقوقهم في الحرية والمساواة وتقرير مصيرهم. ذلك أن نابوليون بونابرت زرع في كل بلد دخلته الجيوش الفرنسية زمن الامبراطورية مبادىء الثورة الفرنسية. وكانت الطبقات البورجوازية في كل واحدة من هذه البلدان هي التي تتولى الدفاع عن مبادىء الثورة الفرنسية وتقوم بالدعوة لها. ثم إن مبدأ القوميات قد لعب أيضاً دوراً كبيراً في ثورات سنة 1830 وخاصة في البلدان التي اخضعت للحكم الأجنبي بموجب مقررات مؤتمر ڤينا كبلجيكا وبولونيا مثلاً.

وقد اتخذت هذه الثورات شكلاً عنيفاً في بعض البلدان كفرنسا ودول أوروبا الشرقية. وسنستعرض هنا، عزيزي القارئ، أهم أحداث سنة 1830.

1.1.4 الثورة في فرنسا

قضى مؤتمر ڤينا بعودة الملكية إلى فرنسا وارتقى عرش باريس لويس الثامن عشر متعاوناً مع أعداء فرنسا في الخارج، فأخذ يعود بالبلاد تدريجياً إلى الحكم الملكي المستبد. كما أنه ترك أعوانه يضطهدون أنصار نابوليون ويلاحقونهم وسمح للكنيسة بأن تسترد بعض نفوذها الذي فقدته زمن الثورة. وقد أساءت هذه السياسة كثيراً إلى مشاعر الفئات الوطنية من الفرنسيين. وبرغم أنه عمل في أيام حكمه على جعل فرنسا تستعيد مكانتها كدولة كبرى في أوروبا إلا أن عدد الأحرار ونوابهم في البرلمان كان في تزايد مستمر. ولما توفي سنة 1824 كانت الرجعية قد تمركزت في كثير من مراكز القوة في الجيش والادارة بحيث صارت لها يد قوية في تقرير شؤون البلاد. خلفه على العرش شقيقه شارل العاشر فأطلق العنان للسياسة الرجعية وأعاد للكنيسة نفوذها القديم ووضع التعليم في أيدي الجيزويت المشايعين للملكية المطلقة وأعطى من هاجروا من الأشراف زمن الثورة تعويضات كبيرة عن أملاكهم التي فقدوها.

هذه السياسة المتطرفة أثارت نقمة الأحرار واشمئزاز الملكيين الدستوريين. وفي سنة 1829 عين بولينياك (Polignac) سفير فرنسا في لندن والمعروف بعدائه الشديد للنظم المتحررة رئيساً لوزارته. وحكم البلاد سبعة أشهر دون أن يجمع البرلمان. وفي الجلسة الأولى التي اجتمع فيها النواب في آذار/ مارس سنة 1830 طالب المجلس بمشاركة الحكومة في السلطة. فغضب الملك وأمر بحل البرلمان، إلا أن الانتخابات التي جرت بعد ذلك أعطت الأحرار نصراً قوياً وزاد عدد نوابهم خمسين نائباً.

لقد رد الملك على ذلك فأصدر أربعة مراسيم قضت بحل المجلس الجديد وتقييد حرية الصحافة وتعديل قانون الانتخاب بحيث أصبح أكثر الناخبين من فئة ملاكي الارض.

وفي 27 تموز/ يوليو تم التفاهم بين الجمهوريين والجمعية العمالية على ضرورة اللجوء إلى العصيان المسلح. وفعلاً نزل العمال والطلاب إلى الشوارع وأقاموا المتاريس كما أغلقت المصانع أبوابها وجرى توزيع الأسلحة على الناس من قبل الصناعيين. وفي 28 تموز/ يوليو احتل الثوار قصر الملك (التويلري) وسيطروا على باريس كلها. وحاول الملك استرضاء الجماهير بالعودة عن مراسيمه الأربعة إلا أن رجال الثورة أصروا على خلعه فهرب شارل العاشر إلى الخارج.

ولما فرغ عرش فرنسا لم يحاول أحد اقامة الجمهورية وذلك لكون أوروبا وبخاصة النمسا وروسيا ما كانت على استعداد إطلاقاً لقبول جمهورية فرنسية آنذاك.

دعي لوي فيليب (دوق دورليان) وهو قريب شارك العاشر ومن عائلة البوربون ومن أشد أنصار حزب الأحرار في فرنسا، من قبل البرلمان ليكون «ملكا على الفرنسيين» في ظل العلم المثلث الألوان وليس في ظل العلم الملكي. وقد بادر فور انتخابه إلى استرضاء الناقمين فعدل الدستور جاعلاً الحكومة مسؤولة أمام البرلمان وألغى الوراثة في مجلس الأعيان وعدل قانون الانتخاب لمصلحة الطبقة المتوسطة صاحبة الفضل في حمله إلى العرش.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن دول أوروبا الرجعية لم تتمكن من التدخل بسبب سرعة الأحداث. إذ تم القضاء على النظام القديم خلال ثلاثة أيام فقط يسميها الفرنسيون «الأيام المجيدة». ثم إن النظام الذي قام مكانه هو نظام ملكي تقليدي. وفوق

ذلك فإن إنكلترا كانت تعارض أي تدخل من جانب النمسا وروسيا في الشؤون الفرنسية لكي لايفسح لهما المجال لتحقيق مكاسب إقليمية على حساب فرنسا أو أي منطقة أخرى من أوروبا. كما أنها كانت تخاف أن يؤدي مثل هذا التدخل إلى ازدياد نفوذهما في أوروبا عامة.

2.1.4 ثورة بلجيكا

لقد قضى مؤتمر ڤينا بأن تضم بلجيكا وهولندا في دولة واحدة عين عليها (وليم أورانج) ملكا. ولم يكن قرار المؤتمر حكيما لأنه تجاهل الفروقات اللغوية والدينية التي تفصل بين الشعبين. وكان الملك الجديد متحيزا للهولنديين مستبداً في إدارة شؤون الحكم مما جعل البلجيكين ينفرون منه ويكرهون الهولنديين وخاصة حينما حاول أن يفرض اللغة الهولندية في مدارسهم.

وفي سنة 1830 اتفق الحزب الكاثوليكي وحزب الاحرار وهما أكبر أحزاب بلجيكا على الثورة، فأعلناها في بروكسل في آب/أغسطس سنة 1830، وبسرعة كبيرة عمت جميع أنحاء البلاد. وحين تدخل وليم مرسلا جيشا لإعادة احتلال العاصمة أبدى الأهالي مقاومة شديدة أجبروه على الانسحاب بعد أربعة أيام، وإن انتصار البلجيكين هذا شجعهم على المضي في تمردهم فشكلوا حكومة مؤقتة دعت لانتخاب مجلس نواب أعلن استقلال البلاد.

إلا أن الملك وليم لم يقبل بالأمر الواقع بل أخذ يطالب دول التحالف الرباعي أن تساعده ضد الثورة. ولما كانت روسيا مهتمه بمشاكلها وكانت النمسا تراقب الثورات في إيطاليا، وإنكلترا مهتمه بمشاكلها الداخلية، وفرنسا تعارض أي تدخل في بلجيكا فقد بقي نداؤه دون جواب. . .

والواقع أن فرنسا كانت راضية أشد الرضى عن الثورة البلجيكية لأنها رأت فيها بداية تفكك مقررات مؤتمر ڤينا. وبرغم أن بعض الوطنين الفرنسيين رأوا ضرورة ضم بلجيكا لفرنسا لما بين البلدين من رابطة دينية ولغوية وحدود مشتركة فإن الحكومة وقفت موقف المعتدل وأعلنت عزوفها عن التدخل وذلك تفاديا لإثارة المشاكل مع إنكلترا. وأمام عدم تدخل الدول الكبرى في شؤون بلجيكا فقد انتصرت فيها الثورة ودعمت قواعدها.

وفي سنة 1831 اجتمع في لندن مؤتمر للدول الكبرى الخمس فأعلن الهدنة العسكرية والغى اتحاد بلجيكا وهولندا ووافق على تعيين الملك ليوبولد- وهو أمير ألماني كان زوجا سابقاً لابنه ملك إنكلترا وكان في لندن - ملكا على عرش بروكسل كما أعلنت الدول الكبرى اتفاقها على حياد بلجيكا وضمانها له. وقد ظل هذا الحياد قائماً حتى سنة 1914 حين خرقته الجيوش الألمانية.

ولما كان ملك هولندا غير موافق على استقلال بلجيكا فقد أرسل جيشا لاحتلالها إلا أن الجيوش الفرنسية تولت طرد الهولنديين وتثبيت دعائم العرش البلجيكي خاصة وأن ليوبولد كان قد تزوج من ابنه لوي فيليب ملك فرنسا. (عبد المجيد نعنعي، 1978، ص330-332).

3.1.4 ثورة بولونيا

كان هدف الثورات في أوروبا الغربية الإصلاح الدستوري والعمل على ضمان الحريات العامة، أما في بولونيا فالغاية كانت قومية تحررية. ذلك أن مؤتمر فينا قد قضى بجعل بولونيا دولة مستقلة يحكمها قيصر روسيا. والواقع أن قضية الاستقلال كانت شكلية ذلك ان البلاد كانت تحت الحكم الروسي المباشر، وقيام الثورة في فرنسا سنة 1830 دفع الحركات الوطنية البولونية للتحرك. وقد أعلن في هذه السنة بعض الضباط الوطنيين البولونيين في الجيش الروسي الثورة في فرصوفيا، ومنها امتدت بسرعة كبيرة إلى المدن والأرياف. ثم قامت في البلاد حكومة بولونية مؤقتة طلبت من الدول الغربية مساعدتها ضد القيصر، إلا أن فرنسا وانكلترا كانتا تهتمان آنذاك بالمشكلة البلجيكية، والنمسا وبروسيا كانتا تريدان انتصار القيصر الروسي لكي لايثير نجاح الثورة في فرصوفيا مشاكل في الأراضي التي تسيطر عليها الدولتان.

وبذلك تُرك البولونيون وجها لوجه أمام عدوهم القيصر الروسي. فاجتاحت الجيوش الروسية حدود بولونيا في شباط/ فبراير 1830. وقد دامت الحرب سبعة أشهر أبدى خلالها الثوار البولونيون شجاعة نادرة إلا أنهم هُزموا في النهاية أمام جيوش القيصر.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الهزيمة البولونية لم تكن بسبب ضعف الجيش البولوني وقلة عتاده بقدر ما نتجت عن خلافات زعماء الثورة فيما بينهم. ثم إن بعض

الزعماء الأرستوقراطيين تعاونوا مع القيصر بسبب كرههم للعمال الذين كانوا شديدي الحماس للثورة والاستقلال.

وأدى فشل الثورة إلى هجرة حوالي عشرة آلاف بولوني أكثرهم من العلماء ورجال الأدب والفن والفكر استقر أكثرهم في فرنسا وأخذوا يعملون بقوة لقضية بلادهم.

4.1.4 ثورات ايطاليا

كان لثورة 1830 الفرنسية ردود فعل قوية في إيطاليا التي كانت شديدة التأثر بكل ما يحدث في فرنسا. ولذا فقد قامت الثورة في مودينا، وفر حاكمها المعين من قبل مؤتمر فينا وأعلنت البلاد دولة حرة. كما قامت ثورات مماثلة في بعض الولايات البابوية. إلا أن ميترنيخ وزير خارجية النمسا المعروف بعدائه للمبادىء الحرة لم يقبل بهذه الأحداث وخاصة أنه كان يخشى امتدادها إلى الولايات الايطالية الخاضعة لحكم العرش النمساوي فأرسل جيوشاً قضت على الثورات وأعادت الحكام الشرعيين إلى عروشهم.

5.1.4 حوادث سويسرا وانكلترا

لم تمر احداث سنة 1830 في أوروبا دون أن تخلف آثارا في سويسرا وإنكلترا، إنما تمت أحداث البلدين ضمن إطار الشرعية وبعيدة عن العنف والثورة.

ففي سويسرا تأثر الشعب إلى حد كبير بأحداث فرنسا المجاورة وأخذ الناس يطالبون بجعل الأنظمة الدستورية أكثر تحرراً ومرونة فقدمت العرائض واللوائح إلى الحكومة السويسرية التي بادرت إلى اجراء إصلاحات مهمة تلافياً لوقوع أحداث دامية وأهم هذه الإصلاحات:

- الاعتراف بمبدأ السيادة للقوميات المختلفة في سويسرا.
- المساواة بين المواطنين دون النظر إلى أوضاعهم الاجتماعية الاقتصادية أو الدينية.
- إعطاء مزيد من الضمانات لاحترام حرية الرأي والصحافة.

أما في إنكلترا فهدف رجال الإصلاح كان تعديل الانظمة الانتخابية. فقد قامت الجماهير بمظاهرات وحركات شعبية بتأثير نجاح الثورة في باريس، وكان الإنكليز يريدون تعديل قوانينهم الانتخابية القديمة التي باتت لاتتناسب مع تطور حركة السكان في القرن

التاسع عشر. ففي الوقت الذي كانت فيه بعض القرى الصغيرة ترسل أكثر من نائب إلى البرلمان كانت مدن صناعية كبيرة ترسل عدداً من النواب أقل مما يحق لها بالنسبة لعدد سكانها أو قد ترسل عدداً من النواب أقل مما يحق لها بالنسبة لعدد سكانها أو ربما لا ترسل على الإطلاق. ذلك أن قانون الانتخاب المعمول به آنذاك كان قد وضع قبل نشوء المدن الصناعية ونموها، وفي وقت كان أكبر قسم من السكان يقيمون في الريف. فسقطت حكومة ولينغتون تحت ضغط الشارع والبرلمان وترأس الحكومة مكانة اللورد غراي (Grey) في كانون أول/ ديسمبر سنة 1830 الذي عدل قانون الانتخاب وأعطى المدن الكبيرة نصيبها من التمثيل النيابي كما أعطى حق الانتخاب لمزيد من المواطنين فارتفع عدد الناخبين من نصف مليون إلى ثمانماية الف. ويعتبر هذا التعديل انتصاراً كبيراً للبورجوازية ذلك أن هذه الطبقة كانت هي صاحبة السيادة في المدن الكبرى. وهكذا تمت التغيرات التي أرادها المواطنون في إنكلترا ضمن إطار الشرعية الدستورية.

6.1.4 انتهاء حركات سنة 1830م

أحداث سنة 1830 أظهرت الاختلاف الجذري في مصالح الدول الكبرى وفي نظرتها إلى القضايا الاوروبية والقضايا القومية. فإنكلترا التي عملت على القضاء على سياسة المؤتمرات التي نص عليها التحالف الرباعي بعد سنة 1815 نراها بعد سنة 1830 تتبع سياسة أكثر معارضة لمبادىء التحالف المذكور. فقد أخذت تقف بصورة علنية موقف المعارض لمبدأ تدخل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية لدول أوروبا أياً كانت مبررات هذا التدخل. وحين عقدت الدول الكبرى: النمسا وروسيا وبروسيا مؤتمراً في سنة 1833 لبحث الاوضاع في أوروبا قاطعت إنكلترا هذا المؤتمر.

ومع هذا فقد أصدر المؤتمرون الثلاثة بياناً أعلنوا فيه أن كل ملك أوروبي يهدد بخطر خارجي أو داخلي يمكنه أن يستنجد بأحد الملوك الثلاثة وكل دولة تعارض مثل هذا التدخل تعتبر عدوة للدول الثلاث.

وقد أثار هذا البيان سخط الإنكليز وهزءهم، وكذلك بادرت فرنسا للاعتراض عليه معلنة رفضها لأي تدخل في شؤون بلجيكا وسويسرا وأنها في معارضتها هذه مستعدة لكل شيء حتى الحرب.

وهكذا وبرغم أن الأحوال قد هدأت في أوروبا بعد سنة 1834 وعاد إليها الاستقرار والهدوء إلا أنه بات من الواضح أن الدول الكبرى قد انقسمت إلى معسكرين

تتعارض مصالحها تعارضا أساسيا وهما: معكسر الدول الثلاث: روسيا وبروسيا والنمسا ومعسكر الدول الغربية ويضم فرنسا وانكلترا تؤيدهما البرتغال وإسبانيا.

2.4 ثورات سنة 1848م

إذا نحن ألقينا نظرة على خريطة أوروبا السياسية في سنة 1848 نجد أنها لاتزال كما رسمت في مؤتمر فينا سنة 1815، ما عدا التعديلات التي طرأت نتيجة لاستقلال اليونان وبلجيكا. وهذا يعتبر نصراً كبيراً لدعاة الرجعية والمحافظة على الأوضاع القديمة في أوروبا وفي مقدمتهم ميترنيخ وزير خارجية النمسا وقيصر روسيا. إلا أنه في العام 1848 وبفضل بروز فكرة القومية بشكل قوي والتغيرات التي طرأت على أوضاع الدول خلال هذه الفترة الطويلة بات لابد من حدوث التغيير حتى ولو كان ذلك عن طريق الثورة. وقبل أن نتحدث عن أحداث سنة 1848 سنعرض أوضاع الدول كما كانت عليه سنه 1848.

1- إنكلترا: ارتفع عدد سكان الجزر البريطانية في سنة 1848 إلى ستة وعشرين مليونا بفضل الازدهار الاقتصادي الذي عم البلاد في القرن التاسع عشر. وبات للانكليز إمبراطورية واسعة غنية تضم ممتلكات في الولايات المتحدة وكندا وآسيا (الهند وسيلان). كما أنها باتت تسيطر على أهم المناطق الاستراتيجية في العالم: مالطه، جبل طارق، رأس الرجاء الصالح، سنغافورة، هذه الإمبراطورية المتسعة جعلت لإنكلترا مصالح سياسية واقتصادية خارج القارة الاوروبية وبالتالي فقد كان عليها أن تقلل من التزاماتها في أوروبا كما أن الاستعمار من جهة ثانية قد جعل منها أغنى دولة في العالم ومن صناعتها أكثر الصناعات تطوراً وازدهاراً وهذا مما أخذ يفرض عليها إحداث تغييرات جذرية في سياستها العامة، ذلك أنه صار للاعتبارات الاقتصادية والتجارية دور هام في حياتها وسياستها. ثم إن وضعها المالي قد تحسن كثيرا وباتت لندن أول مركز مالي في العالم. كما أن المصارف الانكليزية أخذت تمول المشاريع الكبرى في جميع أنحاء العالم مما كان يعطي السياسة البريطانية قدرة أكبر على التدخل السياسي.

2- فرنسا: تطورت في هذه الفترة الصناعة الفرنسية ولكنها بقيت متخلفة بالنسبة لصناعة انكلترا. أما مستعمراتها فكانت قليلة وعديمة الأهمية إذا استثنينا بلاد

الجزائر. أما على الصعيد السياسي، فإن أوضاع فرنسا كانت في تدهور متزايد. ذلك أن لوي فيليب الذي ارتقى العرش كمرشح للاحرار أخذ يميل في السنوات الاخيرة من حكمه نحو الملكية المستبدة مبعداً عناصر الأحرار والدستوريين.

3- بروسيا: كانت بروسيا أقوى دولة بين دول الاتحاد الالماني الثمانية والثلاثين. فكان عدد سكانها أحد عشر مليونا. أما صناعاتها فكانت أقل تطوراً من الصناعات الفرنسية، ولم يكن الاتحاد الألماني موحد الكلمة فكانت تفرق حكامه الخلافات الداخلية والقضايا الدينية.

4- النمسا: كانت الإمبراطورية النمساوية تتألف من ستة وثلاثين مليوناً من السكان موزعين إلى قوميات عديدة أهمها: الألمان ويشكلون عشرين بالمئة من السكان ثم السلافيون والتشيك والمجريون والبولونيون والرومانيون والايطاليون... وكانت الرابطة الوحيدة بين هذه الشعوب هي رابطة الولاء لإمبراطور فينا، وهي على كل حال رابطة واهية خاصة بعد بروز فكرة القوميات وانتشارها في أوروبا. ولعل هذا الواقع هو الذي جعل ميترنيخ وزير خارجية النمسا يتشدد بين سنتي 1815-1848 في رجعيته ويحارب كل فكر ثوري أو حركة قومية في أوروبا مخافة أن تؤثر على أوضاع الإمبراطورية النمساوية الداخلية.

5- روسيا: أكبر دول أوروبا مساحة وسكاناً، فهي تضم 65 مليون مواطن. والمشكلة الكبرى لهذه الدولة هي أنها كانت بحاجة إلى مرفأ على أحد البحار الدافئة لتتصل بواسطته بحريا مع بلدان العالم. ولما كانت الإمبراطورية العثمانية تحول دون وصول روسيا إلى المتوسط بفضل سيطرتها على المضائق فقد ظل العداء الروسي - العثماني محور السياسة الروسية في أوروبا الشرقية طيلة القرن التاسع عشر. أما على صعيد أنظمة الحكم فإن أفكار الثورة الفرنسية لم تكن قد وصلت بعد إلى جماهير روسيا وبالتالي فإن العرش الروسي لم يكن يعاني أية مشكلة من هذا النوع.

هكذا كانت أوضاع أوروبا عامة في مطلع سنة 1848 وبالتالي قبل اندلاع الثورات التي أشعلها بروز الفكرة القومية في أوروبا ورغبة كل شعب في أن يحكم نفسه بنفسه بواسطة أجهزة حكم ديموقراطية دستورية. وسنعرض هنا بإيجاز أهم أحداث أوروبا هذا العام وانعكاسات هذه الثورات على الوضع العام في أوروبا والعالم.

1.2.4 الثورة في فرنسا

اعتلى لوي فيليب عرشه كما نعلم كمرشح عن الأحرار وعلى أساس اعترافه بالدستور واحترامه له إلا أن مصلحته الخاصة ورغبته في المحافظة على التاج جعلته يضطر في بعض الأحيان لأن يخرج عن القواعد الدستورية لمقاومة عوامل التغيير الداخلي وهذا ما كان يثير سخط الشعب واشمئزازه.

ثم إن لوي فيليب قد واجه منذ بدء حكمه معارضة قوية من حزبين منظمين:

1- **أنصار الملكية الشرعية**: وهؤلاء لم يقبلوا به أصلا كملك، لأنه من عائلة أورليان إحدى فروع عائلة بوربون وكانوا يريدون إبقاء العرش في فرع لويس الثامن عشر أي في عائلة بوربون الأصلية.

2- **الجمهوريون**: وكانوا يعتبرون اختيار لوي فيليب ملكا عام 1830 غير شرعية لأنها لم تقم على أساس استفتاء شعبي.

لهذه الأسباب رأى من المناسب له أن يعتمد على حزب الملكيين الدستوريين الذي رشحه وساعده في الوصول إلى العرش. وكان الحزب المذكور يمثل أبناء الطبقة المتوسطة من الفرنسيين. لذا فقد عدل قانون الانتخاب بشكل كفل له السيطرة على المجالس التمثيلية لأبناء الطبقة المتوسطة كما أنه نظم الجيش بحيث أصبح عدد كبير من ابناء هذه الطبقة من بين ضباطه الكبار. هذه السياسة وما فيها من تحيز ومحاباة لحزب واحد وطبقة واحدة جعلت الأحزاب الأخرى تتطرف في معارضة حكمه كما أن أكثر من مؤآمرة دبرت لاغتياله في السنوات الاخيرة من حكمه وهذا ما جعله يقيد حرية الصحافة ويلاحق خصومه من الجمهوريين والملكيين على السواء.

وقد أخذت تظهر في فرنسا زمن لوي فيليب حركة اشتراكية قوية نتيجة للأزمة الاقتصادية التي عمت فرنسا عقب سقوط نابوليون وللانقلاب الصناعي الذي تسبب بانتشار البطالة وتدني الأجور. وأبرز رجالات هذه الحركة : سان سيمون الذي كان ينادي بالوفاق والأخوه بين العمال وأصحاب العمل إنما دون أن يضع خطة عملية لذلك. ولذا فقد تحول العمال إلى نظريات داعية اشتراكي آخر هو لويس بلان وكان ينادي بحق كل فرد في العمل وبان واجب الدولة يدعوها أن تنشىء هي مصانع أهلية يتولى العمال بأنفسهم إدارتها ويقتسمون أرباحها على أن يدفعوا للدولة نصيبها مقابل ما

دفعته من رأس المال. لاقت هذه النظريات قبولاً واسعاً عند جماهير الفرنسيين مما جعل الجميع يشعرون وكأنهم على أبواب ثورة اجتماعية واقتصادية.

وأمام عجز حكومات لوي فيليب المتعاقبة عن إيجاد حل لمشاكل البلاد المتزايدة وتدخل الملك المتزايد في شؤن الحكم وتقييده للحريات العامة ومحاربته لخصومه أخذت ترتفع الأصوات من كل جانب مطالبة بالإصلاح وبالقضاء على الرشوة والفساد. وكان من أبرز رجالات الإصلاح في هذا العهد الشاعر الفرنسي لامارتين.

ولم يلبث أن ظهر تحالف للقوى المعارضة للملك ولنظامه يضم الاشتراكيين والأحرار والملكيين الشرعيين. وقد ركز هؤلاء مطالبهم حول ضرورة تعديل قانون الانتخاب بحيث يأتي التمثيل البرلماني شاملا جميع طبقات المجتمع الفرنسي بشكل عادل. وقد سلك هؤلاء أول الأمر الأساليب الشرعية فعقدوا الاجتماعات الشعبية في كل أنحاء البلاد وقدموا العرائض للملك مطالبين بالإصلاح. إلا أن الدولة لم تسكت عن هذا النشاط المتزايد وبادرت لقمعه بالقوة فمنعت الاجتماعات السياسية في مطلع سنة 1848. وقد أدى هذا إلى وقوع الاضطرابات وحصل اصطدام بين الجنود والشعب في 23 شباط/ فبراير سنة 1848 وسقط العديد من القتلى. وأمام تدهور الوضع في البلاد وافق الملك على تحقيق مطالب الشعب، إلا أن تصرفه هذا جاء متأخراً فتنازل عن العرش لحفيده. ولكن رجال الاصلاح لم يقبلوا بذلك وعمدوا إلى تأليف حكومة مؤقتة كان من أعضائها لويس بلان ولامارتين وأحد العمال. أما الملك فقد رحل مع عائلته إلى انكلترا.

وفي 25 شباط/ فبراير سنة 1848 أعلنت الحكومة المؤقتة الجمهورية الفرنسية وأباحت حرية الصحافة ودعت لانتخاب مجلس نيابي عن طريق الاقتراع العام لوضع دستور للجمهورية الجديدة (الجمهورية الثانية في تاريخ فرنسا).

وقد جاء المجلس الجديد يضم أغلبية من الجمهوريين المعتدلين ذلك أن الشعب الفرنسي وبصورة خاصة رجال المال والأعمال عملوا على إبعاد الاشتراكيين بسبب خوفهم منهم ولأن تجربة المصانع الأهلية التي قام بها لويس بلان زمن لحكومة المؤقتة قد فشلت.

عمل المجلس الجديد على وضع دستور جديد للبلاد فوضع السلطة التشريعية في يد مجلس تمثيلي واحد يضم 750 عضواً وينتخب لأربع سنوات بالاقتراع العام. كما

جرت انتخابات رئاسة الجمهورية في ديسمبر/ كانون أول سنة 1848 نال لويس نابوليون ابن شقيق نابوليون بونابرت خمسة ملايين ونصف مليون صوت من أصل سبعة ملايين صوت. وقد رشح نفسه كما قال من أجل «تثبيت دعائم المجتمع الذي زعزعته الحوادث وإعادة الأمن والسلام إلى نصابها».

وفي 2 كانون أول/ ديسمبر سنة 1848 وافق الشعب الفرنسي على تعيينه إمبراطورا على فرنسا وذلك بناء على توصية المجالس التشريعية. (عبد المجيد نعنعي، 1978، ص341).

وأخيراً لابد من التساؤل عن موقف أوروبا وجماعة الحلف المقدس من ثورة فبراير/ شباط سنة 1848 في فرنسا. فقد بادرت إنكلترا منذ البداية إلى الاعتراف بالجمهورية الفرنسية الجديدة (الجمهورية الثانية) وكانت تريد بذلك أن تظهر معارضتها لأي تدخل من جانب الدول الأخرى في شؤون فرنسا. أما الحلف المقدس فقد أبدى بعض النشاط وربما لأول مرة قبل اختفائه نهائيا. فقد طلبت النمسا من فرنسا أن تعلن احترامها للاتفاقيات القائمة وتقصد بذلك مقررات مؤتمر فينا.

إلا أن الثورات لم تلبث أن انتشرت في كل أنحاء أوروبا مما جعل كل واحدة من دول الحلف المقدس تهتم بمشاكلها الخاصة وبصيانة مصالحها مكتفية بتصريح لامارتين وزير خارجية فرنسا الذي أعلن فيه وبشكل غامض أنه ليس في نية فرنسا أن تعود عن الاعتراف باتفاقية سنة 1815.

2.2.4 الثورة في النمسا

لقد كان أثر ثورة فبراير/ شباط الفرنسية في الأمبراطورية النمساوية فاعلا لدرجة أنه أشاع موجة من الشغب والاضطرابات في 13مايو/ أيار سنة 1848، تزعمها الطلبة وأساتذة الجامعات أدت إلى سقوط حكومة ميترنيخ وهربه من البلاد، وتسلمت الحكم في البلاد لجنة مركزية للدفاع عن حقوق الشعب لقيت تأييداً عارما من جميع فئات الشعب. والواقع أن هذا السقوط السريع لنظام الحكم المستبد المحافظ الذي فرضه ميترنيخ وزير الخارجية على الامبراطورية لم يكن مستغربا. ذلك أن هذا النظام لم يعد قوي الدعائم في سنواته الأخيرة حتى أن متيرنيخ نفسه كان يصرح بأنه يسند نظاما متهدما. ولم تلبث الموجة الثورية أن هبت على كل المدن الكبرى وعواصم القوميات في

الإمبـراطورية باعثة الرغـبة والأمل في إقامـة حكم دستوري يكفل للمـواطنين الحريات العامة، ويضع حدا للمـظالم التي كان يشكو منها الفلاحون وللامتـيازات الواسعة التي كان يتمتع به النبلاء وخاصة في مجال الإعفاء من الخدمة العسكرية وعدم دفع الضرائب واحتكار المراكز الكبرى في الدولة. إلا أن النزاع بين مختلف عناصر السكان لم يلبث أن ظهر بشكل عنيف وأخذ يحول دون القيام بإصلاحات جذرية في كيان الدولة.

ففي يونيـو/حزيران سنة 1848 عقـد في مدينة براغ مـؤتمر عام يضم الشـعوب السلافية في الامـبراطورية مثل السلوبين والتشـيك. وكان هدف المؤتمر النظر في إمكانية قـيام اتحاد لـهذه الشـعـوب. ونظراً لما كـان في مـثل هذا الاتحـاد من تهـديد لكيـان الامبراطورية ولما كان يكنه النمساويون والألمان من احـتقار للجنس السلافي فقد أرسلت فينا جيشا نمسويا للعاصمة براغ. وفي 17 يونيو/حزيران سنة 1848 صبت المدفعية قنابلها على المدينة فقضت على محاولة السلاف التـحررية وتأخر بذلك استقلال بلدهم إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى.

أما المجريون الذين كانوا ينزعون بقوة نحو الاستقلال والحرية فقد أخذت حكومة فينا تحرض ضـدهم الشعـوب المجاورة لهم وبخـاصـة الكرواتيون المعـروفون بشـدتهم وصلابتهم وبكرههم أيضاً لجيرانهم من المجريين. كما أرسلت جيشاً نمسوياً لإخضاع هذا الشعب الثـائر. إلا أن انشغـال النمسويين فـي الثورات التي قامت في إيطالـيا في سنة 1848 حال دون إخـضاع المجـريين بسرعـة مما جعل الفـئات الديموقـراطية بزعـامة قوسوط Kossuth تقبض على زمام الأمـور وتعلن في سنة ابريل/نيسان 1849 حكومة مستقلة على أسس ديموقـراطية وجمهورية. كما تألف جيش قـوي يدافع عن الجمهورية لم تلبث أن انضمت اليه فئات الاحرار من جميع أنحاء الامبراطورية.

أمام هذه التطورات وظهور النزعات الانفصاليـة عند شعوب الامبراطورية انحسر المد الثوري عن العاصمة فينا وأخمدت فـيها الحريات الديموقراطية ووضع حد لمحاولات وضع دسـتور ديموقراطـي للإمبـراطورية وتسلم الحكم في هذه الفتـرة الحرجـة الكونت شواتزنبرغ Schwatzneberg الذي تمكن بفضل شدته وحزمه من تثبيت دعائم الحكومة في ڤينا على أسـس مـركزية وأن يؤمن سـلامة الامبـراطورية، وأن يجبر الإمـبراطور فردينان الضـعيف على التنازل عن العرش لابن شقـيقه فرانس جوزيـف. وأمام تفاقم

الحركة الاستقلالية في المجر، وعجز النمسا عن إخضاع المتمردين لم يتردد في الاستعانة بجنود القيصر الروسي الذي بادر فورا لإرسال جيش من مائة وخمسين ألف جندي قضى على الثائرين في شهر أغسطس/آب سنة 1849 وفرض عليهم عقوبات مروعة. وهكذا احتفظت النمسا ولو مؤقتاً بوحدتها السياسية وبسيطرتها على كل أراضيها وعلى من فيها من شعوب مختلفة.

3.2.4 الثورات في إيطاليا

كان قيام الثورة في فيينا وهروب مترنيخ بعد انهيار نظامه الاستبدادي سبباً في إشعال الأمل في صدور أحرار الولايتين الايطاليتين، اللومبارديا والبندقية في إمكانية التحرر من النير النمساوي. فقد تألفت في كل منهما حكومة وطنية أعلنت الانفصال عن الامبراطورية النمسوية وطردت الجيش النمساوي من البلاد. ولما كانت الولايتان تدركان أن النمسا لن تقبل هذا التطرف فقد طلبتا العون من الملك شارل البرت ملك البيامون الذي أرسل جيشا إلى الشمال وأعلن الحرب على النمسا في 25 مارس/آذار سنة 1848. كذلك أرسل ملك نابولي جيوشه لنجدة الولايتين وبذلك اتخذت الحرب طابع التحرر الوطني من الاستعمار الاجنبي. إلا أن الجيوش النمساوية بقيادة الجنرال رادتكسي لم تلبث أن حققت نصراً كبيراً على الجيوش الإيطالية في معركة كوستوزا Custozza في شهر اغسطس/آب سنة 1848 وأُرغم الملك شارل ألبرت على قبول الهدنة. إلا أنه اضطر تحت ضغط الرأي العام الإيطالي المناهض للنمسويين لانتهاز فرصة انتصارات جزئية أحرزها المجريون على جيوش النمسا فخرق الهدنة وعاد للقتال في شهر مارس/آذار سنة 1849. غير أن الجيوش النمساوية تمكنت بعد عشرة أيام فقط من إحراز نصر على الايطاليين في معركة نوفار. عندئذ تنازل الملك شارل ألبرت عن العرش لابنه فيكتور عمانوئيل الثاني الذي وقع معاهدة صلح مع النمسا أعادت الوضع في لومبارديا والبندقية وشمال إيطاليا إلى ما كان عليه قبل الحرب.

وكذلك قامت حركات ثورية في الأملاك البابوية وتشكلت حكومة ثورية في العاصمة روما بقيادة الزعيم الوطني مازيني بعد فرار البابا منها. وقد استنجد البابا بالدول الكاثوليكية فرنسا والنمسا وإسبانيا طالبا منها مساعدته لاستعادة أملاكه. ولما كانت إسبانيا آنذاك في حالة من الضعف تجعلها عاجزة عن القيام بدور إيجابي خارج بلادها وكانت النمسا منشغلة في مشاكلها مع الثوار المجريين فقد بات بإمكان فرنسا

وحدها مساعدة البابا. وكان لويس نابوليون يرغب في تقديم ذلك العون لإرضاء الحزب الكاثوليكي الفرنسي الذي يؤيد حكمه.

ولذا جهزت فرنسا جيشا أرسلته إلى إيطاليا فاحتل مدينة روما في 30 يونيو/ حزيران سنة 1848 وأعاد البابا إلى عرشه بعد أن طرده منها الجمهوريون.

4.2.4 الثورة في ألمانيا

في سنة 1847 واجهت فريدريك وليم الرابع ملك بروسيا مطالب عنيفة من قبل رعاياه بتحقيق ما وعد به في السابق من إصلاحات دستورية ذلك أن هذا الملك كان حين ترقى العرش سنة 1840 من المؤمنين بالمبادىء الحرة إلا أنه لم يحقق بعد ذلك شيئا مما كان يؤمن به أو من الوعود التي أطلقها للالمان. وقد اضطر تحت ضغط الرأي العام لعقد أول برلمان لبروسيا في شهر فبراير/ شباط. ولما حاول البرلمان المذكور أن يحتكر لنفسه حق سن القوانين ومراقبة مالية الدولة بادر إلى حله في شهر يونيو/ حزيران ففقد الكثير من سمعته الإصلاحية.

وما أن وصلت أخبار ثورة باريس سنة 1848 حتى اجتاحت برلين في شهر مارس/ آذار فتنة خطيرة هدرت فيها الدماء مما أرغم الملك البروسي للرضوخ، فوعد بإعادة البرلمان المنحل كما أعلن دعمه للحركة الحرة للوحدة الألمانية وذلك في محاولة لكسب تأييد الجميع.

أما في باقي المناطق الألمانية فقد اتخذت الثورة في الارجح طريق العمل في سبيل الحرية والوحدة الالمانية. لقد شجعت ثورة فرنسا وفكرة الحرية التي هبت على أوروبا سنة 1848. زعماء الألمان الأحرار دعوة برلمان تحضيري يمثل كل ألمانيا للاجتماع في 18 مايو/ أيار في مدينة فرانكفورت. وكان هدف المؤتمرين الذين يمثلون أحسن ما في المانيا من عقول نيرة ورجال وطنية وفكر إعطاء المانيا الموحدة نظاماً ديموقراطياً. وبعبارة أصح كان على المؤتمرين أن يعملوا على توحيد ألمانيا ثم على إعطائها دستوراً حراً. وبعد مداولات كثيرة عرض المؤتمر تاج الاتحاد الالماني المزمع إنشاؤه على ملك بروسيا واعتبروه مسؤولا عن توحيد ألمانيا. إلا أن الملك البروسي تحت تأثير النزعة الاستبدادية التي كانت تظهر عنده أحيانا رفض هذا العرض باعتباره صادراً عن سلطة شعبية. فالشعب لايملك حق تعديل الألقاب والسلطة الشعبية سلطة غير شرعية.

ونتيجة لموقف ملك بروسيا هذا تأزم الوضع وتفرق أكثر البرلمان دون ضجة إلا أن فئة من الوطنيين المتطرفين رفضت التفرق فقام الجيش البروسي وفرقها بالقوة، وبذلك قضى الملك البروسي على جميع الآمال التي أثارها الأحرار الألمان عند انعقاد مؤتمر فرانكفورت الذي وجدوا فيه الطريق نحو إيجاد أمة المانية موحدة سياسياً.

تدريب (2)

كانت تسويات موتمر فينا سببا في قيام ثورة 1830 في فرنسا، وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- لعب مبدأ القوميات دوراً كبيراً في ثورات 1930، وضح ذلك.

2- كان بروز الفكر القومي في أوروبا وراء اندلاع ثورة 1848 اشرح أسباب اندلاع الثورة في النمسا والنتائج التي ترتبت عليها.

5. الوحدة الإيطالية

كانت إيطاليا في العصور الوسطى تكون جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد تداعى نفوذ الإمبراطورية الإيطالية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. فقد اصطدم الإمبراطور مع البابا، وخاض الاثنان صراعا استطال أمده وتعددت صوره، فلما جاءت النهضة ضعف نفوذ الإمبراطور وظهرت المتناقضات الاجتماعية والسياسية ولم تستقم لها حكومة مركزية موحدة، بل ظلت موزعة بين وحدات سياسية ناصب بعضها البعض العداء، وخضع بعضها للنفوذ الأجنبي المباشر حينا، وللتوجيه الأجنبي حينا آخر، بل أصبحت ميدانا لصراع رهيب بين ملكي فرنسا واسبانيا من أجل السيطرة على أوروبا.

وكانت القومية وراء كثير من الحروب الأوروبية، كما أنها كانت وراء الرغبة في التوسع والاستعمار من أجل العمل على رفعة الوطن وتوسيع رقعته. ولقد انتشرت الافكار القومية في أوروبا وعبرت عن نفسها بأشكال مختلفة بحسب ظروف كل شعب.

وكان لآراء نيقولا ميكايلي Niccolo Machkiavilli (1469-1527) تأثير واضح حينما شرح أصول الحكم وفن السياسة، موضحا الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأماني القومية، وأكد على ضرورة تحرير بلاده من الجيوش الأجنبية التي تحتلها، وفي كتابه «الأمير» طالب بضرورة قيام وحدة سياسية تجمع شتات الوطن الممزق وإنشاء جيش وطني قوي يحمي البلاد.

وقد أثرت المدن الإيطالية من التجارة وقام التنافس بينها حيث كانت كل منها تصر على استقلالها عن جيرانها، ولذلك لم تكن إيطاليا في بداية العصور الحديثة سوى تعبير جغرافي لايمثل وحدة تقوم بين سكان شبه الجزيرة، بل كانت ولايات لم تفكر آنذاك في تحقيق الوحدة القومية الشاملة كتلك التي قامت في فرنسا وغيرها من الدول الغربية التي تمتعت بوحدتها في ظل الملكية. ويرجع تأخير قيام الوحدة الايطالية إلى سببين: أولهما قوة سلطان البابا الذي منع نفوذه قيام زعيم يوحد البلاد، حيث كان البابا في روما، هو الزعيم الوحيد الذي تهفو اليه قلوب جميع المسيحيين في العالم، كما طغت شخصيته على جميع الشخصيات الأخرى لأنه امتلك الزعامة السياسية والدينية، ومع ذلك فقد عجز عن جعل ايطاليا دولة موحدة تحت حكمه. وأقحم البابا خلال

العصـور الوسطى الولايات الايطالية في صـراعه مع الإمبـراطور، وقد زاد من خطورة الموقف أن بعض البابوات كانوا يدعون فرنسا تارة، وإسبانيا تارة أخرى إلى إرسال قوات إلى إيطاليا لـنصرة البابا على الإمـبراطور، والسـبب الثاني هو التنافس التـجاري الذي تحدثنا عنه بين المدن الايطالية وجـعلها تفضل الاستقلال عن جيـرانها وألا تخضع لدولة اخرى أو تنضم اليـها، ورأت كل منها أنها لاتسـتطيع تدعيم وجودها الا باتباع سـياسة المنافسة التجارية. وكانت المدن التي تكون ولايات صغيـرة تختلف حجما، وبعضها كان من صغـر المساحـة بحيث لم يكن لها أثر فـي تاريخ ايطاليا. ولكن استـطاعت خمس ولايات إيطالية أن تنمو وتطور نفسها حتى أصبحت مـراكز لتقرير مصير إيطاليا بأكملها فيما بعد. وهي الولايات البابوية، ونابولي، وميلانو، والبندقية، وفلورنسة.

أ- الولايات البابوية:

أما الولايات البابوية فكانت تمتد في وسط شبه الجزيرة الإيطالية من جنوب مصب نهر التـيبـر إلى مصب نهـر البو وتشـتمل على عـدة مدن وحصـون تحت سلطة حكام يعترفـون بسيادة البابا ويخـضعون لسلطانه، ونظراً لأهميـة مركز البابا أصـبح له مركز الصدارة في قيادة السياسة الإيطالية، إذ لم يكن مـركزه دينيا فحسب بل لقد استغل عدد كبير من الباباوات مراكزهم وزجوا بأنفسهم في السياسة وعاشوا حياة الغنى والترف.

وكانت فكرة الذين يؤمنون بـحكم البابا الدنيوي تنبع من اعـتقادهم بأن زعامـته الروحية في العالم المسيحي لاتكون فعالة إلا إذا أيدها ملك دنيوي. ومن هنا كان تدخل البابوات في السـياسة الإيطاليـة والاوروبية حتى أصـبحوا عنصـراً فعالاً في العـلاقات الدولية بين إيطاليا كلها وبين الدول الاوروبية الاخرى.

ب- ميلانو:

وهي دوقية تمتـد في الشمال وسط سهل لمباردي الخصـيب، ولذلك توفرت لديها ثرورة زراعيـة كبـيرة، وإلى جـانب ذلك ازدهرت صناعاتـها التي كـان أهمها صـناعة المنسوجات الحريرية.

وكانت مـيلانو تحكمها أسـرة عريقة هي أسـرة فسكونتي Visconti التي سعت لجـعلها مـركزاً للتـوسع نحو المدن المجـاورة وتأسيـس حكومة تميل نحـو الدكتـاتورية العسكرية. وقـد قام أحد الحكام من أسرة فسكـونتي بتحويل ميلانو إلـى دوقية وأطلق

على نفســه لقب الدوق، وقــام التنافس بين دوقــية مــيــلانو وبين الدولتين الكبــيــرتين المجاورتين لها وهما البندقية وفلورنسه.

وفي عام 1450 انتقل الحكم في الدوقية إلى شخصــية عسكرية، وهو فرانشسكو سفورزا، الذي أسس أسرة جديدة بعد أن اقتنص الحكم من آخر سلالة أسرة فسكوتني وهو صبي صغير. وكانت هناك صلة قرابة تربط الأسرة الملكية في فرنسا بأسرة سفورزا مما جعل لميلانو أهمية سياسية قصوى بالنسبــة لفرنسا، وظلت ميلانو محتفظة باستقلالها إلى أن أقدم أحد أفــراد هذه الاسرة واسمه «لود وفــيكو سفورزا» على الاتصال بــفرنسا لتساعده على انتــزاع الحكم من ابن أخيه القاصر والذي كان وصيا عليــه. ولذلك يعتبره المؤرخون المسؤول عن غزو شارل الثامن ملك فرنسا للأرض الإيطالية، مما دعا الإسبانيين للتدخل وقيام الحروب التي عرفت في التاريخ باسم الحروب الإيطالية.

جـ- البندقية:

كــانت البندقيــة من أهم الولايات الإيطاليــة، نشأت في أول أمــرها فوق الجــزر الممــتددة في شــمال بحــر الإدرياتيك في الميــاه الضحلة المتــصلة بالبــحر ولذلك كــانت شوارعهــا قنوات ومواصلاتها قــوارب تعرف بالجندول. وكان طبــيعيا أن يشتــغل أهلها بالملاحة التجارية حيث كانت سفنها تجــوب البحر المتوسط وتقيم علاقات تجارية بموانيء الشرق العربي ولا سيما الإسكندرية وتنقل البضائع الآتية من بلاد الشرق الأقصى، وقد نشطت هذه التجارة منذ العصــور الوسطى، وعقدت البندقية صلات سياسـية واقتصادية مع سلاطين مــصر المماليك عادت عليــها بالخير الوفــير، وكادت تحتكر تصــريف تجارة الشرق في أوروبا، وأصــبحت تتــحكم في الأسعــار حتى جمع تجــارها ثروات كبــيرة، واستلزم هذا تأسيس البنوك لتدعيم العلاقــات التجارية مع المدن الاوروبية، وأصبح كبار التجار هم أصحاب النفوذ في المدينة، وكونوا طبــقة هي التي انحصر فيها الحكم، حيث أسســوا ما يشبه الامــبراطورية في المياه الشــرقية ضمت ســاحل دلماشيا وجزيرة كــورفو وكريت وقبرص وعدد كبير من جزر بحر إيجه وبذلك أصبح للبندقية سلسلة من المواقع تمتد على طول الطريق عبر شرقي البحر الأبيض المتوسط.

وكانت البندقيــة جمهورية مســتقلة والسلطة فيها في يد مــجلس مكون من عشرة أشخــاص ومجلس العشرة هــو الذي ينتخب الحاكم، وأبناؤهم مــوزعون على المناصب الكبيرة في الدولة، وتمتعت الجمهورية في ظل هذا النظام باســتقرار لم يتمتع به جيرانها

حتى أصبحت ذات مركز مرموق عند الولايات الإيطالية الأخرى التي كان بعض أمرائها يلجأون اليها لعقد القروض أو لمصاهرة طبقة الأشراف بها.

وظلت حدود البندقية كما رأينا قاصرة على مدينة البندقية وقطعة صغيرة من الأرض تحيط بها وحكم الجزر الواقعة في المياه الموصلة إلى البحر المتوسط، ولم تتوسع نحو الداخل في الاراضي الإيطالية لأن غايتها كانت موجهة نحو البحر وهمها منحصر في تأسيس إمبراطورية تجارية تربطها بمنطقة الشرق وذلك لتأمين خطوطها البحرية.

على أن هذا المركز الذي تمتعت به البندقية ما لبث أن تضعضع بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح، بسبب عزم البرتغاليين على الوصول إلى الهند من طريق آخر لايتحكم فيه البنادقة. بذلك بدأ معين المال ينضب من حكام البندقية، الذين وجدوا أن الزعامة البحرية بدأت تفلت من أيديهم، يضاف إلى ذلك سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين عام 1453 ووصولهم إلى شرقي حوض البحر المتوسط حيث الجزر التي كانت البندقية تسيطر عليها، عندئذ لم يجد البنادقة بدا من البحث عن مخرج لهذا المأزق فولوا وجوههم شطر الأرض بدلا من البحر، ورأوا أن تمد البندقية حدودها في إيطاليا نفسها. وكانت نتيجة هذا الاتجاه أن بقية الولايات اعتبرت أن في السياسة الجديدة التي تريد البندقية اتباعها خطراً يهدد كيان كل منها، فقد كان واضحاً أن أي اتساع تحققه البندقية سوف يتم على حسابها، ولذلك بدأت تنظر إلى البندقية بحذر شديد، وعلى ذلك تكون من فلورنسه ونابولي وميلانو حلف كانت مهمته كبح جماحها إن فكرت في التوسع على حساب أراضيها. (عبد العزيز الشناوي، 1977. ص (155- 162).

د- فلورنسة:

وكانت فلورنسة من أكثر المدن الإيطالية ازدهاراً، لاتقل اقتصاديا عن البندقية وتفوقها من حيث الثقافة ونشر الفنون. وكانت مركزاً صناعياً في المقام الأول ولذلك تكاثف فيها السكان وعلى الأخص عمال الصناعة الذين كانوا يشتغلون بصناعة الأقمشة الصوفية. ومنذ العصور الوسطى ظهرت فيها طبقة من كبار التجار وأصحاب البنوك استطاعوا أن يتحكموا في مقادير الشعب ويصبح لهم في الحكومة نصيب الأسد، وحرصوا على إخماد حركة نقابات الحرف التي حاول أعضاؤها تنظيم أنفسهم والمحافظة على مصالحهم.

وبرغم تلك الخلافات الداخلية التي اتسم بها ذلك العهد، إلا أن أهل البلاد كانوا حريصين على الحرية السياسية، وفضلت فلورنسه أن تؤسس نوعاً من النظام الجمهوري طال عهده أكثر من أي نظام في المدن الإيطالية الأخرى.

وفي النصف الأول من القرن الخامس عشر تمكنت أسرة من التجار وأصحاب البنوك (أسرة مديتشي) Midici من الاستيلاء على الحكم عندما تمكن أحد رؤسائها (كوزيمودي مديتشي) في عام 1434 أن يقوم بثورة ضد الحاكم ويؤسس جمهورية توالى على حكمها رؤساء من تلك الأسرة.

وكان أشهر من حكم من أسرة مديشي هو لورنزو دي مديتشي (1469-1492) الذي كان ملقبا «بلورنزو الفاخر»، الذي طار صيته في أنحاء أوروبا، واشتهر بأنه راعي النهضة الفنية، وقد كان شاعرا يحب الشعر ويجمع من حوله الشعراء والفلاسفة والفنانين، وبلغت فلورنسة في عهده قمة مجدها وشهرتها في الفن والادب.

(Hages, Carlten. 1936. P P28-33)

هـ- مملكة نابولي:

أما البلاد الإيطالية الواقعة في أقصى الجنوب فكانت تختلف اختلافاً بينا عن غيرها من الولايات، ففي مملكة نابولي كانت حكومة إقطاعية يحكمها ملك، ولم تتأثر بالنهضة التي نمت في الولايات الإيطالية في الشمال، واحتفظ مجتمعها بطابع العصور الوسطى، ولكن نظرا لاتساع رقعتها، فقد كان لها أثرها القوي في مجرى السياسة الايطالية، وبعد أن حكمتها في العصور الوسطى ثلاث أسر ملكية، انتقل العرش في القرن الخامس عشر إلى أسرة كان لها صلة قوية بالأسرة المالكة في أراجون الإسبانية.

وكانت نابولي - لعدة قرون - فريسة لصراع الدول الأوربية خارج إيطاليا ويرجع ذلك إلى عام 1265 عندما منح البابا مملكة نابولي- بما في ذلك صقلية - إلى شارل أنجو شقيق الملك لويس التاسع ملك فرنسا (وكان ذلك خلال صراع البابا مع الامبراطور). وفي سنة 1282 قام الصقليون بالثورة ضد أسرة أنجو، ودعوا ملك أراجون في إسبانيا لتولي عشر بلادهم، وظل الأمر كذلك إلى أن استطاع ملك أراجون أن يغزو نابولي ويضمها إلى حكمه، وظلت نابولي وصقلية تحت حكم أسرة تمت بصلة القربى لأسرة أراجون، إلا أن فرنسا لم تسلم أبداً بأحقية تلك الأسرة في تاج نابولي

وتتطلع إلى الفرصة التي تسنح لها لاسترداد عرش نابولي، وقد تجلى ذلك في الحروب الطويلة التي نشبت بين فرنسا وإسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر عندما أقدم الملك شارل الثامن ملك فرنسا على غزو إيطاليا عام 1494 وقد غير هذا الغزو وجه شبه الجزيرة الإيطالية وأحدث أثراً واضحاً في تاريخ أوروبا الحديث، وذلك عندما قام النزاع بين فرنسا وإسبانيا كل منهما تدعي حق وراثة العرش في مملكة نابولي وتسعى كل منهما إلى التوسع في شبه الجزيرة الايطالية.

تلك هي نظرة عامة عن إيطاليا نخرج منها بفكرتين : الأولى : أن أيطاليا لم تستطع لعدة قرون أن تحقق الوحدة القومية التي ظلت أملا بعيد المنال، نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التي عاشتها في فرقة وخلاف، برغم أن أبناءها أبناء جنس واحد، ويتكلمون لغة واحدة، ولم تتحقق لهم الوحدة الشاملة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. والثانية: أن إيطاليا كانت مهد حضارة عريقة وكان الشعب الايطالي في الولايات المختلفة يتمتع برخاء اقتصادي، ورقي علمي وحب عميق للفنون والآداب جعل إيطاليا مركز إشعاع للنهضة الاوروبية.

وفي بداية القرن التاسع عشر كانت ايطاليا مصطلحا جغرافيا، ولم تظهر شخصية الدولة، بل استمرت مقسمة إلى عدة اقسام خضعت جميعاً للنفوذ الأجنبي الفرنسي في أثناء حكم نابليون بونابرت. وقد أتيح لإيطاليا أن تشهد فترة قصيرة من الهدوء تحت الحكم الفرنسي، وقد نقل نابليون إلى إيطاليا مبادىء الثورة الفرنسية وقضى على بقايا النظام الإقطاعي، وحد من سلطة رجال الدين وقام بتوحيد القانون والإدارة في البلاد، ومع ذلك فقد اعتبر الشعب الإيطالي الحملة الفرنسية احتلالاً لبلاده، وهذا بدوره ساعد على إيقاظ الوعي القومي مما دفع بالشعب وبالقادة للعمل على توحيد إيطاليا.

1.5 الجمعيات السرية

لجأ الشعب الإيطالي إلى تكوين الجمعيات السرية التي تسعى لتحقيق أهدافه القومية، ومن أشهر الجمعيات جمعية الكربوناري التي تأسست في نابولي، وانتشرت بين صفوف العسكريين والمثقفين وأنشأت لها فروع في أنحاء ايطاليا .

وفي سنة 1820 تمكنت الكاربوناي من إشعال الثورة وأرغموا الملك على منح البلاد دستورا جديدا، وانتقلت الثورة الى بيدمونت، حيث أرغم الملك على التنازل عن

العرش لولي عهده، ثم انتقلت إلى لمبارديا التي هبت لتتخلص من الحكم النمساوي، ولكن النمسا سرعان ما استعادت زمام المبادرة وأرسلت جيوشها وأخمدت الثورة في كل مكان.

وعلى اثر قيام ثورة سنة 1830 في فرنسا تجددت ثورات الكاربوناري، وتركزت هذه المرة في الولايات البابوية ودوقيات الوسط، وتمكن الثوار من السيطرة على بعض هذه الدوقيات، ولكن الجيوش النمساوية تحركت مرة أخرى، وبددت جموعهم وقضت على تجمعاتهم. ولم تقدم فرنسا - بعد نجاح الثورة فيها - المساعدة التي كانوا ينتظرونها، بل إنها اشتركت مع النمسا في قمع الثورة عندما تجددت في الولايات البابوية سنة 1832 .

وبعد فشل هذه الثورات اضمحلت جمعية الكاربوناري، التي يرجع إخفاقها إلى عدم انتشارها بين صفوف الشعب وطبقاته المختلفة، وعدم وضوح أهدافها. ومن بين أعضاء الكاربوناري السابقين برزت شخصية جوزيف مازيني (1805-1872) Mazzini الذي كرس حياته لتحقيق الوحدة الإيطالية، وتعرض في سبيل تحقيق ذلك الهدف للسجن والنفي، بل وصدر ضده حكم غيابي بالإعدام، وقد أسس مازيني سنة 1831 وهو في المنفى في مارسيليا - جمعية إيطاليا الفتاة، وأشعل في قلوب مواطنيه نار الوطنية، وزودهم بقوة الأمل بأن « إيطاليا ملكة العالم، أرض دانتي، مركز البابوية، مهد النهضة، ومبعث النور والحرية لن تموت، بل ستبعث وتعيد سيرتها الاولى »، وقال إن ذلك لن يحدث إلا إذا قدم الإيطاليون أرواحهم فداء للوطن، وتحملوا مرارة النفي والسجن والفاقة والألم، وأكد مازيني الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه وهو إقامة الجمهورية في إيطاليا الموحدة.

وهكذا لم تكن « ايطاليا الفتاة » مجرد حزب او جمعية وإنما كانت روحا سرت في إيطاليا وبعثت فيها الحيوية والإقدام، وعقيدة تقوم على الإيمان وترتكز على التضحية، ولهذا أطلق على مازيني « روح الثورة الايطالية » و « نبي الوحدة الإيطالية».

2.5 الأحزاب السياسية

وإلى جانب إيطاليا الفتاة ظهرت بعض الأحزاب الأخرى التي سعت أيضا إلى توحيد إيطاليا والنهوض بأبنائها، وإن اختلفت عن إيطاليا الفتاة في عدم إيمانها بالاتجاه الجمهوري، ومن أهم هذه الاحزاب:

أ- الحزب البابوي الاتحادي الذي تزعمه البابا بيوس التاسع Pius IX (تولى البابوية سنة 1846) الذي قام بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، ووافق على إنشاء مجلس استشاري من العلمانيين، وجيش أهلي يحل محل المرتزقة. وأنشأ مجلسا بلديا لمدينة روما، وسوى القسس بالأهالي في دفع الضرائب. وقد أزعجت هذه الأعمال الإصلاحية طاغية النمسا مترنيخ الذي صرح قائلا: « لقد كنا نتوقع كل شيء ما عدا ظهور بابا حر، والآن وقد ظهر فلا حد لما سنراه في المستقبل » .

ب- الحزب الملكي الذي تزعمه الملك شارل البرت ملك بيدمونت، منذ 1831، وهو الذي أخذ يتجاوب مع الحركات الحرة، ووافق على مراجعة القانون الجنائي وتخفيض الرقابة على المطبوعات، وتعديل قانون الاجتماعات العامة، وأعلن استعداده لخوض الحرب ضد النمسا لتحرير ايطاليا.

وفي فبراير/ شباط سنة 1848 قامت الثورة من جديد في فرنسا وأعلنت الجمهورية وكان لهذه الثورة صدى هائل في أوروبا، فقد اشتعلت الثورات في كل مكان، وحتى في النمسا حيث استقال مترنيخ وغادر البلاد، واضطر الإمبراطور إلى منح بلاده دستورا، وعمت الثورة مختلف مدن الامبرطورية. وكان من الطبيعي أن ينتهز الإيطاليون هذه الفرصة ليتحرروا من النفوذ النمساوي، فقامت الثورة في لمبارديا وأجبرت القوات النمساوية على الانسحاب من ميلانو، وطردت البندقية النمساويين منها وأعلنت الجمهورية فيها، وفي بيدمونت أصدر شارل البرت دستورا للبلاد، وأعلن الحرب على النمسا وانضمت اليه دوقيات الوسط، ونشط مازيني وأعلن قيام الجمهورية في روما.

ولكن الجيش النمساوي استعاد السيطرة على سينا والنمسا، وقضى على الثورة فيها، ثم أنزل الهزائم بجيش بيدمونت وأخمد الثورة في كل مكان، كما قامت فرنسا بالقضاء على جمهورية روما، ومرة أخرى تصاب الحركة الوطنية الإيطالية بنكسة، كان من أسبابها الانقسام الذي وقع بين أنصار مازيني الجمهوريين، وأنصار الملكية الذين فتر حماسهم للثورة نتيجة لانتشار الفكر الجمهوري الذي يعارضونه أشد المعارضة، كما لعب الجيش النمساوي الدور الحاسم في الإطاحة بآمال الإيطاليين في الوحدة.

3.5 مملكة بيدمونت بزعامة كافور

ولكن ايطاليا لم ترضخ للهزيمة، إذ وعت دروس الحرب، وبدأت الاستعداد لجولة جديدة من الكفاح، وانعقدت الآمال في هذه المرحلة بملك بيدمونت الجديد فيكتور عمانويل، الذي تولى العرش سنة 1849 بعد تنازل والده شارل ألبرت نتيجة لهزيمته من النمسا، وقد أعلن فيكتور عمانويل استمرار تأييده للحكم الدستوري، وعمل على النهوض بالمملكة وتنمية ثورتها وتعزيز جيشها لتستطيع القيام بالمهمة المرجوة منها.

وفي هذه الفترة لمع نجم السياسي العظيم كافور Cavour (1810-1861) وقد تولى كافور وزارة الزراعة سنة 1850 وأصبح رئيسا للوزراء سنة 1852. ورغم انتسابه لطبقة النبلاء إلا أنه كان يعتنق مبادئ الحرية والوحدة بالإضافة إلى الخبرة والمعرفة بالأساليب السياسية، وساهم بشكل أساسي في المطالبة بإصدار الدستور سنة 1848، وكان يتولى في ذلك الوقت جريدة يومية ذات اتجاه حر. وإلى جانب ذلك كان كافور يتصف بالإخلاص الشديد لإيطاليا ولقضية الوحدة، وقد أهلته كل تلك الصفات ليلعب الدور الأساسي في توحيد إيطاليا. (عبد الحميد البطريق. 1974، ص33).

وقد وضع كافور سياسة ذات شقين: داخلي وخارجي، وذلك حتى تتمكن بيدمونت من أن تلعب دورها التاريخي المنتظر.

1- في مجال السياسة الداخلية عمل كافور على النهوض بالناحية الاقتصادية، فاهتم بالزراعة والصناعة، وعقد المعاهدات التجارية وشجع تأسيس الجمعيات التعاونية والبنوك، ونشط في إنشاء الخطوط الحديدية، كما أعاد تنظيم الجيش وتسليحه.

2- وفي مجال السياسة الخارجية عمل على أن يكتسب لبلاده حليفا قويا في حربها الحتمية القادمة مع النمسا، وكان هذا الحليف بطبيعة الحال هو فرنسا، ولذلك انضم إلى فرنسا وبريطانيا ضد روسيا في حرب القرم 1853-1856 بهدف كسب صداقة وتأييد فرنسا على وجه الخصوص.

وفي يوليو/تموز سنة 1858 عقد اجتماع سري بين كافور وبين إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، واتفق الطرفان بصورة سرية على أن تنضم فرنسا إلى بيد مونت في الحرب ضد النمسا، بشرط أن تكون النمسا هي البادئة بالحرب. وبعد طرد النمسا من إيطاليا تنضم لمبارديا والبندقية وبارما ومورينا لبيدمونت وتتكون منها جميعا مملكة شمال

إيطاليا، التي تدخل في اتحاد مع مملكة وسط إيطاليا، ومملكة نابولي، وروما، ويتولى البابا زعامة هذه الدولة الاتحادية، وتكون مكافأة فرنسا الحصول على مقاطعتي نيس وسافوي من بيدمونت.

4.5 الحرب مع النمسا

بعد أن عقد كافور هذا الاتفاق مع نابليون الثالث عمد إلى استفزاز النمسا حتى أعلنت الحرب، وهزم النمساويون واضطروا إلى الانسحاب، وقامت الثورات في توسكانيا ومورينا وبارما وفي الولايات البابوية، ويبدو أن نابليون تخوف من هذه الروح الثورية، فعقد هدنة منفردة مع النمسا، واتفق مع إمبراطورها في يوليو/تموز سنة 1859 على أن تتنازل النمسا عن لمبارديا لبيدمونت ويعاد الأمراء إلى إمارتهم بشرط العفو عن رعاياهم الثوريين (وكان الشعب قد قام بطردهم وأعلن الانضمام إلى بيدمونت).

وعندما وجدت بيدمونت نفسها وحيدة في مواجهة النمسا، اضطر الملك فيكتور عمانويل إلى قبول الشروط السابقة، واستقال كافور غاضبا من خيانة نابليون ومن تخاذل الملك، ولأنه اعتبر الحصول على لمبارديا فقط لا يحقق الأماني التي كان يعقدها على نتائج الحرب.

ولكن الشعب الثائر في توسكانيا وبارما ومورينا وروما نا رفض الخضوع لحكامه السابقين وأصر على الانضمام إلى بيدمونت، مما حدا بكافور إلى العودة إلى السلطة في يناير/كانون ثاني سنة 1860، ودخل في مفاوضات جديدة مع نابليون الثالث ليحصل على موافقته على ضم تلك الإمارات إلى بيدمونت مقابل حصول فرنسا على سافوي ونيس (اللتين لم تحصل عليها نتيجة لانسحابها من الحرب) ووافق نابليون بشرط إجراء استفتاء للأهالي، وفعلا أجري استفتاء في مارس/آذار سنة 1860 ووافقت الأغلبية على الانضمام إلى بيدمونت وفي الشهر نفسه حصلت فرنسا على الثمن وهو مقاطعتا نيس وسافوي.

وهكذا خطت حركة الوحدة الإيطالية خطوة كبيرة في طريق النجاح، ولم يبق لتحقيق الوحدة الكاملة سوى ضم نابولي والبندقية والممتلكات البابوية (بما فيها روما).

غاريبالدي:

لما كانت هناك صعوبات جمة تعترض ضم البندقية والممتلكات البابوية، فقد آثر البدء بضم نابولي، وعهد كافور بهذه المهمة إلى غاريبالدي.

ويعتبر غاريبالدي (1807-1882) من الشخصيات الفذة التي أنجبتها إيطاليا في القرن التاسع عشر، ولقد لعب دورا عظيما في حركة الوحدة الإيطالية لا يقل عن الدور الذي لعبه كل من مازيني وكافور، وإذا كان ماتزيني هو روح الحركة، وكافور هو عقلها المدبر، فإن غاريبالدي كان الجندي الشجاع والمقاتل الباسل ويد الحركة الضاربة وسلاحها المشهر في وجه أعدائها.

آمن غاريبالدي في مطلع شبابه بأفكار مازيني واشترك في الثورات والمؤامرات التي قامت سنة 1835، وفر على أثرها إلى امريكا الجنوبية، حيث اشترك في حرب العصابات هناك ضد الإسبان، ثم عاد إلى إيطاليا والتحق بقوات بيدمونت في حربها ضد النمسا سنة 1848، وبعد هزيمة بيدمونت في هذه الحرب ساهم مع مازيني في تأسيس جمهورية روما سنة 1849، وناضل نضال المستميت دفاعا عن هذه الجمهورية ضد قوات فرنسا الغازية، ولكنه بعد هذه التجربة الفاشلة تراجع عن أفكاره الجمهورية وأيد سياسة كافور وفيكتور عمانويل، وكان هو بطل الحرب ضد النمسا سنة 1859م.

وفي مايو/آيار سنة 1860 كون غريبالدي فرقة من 1000 رجل من المتطوعين عرفت باسم « القمصان الحمراء »، ونزل بهم في جزيرة صقلية، وانضم الشعب المتحمس إلى قواته، فاستولى على العاصمة « باليرمو » وأقام بها حكومة مؤقتة، ثم عبر المضيق وتقدم شمالا حتى دخل مدينة نابولي عاصمة المملكة في سبتمبر/ايلول سنة 1860، ولم يبق أمامه إلا بعض الحصون الشمالية حتى تصبح المملكة في قبضته.

وهنا أمر كافور بأن تتحرك قوات بيدمونت لمعاونة غاريبالدى، ولوقف مؤامرات البابا الغاضب على بيدمونت لضمها رومانا، وكان البابا يهدد بإعلان الحرب الدينية ضد بيدمونت، وحلت الهزيمة بالقوات البابوية واحتل جيش بيدمونت أملاك البابا، ماعدا روما، ثم تقدم في أراضي نابولي وانضم إلى قوات غاريبالدى، وتعاون الجيشان في إخضاع باقي أراضي نابولي، وفي اكتوبر/تشرين أول سنة 1860 اجرى استفتاء في نابولي وصقلية كانت نتيجته الموافقة على الانضمام الى بيدمونت.

وفي 17 مارس/آذار سنة 1861 أعلن أول برلمان إيطالي قيام « مملكة ايطاليا »، ونودي بفيكتور عمانويل ملكا عليها، وقامت الحكومة على أساس دستور بيدمونت سنة 1848.

وفي 6 يونيو/حزيران من السنة نفسها توفي كافور بعد أن قدم لإيطاليا أجل الخدمات، وقد اتصف خلال الفترة التي تولى فيها الحكم بالجرأة مع الاعتدال، وبالصبر مع بعد النظر، وبالمهارة السياسية الفائقة والقدرة على المناورة وانتهاز الفرص، ولم يهتز تأييده للمبادئ الحرة الدستورية حتى وفاته .

5.5 إتمام الوحدة الإيطالية

في مايو/أيار سنة 1860 عقد تحالف بين إيطاليا وبروسيا، وفي الشهر التالي دخل الطرفان الحرب ضد النمسا، وبرغم هزيمة إيطاليا في البر والبحر، فان انتصار بروسيا أدى إلى تنازل النمسا عن البندقية لتنضم إلى إيطاليا في يوليو/تموز سنة 1860م.

وبقيت روما وحدها خارج نطاق إيطاليا، وكانت فرنسا تقوم بحماية مركز البابا، وفشلت محاولات غاريبا لدى في الاستيلاء عليها، بل إنه وقع في الأسر خلال إحدى المعارك. ولكن انسحاب القوات الفرنسية من روما سنة 1870 عند قيام الحرب الفرنسية - البروسية وهزيمة فرنسا في موقعة سيدان، أتاح للايطاليين الفرصة، فدخلوا روما التي انضمت إلى ايطاليا سنة 1870 وأصبحت عاصمة لها.

وظلت العلاقات بين إيطاليا والبابوية سيئة، واعتبر البابا نفسه سجين الفاتيكان، حتى عام 1929، عندما وقعت معاهدة بين الطرفين أنشئت بمقتضاها دولة الفاتيكان المستقلة داخل روما، وقامت إيطاليا بدفع تعويضات مالية للبابوية، فأتاح هذا للبابا سلطة دنيوية على مساحة من الارض تبلغ حوالي 109 فدان، بالإضافة إلى سلطته الروحية على رعايا الكنيسة الكاثوليكية.

تدريب (3)

كان للجمعيات السرية والأحزاب السياسية وبعض الزعماء السياسيين دورهم المهم في إتمام الوحدة الايطالية، وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- اشرح الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية لاحتلال نابليون لإيطاليا.

2- كانت النمسا العدو الاول أمام الوحدة الإيطالية. اشرح ذلك.

6. الإتحاد الألماني

كانت المانيا في مطلع القرن التاسع عشر مـجزأة إلى ما يزيد على الثلاثمائة دوقية وإمارة ذات أنظمة سياسية متعددة تحكم غالبيتها من قبل الإمبراطورية النمساوية. وكانت في ألمانيا مملكة واحدة مستقلة هي بروسيا التي تكونت في أول أمرها من مقاطعة صغيرة حول برلين، وازدهرت بعد ذلك كمملكة قوية يرهب جانبـها في عهد فردريك الاكبر، الذي تولى العـرش عـام 1740 وهو مـؤسس أسـرة هوهنزلرن Hihenzollern التي استمرت تحكم بروسيا ثم ألمانيا الموحدة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. وكانت الدول الأوروبية الكبـرى تعمل جاهدة على إبقاء ألمانيـا في حالة ضعف وتمزق لتضـمن بقاءها بعيدا عن تهديد مصالحها التوسـعية، وكان من أهم تلك الدول بالإضافة إلى النمسا كل من روسيا وفرنسا وانجلترا.

وعلى الرغم من كل هذه الاختلافات في وسـائل الحكم فإن الشعب الألماني ظل يروم الوحدة الوطنية ويرغب في زيادة الروابط الألمانية قوة.

وقد لعبت الثورة الفرنسية دورا بارزا في يقظة الشعب الألماني وتنبيهه إلى ضرورة العمل من أجل توحـيد ألمانيا وتحريرها من سيطرة الدول الأجنبية، وتم ذلك عن طريق نابليون بونابرت الذي خفف من حدة التـجزئة الألمانية بجعلها 39 مقاطعة فقط، والأثر الثاني كان في النهضـة الواسعة التي عمت البلاد لمقاومـة الحكم الفرنسي وتطلع الشعب إلى إيجـاد اتحاد قوي يـدافع عن الوطن الالماني، وقد سـاعد على ذلك هزيمة نابلـيون ومقررات مؤتمر فينا الذي كان من بين قراراته إنشاء الاتحاد الألماني (الدايت)، والذي اعتبـر قيامه اعـترافا دوليا بأحـقية الشعب الألماني في الوحـدة، إلا أن هذا الاتحاد ولد ضعيفا لأن النمسا كانت تعارض وحدة الشعب الالماني.

وهنا بدأت أصوات المفكرين ترتـفع في ألمانيا مطالبة بالثـورة ضد النمسا وتحـقيق الوحدة الألمانية، وكـان من أهم أولئك المفكرين هيجل الذي بنى فلسفته السـياسية على تمجيد الجنس الألماني وضرورة إقامة وحدة المانية قومية تجسدها دولة قوية يخشاها العالم ويرهب جانبها.

وكانت المحاولة الوحـدوية الزائفة التي قام بها متـرنيخ عن طريق تكوين مجلس اتحـادي من مندوبين عن الحكام الالمان (الديات) مـثار نقـد شـديد بين القومـيين الألمان وبالتالي فإنها لم تحقق سوى الفشل الذريع .

إذ لم يكن للنمسا مصـلحة في قيام دولة المانية متحـدة، وكان لدى مترنيخ الذي كان يوجـه السياسة النمـساوية، وجهـة نظر بشأن مسـتقبل ألمانيا تغـاير أفكار القادة في برلين. فـبينمـا كان هؤلاء القـادة يدعون إلى طرد نابليـون من ألمانيا بالقـوة لخلق دولة متحدة، كان مترنيخ يرغب فرض توسطه على الفرق المتناحرة، وإخراج نابليون من المانيا عن طريق المفاوضة وبذلك يـنجب اتحادا المانيا واهي العرى مؤلف من ولايات مـتساوية خاضعة لتزعم النمسا.

وفي هذا المناخ الرجعي خطت بروسيا الخطوة الأولى لتـوحيد ألمانيا عندما أعلنت سنة 1819 عن قيام « الاتحـاد الجمركي لالمانيا الشمـالية » فألغت المكوس الجمـركية بين الولايات المنضمة اليه، وزيدت على البضائع الواردة من الولايات الخارجة عنه، مما أدى إلى انضمام معظم الولايات الالمانية إليه بالتدريج، حتى تحول سنة 1834، إلى « الاتحاد الجمركي الالماني»، وقد حـرصت بروسيا على إبقاء النمسا خـارج هذا الاتحاد الجمركي لتنفرد بزعامته، وقد ساعد الاتحـاد على تقوية الأواصر الاقتصادية بين الولايات الألمانية مما مهد للوحدة السياسية فيما بعد.

ومن جانب آخـر كانت الأفكار والمبادئ القومـية قد انتشرت بـين صفوف الألمان والشباب منهم خاصة في اثناء فترة الاحتلال الفرنـسي لألمانيا، وقد ساعد على نشر تلك المبادئ عدد من المفكرين والفلاسفـة على رأسهم فيخته Fichte (1762-1814) الذي نادى بضرورة إحياء الأمة الألمانية. وأكد في كتاباته على تفوق هذه الأمة وعظمة مواهب أبنائهـا، وتألفت الجمعـيات والأندية الوطنيـة، وعقـد الشبـاب الاجتمـاعات وأقـاموا الاحتفالات. وفي سنة 1819 قام أحد الطلبـة باغتيال صحفي اتهم بالتـجسس لحساب قيصر روسيا، فدعا مترنيخ إلى عـقد مؤتمر من أمراء الولايات في مدينة كارلسباد، وقد صدرت عن هذا المؤتمر قرارات رجعية عـرفت باسم « مراسيم كارلسباد » ومن أهم هذه القرارات:

- إلغاء جمعيات الطلبة وإغلاق أنديتهم، ومنع عقد الاجتماعت السياسية.
- وضع الجامعات وأساتذتها تحت رقابة الحكومة.
- تشديد الرقابة على الصحف.
- تشكيل لجنة مـركزية تكون مهـمتـها مطاردة الجمـعيـات السرية والبـحث عن الثوار والتنكيل بهم.

وقد أعاقت هذه القرارات، التي التزمت بتنفيذها كل الولايات الألمانية - نمو الحركة الدستورية في ألمانيا لجيل كامل، وقد ظهر أثر هذه المراسيم سنة 1830 عندما قامت الثورات في أنحاء مختلفة من ألمانيا نتيجة لقيام الثورة في فرنسا، فقد أخمدت هذه الثورات بغير شفقة وزادت القيود على الشعب في كل مكان.

1.6 مؤتمر فرانكفورت سنة 1848م

مر بنا من قبل كيف عمت الثورات أوروبا كلها سنة 1848 نتيجة لقيام الثورة في فرنسا، وحتى النمسا نفسها لم تسلم منها، أما في ألمانيا فقد اتجهت الحركة الثورية نحو تحقيق الاتحاد القومي للشعب الألماني، وتم انتخاب برلمان يتألف من حوالي 550 عضوا، عقد أول اجتماعاته في فرانكفورت في 18 مايو/أيار سنة 1848.

وفي 27 مارس/آذار 1849 أعلن المؤتمر دستور فرانكفورت الذي نص على إقامة إمبراطورية فدرالية ألمانية تنضم إليها جميع الولايات الألمانية ما عدا النمسا، لأن غالبية سكانها من عناصر غير ألمانية، كما انتخب المؤتمر في اليوم التالي الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا إمبراطورا على ألمانيا، ولكن الملك أبلغ وفد البرلمان أنه بمقتضى حقه الإلهي لا يستطيع قبول تاج من أيدي جمعية ينتخبها أفراد الشعب، كما اعترضت النمسا على استبعادها من الاتحاد المقترح، وعلى إسناد منصب الإمبراطور إلى ملك بروسيا، وقامت الحكومة بفض اجتماعات البرلمان وتشتيت أعضائه.

وعلى الرغم من هذا، فقد حاول ملك بروسيا تحقيق وحدة ألمانية تتفق مع آرائه الخاصة، عن طريق الاتصال بالأفراد والحصول على موافقتهم على إنشاء الاتحاد الالماني بزعامة بروسيا، ولكن النمسا تدخلت وضغطت على الأمراء لرفض المشروع، وبعد أن حشدت جيشها انذرت بروسيا بأن لا تقدم على أي عمل من شأنه تغيير النظام القديم، وحيث إن ملك بروسيا لم يكن مستعدا للحرب، فقد اضطر إلى التراجع وعقد مع النمسا في 29نوفمبر/تشرين ثاني سنة 1850 اتفاقية اولمتز Olmits التي أقرت بقاء الأوضاع في ألمانيا على ما كانت عليه، ورغم هذا الفشل في سياسة بروسيا، فقد صمد الاتحاد في وجه الأعاصير، بل أعلنت ولاية ألمانية أخرى انضمامها إليه ونجحت بروسيا في إبقاء النمسا خارج نطاقه برغم محاولات الانضمام إليه للإفادة من مزاياه.

وفي سنة 1861 تولى العرش في بروسيا الملك وليم الاول، وقد وضع نصب عينية تقوية الجيش حتى لا تتعرض بروسيا للإذلال مرة أخرى، وقد عهد بهذه المهمة

إلى الجنرال فون رون Von Roon الذي كان من المؤمنين بالوحدة الألمانية، وبأن بروسيا هي معقد الامل في تحقيق الهدف، وأن جيشها هو الأداة التي ستنفذ الوحدة، لهذا عمل منذ توليه وزارة الدفاع على زيادة عدد الجيش البروسي ورفع مستوى كفاءة أفراده وتزويده بأحدث الاسلحة.

وقد أصبح من الضروري التركيز على إنشاء قوة عسكرية تستطيع أولا طرد النمسا من ألمانيا ثم تتولى بعد ذلك تحقيق الوحدة الألمانية، وكان هنالك إجماع الماني على أن إيجاد مثل هذه القوة لا يتم إلا على يد بروسيا وهي مرشحة للقيام بدور التوحيد وخصوصا بعد أن ظهر في بروسيا رجلان لعبا دورا أساسيا في قيام الوحدة الالمانية - وهذان الرجلان هما وزير الحربية فون رون والمستشار أوتوفون بسمارك. (عبد العزيز نوار، 1982، ص62).

2.6 بسمارك وسياسته

ينتمي بسمارك (1815-1898) لطبقة الملاكين البروسيين ذوي النفوذ والسلطة، تلقى علومه في جامعة برلين، ثم التحق بخدمة الحكومة، ولكنه اعتزلها للتفرغ لإدارة مزارعه. وفي عام 1848 انتخب عضوا في البرلمان حيث أظهر ولاء منقطع النظير لملك بروسيا، كان بسمارك يؤمن أن النظام الملكي المطلق هو أصلح الانظمة الحكومية، وأن اتحاد المانيا لا يتم بالطرق الديمقراطية وإنما بوجود ملك قوي يعتمد على قوة الجيش وتأييد الأشراف وطبقة الموظفين والكنيسة البروتستانتية.

وبعد سنوات قليلة تقلد بسمارك منصب السفارة في بطرسبرغ ثم في باريس، ولما تولى فيلهلم الأول حكم بروسيا استدعى بسمارك من باريس ليتولى رئاسة الوزراء عام 1862م.

كانت خطة العمل التي وضعها بسمارك تنطوي على إجبار النمسا وفرنسا على التخلي عن ممتلكاتها في ألمانيا وبسط نفوذ بروسيا على جميع ألمانيا، وقد أدرك منذ البداية أن هذا لن يتم إلا بقوة الجيش البروسي، ولذا فقد عرض على البرلمان البروسي فتح اعتمادات مالية للإنفاق على تقوية الجيش لأن المسألة الالمانية - كما قال « لا تحل بالخطب والمناقشات البرلمانية بل بالدم والحديد »، ولما رفض إعطاءه الأموال اللازمة سارع إلى إصدار الاعتمادات بأوامر ملكية، وألقى المعارضين في السجون، وفرض

الرقابة على الصحف، وأوقف العمل بالدستور، ولما تم له أمر إعداد الجيش أخذ ينتهز الفرصة ليدخل في حرب مع النمسا.

3.6 الحرب مع النمسا 1866م

ضمن بسمارك حياد روسيا في نزاعه مع النمسا وذلك بمساعدته إياها في إخماد ثورة البولنديين ضد روسيا عام 1863، كما اتفق مع نابليون الثالث على أن يقف على الحياد مقابل حصول فرنسا على بعض المكاسب في منطقة الراين، ووجد بسمارك الفرصة مناسبة للدخول في حرب مع النمسا حينما برزت مشكلة دوقيتي شلزويج وهولشتاين الألمانيتين عام 1864. وملخص هذه المشكلة أن هاتين الدوقتين كانتا تتبعان التاج الدانمركي وفي نفس الوقت كانتا ضمن الاتحاد الألماني، فلما توفي ملك الدانمارك عام 1863 طالب سكان الدوقتين بانفصالهما عن الدانمارك، وحرض بسمارك النمسا على الاشتراك مع بروسيا، في إعلان الحرب على الدانمارك وسرعان ما أذعنت الدانمارك وتنازلت عن الدوقيتين للنمسا وبروسيا على أن بسمارك كان مصمما على ضم الدوقيتين إلى بروسيا برغم معرفته أن النمسا لن تقف مكتوفة الأيدي، فانتهز فرصة تشجيع النمسا للأمير المطالب بعرش الدوقيتين وقام باحتلال هولشتاين - وكانت تابعة للنمسا - فدخلت النمسا الحرب ضد بروسيا.

كانت الحرب بين النمسا وبروسيا حربا خاطفة لم تستمر أكثر من سبعة أسابيع استطاعت القوات البروسية خلالها هزيمة النمسا في موقعة سادوا (Sadwa) في بوهيميا عام 1866. وكان باستطاعة القوات البروسية التقدم نحو فينا إلا أن بسمارك استجاب لوساطة نابليون الثالث وأوقف الحرب لئلا تقوم محالفة فرنسية نمسوية، ورغبة منه في عدم اذلال النمسا كي يضمن بقاءها على الحياد في صراعه المقبل مع فرنسا. (عبد الحميد البطريق، 1974، ص38).

وبموجب معاهدة الصلح (براغ) التي عقدت عام 1866 بين النمسا وبروسيا خرجت النمسا من الاتحاد الألماني الذي كانت تسيطر عليه منذ عهد مترنيخ وانضمت جميع الدويلات الواقعة في شمال نهر الراين في اتحاد فيدرالي ألماني شمالي تحت زعامة بروسيا، ولم يبق خارج الاتحاد سوى ثلاث دويلات جنوبية وهي بادن وفورتمبرج وبافاريا. ولكن بسمارك لم يترك فرصة إلا وأظهر فيها لهذه الدويلات خطر بقائها وحيدة

خارج الاتحاد سيما وأن نابليون الثالث بات يهدد بالتوسع على حساب الدويلات الألمانية المجاورة، ولذلك فسرعان ما عقدت هذه الدويلات تحالفا عسكريا مع بروسيا.

4.6 الحرب الفرنسية - البروسية 1870م

كان نجاح الاتحاد الألماني الشمالي ينذر بالسوء لفرنسا، لأنه كان يعني قيام دولة قوية على الحدود الفرنسية، فانقسام ألمانيا وتفككها يجعل فرنسا صاحبة النفوذ في غرب أوروبا، ولذا كانت فرنسا تقف دائماً ضد فكرة الوحدة القومية الألمانية، فمن الطبيعي والحال هذه أن تنزعج فرنسا من انتصار بروسيا الخاطف على النمسا في سادوا وتصمم على القضاء على ألمانيا الجديدة قبل أن يقوى ساعدها، أما بروسيا فكانت مستعدة لخوض غمار الحرب ضد فرنسا حتى تستطيع ضم الولايات الألمانية الجنوبية إلى الاتحاد الألماني.

كانت الخطة التي اعتمدها بسمارك إزاء فرنسا أن تكون الحرب سريعة فلا تتمكن النمسا من الثأر لنفسها فيما لو طالت الحرب، وفي الوقت نفسه يضمن حياد روسيا بل دخولها إلى جانبه إذا ما انضمت النمسا إلى فرنسا.

وكما كانت مشكلة دوقيتي شلزويخ وهولشتاين ذريعة للحرب النمسوية البروسية جاءت الفرصة لتكون مشكلة الوراثة الإسبانية ذريعة للحرب الفرنسية البروسية، وملخص ذلك أن إسبانيا اختارت في أعقاب فرار الملكة إيزابيلا إلى فرنسا الامير ليوبولد من آل هوهنزلرن ويمت بصلة القرابة لملك بروسيا ليتولى العرش الإسباني، عندئذ احتجت فرنسا خشية أن يكون هذا من شأنه توحيد سياسة الدولتين الإسبانية والبروسية وقلب التوازن الدولي في أوروبا ..... وبالرغم من اعتذار ليوبولد عن قبول التاج الاسباني إلا أن فرنسا غالت بعد ذلك فطلبت من بروسيا أن تتعهد بألا توافق في المستقبل على ترشيح أحد من آل هوهنزلرن لتاج إسبانيا. فرفض ملك بروسيا هذا المطلب الماس بكرامته وذلك في أثناء مقابلة بينه وبين السفير الفرنسي، وحينما أرسل الملك البروسي من ايمز برقية لبسمارك بمحضر الجلسة سارع الأخير إلى نشرها في الصحف بشكل مقتضب بعد حذفه عبارة المجاملة منها، فثارت ثائرة فرنسا وارتفعت الأصوات بطلب إعلان الحرب، وكان في وسع الحكومة الفرنسية تجنب الحرب لو كانت راغبة في دلك بنشرها من طرفها حقيقة ما حدث. ولكنها على ما يبدو كانت تتوق إلى

الحرب كما توقع بسمارك وكان من سوء حظ فرنسا أنها لم تكن مستعدة للحرب في حين كانت بروسيا في كامل استعدادها.

ونجح بسمارك في حمل فرنسا على إعلان الحرب في 19 يوليو/ تموز سنة 1870، فهبت الولايات الجنوبية لمساعدة بسمارك، واجتاحت الجيوش الألمانية فرنسا، وفي 2,1 سبتمبر/ ايلول حلت بفرنسا كارثة قومية كبرى حيث هزم الجيش الفرنسي في موقعه سيدان واسر 100,000 جندي على رأسهم الإمبراطور نابليون الثالث نفسه. فقامت الثورة على الفور في باريس وأعلنت الجمهورية الثالثة في 4 سبتمبر/ أيلول سنة 1870، وتألفت حكومة للدفاع الوطني لتعمل على إنقاذ فرنسا من الأخطار العظيمة المحدقة بها، ولكن الجيش الالماني واصل الزحف وحاصر باريس أكثر من أربعة اشهر حتى اضطرت المدينة إلى التسليم في 28 يناير/ كانون ثاني سنة 1871.

وفي 10 مايو/ أيار سنة 1871 عقد الصلح الذي نص على أن تستولي ألمانيا على إقليمي الالزاس واللورين، وأن تدفع فرنسا غرامة حربية تبلغ 5 مليارات فرنك، وأن يبقي الاحتلال الألماني للأراضي الفرنسية حتى تدفع الغرامة، وفعلا تم دفعها بسرعة عن طريق عقد قروض وطنية وعبر آخر جندي ألماني الحدود في 16 سبتمبر/ أيلول سنة 1873.

5.6 إعلان الامبراطورية الألمانية

طالب الرأي العام الألماني في أثناء الحرب باتحاد شمال المانيا مع جنوبها وقام بسمارك بالتفاوض مع كل ولاية جنوبية على حدة، وأبدى مرونة وتساهلا كبيرين حتى حصل على موافقة الجميع. وفي قصر فرساي نودي بوليم الأول إمبراطورا على ألمانيا المتحدة في 18 يناير/ كانون ثاني سنة 1871، وكانت الإمبراطورية الجديدة تضم 25 ولاية.

ونختم هذه الدراسة بمقارنة سريعة بين حركتي الوحدة الايطالية والاتحاد الالماني، فكل منهما يشبه الاخرى في بعض الوجوه وتختلف عنها في وجوه أخرى. ففي كلتا الحركتين يظهر اسم بارز هو كافور في الوحدة الإيطالية وبسمارك في الاتحاد الالماني، كما أن الخطوة الأساسية في الوحدة الإيطالية لم تتم إلا بشن الحرب ضد النمسا، وكذلك لم يتم الاتحاد نهائيا إلا بعد دخول بروسيا حربين اوروبيتين ضد كل من النمسا وفرنسا.

وتختلف الحـركتان في أن عنصر البطـولة الشعبيـة عنصر غير واضح في الحـركة الألمانية، وضـوحه في حـركة الوحدة الإيطاليـة، من خلال الدور الذي قـام به مازيني وغاريبالدي وآلاف المتطوعين من ذوي القمصـان الحمراء، ولكن في ألمانيا تولى العنصر الحكومي العمل.

وهناك اختلاف آخر على درجـة بالغة من الأهمية هو النتيجـة التي أسفرت عنها الحركتـان فإيطاليا اتحدت اتحادا تامـا، أما الحركة الالمانية فقـد تشكلت من دولة تعاهدية احتفظت فيها أقسامها السياسية بنظمها وحقوقها وسلطاتها.

تدريب (4)

كان انتصار بسمارك على فرنسا السبب المباشر في إعلان الإمبراطورية الألمانية، وضح ذلك .

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- كانت سياسة بسمارك وحنكته عاملا هاما في توحيد الامبراطورية الألمانية ، اشرح .

2- قارن بين الوحدة الايطالية والاتحاد الالماني .

7. الخلاصة

لقد اشتمل هذا الفصل على أحداث تاريخية هامة في أوروبا حيث اتجهت شعوب كثيرة من شعوب هذه القارة نحو التجمع على أسس قومية ضمن حدود سياسية مستقرة داخل أقاليم بحيث أصبح أهل كل إقليم يشعرون بالمصلحة المشتركة إلى جانب الاشتراك في اللغة والدين والجنس وظهور ونمو الشعور القومي الذي أدى بدوره إلى ازدياد التماسك بين أفراد الأمة ونتج عن ذلك ظهور الملكيات القومية باعتبارها أكثر الأنظمة ملاءمة لأوضاع أوروبا آنذاك وخاصة في إنجلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال.

كذلك لقد تعرفت، عزيزي القارئ، على التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي عاصرت الفكر القومي منذ مؤتمر فينا عام 1815 والذي أهمل مبدأ القوميات وحتى منتصف القرن التاسع عشر.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إهمال مؤتمر ڤينا للقوميات جعل تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر يزخر بالثورات القومية الساعية إلى الاستقلال، خاصة وقد استيقظت الشعوب على مبادئ الثورة الفرنسية، وأخذت تطالب في الحرية والديمقراطية والوحدة، فاستقلت بلجيكا عن هولندا عام 1830 وثارت شعوب البلقان ضد الحكم العثماني مشكلة دولاً مستقلة، وسعى البولنديون إلى تحرير بلادهم وسعى كل من الشعبين الألماني والإيطالي إلى القضاء على السيطرة النمساوية وقيام الوحدة الإيطالية والاتحاد الألماني.

8. لمحة مسبقة عن الفصل الثالث

عزيزي القارئ،

يعالج الفصل الثالث موضوع الثورة الصناعية في أوروبا وأسباب قيامها من تقدم علمي وتوفر لرؤوس الأموال وظهور الطبقة العاملة ثم أهم مظاهر هذه الثورة ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كما يعالج موضوع الاستعمار الأوروبي وأشكاله سواء أكان انقلاباً أو غزواً عسكرياً أو استيطاناً، ودوافع الاستعمار وعوامل ظهوره الاقتصادية والعسكرية والسكانية والثقافية والقومية والذرائع التي يلجأ إليها الاستعمار لتحقيق مآربه، باستخدامه الأساليب الإنسانية أو ادعائه بنشر الحضارة والفكر الحديث أو استخدامه الشركات التجارية والبترول كرأس حربة له. ولا تنتهي الوحدة إلا بالحديث عن التوسع الاستعماري في العالم وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا مع التركيز على الاستعمار في الوطن العربي في شقيه الآسيوي والإفريقي ومقاومة الوطن العربي لهذا الاستعمار.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

يمكن اعتبار مقررات مؤتمر فيينا والمعاهدات والتسويات الملحقة به أعظم اتفاق ديبلوماسي توصلت إليه الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر، وكان لهذه المقررات نواحٍ إيجابية هامة ونواحٍ سلبية كثيرة منها أن دعاة القومية والحكم الديمقراطي قد أصيبوا بخيبة أمل في جميع أنحاء أوروبا وبخاصة ألمانيا. ذلك أن رسم الحدود بين بلدان أوروبا وتوزيع المناصب والمكاسب قد تم دون الأخذ بعين الاعتبار إرادة شعوب بلدان أوروبا ومصالحهم القومية والاقتصادية، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الذين أشرفوا على أعمال المؤتمر كانوا من خصوم الأفكار القومية والديمقراطية وهما القوتان الأكبر فعالية في الفترة الزمنية التالية لعقد المؤتمر وكان أن قامت حركات ثورية حربية في أوروبا في الفترة بين 1830- 1848 لعب فيها مبدأ القوميات دوراً كبيراً وخاصة في بلجيكا التي استقلت عن هولندا، وكان مؤتمر فيينا قد قضى سابقاً بانضمام البلدين في دولة واحدة، ولم يكن القرار حكيماً لأنه تجاهل الفروقات اللغوية والدينية التي تفصل بين الشعبين وكذلك بولونيا التي ثارت ضد قيصر روسيا، وكان مؤتمر فيينا قد قضى بجعل بولونيا دولة مستقلة يحكمها القيصر، وكذلك نشبت الثورات في دول أوروبا الشرقية وبعض الولايات البابوية.

تدريب (2)

قضى مؤتمر فيينا بعودة الملكية إلى فرنسا، وارتقى العرش لويس الثامن عشر الذي أخذ يعود بالبلاد إلى الحكم الملكي المستبد تدريجياً، والتعاون مع أعداء فرنسا في الخارج، كما ترك أعوانه يضطهدون أنصار نابليون ويلاحقونهم، وسمح للكنيسة باسترداد نفوذها الذي فقدته زمن الثورة، كل هذه الأعمال مسّت مشاعر الفئات الوطنية من الفرنسيين، وفي نهاية حكمه كانت الرجعية قد تركزت في الكثير من المواقع ومراكز القوى في الإدارة والجيش وأصبحت لها اليد الطولى في تدبير شؤون البلاد، ومما زاد الأمور سوءاً سياسة شقيقه شارل العاشر الذي خلفه بعد موته، حيث دعم الرجعية في تصرفاتها وأطلق يدها في شؤون البلاد وأعاد للكنيسة نفوذها القديم ووضع التعليم تحت

إشراف طائفة الجيزويت المؤيدين للملكية المطلقة ومنح تعويضات مالية كبيرة للأشراف الذين هاجروا زمن الثورة بدلاً من أملاكهم التي فقدوها. كما قام بتعيين (بولنباك) سفير فرنسا في لندن والمعروف بعدائه الشديد للنظم المتحررة رئيساً للوزراء وحكم البلاد سبعة أشهر دون أن يدعو البرلمان إلى الانعقاد، وعندما احتج أعضاء البرلمان على ذلك وطالبوا بمشاركة الحكومة السلطة أمر شارل العاشر بحل البرلمان، ولكن الانتخابات الجديدة أفرزت عدداً أكبر من الأحزاب، فكان رد الملك إصدار أربعة مراسيم قضت بحل البرلمان مرة ثانية، وقام بتقييد حرية الصحافة وتعديل قانون الانتخاب بحيث أصبح أكثر الناخبين من ملاك الأراضي، فأيقن الأحرار الجمهوريون والجمعيات العمالية على ضرورة اللجوء إلى العصيان المسلح، ونزل الطلاب والعمال إلى الشوارع وأقاموا المتاريس في الشوارع وأغلقوا المصانع وجرى توزيع الأسلحة على الناس، وحاول الملك استرضاء الجماهير والعودة إلى المراسيم الأربعة، ولكن رجال الثورة أصروا على خلعه فهرب شارل العاشر إلى الخارج.

تدريب (3)

أ- الجمعيات السرية

لجأ الشعب الإيطالي إلى تكوين الجمعيات السرية لتحقيق أهدافه القومية في الوحدة ومن أشهر هذه الجمعيات:

1- **جمعية الكاربوناري**: تأسست في نابولي وانتشرت بين العسكريين والمثقفين وأنشأت لها فروعاً في أنحاء إيطاليا، إلى أن تمكنت عام 1820 من إشعال الثورة وإرغام الملك على منح دستور للبلاد، وانتقلت الثورة إلى بيدمونت ثم إلى لمبارديا التي هبت للتخلص من الحكم النمساوي ولكن سرعان ما أخمدت ثورتها بعد عشر سنوات، وانتشرت ثورات الكاربوباري في الولايات البابوية ودوقيات الوسط وتمكن الثوار من السيطرة على بعض هذه الدوقيات ولكن الجيوش النمساوية قضت على تجمعاتهم، وعلى أثر ذلك انكمشت جماعة الكاربوناري، وبرزت شخصية زعيم من زعمائها (جوزيف مازيني) الذي كرس حياته لتحقيق الوحدة الإيطالية برغم ما تعرض له من سجن ونفي حتى حكم عليه غيابياً بالإعدام.

2- **جمعية ايطاليا الفتاة**: أسسها مازيني عام 1831 وهو في منفاه في مرسيليا وأشعل

نار الوطنية في قلـوب مواطنيه وأكد أن الهـدف الذي يسعى إلى تحقـيقه هو إقـامة جمهـورية موحدة في إيطاليا ومن هنا أطلق عليـه اسم روح الثورة الايطالية، وبنى الوحدة الإيطالية.

ب- الأحزاب السياسية، ومن أهمها

1- الحـزب البابوي الاتحـادي تزعمـه البابـا بيوس التـاسع، والذي قام بإطلاق سـراح المعتـقلين السيـاسيين ووافق على إنشاء مـجلس استـشاري من العلمـانيين، وجيش أهلي، وأنشأ مجلسـاً بلدياً لمدينة روما، وأجبر القساوسـة على دفع الضرائب أسوة بالأهالي.

2- الحزب الملكي تزعمه الملك شارل ألـبرت ملك بيدمونت منذ عام 1831 والذي أخذ يتجاوب مع الحركـات الحرة، ووافق على مراجعة القانون الجنائي وتـخفيض الرقابة على المطبوعات، وتعديل قانون الاجتماعـات العامة حتى أنه أعلن أنه على استعداد لخوض الحرب ضد النمسا في سبيل تحرير إيطاليا.

وعندما اشتعلت الثورة في فرنسا عام 1848 وأعلنت الجمهورية اشتعلت الثورات في أوروبا وعمّت مختلـف مدن الامبراطورية النمسوية، فانتـهز الإيطاليون هذا الوضع ليتحـرروا من النفوذ النمساوي فقـامت الثورات في لومبارديا وميـلان، وطردت البندقية النمساويين وأعلنت الجمـهورية فيها وأصدر ملك بيدمونت شـارل ألبرت دستوراً للبلاد وأعلن الحـرب على النمسـا، وبعد أن انضـمت إليه دوقـيات الوسط نشط مـازيني وأعلن قيام الجمهورية في روما.

ولكن سرعان مـا استعاد الجيش النمسـاوي قوته وسيطرته فهزم جـيش بيدمونت وأخمد الثورة في كـل مكان في إيطاليا، وهكذا أصيبت الحركة الوطنيـة الايطالية بنكسة وقضى الجيش النمساوي على آمال الإيطاليين بالوحدة.

لم ترضخ إيطاليا للهزيمة، وبدأت الاستعداد لحركة جديدة على يد ملك بيدمونت الجديد (فـيكتور عـمانوئيل) الذي تـولى العرش بعـد تنازل والده (شارل البـرت) وكان رئيس وزرائه كافـور الذي كان يعتنق مبادئ الحـرية والوحدة ويتصف بإخـلاصه الشديد لإيطاليا ووحـدتها. فقـام كافور بوضع سـياسة لبـيدمونت مكنتـها من أن تلعب دورها

التاريخي في وحدة إيطاليا وسعى إلى كسب صداقة فرنسا، وعقد اتفاقاً سرياً معها على أن تنضم فرنسا إلى بيدمونت في حربها ضد النمسا. وبعد طرد النمسا من إيطاليا تنضم لمبارديا والبندقية وبارما ومورينا لبيدمونت وتتكون منها جمعية مملكة شمال ايطاليا والتي بدورها ستدخل في اتحاد مع مملكة وسط ايطاليا ومملكة نابولي وروما، في دولة اتحادية يتولى البابا زعامتها، وتكون مكافأة فرنسا الحصول على مقاطعتي نيس وسافوي من بيدمونت، وهكذا خطت حركة الوحدة الايطالية خطوة كبيرة في طريق النجاح، ولم يبق لتحقيق وحدة إيطاليا كاملة سوى ضم نابولي والبندقية والممتلكات البابوية بما فيها روما، وأوعز كافور إلى (غاريبالدي) وهو من الشخصيات الإيطالية الفذة والتي لعبت دوراً مميزاً في حركة الوحدة الايطالية بضم نابولي، وجزيرة صقلية واحتل جيش بيدمونت أملاك البابا ما عدا روما. وفي 17 مارس/آذار 1861 أعلن أول برلمان ايطالي قيام (مملكة ايطاليا) وقامت الحكومة على أساس دستور بيدمونت 1848. مما سبق نرى أن هناك ثلاث شخصيات بارزة لعبت دوراً عظيماً في حركة الوحدة الإيطالية هي: ماتزيني (روح الحركة) وكافور (عقلها المدبر) وغاريبالدي (يد الحركة وسلاحها).

تدريب (4)

كان بسمارك الذي تولى رئاسة الوزراء في بروسيا عام 1862 يؤمن أن النظام الملكي المطلق هو أصلح الأنظمة الحكومية وأن اتحاد ألمانيا لا يتم بالطرق الديمقراطية وإنما بوجود ملك قوي يعتمد على قوة الجيش وتأييد الأشراف والموظفين والكنيسة.

كانت خطة العمل التي وضعها بسمارك تنطوي على إجبار النمسا وفرنسا على التخلي عن ممتلكاتهما في المانيا وبسط نفوذ بروسيا على جميع ألمانيا، وأدرك أن هذا لا يتم إلا بقوة الجيش وكما قال: "أن المسألة الألمانية لا تحل بالخطب والمناسبات بل بالدم والحديد". وبعد أن ضمن حياد بروسيا وفرنسا وجد الفرصة مناسبة للدخول في حرب مع النمسا حينما برزت مشكلة دوقتي شلزويج وهولشتاين الالمانيتين وكانتا تتبعان التاج الدنمركي وباحتلال بسمارك دوقية (هولشتاين) وكانت تابعة للنمسا دخلت النمسا الحرب ضد بروسيا واستطاعت بروسيا هزيمة النمسا في حرب خاطفة في موقعة سادوا عام 1866 وبموجب معاهدة الصلح والتي عقدت بين النمسا وبروسيا خرجت النمسا من الاتحاد الالماني الذي كانت تسيطر عليه وانضمت جميع الدويلات شمال الراين في اتحاد

فدرالي شمالي ألماني تحت زعامة بروسيا ولم يبق خارج الاتحاد سوى ثلاث دويلات جنوبية هي بادن، فورتمبرج، بااريا والتي سرعان ما عقدت تحالفاً عسكرياً مع بروسيا. لم يرق لفرنسا والتي كانت تقف دائماً ضد فكرة الوحدة القومية الألمانية انتصار بروسيا الخاطف على النمسا، وصممت القضاء على ألمانيا الجديدة قبل أن يشتد ساعدها وبالمقابل كانت بروسيا تواقة لخوض غمار الحرب مع فرنسا كي تستطيع ضم الولايات الألمانية الجنوبية.

وكانت مشكلة الوراثة الإسبانية ذريعة للحرب الفرنسية- الروسية ونجح بسمارك في حمل فرنسا على إعلان الحرب على بروسيا في 19يوليو/تموز 1870 فهبت الولايات الجنوبية لمساعدة بسمارك واجتاحت الجيوش الألمانية فرنسا وحلت بفرنسا كارثة قومية كبرى حيث هزم جيشها في معركة سيدان وأسر الامبراطور نابليون الثالث ومعه 100.000 جندي اندلعت الثورة فوراً في باريس وأعلنت الجمهورية الثالثة في 4 سبتمبر/ايلول 1870، ولكن الجيش الألماني واصل الزحف على باريس وحاصرها أكثر من أربعة أشهر حتى اضطرت المدينة إلى التسليم في 28 يناير/كانون ثاني 1871.

وتم عقد صلح بين الطرفين استولت ألمانيا بموجبه على إقليمي الألزاس واللورين وأن تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها 5 مليارات فرنك وطالب الرأي العام الألماني باتحاد الشمال مع الجنوب وقام بسمارك بمفاوضة جميع الولايات وحصل على موافقتها جميعاً ونودي بالإمبراطور وليم الأول في قصر فرساي امبراطوراً على المانيا المتحدة وذلك بتاريخ 18 يناير/ كانون ثاني 1871، وضمت الامبراطورية الألمانية الجديدة 25 ولاية.

10. مسرد المصطلحات

- صلح وستفاليا 1648م Westphalia :

تسوية أوروبية عامة انهت حرب الثلاثين عـاماً، وكانت المفاوضات قد بدأت عام 1644 في مـؤتمرين عقـدا في وقت واحد في مـونسـتر واوزنابروك وانتـهيـا بإبرام معـاهدتين كونتا تسوية الـصلح، وكانت أهم الدول المشتـركة في المفاوضات الحليـفتين فرنسا والسويد، وخصومهما: أسبـانيا والأمبراطورية الرومانية المقدسة والدويلات التابعة للامبـراطورية وهولندا، وقد ارضت المعـاهدتان اللتان وقـعتـا في العام 1648 المطالب الفـرنسية والـسويدية وأضـعفتـا سلطة ونفـوذ الامبراطوريـة وال هابسبـورغ، وصارت الامبـراطورية مجرد اتحاد تـعاقدي يتألف من دول ذات سـيادة، وظفرت فـرنسا بمعظم الإلزاس وبعض المدن المحـصنة على الحـدود وحـصلت الـسويد على غـرب بومـرانيـا واسقفـتي بريمن وفرون، ونالت السويد والأقـاليم المتحدة للأراضي المنخفـضة (هولندا) استقلالهما التام ولكن فرنسا التي خـرجت من الحرب دولة مظفرة قوية الجانب استمرت في القتال ضد اسبانيا حتى صلح 1659م.

- الماجناكارتا Magnacarta :

قامت ثورة ضـد الملك جون اشترك فيـها رجال الكنيسـة والبارونات وأهل المدن مطالبين بحكم دستوري، وتمكنوا من انتزاع العهـد الاعظم (الماجناكارتا) الذي يعتبر أول القوانين العـامة في الدسـتور البريطاني، وهو حـجر الزاوية في بناء الحـريات الانجليزية وتقييد الحكم الملكي والحد من سلطاته المطلقة.

- نيقولا ميكافيللى Niccolo Machiavelli 1469م-1527م :

كاتب وسـياسي إيطالي من أعلام عصـر النهضة الأوربيـة صاحب كتاب الأمـير الذي شـغل الحكام وأربك المحللين على مر القـرون ويعتـبر مـؤسس الفكر السيـاسي الحديث، عاش في إحـدى أخصب الحقبـات التاريخية، تلك الحقـبة التي شهدت فـيها إيطاليا تحولات استراتيجية هامة كان لها أثر كبير في تطور أوروبا، ولد في فلورنسا وهو ينتـمي إلى عائلة فلورنسـية عـريقة وكان لهـذا النسب أثر في تحـديد سيرته في مـدينة

يحكمهـا توزيع صارم للوظائف الاجتـماعية، وقـد لعب دوراً مركزياً في تسيـير المدينة وتطلبت وظيفـته القيـام بعدة مهام خـارج فلورنسا فزار فـرنسا وألمانيا وجـال في أنحاء إيطاليا واستمر يفاوض الملوك والرؤساء باسم فلورنسا، إلا أنه اتهم بتدبير مؤامرة فسجن ووضع في إقامة الجبرية ومنع من الإقامة في فلورنسـا وفي منفاه انصرف ميكافيلي قسراً للكتابة وقد وضع في هذه الفترة أبرز مؤلفاته.

11. المراجع

- المراجع العربية :

1- بالمر، روبرت: تاريخ العالم الحديث جـ2، ترجمة حسن الذنون، مكتبة دار المتنبي، القاهرة 1946.

2- البطريق، عبد الحميد: التيارات السياسية المعاصرة. دار النهضة العربية. بيروت 1974.

3- جرانت، أ. جـ، هارولد تمبرلي: أوروبا في القرنين (19، 20)، ترجمة بهاء فهمي، أحمد عزت جـ 1، مؤسسة سجل العرب 1950.

4- الشناوي، عبد العزيز: أوروبا في مطلع العصور الحديثة. مكتبة الانجلو المصرية جـ1 1977.

5- فيشر، هربرت: تاريخ أوروبا في العصر الحديث. تعريب أحمد هاشم، وديع الضبع، دار المعارف بمصر 1958.

6- النعنعي، عبد المجيد: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة. دار النهضة العربية. بيروت 1978.

7- نوار، عبد العزيز: التاريخ المعاصر. أوروبا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية. دار الفكر العربي. القاهرة 1982.

- المراجع الأجنبية :

1- Carlton: Hages, Political and Cultural History of Modern Europe. New York. 1936.

الفصل الثالث

الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي

1. المقدمة

1.1 تمهيد

نرحب بك، عزيزي القارئ، في الفصل الثالث من كتاب «تاريخ العالم الحديث والمعاصر»، وهو بعنوان «الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي»، والذي من خلاله نرى ان الفهم الحضاري للتاريخ يهدف إلى إبراز الجانب الإنساني منه واعطاء القيمة الحضارية للأمم والشعوب، وهذا يتطلب منا أن نختصر التفاصيل السياسية والأحداث الهامشية قدر الإمكان، ونركز على إبراز الأحداث الحضارية، ثم ننظر إلى التطورات التاريخية على أنها تطور مجتمعات ذات روح حضارية واحدة وحركة ذاتية متصلة.

وقد بدأ مع انبثاق فجر العصر الحديث في أوروبا، تقدم واضح في مجال العلوم الطبيعية، أنهى إلى غير رجعة، عقلية العصور الوسطى المتأثرة بالسحر والخرافات، وبالتعليم الديني الذي فرضته الكنيسة لمحاربة الأفكار الجديدة. وراح العلماء يلاحظون حوادث الطبيعة، ويحاولون تفسيرها بعقول متفتحة، كما قاموا بإجراء التجارب، باعتبارها الشرط الأساسي لكل علم حقيقي.

وكانت إحدى خصائص القرن التاسع عشر، أنه شاعت في أثنائه في ربوع أوروبا تلك الاختراعات الآلية، وذلك اللون من الحضارة الصناعية التي ظهرت وتطورت أولاً عند الدول الانجلوسكسونية، ففي عام 1819 عبرت أول سفينة تجارية المحيط الأطلنطي، وشاهد العقد التالي افتتاح السكك الحديدية في بلجيكا وفرنسا والمانيا، ثم عم التلغراف في أوروبا نتيجة لاختراع مورس Morse المخترع الامريكي. وفي منتصف القرن امتدت أسلاك التلغراف تحت سطح الماء، ثم ظهر اتحاد البريد الدولي وتطورات تجارة الحبوب الدولية، هذا التطور الذي جعل محصولات العالم الجديد في متناول سكان العالم القديم.

وأدى الانقلاب الصناعي إلى سرعة الإنتاج وبالتالي الحاجة إلى سرعة نقل هذا الإنتاج من المصانع إلى مناطق الاستهلاك المحلية، فأصبحت هناك حاجة متزايدة للتصدير من الموانئ إلى مناطق الاستهلاك فيما وراء البحار، الأمر الذي ساعد استخدام الآلات الحديثة في النقل البري والبحري على نطاق واسع.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن :

1. تشرح المفاهيم والمصطلحات والتعميمات وتحدد القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في الفصل.
2. تبين أثر الثورة الصناعية على المجتمعات الأوروبية.
3. تحلل أهداف الاستعمار ومظاهره.
4. توضح أشكال الاستعمار وأساليبه.
5. تبين وسائل الاستعمار في السيطرة على المستعمرات.
6. تتبع تطور السيطرة الاستعمارية على أقطار آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.
7. تستنتج أثر الاستعمار على الدول التي خضعت للاستعمار.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسين يرتبطان بقائمة الأهداف السابقة، حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل.

فيما يتعلق القسم الأول من هذا الفصل بالهدف الثاني، ويرتبط القسم الثاني الذي يتناول أهداف الاستعمار وأشكاله واساليبه ووسائله، وتطور السيطرة الاستعمارية وأثرها على أقطار آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وعلى الدول التي قامت بالاستعمار، بالأهداف في 3 إلى 7.

4.1 القراءات المساعدة

القراءات التالية، عزيزي القارئ، مفيدة لتعمق فهمك لموضوع الفصل:

1. البطريق، عبد الحميد : تاريخ اوروبا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر ڤينا، جامعة الرياض، 1978، ص 68.
2. خليل محمد يونس، برقاوي احمد رفيق : تاريخ العالم الحديث والمعاصر. وزارة التربية، الكويت 1989، ص 56-57.
3. صالح محمد محمد : تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، دار الجاحظ، بغداد 1981، ص 488.

2. الثورة الصناعية

أهلاً بك، عزيزي القارئ، إلى الفصل الثالث في كتاب تاريخ العالم الحديث والمعاصر. ويشمل هذا الفصل الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي.

تعتبر الثورة الصناعية إحدى الثورات التي أحدثت أهم التغييرات وأخطرها في حياة الإنسان، فقد شاعت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر تلك الاختراعات الآلية وذلك اللون من الحضارة الصناعية التي ظهرت وتطورت في البداية في بريطانيا ثم امتدت إلى بلجيكا وفرنسا وألمانيا وسائر القارة الأوروبية. ولقد أدت هذه الثورة الصناعية إلى انتشار المصانع الحديثة وازدياد حجم المدن في أوروبا الغربية.

ويمثل النمو الاقتصادي للدول الاوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة في تطورالاقتصاد العالمي في معظم جوانبه، ولكن بادئ ذي بدء كان التطور الاقتصادي حينذاك متمشياً مع فلسفة العصر حيث كان اقتصاداً قومياً.

فخلال القرن التاسع عشر ظهرت اختراعات اقتصادية عديدة أدت فيما أدت إليه إلى ما عرف بالانقلاب الصناعي الذي تجلى أولاً في انجلترا ثم أخذ ينتقل إلى بقية الدول الأوروبية الواحدة بعد الأخرى. وبسبب حروب الثورة وحروب نابليون الأول تأخر الانقلاب الصناعي في فرنسا ولكنها أسرعت الخطى فيما بعد، وظهر في ألمانيا متأخراً عن فرنسا، وكانت أوروبا الشرقية وروسيا أقل تطوراً بشكل ملحوظ في النواحي الاقتصادية.

ومن أهم مظاهر هذا التطور الاقتصادي استخدام قوى محركة جديدة (البخار والكهرباء ثم البترول) وما ترتب عن ذلك من استخدام خطوط السكك الحديدية والبواخر على خطوط الملاحة العالمية وفي الأنهار الصالحة لها. وما استتبع ذلك من شق قناة السويس وقناة بنما وأخيراً في عام 1914 قناة كيبل. كذلك مدت شبكات من الطرق البرية وخطوط البرق وتطورت بسرعة عمليات النقل البري ونقل البريد والاتصالات عبر القارات، مما أدى إلى سهولة انتقال مظاهر الحضارة الحديثة من مكان لآخر.

وكان الانقلاب الصناعي وتلك الأساليب الجديدة في المواصلات والنقل سبباً في زيادة حجم التبادل التجاري وفتح أسواق جديدة للانتاج الاوروبي، والتنافس التجاري

بين الدول الأوروبية، فأخذت أعداد المصانع تتضاعف بسرعة، وظهرت المدن الصناعية وأصبحت فلسفة الإنتاج قائمة على أساس الإنتاج الضخم بأرخص الاسعار حتى يمكن منافسة السلع الصادرة عن دول أخرى.

وبسبب ذلك التنافس وحاجة البعض إلى منتجات دول أخرى ومخاوف البعض الآخر من طغيان منتجات أجنبية على الإنتاج الوطني، ظهرت نظريات اقتصادية تدعو إلى الحرية التجارية Free Trade وأخرى تدعو إلى الحماية الجمركية، ولقد اتبعت إنجلترا فترة طويلة سياسة الحرية التجارية حتى اضطرت هي الآخرى إلى أن تأخذ مبدأ الحماية الجمركية.

وأدى ذلك النشاط الانتاجي إلى تراكم رؤوس الأموال سواء في يد أفراد أو شركات أو بنوك، واستثمرت هذه الأموال في داخل أوروبا، وفي البلاد الشرقية التي كانت في حاجة إلى القروض فوقعت فريسة الاحتلال والتسلط الأوروبي.

ونظراً لتوفر رؤوس الأموال، والحاجة إلى أسواق جديدة وإلى المواد الخام اللازمة للصناعة ونمو القوة العسكرية لدى دول أوروبا الغربية، وتزايد عدد السكان فيها، والاعتقاد بأن التوسع الاستعماري مظهر من مظاهر القوة الوطنية والمكانة الدولية، نظراً لكل هذا، أصبح التيار الامبريالي واحداً من أبرز مظاهر النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أوروبا، ويمثل التسابق على استعمار إفريقية نموذجاً لذلك التيار الامبريالي الأوروبي حينذاك، ولكنه تيار كان في أكثر من مكان وخاصة في إفريقية وآسيا، كان مسؤولاً عن سلسلة من الأزمات والحروب الدولية (الحرب اليابانية - الروسية 1905 ، أزمة أغادير)، ولم يتطور مفهوم الإمبريالية من التسلط العسكري المباشر إلى التغلغل الاقتصادي إلا بعد الحرب العالمية الأولى. (عبد العزيز نوار 1982. ص 18-19).

1.2 أسباب قيام الثورة الصناعية

تعتبر الثورة الصناعية إحدى الثورات التي أحدثت أعظم التغييرات وأخطرها في حياة الإنسان. فقد أحدثت تغييرات جذرية في وسائل العمل والنقل والمعيشة في أوروبا والعالم بأسره. لقد أصبح الإنسان يعتمد على الالات في إنتاجه الصناعي والزراعي بدل اعتماده على العمل اليدوي. وأخذت هذه الآلات تدار بقوى سخرها الإنسان واخترعها كالبخار والكهرباء.

على أن هذه الثورة لم تكن حادثاً مفاجئاً ولا انقلاباً سريعاً، وإنما تطورت تطورا بطيئا لم يكتمل نموه إلا بعد انقضاء نحو مئة عام. فقد ابتدأت الثورة في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ثم أخذت تتقدم تقدماً ملحوظاً في الفترة الواقعة بين عامي 1830 - 1870م ولكن تأثيرها الكبير على العالم بأسره لم يبدأ إلا بعد عام 1870م.

لم تتم الثورة الصناعية في دول أوروبا المختلفة في وقت واحد وذلك نتيجة لاختلاف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها، فحيث توفرت المقومات الأساسية للنهضة الصناعية، وحيث كانت الأوضاع السائدة مواتية قامت الثورة الصناعية. وكانت إحدى خصائص القرن التاسع عشر، أنه شاعت أثناءه في ربوع أوروبا تلك الاختراعات الآلية، وذلك اللون من الحضارة الصناعية التي ظهرت وتطورت أولاً عند الدول الانجلوسكسونية.

ويمكن إجمال الأسباب العامة التي أدت إلى قيام الثورة الصناعية بما يلي:

1.1.2 التقدم العلمي

فخلال القرن التاسع عشر ظهرت اختراعات اقتصادية عديدة أدت إلى ما عرف بالانقلاب الصناعي. فالعلم في أوروبا بدأ يخطو خطوات واسعة منذ قيام عصر النهضة، فظهرت النظرية التجريبية التحليلية في مجال البحث العلمي، التي هيأت المجال لظهور المخترعات الحديثة، مثل السفن التجارية التي تعبر المحيط الاطلنطي، ثم استعمال السكك الحديدية في بلجيكا وفرنسا وألمانيا، وكذلك عم التلغراف في أوروبا طولاً وعرضاً. أما الكهرباء فقد بدأ الاهتمام بها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستطاع العلماء أن يسخروا طاقتها للاستفادة منها في الصناعة والإنارة والمواصلات السلكية واللاسلكية. وكان نتيجة الاختراعات الجديدة زيادة حجم التبادل التجاري، وفتح أسواق جديدة للإنتاج الاوروبي، والتنافس التجاري بين الدول الاوروبية، فأخذت أعداد المصانع تتضاعف بسرعة، وظهرت المدن الصناعية، وأصبحت فلسفة قائمة على أساس الإنتاج الضخم بأرخص الأسعار حتى يمكن منافسة السلع الصادرة عن دولٍ أخرى.

2.1.2 رؤوس الاموال

وجود رؤوس أموال فائضة تم استخدامها في مجال تحسين أساليب الإنتاج، وذلك عن طريق تمويل المخترعات العلمية الحديثة التي استفاد منها الإنسان في مجال

إنتاجه الصناعي والزراعي، وظهرت نظريات اقتصادية تدعو إلى الحرية التجارية وأخرى تدعو الى الحماية الجمركية، وأدى ذلك النشاط الإنتاجي إلى تراكم رؤوس الأموال سواء في يد أفراد أو شركات أو بنوك، واستثمرت هذه الأموال في داخل اوروبا، وفي البلاد الشرقية التي كانت في حاجة إلى القروض.

3.1.2 نمو المدن وحاجة السكان

أدى ازدياد التقدم الحضاري في أوروبا إلى ازدياد حاجات السكان ومتطلباتهم. وقد دفعت هذه الحاجة إلى التفكير بأساليب جديدة في الإنتاج تسد مطالب الناس واحتياجاتهم المتزايدة. فحاجة الناس المتزايدة إلى اللباس مثلا أدت إلى تحسين صناعة النسيج للحصول على ألبسة أكثر وبثمن أقل. وامتازت العقود الختامية للقرن التاسع عشر، بنمو حجم المدن في جميع أنحاء أوروبا الغربية وترتب على ذلك تدفق العمال بأعداد ضخمة للعمل في المصانع، وبالرغم من سوء حال العمال في المدن الصناعية، إلا أن الخدمات الصحية والاجتماعية تقدمت بشكل ملحوظ مما ساعد على اطراد نمو عدد السكان.

4.1.2 ظهور الطبقة العمالية

لم تكن المدن على استعداد لاستقبال الأعداد الضخمة من الناس الذين تدفقوا عليها للعمل في المصانع الجديدة، فلم تتوفر المساكن الجيدة أو التغذية اللائقة، كما لم يلقوا الحد الأدنى من العناية الصحية، وفي كثير من الأحيان كانت الأجور التي يتقاضونها لا تكفي للوفاء بحاجيات حياتهم، كما أن ساعات العمل كثيراً ما كانت تزيد على طاقة الإنسان العادي، إلا أن هذه الطبقة ساعدت في قيام الثورة الصناعية في أوروبا، كما أن سوء أحوال هذه الطبقة أدى إلى ظهور نظريات إجتماعية وسياسية تدعو إلى انصاف العمال، وتصدى كثير من المفكرين الإنسانيين لهذه المشكلة وحثهم لاصحاب العمل على ضرورة خفض ساعات العمل ورفع الأجور ومن ناحية أخرى أخذت تظهر الاتجاهات الاشتراكية التي كانت تسعى إلى إقامة نظام يحد من مساوىء الثورة الصناعية ويقيم العدالة الاجتماعية.

2.2 أهم مظاهر الثورة الصناعية

كان النظام الاقتصادي في القرن الثامن عشر يتمثل في تيار التجارة الرأسمالية والصناعة الوطنية، وكانت الزراعة هي مصدر الثروة الرئيس. أما المدن فكان عددها

محدوداً وعدد سكانها لم يكن كبيراً كما أصبح الحال في القرنين التاسع عشر والعشرين. ولعل ذلك يرجع إلى أن القسم الأكبر من الصناعة كان موجوداً في الريف أكثر منه في المدن حيث يقوم به الفلاحون والعمال الزراعيون الذين يقتطعون جزءاً من وقتهم يعملون في أثنائه لحساب التجار الرأسماليين، كنسج الأقمشة الصوفية وصناعتها وصناعة الجلود والورق والزجاج، وكانت إنجلترا وفرنسا تتنافسان في الميادين الاقتصادية والتجارية والصناعية وظهر ذلك في الحروب الاستعمارية والتجارية بينهما طوال القرن الثامن عشر وبعده خصوصا في عهد نابليون. وإلى جانب إنجلترا وفرنسا كانت هولنده تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد العالمي، وبرغم صغر حجم هولنده وقلة المصانع فيها إلا أن الهولنديين برعوا في التجارة والملاحة البحرية، إذ كانوا وسطاء في عمليات النقل البحري لبضائع غيرهم من الشعوب الأخرى، وكانوا يساهمون برؤوس أموالهم في المؤسسات الاوروبية الكبرى كالمصارف مثلاً حيث كان ثلث رأس مال بنك انجلترا في منتصف القرن الثامن عشر مملوكا لمساهمين هولنديين. وظل نشاط هولنده سائداً حتى نهاية القرن عندما غزتها جيوش الثورة الفرنسية عام 1795م.

وفي القرن الثامن عشر، كثر عدد الأفراد الرأسماليين في غرب أوروبا ومعظمهم كونوا أنفسهم من نشاطهم التجاري والصناعي، لأن العصر كان عصر الفرص السانحة للأذكياء والطامحين من أفراد الطبقات الوسطى التي تكونت منها أسر غنية تطلعت إلى المناصب الكبرى في الحكومة أو الحصول على امتيازات النبلاء - كما كان الحال في فرنسا. ولذلك كان لهذه الطبقة أثرها في الحياة السياسية، وأخيراً كان العصر عصر استقرار اجتماعي وتوسع اقتصادي وكذلك كان عصر التقدم العلمي في دول أوروبا الغربية. فقد ظهر عدة علماء في القرن السابع عشر الذي أطلق عليه بعض المؤرخين قرن العبقريات، قضوا على كثير من النظريات العلمية التي سادت في العصور الوسطى، فقد عاش فيه العالم الفلكي جاليليو الذي توفي عام 1642، والعالم الرياضي نيوتن الذي توفي عام 1727 وطبقت نتائج الأبحاث العلمية على الملاحة والتعدين والزراعة والطب وأساليب الحرب وأسلحتها وفروع كثيرة من الصناعات، وصار العلم والاختراع يسيران جنباً إلى جنب، وجاء القرن الثامن عشر ليستقطب آراء علماء القرن السابع عشر ويطبقها بعد إدخال التحسينات عليها، حتى أصبح يعرف بعصر الاستنارة والمعرفة.

وأصبح في مقدور الناس أن يفهموا ويتنبأوا بوقوع حركات المد والجزر، عن طريق الدور الذي تقوم به الجاذبية بين الأرض والقمر والشمس، وصارت المعلومات الرياضية الدقيقة عن النظام الشمسي ذات فائدة كبيرة للملاحة، إذ تحسنت في القرن

الثامن عشر آلات قياس الزمن وخطوط الطول فـأصبح من الممكن معرفة خط الطول في البحر مما جعل الملاحـة في البحار والمحيطات تجري وفق مخططات علمـية تجعل السفن التجارية والأساطيل البحرية تسير في ثقة واطمئنان، كذلك كان من نتائج معرفة خطوط الطول تقدم فن رسم الخرائط، وبدأ الناس

يكونون فكرة صحيـحة عن أشكال القارات وما يحيط بها من مـحيطات، ومدى اتسـاعها وتباين تضاريسها.

ومنذ بداية القرن الثامن عشر أصبحت قوة البخار أهم طاقة لتشغيل الالآت، وقد وجـه العالم البـريطاني روبرت بويل ROBERT BOYLE مكتشف قـانون بويل في ضغط الغـازات دراساته لتـحسين استـخدام البخـار، وكذلك "جـيمس وات" James Watt 1736-1819 الاسكتلندي الذي أدخل التحسينات على الآلة البخارية وبذلك بدأ التطبيق الصحيح للبخار في النواحي الاقتصادية.

وبتقـدم علم الرياضة وتطبيق حـساب التفـاضل والتكامل، بالإضافة إلى التـقدم الفني في صناعة المعادن، بدأت الدول الكبرى تهـتم بالصناعات العسكرية، واستطاعت بذلك ان توسع دائرة استعمارها في البلاد المختلفة في آسيا وافريقيا.

وقد ساعد على تقدم العلوم في القرنين السابع عشر والثامن عشر إنشاء مؤسسـات علمية لمتابعة التـقدم والاختراع وكان من أشهرها (الجمعيـة العلمية الملكية) التي تأسست في لندن عام 1662م و(أكاديمية العلوم الفرنسـية) التي تأسست في باريس عام 1666م، ثم تأسست بعد ذلك ذلك جمعيات علمية أخرى في بعض عواصم اوروبا مما يسر تبادل الآراء العلمية وتعميم الفـائدة وحفز العلماء على مضاعفة نشـاطهم وجهودهم العلمية. ومما يجدر ذكره أن نشاط العلماء لم يكن في ذلك الحين يخضع لمبدأ التخصص بل كانوا يرون من واجبهم أن يساهموا في مختلف فـروع العلم والمعرفة، وكانت اللغة اللاتينية. هي لغة معظم الكتب العلمية لأنها كانت لا تزال تعتبر اللغة العالمية للعلم والثقافة.

والواقع أن فكرة التقدم هي التي سيطرت على علماء القـرنين السابع عشروالثامن عشر واستمرت الفكرة كطابع مميز للحـضارة الأوروبية حتى القرن العشرين، وسادت - إلى حد كبير - حرية الرأي وفقدت الكنائس ورجـال الدين زعامتهم وهيبتهم، ولم تعد الأمور الاقتصـادية والسياسية والتجارية مـرتبطة بتعاليم الكنيسة وأهدافهـا. فقد استطاع

قادة الفكر وضع الكنيسة في مركز ثانوي، وذاعت نظريات عن المجتمع وتاريخ العالم ومصير الإنسانية بعيدة عن تعاليم رجال الدين، وليس معنى هذا أن حرية الرأي كانت مكفولة لكتاب العصر في كل الأقطار الأوروبية بل كانت تخضع للرقابة بحجة حماية الشعب من الآراء الهدامة، ولكن مدى الرقابة كان يختلف من دولة لأخرى، فمثلاً كانت الرقابة في إنجلترا في حدود المعقول. وفي اسبانيا كانت الرقابة فيها صارمة إلى أبعد الحدود، وفي فرنسا كانت أقل صرامة من إسبانيا ولكنها كانت تؤثر من غير شك على الفكر الفرنسي، وخصوصا فيما يتعلق بالنقد اللاذع للكنيسة والحكومة، ولذلك كان الكتاب يلجأون في نقدهم إلى التلميح والكتابة الماكرة الغامضة، بحيث يستطيع الكاتب أن يتهرب من المعنى الذي كان يقصده.

وسنستعرض فيما يأتي مظاهر التقدم العلمي والصناعي، وميادينه الرئيسة في انجلترا وفي أوروبا بشكل عام.

1.2.2 الصناعات

1. صناعة المنسوجات:

أولت "انجلترا" صناعة الغزل والنسيج عناية خاصة، فصنعت المنسوجات الصوفية والقطنية، وحققت من ورائها أرباحاً طائلة ووجه المشتغلون بهذه الصناعة اهتمامهم إلى اختراع آلات جديدة للحصول على إنتاج أكبر وأسرع، والتقليل من الأيدي العاملة، وهكذا توالى ظهور الالآت الحديثة.

فقد وفق "جون كي" عام 1732 إلى اختراع المكوك الطائر (الآلي) الذي أتاح لعامل النسيج أن يعمل بسرعة فائقة وأن يحسن إنتاجه، وتوصل "جيمس هارجريفز" عام 1767 إلى اختراع آلة يدوية للغزل، تديرها عجلة تحمل ثمانية مغازل وزوجاً من الملاقط، مما يساعد عاملاً واحداً على غزل ثمانية خيوط في وقت واحد. وأدخلت فيما بعد تحسينات على هذه الآلة، فأصبحت تدور بقوة الخيل، ثم بقوة الماء ولهذا سميت (الإطار المائي). وعمت الأنوال الآلية إنجلترا حتى بلغ عددها في نهاية القرن الثامن عشر مئتي نول. (هربرت فيشر، 1961، ص 434).

2. صناعة الآلات:

حققت صناعة المنسوجات نجاحاً أكبر، بعد استخدام قوة البخار في إدارة الآلات، وذلك حين اخترع "توماس نيوكمان" مضخة بخارية كابسة، وما لبث أن أدخل عليها

"جيمس وات" عام 1764 تحسينات حولت الحركة العـمودية في المضخة البخارية، إلى حركـة دائرية وأمكن بذلك إدارة آلات الغزل والنسيج، والحـصول على إنتاج أكـبر في وقت أقصر، ولهـذا تعتبر الآلة البخـارية الميكانيكية، بحق، أحد الأركان الأسـاسية في الثورة الصناعية.

3. التعدين:

نشط الإنجليز بعد ذلك إلى تحسين صناعة الحديد لاستخدامه في صناعة الآلات، وتمكن المهندس الإنجليزي "هنري بسمر" - Henry Bessemer - 1813 - 1898 من إيجاد طريقـة لتحويل الحديـد إلى صلب (فولاذ) بنفقات قـليلة، وابتكرت طرق جديدة لزيادة ما يستخرج من الفحم اللازم لصهر الحديد، وإدارة الآلات.

2.2.2 النقل ووسائل الاتصالات

استلزم النشاط الصناعي الكبـير، اهتماماً عظيـماً بوسائل النقل، فأدى ذلك إلى إصلاح أو إنشـاء مئات من الطرق الـبرية، والقنوات المائية، على نظـام هندسي جديد، ولما ظهرت صناعة الحديد، صنعت قـضبان حديدية لتسيير عـربات تجر بواسطة الخيول، ثم تطورت الفكرة إلى اسـتخـدام قوة البـخار، فـاختـرع "جورج سـتفنسن" القـاطرة البخـارية، وسيرها بين مـدينتي "ليفربول" و"مـانشسـتـر" عام 1830 ثم بدىء بإنشاء الجسور الضخمة فوق الأنهار العريضـة، والأنفاق الطويلة في الجبال، واستخدمت طاقة البخـار في النقل البحري، وكان رائد هذا الميـدان روبرت فولتن "1765-1815" الذي سير مراكب بخارية في منطقة البحيرات الكبرى بأمريكا الشمالية.

وبالنظر لما كـان المحرك البخـاري يتطلبه من تكاليف الوقـود الباهظة، فـقد اهتم العلمـاء بالبـحث عن مـحـرك أقل كلفـة، فكـان الجواب: المحـرك البـنزيني (الداخل الاحتراق)، ويعود تصميمه إلى المهندس الالماني (نيقولاوس أوتو)، إذ صنع أول محرك رباعي الأشواط عام 1876 ، أما سـيارات البنزين العـملية الأولى فـيعود الـفضل في صنعها إلى "ديملر" و "بنز" في ألمانيا عام 1885، وصنع "رودلف ديزل" عام 1892 محرك الاحـتراق الداخلي الذي يستخدم زيت الديزل كـوقود، وليستغني عن شـمعات الإشعال بـالشرر، وهو المحرك المسـتخدم في تسيـر الباصات والشاحنات والسـفن وقد استطاع العلماء فيما بعد من اختراع أول سيارة تعمل بالكهرباء عام 1890، حين اخترع

"غاستون بلانت" الحاشدة الكهربائية لكن استخدامها ظل محدوداً، بالنظر إلى ما تتطلبه البطارية من إعادة الشحن بعد مسافة قصيرة.

واستطاع العلماء في أواخر القرن الثامن عشر من تحقيق الحلم الكبير، الذي طالما داعب مخيلة الانسان، وهو الطيران . . . ولم يكن ذلك ممكناً إلا بعد محاولات كثيرة، وجهود متصلة، وكانت الخطوة الأولى، الإنطلاق بالمنطاد عام 1785 الذي حققه "بلانشارد" وعبر به القنال الانجليزي، ثم بدأت التجارب على الطيران الشراعي، ولما تم اختراع محرك الاحتراق الداخلي، صمم "الأخوان رايت" عام 1903 طائرة مزودة بمحرك يعمل بالنزين وطارا إلى ارتفاع 3 أمتار لمدة 120 ثانية فقطعا مسافة 40 متراً، ولقد كانت المحاولة على بساطتها أول خطوة مهدت لهذا التقدم المذهل في عالم الطيران المعاصر، وما يحفل به من منجزات رائعة ويكفي أن نعلم أن سرعة الطائرة النفاثة اليوم، أصبحت تعادل ضعفي سرعة الصوت.

وترجع المحاولات الأولى التي قام بها الإنسان لإجراء الاتصالات إلى القرن الثامن عشر. فقد تمكنت فرنسا، من إنشاء أول خط برقي(تلغراف) حين اخترعت المبرقة عام 1794، ثم نجح العالم الأمريكي "صاموئيل مورس" عام 1837 من اختراع أول تلغراف كهربائي، وتم بث أول رسالة تلغرافية من واشنطن إلى بلتيمور عام 1844م.

وتلاحقت الخطوات في هذا الميدان، فوفق المهندس الإيطالي: "وليم ماركوني" 1874–1937 في إرسال إشارة لاسلكية إلى مسافة 15كم، وصنع "ماركوني" أجهزة إرسال أكثر قوة وفعالية، استطاع بها بث رسالة بواسطة الراديو من إنجلترا إلى "نيوفوندلاند" في الولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ الراديو على نحو ما نعرف عام 1906 حين طور العالم الأمريكي "لي دي فورست" الصمام الثلاثي المفرغ، الذي أرسلت بواسطته الأصوات بدلاً من الإشارات، وأسهم الراديو منذ ذلك الوقت في تقريب أواصر الصداقة بين الشعوب والأمم.

3.2.2 الكهرباء

وكان اكتشاف الكهرباء أروع إنجاز علمي يسر للبشر حياة الرفاة والسعادة التي يتمتع بها اليوم . . ولقد عرف الناس منذ القديم، خواص الجذب : (المغنطة) التي تختص بها بعض الاجسام كالزجاج والكبريت، فهي قادرة حين تدلك،أن تجذب إليها

الأجسام الخفيفة، كـزغب الريش وقصاصات الورق، ومن هذا المنطلق، راح العلماء في القرن السابع عشر يتوسعون في دراسة المغناطيسية حتى توصلوا إلى اكتشاف الكهرباء.

وقـد بدأ أول خطوة العـالم الإنجـليـزي: وليم جلبـرت (1540 -1603) فـولد الكهرباء الساكنة (أي التي لا تنقل) مستنداً إلى دراسات العالم الاغريقي (طاليس) الذي كان قد عاش قبله بألفي سنة.

وقام العالم الأمريكي : بنيامين فرانكلين" 1706 - 1790 بتجارب عديدة أثبتت فيها أن البرق شرارة كهربائية، وهو مخترع الواقية من الصواعق، وصنع الإيطالي "فولتا Volta" 1745-1827. مـولداً حصل بواسطتـه، على أول تيـار كهـربائي عن طريق التفـاعل الكيمـاوي، وتكريماً لجهـوده في هذا المجال أطلق اسـمه على وحـدة الضغط الكهربائي (الفولت).

وأمكن التقدم خطوات واسعـة للحصول على طاقة كهربائية كبـيرة حين اكتشف العـالم الإنجليـزي "مـيكائيل فـاراداي Michael Faraday 1791 - 1867 خـاصـة التحـريض الكهرطيسـي، واخترع أول مولـد كهربائي (الدينمـو) عام 1830 عن طريق تحريك موصل في مجال مغناطيسي.

وكانت قـمة هذه المنـجزات في ميـدان الكهربـاء اختراع "المصـباح الكهـربائي" المتوهج عام 1879 على يد العـالم الامريكي "تومـاس أديسون" (Thomas Edison) 1847-1931 فكان ذلك فاتحة لانتشار الكهرباء، بسـرعة في جميع أنحاء العالم. (محمد خليل، احمد برقاوي، 1989، ص 56-57).

لقد كان بث الإشارات واستقبالها عمـلاً رائعاً ومفيداً، ولكن التحدث والاستماع إلى الأصـوات، عمل أكـثر إثارة وتـيـسيراً لأعـمال النـاس، وهو ما حـققـه المختـرع الاسكتلندي (الكسندر جراهام بل) 1847-1922، فقد تصور "بل" فكرة نقل الأصوات بواسطة مـوجات كـهربائيـة، وأتم صنع جهـاز التلفون عـام 1876، وتمكن من تطوير اختـراعه بعد أول حديث تليـفوني، بين نيويورك وسـان فرانسيـسكو، ونعلم الآن ماذا كانت النتـيجة . . . .إن في العالم اليـوم ما يقرب من 300 مليون جهـاز هاتف، تيسر الاتصال بين الناس، وتختصر المسافات وتوفر الجهد والمال.

وقد أفـادت الدول الأوروبية، من التجربة الإنجليـزية، فقلدت آلاتها الصناعـية، واسـتوردتهـا، وشجـعت الابتكار والاخـتراع، واتجـهت هذه الدول إلى زيادة الإنتـاج

وتحسينه، وتقليل نفقاته، وكانت "فرنسا" أول هذه الدول لحاقاً بموكب الصناعة الحديثة، ثم جاءت "ألمانيا" متأخرة بسبب الانقسام السياسي، ورسوخ الإقطاع فيها، وبدأت الثورة الصناعية في الولايات المتحدة بعد انتهاء حرب الاستقلال.

3.2 انجلترا والثورة الصناعية

من "إنجلترا" انبثقت شرارة الثورة الصناعية الأولى، ومنها انتقلت إلى سائر بلدان أوروبا، فلقد ملكت هذه الدولة الاستعمارية ثروات هائلة بحكم سيطرتها على أقاليم واسعة في العالم، مكنتها من انتزاع السيادة البحرية، واحتكار التجارة العالمية، وتوافرت لدى إنجلترا (المواد الأولية) وهي عصب الصناعة، بكميات كبيرة، سواء في أرضها أو في مستعمراتها. كما أتيحت لها بسخاء، القوى المحركة (المائية)، والأسواق التجارية، واليد العاملة الرخيصة، وتحقق لها - قبل هذا كله - الإستقرار السياسي الداخلي، الذي هيأ لصناعتها التشجيع الدائم والحماية من منافسة الصناعات الأجنبية... أضف إلى ذلك ظهور عدد من أعلام الاختراع حفزتهم على التفوق الحاجة المتزايدة للسلع البريطانية، وما تحققه الصناعة من أرباح.

وقد سبقت انجلترا بما يربو على نصف قرن سائر بلاد أوروبا باتخاذها طابع الدولة الحديثة ذات المستوى العالمي في الصناعة. لم تعد إنجلترا أرض الفلاحين الزراع ولا موطن الصناعات المنزلية الصغيرة، ولم تعد بلداً تبلغ طرقه من السوء أن الرحلة من "يورك" York إلى لندن كانت تستغرق أسبوعاً ولو كان ذلك على ظهور الجياد، وهي إذ ذاك وسيلة النقل الوحيدة المأمونة. كما أخذ يزول بصورة متزايدة نظام الفلاحة المسرف الذي يرجع إلى العصور الوسطى.. وكان يقوم على تقسيم الأرض الزراعية في الحقول الواسعة ذات الأسيجة من حولها، وقد أدى ذلك إلى زيادة المواد الغذائية، وبالتالي زيادة عدد السكان. وقد غيرت القوة المائية أولاً، ثم قوة البخار ثانياً، من ظروف الحياة الاقتصادية. ووجدت صناعة الحديد التي واجهها خطر محدق في عهد الملكة آن Anne من جراء نفاذ الوقود، وجدت في مقادير الفحم الوفيرة في وسط إنجلترا وشمالها قوة دافعة لم تتوقعها للتوسع السريع. وحل الصلب محل الخشب، وعمال المناجم محل وقادى فحم الخشب. وتلا عهد الأسواق الدورية والباعة المتجولين عهد آخر تمت فيه تجارة التجزئة في دكاكين (محال) في القرى والمدن في كافة انحاء

البـلاد. وفي مدى نصف قـرن (1760 إلى 1821) ازداد عدد سكـان إنجلترا من سـتة ملايين وثلاثة أرباع المليـون إلى اثنى عشر مليوناً. لم يشـهد العالم من قبل مـثالاً لهذا التطور الذي قامت به انجلترا بعـد أربعة أجيال من الاختراع كمشـهد وسائل المواصلات وقد أصـبحت سريعة بما يفـوق أكثر الأحلام بعـداً عن الحقيقـة، ومشهد المصـانع وقد ازدحمت بالآلات البارعة الموفرة للجهد الإنسـاني، ولوث دخانها الهواء الطلق، ومشهد الصناعات وقد جلبت موادها الأولية من دول فقيـرة، بينما بعثت بضائعها المصنوعة إلى الدول المتقدمـة، ومشهد المدن الضـخمة البشـعة وقد بنيت على عجل، ومـشهد سكان أصبح رنين جرس المصنع يتحكم فيهم منذ طفولتهم المبكرة، كما ألزموا باتباع نظام عمل كئيب مضن. (هربرت فيشر، 1961، ص 432).

وترجع بعض العوامل التي جعلت من بريطانيا رائدة في الرأسمالية الصناعية إلى سخاء الطبيعة، فإن مناخها رطب وهو يلائم الصناعات القطنية، كما كانت القوى المائية متوافرة في المناطق الشمالية والشمالية الغربية من إنجلترا؛ وأهم من هذه العوامل جميعها وفرة الفحم والحـديد وتقارب مناطقهما، وسهـولة نقلهما باستخدام الطرق المائـية. كما كانت حقـول الفحم في بريطانيا أعظم مما اكـتشف منها في فرنسـا والمانيا، وأقرب إلى الموانئ الهامة. وهكذا على أساس الحديد والفحـم والمنسوجات، شيدت بريطانيا أسلوباً من الحضارة لم يلبث أن احتذى في سائر أنحاء العالم.

وإذا كانت هذه الفرص الطبيـعية قد استغلت تماماً فـفإن ذلك لم يكن راجعاً إلى مستـوى عال من الثقافة العـامة وإنما إلى وجود الجو الملائم للاختـراع في الصناعة على وجه الخصوص، والمـبادرة باستغلال نتائجـه. كانت الأرستقراطية التي في يدها مـقاليد الحكم في إنجلتـرا تهتم بشؤون التـجارة بخـلاف طبقة النبـلاء في فرنسـا. الذين كانوا يحتقرون ثروة تأتيهم من مـصنع أو منجم أو استثمار المال في الهند. هذا إلى أن هؤلاء اللوردات وقد نجحوا في تقويض سلطان الملك، لم يكونوا على استعداد لمشاهدة حكومة أوتقراطية تبعث من جديد في صورة أخرى. وقد يؤخذ على البرلمان الإنجليزي في القرن الثامن عـشر أنه لم يعـمل إلا القليل، ومع ذلك فإن أعضـاء البرلمان لم يضـعوا أياً من العراقـيل التي يمكن عدها خطيرة في طريق شـعب عرف بالاعتـماد على نفسه، وحـبه للمال.

في مثل هذا الجو من الحرية النسبية، بالإضافة أن بريطانيا قد أصبحت عقب اتحادها مع أسكتلندا أوسع منطقة للتجارة الحرة في أوروبا - استرد خلفاء عصر البيوريتان مكانتهم. وحولوا نشاطهم وكدهم إلى السعي في طلب الثروة - فاعتبروا العمل شيئاً مقدساً، وجمع المال دليلاً على قبول الإله لصلواتهم. وشاركوا بعزم قوي في كل نوع على وجه التقريب من المشاريع الصناعية والتجارية وإن كان الحديد قد اجتذبهم بوجه خاص، وبذلك ساهموا بنصيب وافر في صنع انجلترا جديدة، وهي وإن كانت قد أصبحت أقل هدوءاً وجمالاً فقد غدت أكثر ثراء وأوسع سلطاناً عما كانت عليه من قبل.

ومع ذلك فإنه لم يكن من الممكن إحداث هذه التغييرات بدون الاختراعات. فإن حفنة صغيرة من الأسكتلنديين والإنجليز الجديرين بالاعتبار، أقل عدداً مما تحتاج إليه مباراة لكرة القدم نجحت في أن تغير ببراعتها حياة البلاد الاقتصادية. ومما لا شك فيه أنهم قد استمدوا التأييد والإلهام من جو العصر الذين عاشوا فيه. فقد كان العلم ينشر سلطانه منذ أن بشّر فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626) بقيمة الطريقة الاستقرائية، وكان من رجال العلم بعض المخترعين وخاصة جيمس وات James watt (1736-1819) الذي كان أول من قرر الأهمية الحاسمة للقاطرة البخارية في مجال الصناعة كما اسلفنا. ولكن ربما كان أهم من التدريب العلمي فعلا الفكرة التي عاونت الجمعية الملكية على نشرها، ومضمونها أن المعرفة شيء ينمو ويترعرع وأن في وسع الإنسان - عن طريق الملاحظة والتجريب - الكشف عن حقائق جديدة. وهكذا ما أن ثارت في نفوس الإنجليز روح التطلع والبحث حتى أصبح لا مفر من أن يتجهوا نحو أهم أمر كان يشغل بالهم في ذلك الوقت. ولم يكن هذا الأمر - كما كان في عهد البيوريتان - أمر عقيدة أو دين، ولكنه السعي في طلب المال عن طريق الصناعة والتجارة.

كان بعض المخترعين العظام عمالاً فقراء لم ينالوا حظاً من ثقافة أو تعلم ولكن مهارتهم في معالجة أجهزة الصناعات التي يعملون فيها مهارة ميكانيكية سمت إلى حد العبقرية. ومن هؤلاء كان "كي بيورى" Kay of Bury. الذي أدى اختراعه للمكوك في 1733 إلى مضاعفة العمل الذي كان في استطاعة النساج إنجازه، بالإضافة إلى تجويد صنفه. وكذلك "جيمس هارجريفز" James Hargreaves الذي ضاعف دولاب الغزل

الذي اخترعه في عام 1754 فزادت القوة الإنتاجية للنساج إلى ثمانية أمثالها وأكثر؛ ومن هؤلاء أيضاً كان "ريتشـارد آركرايت" من بريستون Richard Arkwright of Preston (1732-1792) مخترع إطار آلة الغزل، ومؤسس صناعة المنسوجات القطنية في إنجلترا، ومنشيء نظام المصانع.

ولما كـانت المصانع الأولى لصناعـة المنسوجـات تعتـمد على الميـاه لإدارة قوتـها المحركـة، فقد أقـيمت على مقـربة من مساقط الميـاه، وبصفة عـامة على أرض سبخة موحشة، بعيدة عن المراكز الآهلة بالسكان. ولا يزال النظر يقع في مثل هذه البقاع على هياكل بالية لأبنية هزيلة مـرتفعة المداخن، وقد كانت يوماً ما مسـرحاً للنشاط والحركة، ولكنها هجرت منذ أمد بعيد. وكان الاستعاضة بالبخار عن الماء في القوة المحركة لمصانع القطن قـد جعلت من الأربح تركـيز المصـانع في المدن. ولما أصـبح في الإمكان عندئذ توليد القوة فـي أي مكان مناسب، لم يعد من الضروري نقل العمـال إلى المناطق المائية النائية. وحل مـصنع القرية محل صناعات المنزل الريفـي الصغير، وأصبح كـلاهما في عداد الآثار القديمة إذ أن اسـتخدام البخـار في إدارة المصانع قد أدى مبـاشرة إلى مصنع المدينة.

على أن هذه الأفكار الميكانيكيـة لم تكن لتؤتي ثمارها فعـلا لولا مشاركة وثيـقة تقوم بين المخترع وأحد كبار رجال الأعمـال ممن يؤمنون بالبخار ولا تعوقه خسارة مادية أو مخاوف. فلولا مساعدة "ماثيو بولتون" Mathew Boulton صاحب مصنع البضائع الحديدية في برمنجهـام لكان محتملاً أن تبقى اخـتراعات "وات" مهملة لا يستـخدمها أحد. فقـد دعا "بولتون" "وات" لمساعـدته في عام 1775، وركز اهتمـامه في صنع المحركات البخارية وبيعها، فجـمع رأس المال وجمع العمال وأقام المصانع. وبفضل همة بولتون وحماسـته ومعين نشاطه الذي لا ينضب، وكذلك بفضل المخـترعات الميكانيكية التي اختـرعها صـديقه الرقيق الشـعور، تم في عشـر سنوات انقلاب ربما استـغرق في ظروف أخرى قرناً من الزمان. وقد أخرجت مصانع "سوهو" Soho أول آلة بخارية في عام 1776. وبعد أربـع سنوات أرسلت أربعون آلة إلى المناجم. ولـم يـحل عام 1789 حتى أصبح للبخار السيطرة في مـعظم الصناعات الرئيسة في إنجلترا. (هربرت فيشر، 1961، ص 436).

وكانت وسائل المواصلات في النصف الأول من القرن الثامن عشر عائقاً كبيراً في سبيل النمو الصناعي في بريطانيا. فبينما كانت فرنسا تملك من الطرق والترع ما كان موضع إعجاب كافة الرحالة، كانت الطرق الإنجليزية التي كان يشرف عليها طائفة من موظفي الكنيسة ولا يتقاضون أجراً في حالة مخزية. أما القنوات فلم يكن لها وجود. ولم يكن في الإمكان أن تحظى الصناعة بتوسع كبير طالما بقي الحال على هذا النحو، وطالما بقي كثير من الطرق غير صالح للسفر إلا في أشهر الصيف وطرق أخرى غير صالحة لمرور عربات النقل وعجلات السفر، إذ كانت لا تسمح إلا بمرور حصان نقل واحد. ولكن الشعب في النهاية بدأ في منتصف القرن يلحظ ذلك النقص الذي تغاضى عنه دهراً طويلاً. فسنت قوانين بإنشاء مداخل للطرق تدفع عندها رسوم معينة، استخدمت في إجراء تحسينات قيمة وإن لم تكن منتظمة. وقام وليم "برندلي" Wil-liam Brindley بهندسة النفق المائي بين ليفربول ومانشستر، وزود البلاد بنظام من الطرق والجسور والقنوات لا يقل عن النظم في أوروبا. ودخل عهد الخيل المحملة بالبضائع في ذمة التاريخ، وبدأ عهد عجلات السفر القصير الأمد. وفي عام 1754 أعلن عن العجلة "الطائرة" فكانت موضعاً للفخر، إذ قيل أنه مهماً يبدو ذلك بعيداً عن التصديق فإن العربة باستبعاد الحوادث الطارئة ستصل فعلاً إلى لندن بعد أربعة أيام ونصف من مبارحتها منشستر. هذا العهد الذهبي للأسفار في إنجلترا - وإن كان عهداً قصيراً - خلده "شارل ديكنز" في صفحات كتابه "بكويك" Pickwick عندما كان الحصان في عنفوان مجده، وعندما كان المسافر يجد متسعاً من الوقت ليمتع نفسه بمباهج الريف وخواطر الطريق. ثم جاء اختراع ستيفنسن Stephenson للقاطرة (في عام 1829) فوضع حداً لذلك الفصل من تاريخ إنجلترا وبدأ عهد أكثر حركة وأكثر ثراء وأكثر راحة للجنس البشري.

وما وافت الحروب النابليونية (1815) حتى أصبح طابع المجتمع الرأسمالي، كما شاع في ذلك الوقت، أمراً واضحاً في بريطانيا. على أن الرأسمالية قد وجدت في صور مختلفة منذ فجر التاريخ وتميزت الرأسمالية الجديدة عما كانت عليه في العصور السابقة بأنها لم تكن زراعية أو تجارية على وجه الخصوص، بل أصبحت رأسمالية صناعية إلى حد كبير.

ولم يشعر المجتمع بالشرور التي نجمت عن هذا التصنيع السريع الذي لا روح فيه حتى الأربعينات من القرن التاسع عشر. فكانت المشاكل التي أثارتها جديدة ومن نوع لم يكن البرلمان الإنجليزي الذي سيطر عليه أعيان الريف الأغنياء مهيأ لتقديرها. وعجز عن اجتذاب اهتمام أعضاء البرلمان أو إثارة عطفهم على ما كان يجري في "لنكشير" Lan-cashire "وبلاك كنتري" Black Country من عرق النساء وكدح صغار الأطفال، والمساكن المخجلة وإهمال جميع وسائل الراحة، والتفاوت بين الأجور والأرباح. وتوقع البطالة، حتى أن "بيرك" Burke نفسه الذي وسع خياله الملتهب قضايا الهند وأمريكا، والدلالة الكبرى للثورة الفرنسية، أغمض عينيه عن رؤية المشاكل الداخلية الملحة التي نجمت عن الثورة الصناعية. ولما كان القانون يحرم تكوين اتحادات العمال، فقد عجزوا عن تنظيم أنفسهم، فلم يسمع لهم حس.

ومع أن الحرب الطويلة ضد فرنسا لم يكن لها أثر في إيقاف التوسع الصناعي والتجاري في إنجلترا فإنها من كافة الاعتبارات الأخرى كانت بلاءً صرفاً على بريطانيا والعالم. ذلك لأنه بسبب الحرب أهملت دراسة مشاكل المجتمع الصناعي الجديد التي كان لها من الأهمية والحدة ما يكفي لتكرس لها حكومة عاملة وعاقلة كل قواها. وهو درس كان من الممكن أن يكون مجدياً على أي حال. فبينما كانت الحكومة الإنجليزية تناضل للمحافظة على كيانها ضد فرنسا في عهد الثورة ونابليون، وقد أصاب الطبقة الحاكمة فيها الذعر من خطر الروح الثورية في إنجلترا، كان من العبث أن نتوقع أن ينظر بعين العطف إلى حاجات تلك الطائفة الجديدة من الناس؛ المشتغلين بالصناعة، وهم لا يعرفهم أحد ويحيون حياة نصف همجية؛ وكان عددهم يزيد بسرعة في الظروف الغريبة التي تقوم فيه المصانع في الجزء الشمالي من الجزيرة البريطانية. بل إن "وليم بت" نفسه، وقد أظهر في لحظة ما وميضاً حقيقياً من الاهتمام والإدراك، تراجع عن واجب التخفيف من شقاء تلك الفئة الكادحة من السكان التي تشقى لتكسب رزقها. وإن العقلية التي عضدت بقاء تجارة الرقيق حتى عام 1807 كانت أحد العناصر التي شكلت الجو العقلي الذي كان يسود تلك الأيام. كما كان الخوف من الثورة عنصراً آخر، وكلا العنصرين لم يحبذا معالجة المشكلات الاجتماعية التي ترتبت على الثورة الصناعية معالجة حكيمة.

رحّب آدم سمث Adam Smith في كتابه "ثروة الأمم" ببزوغ فجر العصر الجديد - عصر الصناعة عام (1776) - وهلل لازدياد الثروة الذي أصبح أمراً ممكناً في ظل نظام يقوم على حرية التجارة وتعميم الآلات، وتقسيم العمل تقسيماً دقيقاً؛ وفي هذا البحث الفريد الذي يبشر بمبدأ التجارة الحرة؛ فطن آدم سمث هذا الأستاذ الحكيم من أبناء جلاسكو، إلى القوى الاقتصادية الهائلة الكامنة في الشعب البريطاني التي يستطيع نظام قائم على الحرية أن يطلقها من عقالها. وقد أيدت الحوادث في وقتها هذه الثقة الرزينة التي آمن بها ذلك الاقتصادي، إذ آتت التجارة الحرة ثمارها. فالتصنيع أصبح مصدراً لرفاهية مادية متزايدة؛ وكيفما كانت الاختبارات التي تقاس بها الثروة القومية فإن نموها طوال القرن التاسع عشر سار دون عائق.

4.2 نتائج الثورة الصناعية

أسفرت الثورة الصناعية عن نتائج بالغة الأثر، في حياة الناس، فبدلت ظروفهم المعيشية، وعلاقاتهم، ونظمهم الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، وقد اختلفت آثار هذه النتائج شدة وضعفاً بين مجتمع وآخر، تبعاً لاختلاف ظروف وإمكانات كل مجتمع، والزمن الذي دخل فيه ميدان التصنيع. على أن أبرز نتائج الثورة الصناعية هي:

1.4.2 النتائج الاقتصادية

1- ظهور الآلات الكبيرة، وقيام المصانع الضخمة التي وضعت حدا لنظام الصناعة البيتية، إذ انهارت الصناعة اليدوية أمام منافسة الآلة ورأس المال، وهجر العمال اليدويون صناعاتهم والتحقوا بالمصانع الكبيرة.

2- أدى تقدم الصناعة إلى ازدهار التجارة واتساعها نظراً لازدياد الحاجة إلى المواد الخام، وكثرة الانتاج، وضرورة تصريفه في الأسواق الخارجية، ونتج عن ذلك زيادة دور الوسطاء التجاريين والوكلاء، ونمو مراكز التوزيع في المدن الكبرى.

كذلك قل الاهتمام بالزراعة في إنجلترا بسبب التقدم الصناعي، وهجر الفلاحون حقولهم للعمل في المصانع، في حين ترافق التقدم الصناعي والزراعي في ألمانيا، ودخلت الآلة ميدان الزراعة وحلت محل اليد العاملة في أكثر الأعمال الزراعية. أما من حيث المحاصيل الزراعية فقد ازدادت أهمية القطن والمطاط لأهميتها الصناعية، وبذلت الجهود لتحسين أنواعها، وزيادة إنتاجها.

3- تطور وسائل النقل. كان من نتيجة تقدم الصناعة والزراعة واتساع نطاق التجارة أن أصبحت الحاجة ملحة لتحسين وإصلاح طرق المواصلات سواء ما كان منها الطرق البرية أو البحرية أو السكك الحديدية. واستدعت الحاجة اختراع وسائل نقل جديدة كالقاطرة والسفينة البخارية والسيارة.

4- ارتفاع الدخل القومي ونمو الرأسمالية. ارتفع الدخل القومي للدول الصناعية بسبب التوسع في الإنتاج وتصديره إلى الأسواق الخارجية، وقد زادت الثروة العامة، وارتفعت الموارد المالية بصورة عامة.

وكانت المشروعات الصناعية الكبيرة بحاجة إلى رؤوس أموال ضخمة لتقوم بنفقاتها، فظهرت الشركات المساهمة، وأنشئت المصارف التي اتسع نشاطها المالي.

وعاد الإنتاج الكبير على أصحاب المصانع بأرباح طائلة، غطت نفقات الإنتاج وتكاليفه وزادت عليها، وتحولت إلى رأسمال جديد، أمكن استغلاله للحصول على أرباح جديدة عن طريق توسيع المصانع، وزيادة الانتاج، أي أن النمو الانتاجي تلازم مع نمو رأس المال الصناعي، فقويت الرأسمالية ورسخت جذورها وتطورت باطراد حتى وصلت مرحلة الإمبريالية، وهي أعلى مراتب الرأسمالية.

2.4.2 النتائج الاجتماعية

1- ارتفع عدد السكان في أوروبا بوجه عام إثر الثورة الصناعية ارتفاعاً كبيراً بسبب نمو الدخل القومي وازدياد الثروة وارتفاع مستوى المعيشة، وتزايد الرعاية الصحية التي أولتها الدول الصناعية اهتماماً سعياً وراء الإنتاج المتزايد. فمثلاً تطور عدد سكان انجلترا، ففي عام 1801 كان عدد السكان 9 ملايين نسمة أصبح عام 1871 نحو 23 مليون وفي عام 1921 نحو 38 مليون نسمة.

وأدت الثورة الصناعية إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة الرأسمالية الصناعية، التي استمدت ثراءها مما امتلكته من وسائل الإنتاج (الآلات والمصانع)، كما قابلها ظهور طبقة أخرى، هي طبقة العمال الكادحين، وقد تضاربت مصالح الطبقتين لأن الطبقة الرأسمالية عملت على تحقيق مصالحها على حساب الطبقة الكادحة، فعاش العمال في ظروف صعبة للغاية، وفرض عليهم العمل ساعات غير محدودة، وحصلوا على أجور ضئيلة، وبخاصة النساء والأطفال، إضافة إلى أن المصانع كانت تفتقد

للشروط الصحية، ووسائل الوقاية من الحوادث، كما تدنى المستوى الصحي للعمال بسبب سوء التغذية، وانعدام الرعاية الصحية، وضآلة الاجور، وإقامتهم في مساكن مكتظة بالسكان.

2- ظهور المباديء الاشتراكية التي تعارض مبدأ الاقتصاد الحر وترمي إلى إعادة تنظيم الحياة الاقتصادية على أسس جديدة تضمن وضع حد لإرهاق العمال واستغلالهم.

ولقد كان طبيعيا أن تقود الأوضاع السيئة التي عاشتها طبقة العمال الكادحة إلى ظهور العديد من المفكرين، الذين نبهوا إلى الفوارق الطبقية في المجتمع وما قد تجره من نتائج سيئة على المجتمع بأسره، فأخذوا يتلمسون سبل إصلاح المجتمع، وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً، وظهرت نظريات اشتراكية في إنجلترا وفرنسا، لكنها نظريات مثالية غير قابلة للتطبيق، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم (الإشتراكية الخيالية)، ثم ظهرت (الاشتراكية العلمية) على يد "كارل ماركس" وحاولت وضع حلول لمشكلات المجتمع الحديث.

3- ظهور النقابات العمالية التي كانت تهدف إلى استخدام قوة المجموع لمصلحة الفرد، وإرغام أصحاب العمل على تحسين ظروف العمال الاقتصادية والاجتماعية. وكان سلاحهم الفعال هو حق الاضراب عن العمل الذي كان يترتب عليه تعطيل المصانع وشل حركتها. وقد ساعدت النقابات على تكوين أحزاب سياسية عمالية في عدد من الدول الأوروبية.

وأخذت الحكومات من جانبها، تولي اهتمامها بقضايا العمال وحل مشاكلهم امتصاصاً لنقمتهم، فظهرت القوانين والتشريعات التي تحدد الأجور وساعات العمل، وتعويضات الإصابة في أثناء العمل، وفي حالات الشيخوخة والعجز، وضمنت للعمال حق تأليف النقابات والاتحادات لحماية حقوقهم كما قيدت عمل النساء والأطفال، وعملت على تحسين شروط العمل، والخدمات العامة للعمال من حيث الصحة والثقافة والتعليم.

3.4.2 النتائج السياسية

1- ظهور الحركات الاستعمارية بين الدول المتقدمة صناعياً استدعى نمو الصناعة، والحاجة إلى المزيد من المواد الأولية الخام، وإلى الأسواق لتصريف الإنتاج، ونتج

عن ذلك تسابق الدول الصناعية للسيطرة على المستعمرات، ووضع يدها على الإنتاج الزراعي والمعدني بها، لتغذية مصانعها، والحصول على الأسواق الخارجية، وفي مطلع القرن العشرين كانت الدول الاستعمارية قد اقتسمت العالم بأسره، ولم يعد ممكناً الحصول على مستعمرة جديدة إلا بانتزاعها من دولة ثانية؛ كما ظهرت دول صناعية جديدة أخذت تطالب بنصيبها من المستعمرات، مثل ألمانيا واليابان، وهكذا اشتد التنافس الدولي الاستعماري، فكان مقدمة لنشوب الحرب العالمية الأولى 1914-1918م.

2- ظهور الاتجاه الليبرالي الذي ينادي بتطبيق المبادئ الدستورية النيابية وذلك بإشراك أكبر عدد ممكن من الشعب في الحكم، ومما ساعد على تقوية هذا الاتجاه ظهور الحركات العمالية وكفاحها المستمر من أجل انتزاع حقوقها المهضومة.

3- كان من أهم نتائج الثورة الصناعية هو سيادة الطبقة البرجوازية (الرأسمالية الصناعية) فلقد قام الصراع بينها وبين الرأسمالية الزراعية (النبلاء) وانتهى بفوز البرجوازية وامتلاكها السيطرة السياسية على المجتمع والدولة.

4- تكتل الطبقة الكادحة فقد أدرك العمال، مدى الظلم والاستغلال الذي يعانونه وساعد تجمعهم واشتراكهم في المصانع والمؤسسات على تفهم أوضاعهم ومشاكلهم، فنظموا صفوفهم، وشكلوا النقابات والجمعيات الثورية والأحزاب السياسية التي راحت تنتهز كل فرصة للمطالبة بحقوقها وكثيراً ما كانت تصطدم بالحكومة الممثلة للطبقة البورجوازية ومصالحها.

تدريب (1)

- من انجلترا انبثقت الثورة الصناعية، اشرح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. وضّح الاسباب التي أدت إلى قيام الثورة الصناعية.
2. من نتائج الثورة الصناعية النتائج الاجتماعية، اشرح ذلك.
3. الاستعمار الأوروبي

3. الإستعمار الأوروبي

يقصد بالاستعمار - حسب المفهوم التقليدي - استيلاء دولة كبرى على بعض البلاد وإخضاعها بالقوة بقصد السيطرة على شؤونها السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية. ومع أن الاستعمار الحديث قد ابتدأ في نهاية القرن الخامس عشر إلا أنه بلغ ذروته في نهاية القرن الماضي وخاصة بعد قيام الثورة الصناعية والدول القومية.

أما تعبير الإمبريالية Imperialism

فيطلق هذا الاصطلاح على النزعات العدوانية التي نمت لدى الدول العظمى ودفعتها إلى التسلط على العالم الخارجي بحثاً عن الأسواق اللازمة لإنتاجها الضخم وعن مصادر المواد الخام اللازمة للصناعة الحديثة. ولقد قضى تدفق القومية في الاتجاه الامبريالي على آمال المفكرين السياسيين من أنصار حرية التجارة، ممن توقعوا النمو السريع لنزعة عالمية تقوم على التبادل المثمر للسلع والأفكار بين أمم تدرك التناسق العادل للمصالح بين شعوب حرة. فبينما تستطيع القوميات المتعايشة أن تتبادل المساعدة التي لا تتضمن تضارباً مباشراً في المصالح، فإن الامبراطوريات المتنافسة التي تتبع كل منها سياسة التوسع الإقليمي والصناعي لا بد أن تكون أعداء بطبيعتها. ذلك أن الزحف نحو آسيا وإفريقيا قد أعاد تشكيل سياسة جميع الدول الأوروبية، فأدى إلى أحلاف استعمارية ودفع كل دولة من دول القارة إلى استنزاف قدر متزايد باستمرار من الطاقات البشرية والمادية في استعداداتها الحربية والبحرية. كما دفع الولايات المتحدة إلى الخروج من عزلتها والاشتراك في خضم المنافسة. وبالإضافة إلى ذلك أصبح هذا الوضع مصدر خطر دائم بالنسبة إلى سلام الجنس البشري وتقدمه بما يطرحه من قضايا ضخمة على المسرح السياسي.

1.3 أشكال الاستعمار

تعددت أشكال الاستعمار، واتبعت الدول الاستعمارية أساليب مختلفة لتحقيق أهدافها، وكان لكل أسلوب خصائص معينة، ويمكن حصر أشكال الاستعمار فيما يلي:

1.1.3 الانتداب

وهذا ما حدث بعد الحرب العالمية الاولى، فقد أقرت عصبة الامم المتحدة مبدأ

الوصاية ليتسنى بموجبه لبعض الدول الكبرى أن تساعد بعض البلاد المتخلفة على النهوض من تخلفها، وتتمكن هذه البلاد في النهاية من إدارة شؤونها بنفسها، كما كان الحال بالنسبة لبعض البلاد العربية التي وقعت إما تحت الانتداب البريطاني وإما تحت الانتداب الفرنسي. ولكن سرعان ما تحولت الوصاية إلى سيطرة واستعمار كما حدث في فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

2.1.3 الغزو العسكري

ونعني به الاحتلال المباشر بقوة السلاح كما فعلت فرنسا في الجزائر لدى غزوها عام 1830 وانجلترا في مصر عام 1882، وإيطاليا لدى احتلالها الحبشة عام 1835، وكانت هذه الدول تتذرع بحجج مختلفة تقوم بعدها بالغزو والاحتلال المباشر.

3.1.3 الاستيطان

وهو هجرة مجموعات من سكان دولة أجنبية قوية إلى أخرى ضعيفة، على شكل إرساليات تنصيرية أو جماعات من التجار والسياح أو البعثات التعليمية، ثم التملك وطرد السكان الأصليين، وتشريدهم بعيداً عن وطنهم أو حتى إفنائهم تماماً كما حدث لهنود القارة الأمريكية على يد المستوطنين الإنجليز. ولسكان أستراليا الأصليين على يد المهاجرين البيض، وكذلك كما في فلسطين منذ الغزو الصهيوني لها في نهاية القرن التاسع عشر وحتى اليوم. وفي جنوب إفريقيا حيث تحكمت الأقلية البيضاء بمصير الأكثرية من أهل البلاد الرازحين تحت الفقر والبطش والتخلف.

4.1.3 المحمية

وهي البلاد التي تعقد معاهدة مع دولة قوية يتم بموجبها احتفاظ المحمية بمظاهر استقلالها ولكن الدول القوية تكون هي صاحبة الكلمة الاولى وخاصة في المجالات السياسية والمالية. ومن أمثلة ذلك المحميات البريطانية في منطقة الجنوب العربي والخليج العربي، فقد فرضت الحماية على عدن عام 1839 وتلاها بقية المشيخات والإمارات الاخرى.

5.1.3 منطقة النفوذ

وهي البلاد التي تتغلغل فيها المصالح الاقتصادية والمالية لدولة كبرى بحيث يصبح من المتعذر مقاومة نفوذها وسيطرتها ومن أمثلة ذلك إيران عام 1907 حينما أصبح

شمالهـا منطقة نفوذ لروسيا وجنـوبها منطقة نفوذ لبريطانيـا. والصين منذ القرن الماضي حتى أواسط الـقرن الحالي، فـقد قـسمت إلى مناطق نفـوذ بريطانية وفـرنسية ويـابانية وايطالية.

6.1.3 المعاهدات والاتفاقيات الخاصة

عمدت الدول الاستعمارية إلى عقد مـعاهدات الحماية مع الدول الضعيفة، تحت ستار من حجج مـختلفة، كالتجارة وتبادل المنافع الاقتـصادية، أو حماية هذه الدول من الأخطار الخارجية التي تتهددها. كما فعلت بريطانيا في منطقة الخليج العربي ومصر. أو بالتلويح بالقـوة بعد التدخل في الشـؤون الداخلية للدول أو عن طريق تقـديم القروض الماليـة، والمساعدات التـي تنهك الدول الفقـيرة، وتمتص مـواردها وتوقعـها في العـجز المادي. كما كان الأمـر في مصر قبيل احتلال بـريطانيا لها عام 1882 وتونس ومراكش اللتين وقعتا تحت الاحتلال الفرنسي.

وعندما اضطر الاسـتعمـار في مطلع هذا القرن، وبخاصـة بعد احتـدام النضال الوطني، واندلاع الثـورات التحررية إلى التـسليم بمبدأ اسـتقلال الشـعوب، عـمد إلى تكبيلها باتفاقيات خاصة، تربطها به، وتحفظ مصالحه الاقتصادية والسياسية، وكانت هذه الاتفاقيات دائماً، غير متكافئة، ومفروضة كشرط للاعتراف بالاستقلال، بكل ما تتضمنه بنودها من التزامـات وارتباطات عسكرية واقتـصادية، كما كان الأمـر في المعاهدات بين انجلترا من جانب وكل من مصر والعراق والأردن، ثم بين فرنسا وسوريا.

2.3 عوامل ظهور الاستعمار

مثلت الكشوف الجغرافية التي قامـت بها الدول الأوروبية اعتباراً من القرن الخامس عشـر، حدثاً بارزاً في تاريخ العـالم، بما ترتب عليها من نـتائج هامة، وفي مـقدمتـها احتـلال الدول الأوروبيـة لمناطق وأقاليم جـديدة في القارات. والتـسلط على مـقدرات شعوبها بالقوة، وقد ظهر نتيجة لذلك نظام الاستعمار الذي اكتوت بناره شعوب كثيرة، ما لبثت أن ثارت عليه، وقاتلت لتحقيق حريتها واستقلالها.

لقد كانت وراء هذا النظام الاستعماري عوامل عديده من أبرزها:

1.2.3 العامل الاقتصادي

يرتبط ظهور الاستعمار الأوروبي الحديث في الربع الاخير من القرن التاسع عشر

بالنتائج التي ترتبت على قيام الثورة الصناعية. فعلى أثر قيام هذه الثورة انتشرت حركة التصنيع بشكل واسع في مختلف أنحاء أوروبا. وقد أدت حركة التصنيع هذه إلى قيام تنافس شديد بين الدول الاوروبية على مد سيطرتها على أرض جديدة تؤمن لها الأسواق اللازمة لتصريف منتوجاتها الصناعية، وتؤمن لها المصادر الكافية التي تزودها بالمواد الخام اللازمة لصناعاتها.

وساعد على ظهور الاستعمار انتشار الخوف والقلق بين الدول الصناعية نتيجة إقدام أمريكا وبعض الدول المجاورة على وضع حماية جمركية عالية على وارداتها مما أفقد عدداً من الدول الاوروبية الصناعية أسواقاً رائجة، فبات من الضروري تعويضها بأسواق جديدة في المستعمرات. (البطريق، 1978، ص 68).

وأصبح التيار الإمبربالي واحداً من أبرز مظاهر النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أوروبا، وهو تيار انتشر في اكثر من مكان وخاصة في إفريقيا وآسيا. ولم يتطور مفهوم الإمبريالية من التسلط العسكري المباشر إلى التلغلغل الاقتصادي إلا بعد الحرب العالمية الاولى وذلك نظراً لتوفر رؤوس الاموال، والحاجة إلى أسواق جديدة وإلى المواد الخام اللازمة للصناعة، فأصبح التسلط الاستعماري مظهراً من مظاهر القوة الوطنية.

2.2.3 العامل الاستراتيجي (العسكري)

اهتمت الدول الاوروبية بالسيطرة على المناطق ذات الموقع الجغرافي الهام، على طول طريق التجارة في المحيطات، لإقامة قواعد تجارية وعسكرية، وتوفير خدمات للسفن التجارية، ولحماية خطوط المواصلات البحرية، والتحكم في الدفاع عن مصالح الدول الاستعمارية المتنافسة ومد هذه الدول برجال المستعمرات لتجنيدهم إجبارياً لتحقيق مطامعها التوسعية.

3.2.3 العامل السكاني

كان ازدياد عدد سكان أوروبا، أثر قيام الثورة الصناعية بصورة واضحة، دافعاً إلى تهجير أعداد كبيرة من السكان إلى الاقاليم الجديدة التي كانت شبه خالية، وهكذا نقلت بريطانيا فائض سكانها إلى مستعمراتها في كندا والولايات المتحدة واستراليا، ونيوزيلاندة، وإفريقيا، وتوجه الفرنسيون إلى الجزائر، والإيطاليون إلى ليبيا.

4.2.3 العامل الاخلاقي والثقافي

زعمت الدول الاستعمارية، أنها تقوم بواجب أخلاقي نحو الأمم المتخلفة، حين تقوم باستعمارها، وتنقل اليها الحضارة الحديثة، وترفع مستواها الاجتماعي والفكري. واستغل الاستعمار نشاط الأطباء ورجال الدين والمعلمين، ليتدخل في شؤون البلاد، ويعمق سيطرته عليها؛ وكان ذلك واضحاً فيما اتبعه الاستعمار من أساليب في الوطن العربي خاصة، إذ قامت الإرساليات الأجنبية بالدعوة إلى النصرانية بين المسلمين، وعمد المستشرقون الأوروبيون إلى تشويه الحقائق والمثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه لإضعاف إيمانهم بعقيدتهم السامية، وخلب عقولهم ببريق الحضارة الغربية الزائف. وهكذا كان الهدف الحقيقي للاستعمار، ضمان سيطرته على الشعوب لإبقائها تابعة ومتخلفة، ومنجماً للثروات، ينهبه الأجنبي على مر السنين.

5.2.3 العامل القومي والتبشيري

كان لنجاح الحركات القومية في أوروبا في نهاية القرن الماضي أن تولد شعور القوة والسيطرة عند كثير من الدول الاوروبية. وقد دفعها هذا إلى استعمار كثير من دول العالم الأخرى بحجة تمدين الشعوب المتخلفة وترقيتها. وكان الدين المسيحي وخاصة البروتستانتي يشكل مظهراً أساسياً من مظاهر الثقافة الغربية الواجب نشرها، ولذا فقد ظهرت حركات التبشير وترعرعت في كنف وحماية الدول الغربية الكبرى.

وهكذا أصبح التوسع القومي هو الموجه للسياسة الخارجية. إذ أن الجشع في الاستيلاء على الأرض والاندفاع نحو الأسواق هما المسؤولان عن خرق المعاهدات وظهور عبارات "مجال النفوذ" و "مجال المصالح" و "التسلط والسيادة" و "الحماية" - وكل ذلك من مبتكرات الروح الإمبريالية ونتيجة لذلك قامت عدة دول أوروبية - منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر- بضم اجزاء شاسعة من إفريقيا وآسيا. وبلغت الممتلكات البريطانية بوجه خاص حجماً هائلاً بحيث شغلت حوالي خمس الكرة الأرضية وسدس سكان العالم. كما أن دولا أخرى شاركت بريطانيا في هذا المضمار - فالإمبراطورية الألمانية التي قامت على أثر اتحاد ألمانيا في عام 1871 سعت هي الاخرى إلى التوسع الاستعماري ولكنها لم تحصل إلا على مناطق تقع كلها تقريباً في المنطقة الاستوائية وذلك لاستئثار بريطانيا وفرنسا بأغنى المستعمرات.

3.3 ذرائع الاستعمار

كان اتساع وتعدد أساليب الاستعمار عاملاً ملهباً للتسارع بين الدول على إخضاع البلاد الضعيفة، كما أن الانقلاب الصناعي أدى إلى سرعة الانتاج وبالتالي الحاجة إلى سرعة نقل هذا الإنتاج من المصانع إلى مناطق الاستهلاك المحلي والخارجي ولذلك بدأت الاتجاهات الاستعمارية تقوى عن ذي قبل. إذ نزلت فرنسا في الجزائر عام 1830 وهزمت إنجلترا الصين في حرب الأفيون 1839 وطرقت الولايات المتحدة أبواب اليابان بقوة عام 1851 وقضت بريطانيا على ثورة الهند الكبرى عام 1857م.

هذه كانت الأوضاع العامة للتسابق الاستعماري عند منتصف القرن التاسع عشر، وقد اتخذت الدول الاستعمارية وسائل وذرائع مختلفة لتبرير استعمارها لمناطق مختلفة في العالم ومن هذه الذرائع:

1.3.3 نشر الحضارة والفكر الحديث

اتخذ مبدأ نشر الحضارة والفكر الحديث، وسيلة للاستعمار مثل مشروعات خطوط السكك الحديدية في الكونغو بواسطة بلجيكا، وفي العراق والأناضول بواسطة المانيا، ومشروعات شق القنوات للملاحة الدولية مثل قناة السويس وبنما.

2.3.3 استخدام الأساليب الإنسانية لتحقيق أهداف وتوسعات استعمارية

فقد فرضت بريطانيا استعمارها على دولة زنجبار في شرق إفريقية باسم "مكافحة تجارة الرقيق"، واستخدمت كل من فرنسا وبريطانيا النشاط التبشيري - الكاثوليكي بالنسبة للأولى والبروتستنتي بالنسبة للثانية - في التوسع الاستعماري. وأوضح مثل على هذا استعمار بريطانيا لأوغنده، واستغلال كل من فرنسا وبريطانيا فكرة حماية مسيحي الدولة العثمانية، والصين لاستعمار أرض جديدة أو لفرض احتكارات جديدة.

3.3.3 استخدام الشركات التجارية والبنوك رأس حربة للاستعمار

مثل شركة قناة السويس والشركة الافريقية الوطنية في نيجيريا وشركة شرق إفريقيا الألمانية. ونلاحظ أن الدول الضعيفة التي تقرض دولة أوروبية كبيرة أو تستقرض منها تصبح معرضة للاستعمار فقد وقعت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي لأنها كانت تلح في الحصول على ديونها لدى فرنسا، واستعمرت بريطانيا مصر متهزة فرصة أزمتها المالية وعدم قدرتها على دفع ديونها.

4.3.3 نمو الأساليب والأدوات العسكرية

نمت الأساليب والأدوات العسكرية، نمواً كبيراً باستخدام الآلات في خدمة الجيوش البرية والبحرية فقد أصبحت السكك الحديدية واحدة من أسباب انتصار الدول التي تعنى بها. كما أن البواخر والقوارب المحملة بمدفعية عديدة أصبحت قادرة على قصف الموانىء وإشاعة الدمار بسرعة خارقة، بل أصبحت قادرة على السير في الأنهار في عكس التيار صاعدة إلى قلب البلاد المتخلفة مثل أنهار الصين وأنهار العراق مذلة الحكومات مرغمة إياها على التوقيع على تنازلات أرضية وتجارية وعسكرية كبيرة. كما أن النمو في التكتيك الحديث وتخلف الدول الشرقية جعل تكاليف الحروب الاوروبية ضد الدول الشرقية أقل بكثير عن ذي قبل.

5.3.3 الضم الكلي - الحكم الذاتي - الحماية

ضم بعض المناطق إلى الدولة المستعمرة ضماً كاملاً مثلما حدث للجزائر التي اعتبرتها فرنسا جزءاً من الدولة الفرنسية، أو إعطاء المستعمرة كياناً ذاتياً مثلما هو الحال بالنسبة لكندا مع استمرارها مرتبطة مع بريطانيا، أو مجرد رفع علم الدولة الاستعمارية على أرض شعب متخلف خاصة في إفريقية مثلما حدث خلال عمليات التسلط الألماني على تنجانيقا، وأسلوب آخر وهو مجرد إغراء شيوخ القبائل الافريقية (بتوقيع أوراق) تنص على فرض (الحماية) دون أن يدرك هؤلاء الشيوخ حقيقة مفهوم (الحماية) مثلما فعل الألماني كارل بيترز Karl peterz مع زعماء القبائل الإفريقية على الساحل الغيني وكذلك الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ إمارات الخليج العربي. (نوار 1982، ص 94).

6.3.3 الفروق الحضارية (تخلف الدول الشرقية)

كان هذا النمو الكبير في قدرات أوروبا التجارية والعسكرية - فضلاً عن نمو الحركة الفكرية - والقدرة على استخدام مختلف الوسائل من أجل التوسع يقابله تخلف شديد لدى الدول الشرقية ابتداء من الدولة العثمانية حتى الصين، وكانت الفروق الحضارية حتى مطلع القرن الثامن عشر بين الشرق والغرب غير خطيرة، ولكنها أصبحت كبيرة للغاية في القرن التاسع عشر وبوجه خاص في النصف الثاني منه برغم المحاولات الكبيرة التي بذلتها الدول الشرقية للنهوض واللحاق بركب الحضارة

الأوروبية. إلا أن الدول الكبرى الاوروبيــة كانت هي القادرة على تقديم أكـبر قسط من الحضارة الحـديثة إلى الدول المتخلفـة. ولكن هذه الدول الكبرى نفسهـا هي التي كانت تسعى إلى استعمار هذه الدول المتخلفة.

فهذا الاختلاف والفارق الحضاري والدوافع الاقـتصادية الجديدة أسهمت إلى حد كبير في اتجاه الدول الكبرى الأوروبية إلى الاستعمار وإلى التنافس الاستعماري.

7.3.3 تزايد عدد سكان اوروبا

ومما جعل النصف الثـاني من القرن التاسع فترة نمو فـي التحركات الاستـعمارية الأوروبية، أن السكان في أوروبا كـانوا يتزايدون بسرعة أكـثر بسبب الأساليب الصـحية التي منعت الأوبئة الكبرى من التردد على القارة الأوروبية، فضلاً عن أن ارتفاع مستوى المعيشـة والتعليم في أوروبا خفض من نسـبة الوفيات، في نفس الوقت الذي قلل فـيها الانقلاب الصنـاعي من الحاجة إلى الأيدي العـاملة وزاد من عدد المتطلـعين إلى تحسين أحوالهم المعـيشية وكذلك عـدد العاطلين والخارجين على القـانون لأسباب سيـاسية أو اجتماعيـة، فوجدت بعض الدول - مثل إنجلترا - في التوسع الاستعـماري في أستراليا ونيوزيلنده - ومثل روسيا في التوسع الاستعـماري في سيبريا فرصة للتخلص من هؤلاء بإرسالهم إلى تلك المستعمرات.

4.3 التوسع الاستعماري الاوروبي في العالم

1.4.3 التوسع الاستعماري في افريقيا

كـانت ممتلكات أوروبا في إفـريقيـا حـتى بداية الربع الأخـير من القـرن الماضي منحصرة في مـستعمرة الرأس الهولـندية التي استولى عليها الإنجليـز من الهولنديين عام 1814 ومستعمرة الجزائر الفرنسية وبقي معظم القارة الإفريقية مجهولاً وغامضاً حتى عام 1876. وذلك لأن أغلب شواطئها لا تسمح بارتياد السـفن، وهضبتها الوسطى محاطة بالصحاري والمسـتنقعات، وأنهارها تعـيق سير المستعـمرين لكثرة ما فيـها من شلالات وجنادل. كما أن كثافة غاباتها ووجود الحيوانات المفترسة فيها جعل القارة الإفريقية تظل بمعزل عن الاستعمار الأوروبي لفترة طويلة من الوقت.

تمكن أخيـراً ليوبولد الثـاني ملك بلجيكا من احتـلال الكونغو الواقـعة في وسط إفريقيا عام 1876، وبقيت ملكا شخصـياً له حتى عام 1908 حينما نقل ملكيـتها إلى

الحكومة البلجيكية. وتلا بلجيكا بعد ذلك كل من بريطانيا وفرنسا. فقد مدت بريطانيا نفوذها على مصر عام 1882 ثم على كل من السودان وروديسيا وأوغندا وساحل شرق افريقيا واستطاعت عام 1902 من إنهاء حرب البوير بعد أن دامت ثلاثة أعوام وضمت البوير بعد ذلك إلي مستعمرة الرأس لتكون منذ ذلك الوقت مستعمرة جنوب افريقيا.

أما الفرنسيون فقد كانوا يطمحون إلى تكوين إمبراطورية عظمى في القارة السوداء. فبعد احتلالهم الجزائر عام 1830 تمكنوا عام 1881 من احتلال تونس، وظلوا يتقدمون بعد ذلك في إفريقيا فاحتلوا الصحراء الكبرى والكونغو الفرنسي وغينيا الفرنسية والسنغال وداهومي.

وهكذا أصبحت معظم إفريقيا في مطلع هذا القرن مقسمة بين البلجيك والبريطانيين والفرنسيين. أما بالنسبة للألمان والإيطاليين فقد جاء تدخلهم متأخراً نسبياً نظراً لانشغالهم بمشاكلهم الداخلية الناتجة عن قيام دولهم الموحدة. وبالرغم من ذلك قد تمكن بسمارك فيما بين عامي 1884 - 1890 من الحصول على بعض المناطق في شرق إفريقيا بالاضافة إلى الكمرون وتوجو. أما إيطاليا فقد حاولت إيجاد موطيء قدم لها في الصومال ومن هناك تقدمت جيوشها نحو الحبشة حيث كانت بانتظارهم هزيمة مروعه عام 1896 على يد الأحباش مما اضطرهم إلى الانسحاب. واستطاع الإيطاليون بعد ذلك احتلال ليبيا عام 1912.

أما الإسبان والبرتغاليون فقد كانت ممتلكاتهم محدودة وضيقة. فالنسبة للإسبان قاموا باحتلال جزر الكناري وإقليم الريف بمراكش وغينيا الإسبانية في حين احتل البرتغاليون أنجولا وموزمبيق. (نوار 1982، ص 103-104).

2.4.3 التوسع الاستعماري في آسيا

يعود التوسع الأوروبي في آسيا إلى نهاية القرن السادس عشر حينما تقدم الروس شرق جبال الأورال ووصلوا خلال أقل من قرن إلى شواطيء المحيط الباسفيكي. وتمكن الإنجليز من تدعيم نفوذهم في الهند عام 1763 حينما طردوا الفرنسيين منها في أعقاب حرب السنين السبع، وأصبحت الهند بعذ ذلك خاضعة للاستعمار الإنجليزي.

وفي نهاية حرب الأفيون عام 1842 تمكنت بريطانيا من إجبار الصين على التخلي عن ميناء هونج كونج الشهير. وبعد ذلك بسنوات قليلة تمكن الفرنسيون من فرض حمايتهم على الهند الصينية.

أما الروس فقد تمكنوا عام 1858 من احتلال المناطق الواقعة شمال نهر آمور الصيني وأسسوا هناك مدينة فلاديفستك.

إلا أن الاستعمار الحقيقي في آسيا بدأ في القرن السابع عشر عندما هزم الانجليز البرتغاليين وأسسوا لهم ثلاثة مراكز رئيسة للتجارة في الهند عام 1689 (محمد محمد صالح، 1981، ص 488).

وفي عام 1885 تمكنت بريطانيا من احتلال بورما التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الصينية. وتلتها اليابان عام 1895 باحتلال جزيرة فرموزا. وبعد ذلك أخذت الدول الأوروبية الأخرى تتسابق على اقتسام الامبراطورية الصينية. ففي عام 1897م تقدمت ألمانيا بحجة الانتقام لاثنين من مبشريها قتلا في الصين، فاحتلت خليج كياوتشو وحصلت على امتيازات لمد خط حديدي في شبه جزيرة شان تنج واستغلال المعادن الموجودة فيها. وفي عام 1898م سارعت روسيا بالحصول على امتياز مد خط حديدي عبر منشوريا الصينية ليصل إلى فلاديفستك، بينما نجح الإنجليز والفرنسيون في الحصول على المزيد من الموانيء الصينية والمراكز الاستراتيجية.

وهكذا أصبحت الصين في نهاية عام 1898 مجزأة إلى مناطق نفوذ تسيطر عليها الدول الصناعية الكبرى. فالقسم الجنوبي الشرقي خاضع للنفوذ الفرنسي والقسم الأوسط للإنجليز والألمان والقسم الشمالي لروسيا واليابان.

أما بالنسبة لجزر الباسفيك فقد تمكنت ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر من الاستيلاء على مجموعة جزر أرخبيل بسمارك والجزء الشمالي من جزيرة غانة الجديدة، أما الجزء الجنوبي من الجزيرة فقد وقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1898 تمكنت الولايات المتحدة من احتلال جزيرة هاواي واقتسمت مع ألمانيا جزر سالمون عام 1899. وفي أعقاب الحرب الامريكية الإسبانية عام 1898 ضمت الولايات المتحدة جزيرة بورتوريكو واحتلت جزر الفيليبين. وبذلك اتصلت الولايات المتحدة اتصالاً وثيقا بالشرق الاقصى.

3.4.3 التوسع الاستعماري في الوطن العربي

بدأ الوطن العربي يقع فريسة للاستعمار الغربي منذ النصف الأول للقرن التاسع عشر، ففي عام 1830 وقعت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي.

تمكنت جيوش الاحتلال البريطاني من احتلال مصر عام 1881 وفرضت عليها الحماية البريطانية. أما السودان فقد خضعت للاستعمار البريطاني في أعقاب انهيار الحركة المهدية عام 1898م.

وفي الجزيرة العربية وقعت جميع أطرافها التي تشمل عدن وحضرموت والساحل الشرقي للخليج العربي تحت الاستعمار البريطاني منذ القرن التاسع عشر.

وفي أعقاب الحرب العالمية الاولى تجزأت بلاد الشام وأصبحت تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني. فقد حصلت فرنسا على سوريا ولبنان بينما حصلت بريطانيا على فلسطين وشرق الأردن، والعراق.

لقد ترك الاستعمار الغربي آثاراً سيئة على الوطن العربي. فمن الناحية السياسية يعتبر الغرب مسؤولاً عن حالة التجزئة المؤلمة التي انتهى اليها الوطن العربي. ولم تقتصر التجزئة على فصل إفريقيا العربية عن آسيا العربية بل تعدتها إلى صميم الوحدات التي لم تعرف التجزئة من قبل. وخير شاهد على ذلك ما حدث بالنسبة لبلاد الشام التي جزئت إلى وحدات إقليمية ضيقة برغم الوعود الأكيدة التي قدمها الانكليز للشريف حسين بن علي مؤيدين أهداف الثورة العربية الكبرى التي كانت ترمي إلى تحرير آسيا العربية من الحكم الأجنبي وإقامة دولة عربية مستقلة ومتحررة. ولم يقنع الاستعمار بغرض التجزئة على الوطن العربي بل أخذ يعمق الروح الإقليمية بين هذه الأجزاء كما حدث في وادي النيل وبلاد الشام والمغرب العربي. وقد تمادى الاستعمار الفرنسي حين أخذ يشجع ظهور النعرة بين العرب والبربر، وفي جنوب السودان، حينما شجع الاستعمار البريطاني قيام الفرقة بين العرب والزنوج، أما في بلاد الشام فقد ساهم كل من الاستعمار الفرنسي والبريطاني في خلق النعرة لدى الأقليات وتشجيع حركاتهم الانفصالية. كما ساهم هؤلاء المستعمرون في خلق الفتن بين المسلمين والمسيحيين.

ولكي يحافظ الاستعمار الغربي على هذا الوضع السياسي الممزق في الوطن العربي حرم دوله من تكوين الجيوش القوية التي تستطيع تحرير بلادها وتحقيق الاستقلال.

أما من الناحية الثقافية فقد عمل الاستعمار على عدم تشجيع الحركة التعليمية في البلاد العربية وبخاصة ما يتعلق منها بالعلوم التطبيقية. وساهم أيضاً في طمس معالم

الثقافة العربية وإحلال ثقافته مكانها. وخير مثال على ذلك سياسة الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وخاصة في الجزائر حيث حرم المواطنين من تعلم لغتهم العربية ودراسة تعاليم دينهم.

ومن الناحية الاقتصادية كان هم الاستعمار الغربي سلب الوطن العربي من خيراته وثراوته، عن طريق السماح للشركات الأجنبية باستثمار موارده، كما حدث في الخليج العربي والعراق والجزائر. وفي بعض أجزاء الوطن العربي لجأ الاستعمار إلى تشجيع حركة الاستيطان الغربية كما حدث في الجزائر ومراكش وتونس وليبيا. وحال الاستعمار الغربي دون قيام اية صناعات أساسية في أية دولة عربية تؤدي إلى إنهاء اعتماد تلك الدولة على منتوجات الدولة المستعمرة.

وساهم الإستعمار أيضاً من الناحية الاجتماعية في تشجيع أبناء الوطن العربي على الاهتمام بالامور المادية التي تؤدي في النهاية إلى ظهور التفكك والانحلال الخلقي والاجتماعي. لقد حارب الاستعمار بضراوة كل حركة اجتماعية تهدف إلى إصلاح المجتمع العربي وتنميته على أفضل الطرق وأصلحها.

وبالرغم من شراسة هذه التحديات التي فرضها الاستعمار الغربي على الوطن العربي لم ينجح في كبح جماح رد الفعل العربي. الذي اتخذ أسلوب المقاومة المسلحة منذ عام 1916 حينما قامت الثورة العربية الكبرى وتلتها الثورات العربية الأخرى التي أطاحت بالنفوذ الأجنبي في المنطقة وأقامت دولاً متحررة مستقلة.

ولعل أقسى أنواع الاستعمار الذي تعرض له الوطن العربي : الاستعمار الصهيوني، والصهيونية فكرة عنصرية تتستر بالدين وحركة سياسية قائمة على العنف والإرهاب والتوسع، وقد أخذت اسمها من اسم صهيون أحد الجبال المحيطة بمدينة القدس، وقد قامت هذه الحركة في أوروبا نتيجة لاضطهاد الأوروبين لليهود في بلادهم، وكان هدفهم المحافظة على كيان اليهود، والعمل من أجل استيطان فلسطين واستعمارها. وقد بدأت هذه الحركة بشكل منظم بعد أن استطاع أحد الزعماء اليهود (ثيودور هيرتزل) عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا في أغسطس / آب 1897، وقد حدد هذا المؤتمر هدف الصهيونية بما يلي :

"ان غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام".

وفي الوقت نفسه حدد المؤتمر الوسائل التي يجب اتباعها لتحقيق هذا الهدف وهي:

1- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

2- تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

3- تقوية وتغذية الشعور والوعي القومي اليهودي.

4- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية.

تدريب (2)

اتخذت الدول الاستعمارية ذرائع متعددة لتبرير استعمارها للدول الضعيفة، اشرح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. كان وراء ظهور النظام الاستعماري عوامل عديدة منها العامل الاقتصادي، وضح ذلك.
2. تتبع تغلغل الاستعمار في الوطن العربي موضحاً الآثار السيئة التي تركها فيه.

4. الخلاصة

تعتبر الثورة الصناعية إحدى الثورات التي أحدثت أعظم التغييرات وأخطرها في حياة البشرية وأصبح الإنسان يعتمد على الآلة في الصناعة والزراعة بدل اعتماده على العمل اليدوي، ولكن هذه الثورة لم تأت فجأة وإنما تطورت تطوراً تدريجياً استغرق فترة تزيد عن قرن من الزمن ولم تأت دون مقدمات وأسباب وإنما كان هناك عدة أسباب، فالتقدم العلمي والاختراعات والصناعات التي ظهرت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر والتي أدت إلى ما يعرف بالانقلاب الصناعي، وكان على رأس هذه الصناعات صناعة المنسوجات والآلآت والتعدين ووصلت قمة التقدم العلمي في ميدان الكهرباء واختراع المصباح الكهربائي، وجدير

بالذكر أن الثورة الصناعية انبثقت من إنجلترا وقد أفادت الدول الأوروبية من التجربة الإنجليزية فقلدت آلاتها الصناعية، وكانت فرنسا أول هذه الدول التحاقاً بموكب الثورة الصناعية تبعتها ألمانيا.

كما اخترع جورج ستيفنسن البريطاني القاطرة التجارية وسيرها بين مدينتي ليفربول ومانشستر عام 1830 تم بعدها البدء بإنشاء الجسور الضخمة فوق الأنهار العريضة وحفر الأنفاق في الجبال وتم استخدام طاقة البحار في النقل البحري ونظراً لأن المحرك التجاري كان يتطلب تكاليف باهظة من الوقود فقد اهتم العلماء باختراع (محرك البنزين).

وقد أسفرت الثورة الصناعية عن نتائج بالغة الأثر في حياة الناس فبدلت نظمهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومع أن الاستعمار الحديث قد بدأ في نهاية القرن الخامس عشر إلا أنه بلغ ذروته وتعددت أشكاله في نهاية القرن التاسع عشر وبعد قيام الثورة الصناعية. وكان تعدد أساليب الاستعمار عاملاً ملهباً للصراع بين الدول على إخضاع البلاد الضعيفة، كما أن الانقلاب الصناعي والذي أدى إلى سرعة الإنتاج وحاجة ذلك إلى مناطق استهلاك محلي وخارجي جعل الاتجاهات الاستعمارية تقوى عن ذي قبل، ولذا نجد أن فرنسا احتلت الجزائر عام 1830، وهُزمت الصين من قبل إنجلترا في حرب الأفيون عام 1839 كما قضت انجلترا على ثورة الهند عام 1857م.

وهكذا كانت الأوضاع العامة مهيأة للتسابق الاستعماري عند منتصف القرن التاسع عشر وقد اتخذت الدول الاستعمارية ذرائع وأسباب مختلفة لتبرير استعمارها لمناطق واسعة في العالم وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا. وكان أن وقع الوطن العربي فريسة هذا الاستعمار في معظم بلدانه وأقطاره إذ وقعت الجزائر عام 1830 كما ذكرنا تحت الاستعمار الفرنسي تلتها تونس عام 1881 ومراكش عام 1911 وليبيا تحت الاستعمار الإيطالي عام 1912 كما تمكنت بريطانيا من احتلال مصر عام 1882 والسودان عام 1898.

أما أطراف الجزيرة العربية والتي تشمل عدن وحضرموت وإمارات ومشيخات الخليج العربي فقد وقعت تحت الاستعمار البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر، كما تحررت بلاد الشام وأصبحت تحت مظلة الانتداب الفرنسي والبريطاني بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة لاتفاقية سايكس بيكو عام 1916. ولكن رغم هذه التجزئة المؤلمة لبلدان الوطن العربي قامت الحركات التحررية الوطنية في جميع أرجاء الوطن العربي وأطاحت بالنفوذ الأجنبي وأقامت دولاً متحررة مستقلة.

5. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية الرابعة

بعد أن قرأت الفصل الثالث، عزيزي القارئ، ووقفت على الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي، سننتقل معاً إلى موضوع هام كان نتيجة حتمية لاشتداد النزاعات العدوانية والمغالاة في الوعي القومي للدول الأوروبية اللتين أثارتا تسابقاً استعمارياً رهيباً بين الدول الأوروبية أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى موضوع دراستنا للفصل الرابع، وعلينا أن نقف على أوضاع الدول الأوروبية قبل نشوبها، ثم الأسباب التي أدت إلى نشوبها وهناك موقف مهم كان له أثر كبير في تقرير مصير هذه الحرب وهو دخول الولايات المتحدة هذه الحرب وكيف انتهت الحرب ونتائجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

6. إجابات التدريبات

تدريب (1)

انبثقت شرارة الثورة الصناعية الأولى من انجلترا ثم انتشرت إلى سائر بلدان أوروبا وذلك لعدة أسباب أهمها:

1- الثروات الهائلة التي ملكتها إنجلترا بحكم سيطرتها على أقاليم واسعة في العالم وقد مكنتها من انتزاع السيادة البحرية واحتكار التجارة العالمية.

2- امتلاكها المواد الأولية والتي تعتبر عصب الصناعة من أراضيها أو من مستعمراتها.

3- توفر لديها الأيدي العاملة الرخيصة والأسواق التجارية والقوى المائية.

4- الاستقرار السياسي الداخلي الذي تتمتع فيه هيأ لصناعتها التشجيع والحماية من المنافسة.

5- ظهور عدد من أعلام المخترعين مثل توماس نيوكمان مخترع المضخة البخارية الكابسة، وجيمس راي الذي أدخل التحسينات عليها، وجورج ستيفنسن مخترع القاطرة البخارية، وجون كي مخترع المكوك الطائر، والجدير بالذكر أن إنجلترا قد سبقت سائر بلدان أوروبا بما يزيد عن نصف قرن بمستوى الصناعة العالمية المتوفره لديها.

6- مناخ بريطانيا الرطب يلائم الصناعات القطنية.

7- توفر القوى المائية في المناطق الشمالية والشمالية الغربية من إنجلترا.

8- وفرة الفحم والحديد وتقارب مناطقها وسهولة نقلها باستخدام الطرق المائية.

9- الجو الملائم من الحرية النسبية في إنجلترا.

وهكذا عن طريق الحديد والفحم والمنسوجات شيدت بريطانيا حضارة ما لبثت أن احتذت بها جميع بلدان أوروبا.

تدريب (2)

ذرائع الدول الاستعمارية لاستعمار الدول الضعيفة:

1- نشر الحضارة والفكر الحديث مثل مشروعات خطوط السكك الحديدية في العراق وتركيا من قبل ألمانيا، ومشروعات شق القنوات المائية للملاحة الدولية مثل قناة السويس من قبل بريطانيا وفرنسا.

2- استخدام الأساليب الإنسانية كما حصل في زنجبار، فقد فرضت بريطانيا استعمارها على زنجبار باسم مكافحة تجارة الرقيق. وفرضت استعمارها على أوغندة باسم حماية المسيحين فيها، واستخدمت فرنسا نشاطها التبشيري الكاثوليكي وبريطانيا نشاطها التبشيري البروتستانتي في التوسع الاستعماري لحماية مسيحيي الدولة العثمانية، والصين لاستعمار أراضٍ جديدة أو فرض احتكارات جديدة.

3- استخدام الشركات التجارية والبنوك كما حصل مع مصر وشركة قناة السويس، والشركة الأفريقية الوطنية في نيجيريا وشركة شرق أفريقيا الألمانية، وجدير بالذكر أن الدول الضعيفة سواء كانت مقرضة أو مستقرضة للدول الأوروبية تصبح عرضة للاستعمار كما حصل مع الجزائر التي كانت تلح في الحصول على ديونها من فرنسا، ومصر التي وقعت في ضائقة مالية فاستعمرتها بريطانيا عند سداد ديونها.

7. مسرد المصطلحات

- اتوقراطي : Autocratic

يطلق هذا الاصطلاح على الحكومات الفردية حيث يتمثل الاستبداد في إطلاق سلطات الحاكم الفرد وفي استعماله إياها بعض الأحيان محققاً مآربه الشخصية. وقد اتصف حكم أباطرة الرومان وأجهزتهم في العصر البيزنطي بالحكم الأوتوقراطي، وهناك نوعان من الاوتوقراطية المعلنة والمقنعة فالأولى توجد في الأحزاب الفاشية أو الشبيهة بها حيث تحل رغبة الحاكم محل الانتخابات كأساس للشرعية والثانية هي إخفاء تعيين أوتوقراطي تحت مظاهر مختلفة من الديمقراطية.

- الإمبريالية Imperialism:

ظاهرة اقتصادية سياسية تتجسد في إقدام الدول القوية في العصر الحديث -أي الرأسمالية الصناعية- على التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأراضٍ أجنبية بدون رضى تلك الشعوب وبهدف استغلالها وإخضاعها ونهب ثرواتها وكثيراً ما تتضمن عملية فرض السيطرة استخدام العنف والاحتلال العسكري بعد التمهيد في بعض الأحيان عن طريق إرساليات تبشيرية وموجات سكانية بهدف الاستيطان ويمكن الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدولة الإمبريالية.

- حرب الأفيون : Opiem War

كان لين تسو الذي عينه إمبراطور الصين حاكما على كانتون ومبعوثا خاصا للقضاء على تجارة الأفيون، قد تمكن من انتزاع كميات كبيرة من الأفيون من التجار الإنجليز وبعض الأمريكيين وأحرقها علنا مما أثار الحكومة البريطانية فقررت إرسال قواتها لتحارب الصين في حرب غير متكافئة سميت بحرب الأفيون وفعلا احتل الإنجليز مدينتي كانتون وشنغهاي. وتم توقيع معاهدة غير عادلة بين الطرفين نتج عنها استيلاء الإنجليز على ميناء هونغ كونغ.

- حرب البوير : Boer War

تعبير هولندي يعني حرفياً "الفلاح" وقد أطلق هذا التعبير على مستوطني جنوب افريقيا الذين ينحدرون من أصل هولندي أو فرنسي والذين يتكلمون الهولندية تميزاً لهم

عن البيض الذين ينحدرون من أصل بريطاني، وتدريجياً حل محل تعبير البوير في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعبير آخر هو ال "أفريكانز" أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر فكان تعبير البوير يطلق على الفلاحين لتمييزهم عن البورغرز أي سكان المدينة ثم صار يطلق اسم البوير في القرن التاسع عشر على مربي الماشية "التريكرز" المتمردين على السلطة الانجليزية، والذين أدت هجرتهم إلى الشمال إلى تأسيس جمهوريتي "ترنسفال، وأورانج".

- **الكهرومغناطيسية Electromagnetism:**

فرع من فروع الفيزياء تدرس العلاقة بين الكهرباء والمغناطيسية وتستند المغناطيسية الكهربائية إلى حقيقتين:

- التيار الكهربائي ينتج مجالاً مغناطيسياً.

- المجال المغناطيسي المتغير ينتج مجالاً كهربائياً.

وفي عام 1820 اكتشف العالم الدنماركي "هانز اروستد" أن أي موصل يحمل تياراً كهربائياً يحاط بمجال مغناطيسي وعندما أحضر إبرة ممغنطة ووضعها بالقرب من سلك يمر به تيار كهربائي تحركت الإبرة، ونظراً لأن الإبرة الممغنطة لا تتحرك إلا بتأثير قوة مغناطيسية فإن التجربة أوضحت أن التيار الكهربائي ينتج مجالاً مغناطيسياً.

8. المراجع

1. البطريك، عبد الحميد: تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، جامعة الرياض، 1978.
2. جرانت، هارولد تمبرلي: اوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة محمد ابو درة، لويس اسكندر مؤسسة كل العرب 1967.
3. خليل، محمد يوسف، برقاوي أحمد رفيق : تاريخ العالم الحديث المعاصر. وزارة التربية، الكويت 1989.
4. صالح محمد محمد : تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، دار الجاحظ، بغداد، 1981.
5. نوار، عبد العزيز : التاريخ المعاصر، اوروبا 1871-1945، دار الفكر العربي، القاهرة 1982.
6. هربرت، فيشر : أصول التاريخ الاوروبي الحديث. ترجمة زينب عصمت، أحمد عبد الرحيم، دار المعارف بمصر 1961.
7. يحيى، جلال : التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1990.

الفصل الرابع

الحـــرب العالمـــية الأولـــى



1. المقدمة

1.1 تمهيد

أهلا بك، عزيزي القارئ، إلى الفصل الرابع من كتاب "تاريخ العالم الحديث والمعاصر" وهو بعنوان "الحرب العالمية الأولى" والذي من خلاله نرى أنه ما أن بدأ القرن العشرون حتى كانت شعوب أوروبا قد بلغت ذروة من الحضارة ورغد العيش لم تبلغهما قط من قبل، واستقبل العالم الأوروبي هذه الفترة بالكثير من التفاؤل. وبرغم التوتر الشديد الذي كان ينتاب أوروبا كلما وقعت أزمة كبيرة، كانت أوروبا تنمو اقتصادياً مستفيدة من تفوقها في الإنتاج الصناعي ونمو قدراتها الحديثة المتجددة.

فقد كانت الإنجازات الحضارية في القرن التاسع عشر مدعاة فخر واعتزاز للأوروبيين، فقد استطاعوا إحراز تقدم كبير في مجالات العلم والصناعة والسيطرة على الطبيعة. واتسع نطاق الحرية الإنسانية، وانتشرت المبادئ الديمقراطية، وانتصرت الحركات القومية.

إلا أن هذا التقدم الكبير كان يحمل في طياته بذور مأساة مخيفة لم تقتصر آثارها على أوروبا وحدها بل تعدتها لتهز العالم بأسره. ففي الوقت الذي كان فيه حجم التجارة الدولية يتضاعف خلال العقد الأول من القرن العشرين، كان التنافس على التجارة الدولية يزداد شدة. ومع أن ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا دخلت ميدان الاستعمار في وقت متأخر - إذا ما قيس ذلك بكل من بريطانيا وفرنسا وهولندة - إلا أن الأسواق الاستهلاكية في هذه المستعمرات وفي العالم المتخلف كانت تستوعب كميات متضاعفة من الإنتاج الأوروبي، الأمر الذي ألهب المنافسة الاقتصادية بين الدول الأوروبية. وقد بالغ العديد من المؤرخين في تصوير التنافس الاقتصادي بين دول الوفاق ودول الحلف الثلاثي، حتى جعلوا من العامل الاقتصادي العامل الأول الذي أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى، إلا أن هناك عدة عوامل كان لها أكبر الأثر في قيام الحرب.

ففي شبه جزيرة البلقان نشبت الأزمة التي أدت إلى اشتعال الحرب، ذلك أن الدول البلقانية التي تحررت من الحكم العثماني، كانت كل منها تطمع في أراضي جاراتها. وهذه الأطماع أدت إلى محاولة كل من هذه الدول الاستناد إلى دولة أقوى

تساعدها على تحقيق آمالها. فقد تحالفت الصرب مع روسيا وكانت تطمع في التوسع على حساب إمبراطورية النمسا والمجر، كما انضمت بلغاريا إلى ألمانيا والنمسا. وتوجهت اليونان إلى جانب بريطانيا.

وعندما انطلقت الشرارة الأولى انجرفت أقدام معظم دول أوروبا إلى الحرب التي تحولت إلى حرب عالمية، بحكم أن الدول الأوروبية كانت تتحكم في مساحات شاسعة في العالم الخارجي، مما جعل القتال يمتد إلى قارات أربع من قارات العالم، وقد أطلق على ألمانيا وحلفائها اسم دول الوسط، كما أطلق على بريطانيا وحلفائها اسم دول الحلفاء.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن :

1. توضح المفاهيم والمصطلحات وتذكر القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في هذه الوحدة.
2. تذكر الأسباب المباشرة وغير المباشرة للحرب العالمية الأولى.
3. تبين أبرز وقائع الحرب العالمية الأولى.
4. تبين أهمية دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.
5. تحلل نتائج الحرب العالمية الأولى السياسية والاقتصادية والاجتماعية على العالم.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى أربعة أقسام رئيسة ترتبط. بقائمة الأهداف السابقة، حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل.

فيما يتعلق القسم الأول "الحرب العالمية الأولى" بالهدفين الثاني والثالث من أهداف الفصل، واللذان يتناولان الأسباب المباشرة وغير المباشرة للحرب العالمية الأولى وأبرز وقائع الحرب. أما القسم الثاني "دخول الولايات المتحدة الحرب والثورة الروسية 1917" فيرتبط بالهدف الرابع في حين يرتبط القسمان الثالث "انتهاء الحرب" والرابع "نتائج الحرب ومؤتمر الصلح" بالهدف الخامس والأخير من أهداف الفصل.

4.1 قراءات مساعدة

القراءات التالية - عزيزي القارئ - مفيدة لتعميق فهمك لموضوع الفصل.

1. البطريق، عبد الحميد : التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960) دار النهضة العربية، بيروت 1974، ص 166، 176.

2. رونوفن، بيير : تاريخ القرن العشرين. تعريب نور الدين حاطوم. دار الفكر الحديث/ لبنان 1969، ص 69، 159.

3. نعنعي، عبد المجيد، نوار عبد العزيز : تاريخ الولايات المتحدة الحديث، دار النهضة العربية. بيروت 1973، ص 154.

4- Herwitz J. : Diplomacy in the near and Middle East, Vol. 11 Princeton, New Jersey, 1958. P.123.

2. الحرب العالمية الأولى

كانت المشاكل الأوروبية جسيمة تنذر بالخطر، وذلك لتضارب الصراعات والأطماع وتكدس الأسلحة، ورغبة مختلف الدول في تحقيق أطماعها القومية لمصلحتها وحدها، وأصبح الشعور القومي يثير مطامح غريبة يصاحبه التطرف في الوطنية ومحاولة التوسع وضم الأقاليم القريبة أو البعيدة، مما دفع الدول إلى الانتقال من مرحلة القومية إلى مرحلة الاستعمار فالهجوم على حريات الأجناس الأضعف واشتداد النزعات العدوانية، أثار لدى الشعوب القومية مغالاة في الوعي القومي. وقد أثار ذلك تسابقاً استعمارياً رهيباً بين الدول الأوروبية الكبرى أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى.

1.2 أوضاع الدول الأوروبية قبل الحرب

1. بريطانيا:

كانت بريطانيا دولة ذات استقرار داخلي إلى حد كبير، باستثناء الأزمات التي كانت تثيرها المشكلة الإيرلندية. وكانت الإصلاحات الاجتماعية التي تحققت خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وحتى نشوب الحرب قد أنهت أخطر مشاكل بريطانيا الداخلية وأصبح الشعب أكثر تماسكاً والتفافاً حول حكومته.

حقيقة كانت هناك بعض من المستعمرات البريطانية مستعدة لانتهاز أية فرصة تكون فيها بريطانيا في موقف حرج لتحصل على استقلالها، مثل كاثوليك إيرلندة والشعب المصري، ولكن الغالبية العظمى من الإمبراطورية البريطانية قبيل الحرب العالمية الأولى كانت في حالة لا تمكنها من أن تحذو حذو إيرلندة.

ولم تهتز قدرات بريطانيا الدفاعية عن نفسها وعن إمبراطوريتها إلا بعد انقسام أوروبا إلى كتلتين شاكيتي السلاح : الحلف الثلاثي والحلف الثنائي. وتسابقت هذه الدول في تقوية جيوشها وأساطيلها، ومع هذا كانت بريطانيا هادئة البال حيث كان أسطولها دائماً ضعف أسطول أي دولتين تاليتين لها، ولكن في العقد الأول من القرن العشرين وبسبب خطط ولهلم الثاني- إمبراطور ألمانيا - في مضاعفة أسطوله البحري ومزاحمة التجارة البريطانية أخذت بريطانيا تبحث عن حلفاء لها. أولاً اتصلت بالألمان

دون جدوى ثم ارتبطت بكـل من اليابان وفرنسـا وروسيا. وكـانت هذه الارتباطات في الواقع تعطي لبريطانيـا القدرة على تركيز أسطولهـا في مواجهة ألمانيا عـدوتها الجديدة. فعندما تحـملت اليابان مسئوليـة الدفاع عـن الهنـد(1905) أصبح في استطاعـة بريطانيا سحب جـزء من أسطولها من المياه الـهندية إلى بحر الشمـال، وبعد أن عقـدت الوفاق الودي مع فرنسا وتوالت الأزمـات مع ألمانيا نجحت في سنة 1906 في أن تتولى فرنسا مهمة الدفاع البـحري عن البحر المتوسط، وسحبت بريطانيا أسـاطيلها إلى بحر الشمال في مواجهـة ألمانيا، وبرغم هذه الاستعدادات العـسكرية البرية والبحرية الكبيـرة الموجهة ضد ألمانيا بالذات، كانت الحكومة البريطانية تأمل في يوم ما أن تلعب دور الوساطة بين الحليفين المتعاديين. وحاولت إقناع ألمانيا بوقف سباق التسلح البحري على أساس الإبقاء على الوضع الراهن. ولكن يظل هناك خطر كبير يواجـه بريطانيا من جانب ألمانيا، وهو إمكانية التـفوق الحاسم الـبري الألماني وإمكانية سـيطرتها على كل أوروبا بالتـعاون مع حليفتـها إمبراطورية النمسـا والمجر. ومن هنا كان على بريطانيا أن تسـهم بجيوش برية تدفع بها ضد ألمانيا ولهـذا عنيت الحكومة البريطانية بشكل محدود بـتطوير قواتها البرية حتى تصبح قـادرة على منع ألمانيا من اجتيـاح أوروبا. إلا أن بريطانيا لم تكن تفكر في الجبهة الفرنسية فقط، وإنما كانت تعمل على اسـتخدام أكبر عدد من قواتها في الجبهات التي يمكن أن تؤدي إلى مكاسب اسـتعمـارية جديدة مثل بـلاد الشام والعراق ومـضايق الدردنيل والبسفور.

2. فرنسا:

كانت فرنسا أكـبر قوة برية في دول الوفاق الودي ولكن كانت مشـاكلها الداخلية معقدة بسبـب التأثير الشديد الذي كان للعلاقات الألمانية-الفـرنسية على تطور الأوضاع الداخلية في فرنسا.

وكانت المدارس على مختلف مـستوياتها، والجامعات والـكنائس تردد نكبة ضياع الألزاس واللورين وتحث الشعب على بذل أقصى طاقة لاستردادهما. إلا أن الحرب ضد ألمانيا لم تكن من القرارات التي يمكن أن تتخذها فرنسا وحدها.

وكانت حكومة فـرنسا، بل وشعبـها، يدرك أن ألمانيا ستنقل الحـرب بسرعة إلى قلب بلادهم، وأن جـيشـهم أقـدر على الدفـاع منه على الهـجوم. ومع هذا اتخـذت

الحكومـة الفرنسيـة خطوات إيجابيـة لإعداد البـلاد للحرب، فطورت بعـض الوحدات لتصبح هجومية وعملت على مد الخـدمة العسكرية فزاد عدد أفراد الجيش زيادة ملحوظة برغم معارضة الشعب الفرنسي.

وبلا شك أن الحماس القتالي ضد الألمان كان واحداً من العناصر المعنوية الجوهرية التي أعطت للجيش وللشعب الفرنسي صلابة كان لها دورها في تحديد نتيجة الحرب.

3. روسيا:

خلال السنوات القـليلة التي سبقت الحـرب كانت عناية روسـيا بالجيش واضـحة ولكن دون التغلب على المشكلات الرئيسـة التي تعرقل ارتفاع مسـتواه خاصة من حيث النقص في الضباط وفي النقل بالسكك الحديدية، حقيقة كان هناك مشروعات قيد التنفيذ لمواجـهة هذا النقص، ولكن الحـرب وقعت وأصـبحت روسـيا مـرغمـة على دخولـها بإمكانياتها غيـر المتطورة، وبشعب تمزقه الإشاعات والأزمات الاقتـصادية وفساد الإدارة وقوة الأستغلال، فكان الشعب في مجموعة سلبياً.

4. إيطاليا :

كانت إيطاليـا- في حلف مع ألمانيا والمملكة الثنائيـة(النمسا والمجـر) ولكنها في الواقع كانت تعاني من مشكلات داخلية وخارجية أثرت في تحـديد السياسة التي اتبعتها عندما وقعت الحرب. فـقد انقسم الرأي العام الإيطالي حول تحديـد الجانب الذي تتخذه إيطاليا، حـيث كان هناك سياسـيون كبار من أمـثال "جيولتي" زعـيم حزب الأحرار- يطالبون بأن تعمل الحكومـة على الحصول على المناطق التي يسكنها إيطاليـون في النمسا في ساحل دلماشيا، وأن يتم ذلك عن طريق المساومات الدبلوماسية، حتى ولو أدت هذه المساومات إلى الحصـول على جزء من هذه البلاد وليس كلها. وكان هؤلاء الـسـياسيون يضعـون في أعتـبارهم حـينذاك ضعف إمكانيـات إيطاليا فـي الصراع الأوروبي الكبـير المنتظر.

وكذلك كان الزعماء الكاثوليك -المتأثرون بتوجيهات البابوية- يدعون إلى وقوف إيطاليا على الحياد، إذ كـان من العسير على شعورهم الديني أن يتـقبل حرباً بين إيطاليا الكاثوليكية وأكبر حكومة مخلصة للكاثوليكية في أوروبا: الحكومة النمساوية.

وكان الاشتراكيون الإيطاليون يحثون على عدم تورط إيطاليا في الأزمات الأوروبية الكبرى تمشياً مع سياستهم العامة الداعية إلى السلام.

ولكن كان هناك جناح من الأحرار وجناح من الاشتراكيين يدعو إلى هذا التورط، ودعا كذلك الديمقراطيون المسيحيون إلى وقوف إيطاليا إلى جانب دول الوفاق.

ومن ثم كان من الطبيعي أن تتريث الحكومة الإيطالية في اتخاذ أي موقف نهائي حتى تصل إلى قرار حاسم في هذا الصدد.

وقامت الحكومة الإيطالية باتصالاتها مع الجانبين لتحدد ما يمكن أن يقدمه كل منهما. فبالنسبة لدولتي الوسط كانت إيطاليا تتطلع إلى الحصول من المملكة الثنائية على إقليم تريستا وإستريا على الساحل الدلماشي.

وقد اتصلت إيطاليا كذلك بدول الوفاق، وخلال المفاوضات وجدت أن آمالها التوسعية على حساب المملكة الثنائية -أرضاً ونفوذاً- أقرب جداً إلى التحقيق لو دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب دول الوفاق.

فقد بدا وكأن الحلفاء لا يعترضون على حصول إيطاليا - في حالة النصر النهائي- على أقاليم الأريج، استيريا، ميناء فالونا، جزيرة ساسينو، ومنطقة أضاليا التركية.

كان هذا الفارق الكبير بين عروض الطرفين المتحاربين هو السبب في تحول الحكومة الإيطالية إلى سياسة الدخول في حرب إلى جانب دول الوفاق، وانتهت المفاوضات فعلاً إلى توقيع معاهدة سرية بين إيطاليا و دول الوفاق في 26 ابريل 1915.

أما من الناحية العسكرية، فإن استعدادات إيطاليا لم تكن على مستوى مواجهة مثل تلك الحرب التي نشبت في عام 1914، فلما وقعت الحرب أخذت تعيد تنظيم قواتها، على أن انتظارها إلى عام 1915 لتشارك في الحرب بجانب دول الوفاق - أعطاها الفرصة لبذل جهود أكبر لتقوية نفسها عسكرياً.

5. ألمانيا:

عنيت ألمانيا بزيادة قواتها المسلحة، وكانت القيادة العسكرية الألمانية قد وضعت خطتها على أساس توجيه ضربة سريعة وحاسمة لفرنسا ثم تنتقل الجيوش الألمانية لتقضى

على الجيوش الروسية بمساعدة النمسا، ولكن في عام 1914 وجدت القيادة الألمانية أن الجبهة الروسية أصبحت عبئاً أكثر من ذي قبل على الألمان بسبب اضطرار النمسا إلى وضع مزيد من قواتها على الحدود مع الدول البلقانية بعد أن تحولت الحرب البلقانية لصالح خصوم النمسا.

وبصفة عامة كان الشعب الألماني مستعدا لخوض الحرب ضد فرنسا، وكان اشتراكيو ألمانيا لا يعارضون وقوعها.

6. النمسا - المجر:

عنيت المملكة الثنائية بزيادة قدراتها العسكرية خاصة بعد الحروب البلقانية (1912، 1913)، ولكن الإجراءات كانت معقدة ومعطلة، والمشكلة القومية كانت تؤرق هذه المملكة المتعددة العناصر، والتي كانت تمثل تراثاً عفا عليه الزمن، إلا أن تحالفها مع ألمانيا كان يعطيها قوة مادية ومعنوية ساعدتها على مواجهة سنوات الحرب الأولى.

7. البلقان ودوله:

كان البلقان أكثر المناطق حساسية بالنسبة لتطور الأزمات بين دولتي الوسط ودول الوفاق، خاصة وأن الصرب - التي بدأت بسببها الحرب - كانت في قلب البلقان، وكانت دول البلقان في كثير من الأوقات تنتظر تفكك المملكة الثنائية وفي نفس الوقت تخشى كل الخشية من هذه النتيجة المرغوبة المكروهة. أذ كان من المتوقع أن يصبح شرق أوروبا مجرد مجموعة صغيرة من الدول كل واحدة تحمل جرثومة أزمة مع جاراتها، وهذا التفكك وغياب المملكة الثنائية - إن حدث - قد يجعل الكلمة العليا في المنطقة لروسيا. وهو أمر كانت الدول البلقانية تخشاه فضلاً عن رفض بريطانيا لمثل هذا الوضع.

والعكس كان أيضاً أمر يخشاه أهل البلقان، حيث أن انتصار المملكة الثنائية على الصرب وسحقها يعني أن العملاق النمساوي أصبح هو صاحب اليد العليا في مصير المنطقة.

2.2 أسباب الحرب

تعود بذور الحرب العالمية الأولى إلى الربع الأخير من القرن الماضي حيث نجد عدة عوامل ومسببات كان لها الأثر الأكبر في قيام الحرب، وأهم تلك العوامل :

1.2.2 العامل الاقتصادي

برغم التوتر الشديد الذي كان ينتاب أوروبا كلما وقعت أزمة كبيرة، كانت أوروبا تنمو اقتصادياً مستفيدة من تفوقها في الإنتاج الصناعي ونمو قدراتها الحديثة المتجددة في النقل. ومع أن ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا دخلتا ميدان الاستعمار في وقت متأخر- إذا ما قيس ذلك بكل من بريطانيا وفرنسا وهولندة - إلا أن الأسواق الاستهلاكية في هذه المستعمرات وفي العالم القديم المتخلف كانت تستوعب كميات متضاعفة من الإنتاج الأوروبي الأمر الذي ألهب المنافسة الاقتصادية بين الدول الأوروبية.

وبلغ التنافس الصناعي والتجاري حداً كبيراً بين الدول الأوروبية وبشكل خاص بين بريطانيا وألمانيا. فقد كانت ألمانيا تخطو خطوات واسعة في مجال التصنيع وأخذت منتوجاتها تزاحم المنتوجات البريطانية في الأسواق العالمية كما أن المنتوجات الألمانية استطاعت التفوق على مثيلتها الفرنسية، وأدت هذه المنافسة إلى خلق حالة من التوتر بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وألمانيا من ناحية أخرى.

وقد ازدادت الأمور سوءاً حينما نجحت ألمانيا في إقناع الدولة العثمانية بمنحها امتياز مد خط حديدي يربط برلين ببغداد.

وأثار هذا المشروع المزيد من الشك والقلق لدى الإنجليز والفرنسيين، وباتت بريطانيا بشكل خاص تخشى من النفوذ الألماني في الدولة العثمانية على مصالحها في العراق وإيران والهند. ولذا هيأ هذا الصراع الاقتصادي الجو المناسب لاندلاع صراع سياسي عسكري مدمر.

2.2.2 سباق التسلح

كان سباق التسلح بين الدول الأوروبية سبباً مباشراً للحرب عام 1914، فقد اتخذت الحكومة الألمانية قراراً ببناء أسطول حربي حتى تستطيع مجابهة الأسطول الإنجليزي، وهذا ما أقلق بريطانيا العظمى ودفعها إلى القيام ببناء السفن الحربية أكثر من

ألمانيا، وخاصة بعد فشل المفاوضات بين الطرفين في محاولة لوقف هذا التسابق، من جهة أخرى بدأ التنافس الألماني - الفرنسي في زيادة عدد الجيوش البرية، فعملت ألمانيا على زيادة عدد جيشها من 326 الف إلى 880 ألف، وهذا بدوره دفع فرنسا إلى أن تجعل الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدلاً من سنتين، مما زاد من عدد الجنود الجاهزين للحرب.

وإذا التمسنا، عزيزي القارئ، أثر التسابق على التسلح في التوتر الدولي، وجدنا أنه غذى في الرأي العام حالة هياج عظيم، كما أن هذا التسابق جر أعباء مالية كبيرة دفع الدول إلى القيام بحملات صحفية لإقناع الرأي العام باحتمال قيام الحرب، وهذا بدوره دفع الدول الأسبق والأقوى في التسلح للاستفادة من هذا التفوق.

3.2.2 العامل القومي

استمر نمو الروح القومية بين الشعوب الأوروبية بشكل متزايد، فقامت حركات قومية متطرفة في أجزاء متعددة من أوروبا كان لنشاطها أثر كبير في جر العالم نحو الحرب، وكان من أهم تلك الحركات :

1. حركة الثأر الفرنسية:

ظلت فرنسا تذكر باستمرار إذلالها على يد ألمانيا وفقدها لمقاطعتي الألزاس واللورين اللتين ضمتهما الإمبراطورية الألمانية، وأدرك بسمارك في ذلك الوقت خطورة اتجاه فرنسا إلى الثأر، ولذلك لجأ إلى عقد محالفات دولية لعزل فرنسا سياسياً، فعقد مع النمسا حلفاً عام 1879م ما لبث أن أصبح ثلاثياً حين انضمت إليه إيطاليا. ومع ذلك ذكر السياسي الفرنسي المشهور بوانكاريه (الهدف الوحيد الذي يتحتم على فرنسا العيش من أجله هو الثأر من ألمانيا واستعادة الألزاس واللورين)، وقد أدت هذه الأوضاع إلى زيادة التوتر في العلاقات الألمانية الفرنسية.

2. حركة الجامعة السلافية:

وكانت هذه الحركة تهدف إلى تحرير الشعوب السلافية من نير الحكم النمساوي وتوحيدها في دولة واحدة تضم جميع السلاف الموجودين في البلقان وأوروبا الشرقية. وتطلع هؤلاء السلاف إلى روسيا بصفتها أكبر دولة سلافية لتساعدهم في تحقيق هدفهم الذي يسعون لتحقيقه.

وكان هذا الاتجاه السلافي يتمشى وسياسة روسيا القائمة منذ أقدم الأزمان مد نفوذها إلى البلقان بحجة حماية أبناء جنسها من السلاف. ولذا دأبت على تشجيع السلاف على الثورة ضد النمسا مما خلق جواً متوتراً بينها وبين النمسا.

3. حركة الجامعة الجرمانية:

تأسست عام 1890، وكانت تهدف إلى ضم الشعوب التيوتونية الموجودة في وسط أوروبا إلى الأمبراطورية الألمانية. وهذه الشعوب تشمل الدنمرك والأراضي المنخفضة ولوكسمبورج وسويسرا والنمسا وبولندا. وبالرغم من أن هذه الحركة لم تحقق شعبية ضخمة في ألمانيا إلا أنها استطاعت أن تؤثر على كثير من المفكرين الألمان الذين نجحوا بطرقهم الخاصة في نشر النظريات التي تنادي بدور ألمانيا الحضاري تجاه العالم وحق الجنس الألماني في السيطرة على العالم والقضاء على نفوذ الأجناس الأخرى غير الألمانية. ومن أهم أولئك المفكرين نيتشه وفون ترايتشكه.

4.2.2 التكتلات والأحلاف الدولية قبل الحرب العالمية الأولى

من أهم تلك الأحلاف، عزيزي القارئ :

1- عصبة الأباطرة الثلاثة 1873م- 1878م Three Emperors league

وضع أساس هذا الحلف المستشار الألماني بسمارك وذلك رغبة منه في أحكام العزلة حول فرنسا. وقد تكون هذا الحلف من ألمانيا والنمسا وروسيا. وحددت أهدافه بالمحافظة على الأوضاع القائمة في أوروبا آنذاك والقضاء على الحركات الثورية المتطرفة، وحل المشاكل بين الدول الثلاث بالطرق السليمة. إلا أن هذا الحلف سرعان ما تحطم في أعقاب مؤتمر برلين عام 1878 أثر اتهامات روسيا لكل من ألمانيا والنمسا بوقوفهما ضدها في حربها الأخيرة مع الدولة العثمانية.

2- التحالف الثلاثي: 1882م Triple Alliance

استطاعت ألمانيا المحافظة على تحالفها مع النمسا برغم انسحاب روسيا، ولم يلبث هذا التحالف الثنائي أن تحول إلى تحالف ثلاثي بانضمام إيطاليا إليه عام 1882. وقد انضمت إيطاليا إلى هذا التحالف رغبة منها في الانتقام من فرنسا بسبب احتلال فرنسا عام 1881 لتونس التي كانت إيطاليا تطمع في احتلالها، ورغبة منها أيضاً في توفير الحماية الكافية ضد احتمال تدخل عسكري فرنسي في ايطاليا لإعادة البابوية إلى سابق عهدها.

إلا أن هذا التحالف بقي ضعيفاً، وذلك بسبب سوء العلاقات ما بين النمسا وإيطاليا من جراء الحروب التي نشبت بينهما، واستيلاء النمسا على مقاطعتي تريستا وترنتينو الإيطاليتين، وبسبب تنافسهما على سيادة بحر الأدرياتيك. غير أن بسمارك استطاع إقناع النمسا وإيطاليا بدفن أحقادهما ولو مؤقتا حتى يتسنى له إحكام العزلة حول فرنسا (عبد العزيز نوار، 1982, 110-112).

3- الوفاق الثلاثي: Entente Triple

بعد عزل بسمارك 1890 خرجت فرنسا من عزلتها، فتحالفت مع روسيا سنة 1893 للوقوف ضد ألمانيا، أما بريطانيا فإنها أحست بالخطر بسبب تقدم ألمانيا الصناعي ومزاحمتها لها في الأسواق الخارجية، ونمو قوتها البحرية التي أصبحت تهدد السيادة البريطانية على البحر، فدفعها ذلك إلى الخروج من عزلتها هي الأخرى، فتقاربت مع فرنسا ووقعت الدولتان "الاتفاق الودي" سنة 1904، وبمقتضاه اعترفت فرنسا بالاحتلال البريطاني لمصر مقابل اعتراف بريطانيا بالاحتلال الفرنسي للمغرب.

ثم سعت فرنسا للتقريب بين بريطانيا وروسيا، حيث تمت تسوية مناطق النفوذ بينهما في إيران وافغانستان والتبت، وهكذا تقاربت الدول الثلاث ووقعت فيما بينها "الوفاق الثلاثي" سنة 1907وهنا أحست ألمانيا بالخطر إذ وجدت نفسها مطوقة من الشرق والغرب. فعارضت هذا الاتفاق ولجأت إلى التسلح، مما جعل دول أوروبا تحذو حذوها أيضاً، فأصبح الموقف في أوروبا يهدد بالانفجار.

ومما زاد الأمر خطورة أن إيطاليا انسحبت عشية الحرب العالمية الأولى من الحلف الثلاثي، وانضمت إلى دول الوفاق الثلاثي، كما انضمت تركيا إلى ألمانيا والنمسا... وهكذا انقسمت أوروبا إلى مجموعتين متقابلتين مدججتين بالسلاح.

إن وجود هذه الأحلاف لم يؤد إلى إقرار السلام إلا بصورة مؤقتة، ولكنه تسبب فيما بعد في اندلاع الحرب العالمية الأولى، لأن الأسلوب كان أسلوب أحلاف متنافسة ولم يكن توافقاً بين القوى، فقد أدى تنافس الأحلاف إلى سباق التسلح، ونتج عن التنافس والتسلح الكراهية والخوف، فانطلقت الشرارة التي أدت بهم إلى ميادين القتال في حرب طاحنة عام 1914، وهكذا كانت الحرب العالمية الأولى نتيجة هذا الأسلوب الخطير... أسلوب الأحلاف التي كانت ولا زالت لغة العصور الحديثة.

5.2.2 الأزمات الدولية وأثرها في نشوب الحرب

1. ضم النمسا لإقليمي البوسنة والهرسك عام 1908م

كانت إمبراطورية النمسا والمجر قد تولت إدارة هذين الإقليمين التابعين للدولة العثمانية وفقاً لمقررات مؤتمر برلين 1878 مع بقاء حق الملكية للدولة العثمانية إلا أن النمسا قررت ضم هذين الإقليمين عام 1908. فاحتجت الصرب على ذلك واستنجدت بروسيا التي سارعت إلى الإعراب عن عزمها على تأيدها ضد النمسا. فما كان من ألمانيا أن وجهت إنذاراً إلى روسيا بعدم التدخل في شؤون البلقان، فاضطرت روسيا إزاء ذلك أن تتراجع عن تأييد الصرب. غير أن الروح العدوانية بين الصربيين ظلت تنمو وتتصاعد ضد النمسا، وسنرى كيف أنها كانت السبب المباشر لقيام الحرب حينما أقدم أحد الشباب المتحمسين من الصرب على اغتيال ولي عهد النمسا.

2. الحروب البلقانية 1912-1913م

قامت الدولة العثمانية عام 1912 بإخماد الثورة التي نشبت في مقدونيا فما كان من بلغاريا واليونان والصرب إلا أن عقدت حلفاً فيما بينها وأعلنت الحرب على تركيا لانتزاع مقدونيا منها واقتسامها فيما بينها، وقد هزم العثمانيون في هذه الحرب وأجبروا على التخلي عن الكثير من ممتلكاتهم في أوروبا. ولكن النزاع دب بين المنتصرين حينما حرمت الصرب من الحصول على ألبانيا كما كان عليه الاتفاق. وقد جاء هذا الحرمان نتيجة تدخل النمسا وإجبار الدول البلقانية على الاعتراف باستقلال ألبانيا. وزاد هذا التدخل النمسوي من حدة التوتر بين الصرب والنمسا.

وصلت القوات الصربية إلى بحر إيجة فاستشاطت إمبراطورية النمسا والمجر غضباً وأرغمت الصرب على الانسحاب، وانتصرت القوات اليونانية واستولت على سالونيك التي كانت محط أنظار بلغاريا، واستمرت القوات البلغارية في زحفها حتى مسافة قليلة من الآستانة فتحركت روسيا التي لا تقبل أن تكون المضايق بيد دولة أوروبية صغيرة. وكانت هذه التدخلات الفورية من جانب الدول الكبرى المعنية بالبلقان، ورغبة الدول الكبرى في إحلال السلام قبل أن تختلط الأوراق بعضها ببعض، أدى إلى عقد صلح بين الدولة العثمانية ودول البلقان، لكن الدول بعد فترة وجيزة شرعت في إعادة النظر فيما حصلت عليه.

3. أزمة أغادير 1911م

كانت فرنسا تتطلع منذ مطلع هذا القرن إلى بسط نفوذها على مراكش وخاصة بعد نجاحها في احتلال الجزائر عام 1830 وتونس عام 1881. ولكن ألمانيا أخذت تبدي معارضة شديدة للأطماع الفرنسية في مراكش، فعقد مؤتمر الجزيرة في إسبانيا عام 1906. وتم بموجب هذا المؤتمر الاعتراف باستقلال مراكش وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام هناك. على أن النزاع تجدد في عام 1911 حيث أرسلت فرنسا جيشاً لاحتلال مدينة فاس عاصمة مراكش بحجة حماية أفراد الجاليات من الاضطرابات التي وقعت فيها، فاحتجت ألمانيا على ذلك وعززت احتجاجها بارسال المدمرة (البانثر) إلى ميناء أغادير لحماية المصالح الألمانية. قوبل هذا التهديد الألماني بوقفة صلبة قوية من جانب بريطانيا ضد مطالب ألمانيا وإجراءاتها تلك، وبدا واضحاً أن الحرب لو وقعت ستخوضها بريطانيا إلى جانب فرنسا.

وكاد الأمر يؤدي إلى نشوب حرب أوروبية لولا قبول ألمانيا الدخول في مفاوضات مع فرنسا. فعقد مؤتمر الجزيرة الثاني عام 1911 وبموجبه تقرر إطلاق يد فرنسا في مراكش مقابل تخلي فرنسا عن جزء من الكنغو الفرنسية لألمانيا، وموافقتها على سياسة الباب المفتوح في التجارة مع مراكش، وجعل طنجة مدينة دولية.

وأدت تلك الأزمة إلى نتيجة هامة، وهي أن بريطانيا في علاقتها مع فرنسا تعدت مجال (الوفاق) إلى مجال (التحالف)، دون النص على ذلك في معاهدة أو اتفاقية.

3.2 نشوب الحرب

في شبه جزيرة البلقان نشبت الأزمة التي أدت إلى اشتعال الحرب وقد أطلق على البلقان اسم "مستودع البارود" المستعد للاشتعال في أي لحظة - ذلك أن الدول البلقانية التي تحررت من الحكم العثماني كانت كل منها تطمع في أراضي جاراتها. وهذا أدى إلى محاولة كل من هذه الدول الاستناد إلى دولة أقوى تساعدها على تحقيق آمالها. فقد تحالفت الصرب مع روسيا خاصة وأنها كانت تطمع في التوسع على حساب إمبراطورية النمسا والمجر. كما انضمت بلغاريا إلى ألمانيا والنمسا ومالت اليونان إلى جانب بريطانيا.

أما الشرارة الأولى التي أشعلت الحرب فقد انطلقت في صيف 1914. ففي 28 يونيه / حزيران أطلق طالب صربي الرصاص على ولي عهد النمسا في مدينة سيراجيفو

بينما كان الأمير في زيارة لولاية البوسنة الخاضعة للنمسا، فقتله هو وزوجته وعلى أثر ذلك عمت النمسا موجة من الغضب، خاصة وأن الجريمة كانت من تدبير جمعية "اليد السوداء" الصربية وأنها لقيت تشجيعاً من السلطات الصربية. لهذا قررت الحكومة النمسوية - التي كانت تساندها حليفتها ألمانيا بشدة الانتقام من الصرب. وقد قدمت النمسا إنذاراً إلى الصرب تطلب منها أن توافق خلال ثمان وأربعين ساعة على المطالب النمسوية وأهمها ما يلي :

1- أن تحقق حكومة الصرب في جريمة الاغتيال تحقيقاً سريعاً.

2- أن تحل الجمعيات التي تنشر الدعاية ضد النمسا، وأن تعمل على إنهاء الدعاية العنيفة ضد النمسا في الصحف الصربية.

3- أن تطرد الموظفين الصربيين المؤيدين للحركة المعادية للنمسا.

4- أن يسمح لموظفي النمسا بمساعدة الحكومة الصربية على القضاء على الحركات المعادية لها ولبعض القضاه النمسويين بأن يجلسوا مع القضاة الصربيين في أثناء محاكمة الشركاء المتواطئين في الجريمة.

وقد قبلت الصرب الإنذار باستثناء المطلب الأخير الذي رأت أن الاستجابة له تعني تدخل النمسا في شئونها الداخلية مما يمس استقلالها وكرامتها. وإزاء رفض الصرب لهذا المطلب أعلنت عليها النمسا الحرب في 28 يوليه / تموز 1914. (محمد خليل، احمد برقاوي، 1989، ص 175).

وعلى حين عمت أوروبا موجة من الاستياء لمقتل ولي عهد النمسا، أيدت روسيا الصرب تأييداً قوياً، كما أيدت ألمانيا النمسا، وبرغم أن إنجلترا وفرنسا حاولتا إنهاء الخلاف بين النمسا وروسيا سلميا، إلا أن روسيا ردت على إعلان النمسا الحرب على الصرب بأن اعلنت التعبئة الكاملة ضد النمسا وحليفتها ألمانيا. ثم أسرعت فرنسا فأعلنت بدورها التعبئة العامة مساندة لحليفتها روسيا. وطلبت ألمانيا من روسيا إلغاء جميع إجراءاتها العسكرية، كما طالبت فرنسا بتوضيح موقفها وأن تؤكد وقوفها على الحياد في حالة نشوب حرب بين ألمانيا وروسيا. وإزاء رفض الدولتين الاستجابة للمطالب الألمانية، أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا (أول اغسطس/ آب). وعلى فرنسا (3 أغسطس/آب). ولم يتنبأ معظم المراقبين بأطوار هذا الصراع أو حدتّه. وكان الاعتقاد الشائع هو أنه سيكون قتالاً قصيراً وحاداً وسينتهي بتطاحن القوات الحربية في البر

والبحر، هذه القوات التي كانت قد أعدت من قبل بكل حرص وعناية. ولم يتوقع أحد أن تنزلق أقدام العالم بأسره تقريباً إلى ساحة الحرب أو أنها ستكون حرب شعوب فتتطاحن فيها إلى حد الإبادة والإفناء.

وبرغم أن الحرب اتخذت صبغة عالمية، فإن جبهات القتال الرئيسة كانت على القارة الأوروبية وفي البحار العليا التي شهدت لأول مرة الغواصات. وكانت كل دولة مشتركة في الحرب تعتقد أنها حرب قصيرة قد لا تدوم أكثر من أسابيع قليلة. ولهذا شهدت أوروبا أمواجا ضخمة من الجنود المسلحين بصورة لم يسبق لها مثيل. وكان قادة الجيوش يعتقدون أن الأسابيع كفيلة بتقرير مصير الحرب التي امتدت- برغم ذلك- أكثر من أربع سنوات. ولقد أقدمت الدول الأوروبية العظمى على دخول الحرب لأنها كانت تعتقد أنها أمر لا بد منه وأن مصالحها ترتبط ارتباطاً كاملا بخوض غمارها.

4.2 مجرى الحرب

كانت الجبهة الرئيسة للحرب هي الجبهة الغربية التي كانت تشمل بلجيكا وشرق فرنسا فقد استطاع الألمان خلال مدة وجيزة اكتساح بلجيكا وفرنسا والوصول إلى منطقة تبعد 14 ميلا عن باريس، حتى خيل للجميع أن العاصمة الفرنسية ستسقط لا محالة. ولكن قوات الحلفاء استبسلت في الدفاع وأوقف الزحف الالماني إثر معركة المارن الاولى في سبتمبر / أيلول عام 1914ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام 1918 لم يستطع الألمان التقدم أكثر في الجبهة الغربية نظرا لصلابة مقاومة الحلفاء ولحاجتهم إلى سحب قسم من قواتهم لتعزيز الجبهة الشرقية ضد روسيا. وتحولت الحرب في الجبهة الغربية خلال هذه الفترة إلى حرب خنادق، حيث تحصنت القوات المتحاربة في خنادقها واكتفت بمعارك محلية ليست ذات قيمة. ولكن انسحاب روسيا من الحرب إثر قيام الثورة البلشفية عام 1917 جعل الألمان يدفعون بقوات كبيرة إلى الجبهة الغربية فأجبروا قوات الحلفاء على التراجع والتقهقر. ولكن التدخل الامريكي والإمدادات الأميركية الكبيرة مكنت قوات الحلفاء بزعامة المارشال فوش الفرنسي من القيام بهجوم معاكس ودحر الألمان في معركة المارن الثانية في تموز / يوليو عام 1918. واضطر الألمان للانسحاب وطلب الهدنة في 11 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1918.

أما في الجبهة الشرقية فكانت دول الوسط في وضع أفضل من وضعها في الجبهة الغربية. فقد استطاع الألمان والنمسويون صد الهجوم الروسي على شرق بروسيا واضطر

الروس إلى التراجع. وفي عام 1915 تمكنت ألمانيا والنمسا من احتلال الجزء الروسي من بولندا ولتوانيا. وبعد انتهاء الحكم القيصري في روسيا عام 1917 قام البلشفيك في آذار عام 1918 بعقد معاهدة "برست لتوفسك" مع ألمانيا تنازلت روسيا بموجبها عن فنلندا وبولندا وولايات البلطيق.

وتمكن الألمان من هزيمة رومانيا واحتلال بوخارست، أما الصرب فقد جردت من الكثير من ممتلكاتها.

وفي اليوم نفسه الذي أعلنت فيه ألمانيا الحرب على فرنسا تقدمت قواتها فاحتلت دوقية لوكسمبرج وخرقت حياد بلجيكا لكي تهاجم فرنسا من أراضيها. وبرغم مقاومة الجيش البلجيكي فقد أنزل به الألمان هزيمة ساحقة وسريعة جعلت بريطانيا تراجع موقفها. فحتى ذلك الوقت لم ترتبط بأي أحلاف أوروبية قاطبة تلزمها بالاشتراك في الصراع إلى جانب أحد الطرفين المتنازعين. إلا أنها خشيت أن يؤدي تفوق ألمانيا العسكري على القارة الأوروبية إلى زعزعة التوازن الدولي الذي طالما حاولت المحافظة عليه، فقد بنت سياستها الأوروبية على أساس الحيلولة دون سيطرة دولية أوروبية على القارة بالصورة التي تؤدي إلى عزل الجزر البريطانية وتهديد أمنها. لهذا سارعت في إعلان الحرب على ألمانيا (4أغسطس / آب 1914) وبادرت بالوقوف إلى جانب فرنسا بهدف وقف الزحف الألماني صوب الغرب.

أما إيطاليا فقد ترددت في دخول الحرب تنفيذا لبنود حلفها مع ألمانيا والنمسا. فقد ذهبت إلى أن ألمانيا هي التي أعلنت الحرب على فرنسا وروسيا وأن ذلك لا يلزمها بالاشتراك في القتال إلى جانبها. وأما الحكومة العثمانية فكانت قد توثقت علاقتها مع ألمانيا التي حصلت فيما بين عامي 1899م و 1902م على حق مد خط حديد الأناضول- بغداد الذي كان من المتوخى أن ينتهي عند الخليج العربي. وكان الهدف من بناء هذا الخط اقتصاديا واستراتيجيا. وحين أدركت بريطانيا نوايا ألمانيا بادرت إلى عقد معاهدة حماية مع الكويت نصت على ألا يتنازل حاكم الكويت الشيخ مبارك في ذلك الوقت عن أي جزء من أراضيه أو يؤجره أو يرهنه وألا يدخل في علاقات خارجية مع أي دولة إلا بموافقة بريطانيا. وبالإضافة إلى ذلك فإن تدريب الجيش العثماني قد عهد به إلى ضباط من الألمان الذين تولى بعضهم مناصب هامة في الجيش العثماني. وكان

الاتحاديون الذيـن سيطروا على الحكم في تركـيا في ذلك الوقت من العـسكريين الذين تلقـوا تعليـمهم العـسكري على أيدي ضـباط من الألمان ورأوا أن مـن مصلحـة الدولة العثمانية أن توثق علاقاتها مع ألمانيا لمواجهة الأطمـاع الروسية والفرنـسية والبريطانية فيما تبقى من أملاك الدولة. ولهذا عقدوا مع ألمانيا في (أول أغسطس / آب 1914م) معاهدة تعهـدوا بمقتضـاها بمساعـدة ألمانيا ضد روسـيا. وفي 29 أكتـوبر / تشرين أول 1914م قصف الأسطول التـركي الموانيء الروسية المـطلة على البحر الأسـود مما أدى إلى إعلان روسيا الحرب على تركيا. وفي 5 نوفمبر / تشرين ثاني أعلـنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانيـة. وما لبث الحلفاء الثلاثة أن وضعوا الخطط لاقـتسام أملاك الدولة العثمانية في المشرق العربي (بلاد الشام والعراق) وفي أوروبا.

وهكذا انجرفت أقدام معظم دول أوروبا إلى الحرب التي تحولت إلى حرب عالمية، بحكم أن الدول الأوروبية كانت تتـحكم في مـساحات شاسعـة من العالم الخارجي، مما جعل القتال يمتد إلى قارات أبربع من قارات العالم الست (باستثناء الأمريكتين اللتين نجتا من ويلات القتال خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية).

وفي الجبـهة الجنوبية تمكن الإيطاليـون من وقف الزحف النمسوي حـتى منتصف عام 1917. ولكن الجيوش النمسـوية استطاعت أخيرا كسر شوكـة الإيطاليين في معركة كابوريتو حيث تم أسر حوالي 200 ألف جندي إيطالي. وبعد هذه المعركة بقيت إيطاليا مشلولة الحركة حتى نهاية الحرب.

أما في الشرق الأدنى فقد استـطاعت الدولة العثمانية وقف الزحف الروسي على أراضيها وبدأت الجيوش العثمانية تتحول إلى الهجوم.

ثم أدى الهجوم الكاسح الذي قام به الحلفاء في يوليو تموز عام 1981 في الجبهة الغربية إلى إيقـاع ضربات قاصمة بالقوات الألمانيـة كان نتيجتها وضـع حد لهذه الحرب الدامية.

تدريب (1)

لعـبت التكتلات والأحـلاف الدولية قـبل الحرب العـالمية الأولى دوراً فـي إقرار السلام بصورة مؤقتة لكنها كانت أيضاً من أسباب اندلاع الحرب، **اشرح ذلك.**

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- كانت للأزمات الدولية آثار واضحة في نشوب الحرب، وضح ذلك.

2- من أسباب الحرب العالمية الأولى، العامل القومي، وضح ذلك.

3. دخول الولايات المتحدة الحرب والثورة الروسية (1917م)

لقد شهد عام 1917 الذي استمرت فيه العمليات العسكرية دون نتيجة حاسمة، حادثين هامين غيرا توازن القوى بين الدول المتصارعة، وهما :

تدخل الولايات المتحدة والثورة الروسية

1.3 دخول الولايات المتحدة الحرب

كانت الولايات المتحدة الأمريكية قبل الرئيس ويلسون قد اعتمدت (سياسة الدولار)، وحصلت من وراء ذلك على مجالات واسعة زراعية وبترولية في المكسيك وشعوب أمريكا اللاتينية، إلا أن وودرو ويلسونWoodrow Wilson (1850-1924) - منذ توليه الرئاسة- سار على سياسة جديدة، تسعى إلى كسب ثقة وتعاون دول أمريكا اللاتينية. هذا التطور وضع الأخلاقيات السياسية الأمريكية قبيل الحرب العالمية الأولى في مكانة رفيعة إزاء المعاهدات السرية والوفاقات الغامضة والتحالفات التي تضع الحرب أولاً دون اعتبار لمستقبل حضارة أوروبا.

وكانت اتجاهات الحكومة الأمريكية في الأيام الأولى لنشوب الحرب تدعو إلى أن تظل الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة عن هذه الحرب التي أشعلها محترفو السياسة من الأوروبين، وظهرت الصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية - غداة نشوب الحرب الأوروبية - تشيد بابتعاد الأمريكيين عن الحرب، وتهزأ من هؤلاء الأوروبيين الذين يخوضون حرباً شاملة لا مبررات قوية لها، من وجهة نظر الصحافة الأمريكية.

فلقد ظهرت صحيفة شيكاغو هيرالد وغيرها من الصحف، مقالات تحمد الله على اليوم الذي نجح فيه كولومبس في اكتشاف أمريكا ليفتح أبوابها أمام من أسعدهم الحظ وغادروا تلك القارة الأوروبية المليئة بالمؤامرات والأقتتال والحروب. (عبد العزيز نوار، عبد المجيد نعنعي، 1973، ص 154).

وهكذا كانت نظرية (الحياد الحقيقي) هي الأكثر انتشاراً بين الشعب الأمريكي، بل وبين رجالات الساسة الأمريكية حينذاك. والحياد الحقيقي - في مفهوم ذلك الوقت - كان يعني أن تظل العلاقات السياسية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول

الكبرى الأوروبية المتقاتلة على ما كانت عليه قبل الحرب، وأن تظل هذه العلاقات دون تطوير في اتجاه معين منعاً لإثارة حساسيات هنا أو هناك. ولقد أبدى الرئيس ويلسون إيمانه بهذه السياسة، بقوله عند وصول أنباء اشتعال الحرب الأوروبية إلى سماعه :

(إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تظل بالنسبة لهذه الحرب على الحياد نظرياً وعملياً. . وعلى الأمريكيين أن يكونوا محايدين في أفكارهم كما في أفعالهم)

وفي يناير / كانون ثاني 1916- عندما كانت المعركة الانتخابية في الولايات المتحدة على أشدها، قال ويلسون:

(أنا أعلم أنكم تعتمدون علي في تجنيب هذه الأمة ويلات الحرب، لقد فعلت ذلك حتى هذه اللحظة، وإنني أقطع على نفسي عهداً أن أفعل ذلك مستقبلاً بمعونة المولى، اذا كان ذلك مستطاعاً. ولكنكم قد حملتموني واجباً آخر. لقد طالبتموني بأن يصان شرف الولايات المتحدة وألا يلوثه أي شيء، وهذا أمر لا سيطرة لي عليه. إنه يتوقف على ما يفعله الآخرون لا على ما تفعله حكومة الولايات المتحدة الأمريكية). (عبد العزيز نوار، 1982، ص 191).

وهكذا حدد ويلسون سياسته إزاء الحرب الأوروبية، وهو تجنيب الولايات المتحدة مخاطر التورط فيها بشرط أن لا يعني ذلك تجاهل ما يمس شرف الشعب الأمريكي. وبذلك يكون قد انتقل من مرحلة (السلم الشامل) و (الحياد الحقيقي) إلى مرحلة الحياد القائم على الحفاظ على مصالح بلاده. ولكنه كان يضع هذه الأفكار في إطار قوي من الدعاية نحو السلام حيث غدا هو داعية السلام الأول.

وفي الرسالة التي وجهها إلى الكونغرس في 22 يناير / كانون الثاني 1917 أوضح أنه لا يريد أن يجعل أي فرق بين المتحاربين أو يبدي أية أفضلية لدول الوفاق (فرنسا وبريطانيا) على ألمانيا أو العكس. وقال : "إنه يتمنى ويرجو صلحاً دون ظفر وان الأشتراك في الحرب الأوروبية جريمة على الحضارة" . (بيير رونوفن، 1969، ص 69).

ولكن كانت هناك قوى عديدة قادرة على أن تجعل من سياسة (الحياد الحقيقي) وسياسة (السلام الشامل) وهم من الصعب تصديقه وتحقيقه، وظهرت هناك عوامل دفعت بالشعب والحكومة الأمريكية على تغيير هذه السياسة، وأهم هذه القوى والعوامل:

1.1.3 العوامل الاجتماعية

كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تركز على (الحياد الحقيقي)، على أن يكون هذا الحياد سياسة للحكومة وللشعب على حد سواء. وإذا كانت المستويات الثقافية لدى الحكام والمسئولين قادرة على التحكم في مشاعرها وميولها الذاتية فذلك كان من الأمور التي لا يمكن السيطرة عليها بين أفراد الشعب نفسه. وكانت أبواب الهجرة مفتوحة أمام عناصر جديدة أوروبية تدفقت بكثرة من وسط أوروبا ومن إيرلندة. وكان أن أصبحت في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعات قوية من الألمان والإيرلنديين. حقيقة كان هؤلاء لا يمثلون سوى أقلية بسيطة من تعداد الشعب الأمريكي إلا أن الميول العدائية لديهم نحو بريطانيا وفرنسا كانت كبيرة، وبرزت بسرعة وأصبح هؤلاء يمثلون اتجاه الأقليات المعادية لدول الوفاق. ثم إن غالبية الشعب الأمريكي كانت منحدرة من أصول إنجليزية، وكانت الثقافة الإنجليزية هي ثقافة الولايات المتحدة، ومن هنا كانت الصحافة الأمريكية سريعة التجاوب مع الصحافة الإنجليزية، وكانت الأفكار والإتجاهات الإنجليزية تجد صداها السريع ويدون جهد بين أفراد الشعب الأمريكي. ومن ثم كان الإنجليز أقدر وأسرع في إقناع الشعب الأمريكي بوجهة نظرهم بينما كانت وجهات النظر الألمانية لا تنتشر إلا في الدوائر الدبلوماسية أو ذات المستويات الرفيعة، الأمر الذي جعلها عاجزة عن كسب الشعب الأمريكي إلى جانب ألمانيا.

وحتى في هذه المستويات الدبلوماسية والحكومية في الولايات المتحدة كانت هناك مقاومة اجتماعية للألمان. حيث أن موظفي الإدارات الحكومية ورؤساء المؤسسات الاقتصادية الكبرى كانوا يتعاطفون مع بريطانيا تلقائياً، يسهلون للإنجليز أعمالهم ويضربون صفحاً أو يتغاضون عن التسهيلات فيما يتعلق بالمصالح الألمانية. وكان من العسير جداً التحكم في مثل هذه المشاعر والأعمال برغم النداء الواسع النطاق الذي أصدره ويلسون بعدم الانحياز في المعاملات إلى جانب هذا الطرف أو ذاك، وقد كانت هذه المشاعر العاطفية لدى الأمريكيين المولودين في بريطانيا أو من أسر بريطانية الأصل قوية حتى على مستوى الوزراء والسفراء.

2.1.3 العوامل الاقتصادية

كانت سياسة الرئيس ويلسون تؤكد منذ نشوب الحرب الأوروبية على أن تنتهج المؤسسات الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية سياسة (الحياد الحقيقي) وكانت هذه

المؤسسات الاقتصادية - بسبب طبيعة النظام الحر الاقتصادي الأمريكي - ذات قدرات شبه مطلقة في التعامل مع هذه الدولة أو تلك على أساس الربح المادي والمصلحة الوطنية. وعندما تظهر مشروعات مادية مربحة أمام مثل هذه المؤسسات الاقتصادية تحاول أن تقنع حكومة بلدها بعلاقة ذلك بالمصلحة الوطنية.

وحينذاك كانت الدول الكبرى المتقاتلة كلها في حاجة إلى قروض ضخمة، وكانت هذه الدول مستعدة لأن تقدم عروضاً مغرية للمصارف الأمريكية.

وكانت المصارف والمؤسسات الاقتصادية التي تقدم مثل هذه القروض ستتخذ موقفا عدائيا تلقائيا مؤيدا للدولة التي حصلت على القروض منها. ويصبح انتصار هذه الدولة أو هزيمتها ذا معنى اقتصادي للمصارف والمؤسسات الدائنة لها، فالنصر يحفظ لهذه المصارف والمؤسسات حقوقها والهزيمة تهدد بضياع القروض وفوائدها جملة وتفصيلاً. وكانت وجهة نظر (بريان) وزير الخارجية الأمريكي صحيحة جداً حين أشار إلى أن العلاقة وثيقة جداً بين المصارف والصحافة، وأن هذه المصارف لن تلبث أن توجه الصحافة نحو تأييد الدولة المستدينة ضد الدولة الأخرى. وبالتدريج يصبح الحياد سياسة الحكومة، وليس سياسة الشعب او مؤسساته.

وكانت اقتصاديات الولايات المتحدة الأمريكية غير مستقرة عندما نشبت الحرب، وبالتالي كان أي تغيير في موازين التصدير والاستيراد كفيلاً بأصابة الأقتصاد الأمريكي بخسائر، أو مكاسب واضحة. وفعلاً في اوائل الحرب أقبل الحلفاء على شراء الذخائر والمنتجات الأمريكية فربحت المؤسسات جداً حتى نفذ الاحتياطي المالي المخصص لذلك لدى دول الحلفاء. فأصبح من المتعذر على الحلفاء شراء الإنتاج العسكري الأمريكي إلا بقروض أمريكية، وأصبحت عدة مؤسسات للإنتاج العسكري مهددة بالإفلاس إن لم يشتر الحلفاء إنتاجها على نفس المستوى الذي تحقق من قبل، ومن هنا أصبحت هناك حاجة متبادلة بين الحلفاء من جهة والمؤسسات الصناعية والغذائية والعسكرية الأمريكية من جهة أخرى.

ولم يكن في استطاعة ويلسون أن يقف ضد هذا النوع من التجارة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، حيث أدى ذلك الارتفاع في حجم التجارة المتبادلة إلى امتصاص البطالة التي كانت قد انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية قبيل وخلال الأشهر الأولى من الحرب الاوروبية.

ومن ثم يصبح الرئيس ويلسون في مواجهة أزمة شعبية واقتصادية في حالة قيامه بإجراءات ضد المؤسسات المنحازة تجارياً إلى جانب دولتي الوفاق. بل كانت المشاعر الأمريكية تزداد ميلاً إلى جانبهما وتزداد بغضاً لدول الوسط، حيث ثبت للشعب الأمريكي أن العلاقات مع دولتي الوفاق مربحة تجارياً بينما تقوم الغواصات الألمانية بإغراق السفن الأمريكية التي كانت تحمل البضائع العسكرية والمدنية إلى موانئ دولتي الوفاق. حتى لقد أحجمت شركات النقل البحري الأمريكية عن نقل البضائع إليهما خوفاً من إغراق السفن الأمريكية بالطوربيدات التي كانت تطلقها الغواصات الألمانية. وأدى ذلك إلى تكدس ضخم للبضائع المعدة للتصدير على أرصفة الموانىء. ومرة أخرى انتشرت البطالة وفي هذه المرة كان المسؤول هو الألمان، ولم يكن بوسع الأمريكي أن يناقش الأسباب العسكرية والسياسية التي كانت تدفع إلى تلك الإجراءات العسكرية العنيفة ضد السفن الأمريكية، وإنما كان الأمريكي يرى أن الألمان عرضة للبطالة وللخسائر الاقتصادية بعد ازدهار اقتصادي بفضل التعاون البريطاني الأمريكي.

ومثل هذا النمو الضخم في حجم التجارة كان يفرض على حكومة الرئيس ويلسون أن تعمل على المحافظة على ضمان الكسب المادي الشعبي الأمريكي سواء في المستقبل القريب أو البعيد. خاصة وأن المؤسسات المالية الكبرى عادت وأخذت تضغط على الحكومة الأمريكية من أجل إنقاذ التجارة الأمريكية من الركود عن طريق تقديم قروض مالية إلى بريطانيا وفرنسا.

وجنت فرنسا وبريطانيا من وراء ذلك مكاسب عسكرية جوهرية إذ حصلتا على السيولة النقدية التي مكنتهما من شراء العتاد والذخائر العسكرية من المؤسسات الأمريكية، ولم تلبث أن تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى "ترسانة الحلفاء العظمى" وذلك لأن حاجة دول الحلفاء إلى السلاح والذخائر كانت تتصاعد بسرعة كبيرة، وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد انحازت مالياً وتجارياً إلى جانب دول الحلفاء بشكل مباشر وانحازت عسكرياً إلى جانبها أيضاً ولكن بطريق غير مباشر، وقد لعبت المصارف والمؤسسات المالية الأمريكية الدور الكبير في جعل الولايات المتحدة تنساق إلى الحرب والمشاركة فيها.

3.1.3 العوامل العسكرية

يحمل المؤرخون الأمريكيون والإنجليز والفرنسيون حرب الغواصات، الأهمية الأولى من حيث مسؤولية الألمان في إرغام الولايات المتحدة الأمريكية على الدخول في الحرب، فيقول المؤرخ الفرنسي رينوفن:

" تحت تأثير أي الحوادث قطعت الولايات المتحدة علاقاتها مع ألمانيا؟ إن نقطة الانطلاق كانت بتمسك ألمانيا وعزمها على القيام بحرب الغواصات إلى أبعد حد" ويؤكد المؤرخان الإنجليزيان "جرانت وتمبرلي" هذا الاتجاه وكذلك المؤرخ "فيشر". وكانت ألمانيا خلال الفترة الأولى من الحرب تسعى إلى توجيه ضربة قاضية لإخراج فرنسا من الحرب، ولكنها فشلت، فتحولت إلى العمل على إخراج إنجلترا من الحرب عن طريق حرب غواصات تمنع عن الشعب الإنجليزي الغذاء والسلاح، وأعلنت الحكومة الالمانية أنها ستغرق أية سفينة في نطاق حددته حول الجزر البريطانية، معللة ذلك بأن الحكومة البريطانية ضربت حصاراً على الشواطيء الألمانية بلغ به الأمر أن الأسطول البريطاني صادر المواد الغذائية التي تحتاجها النساء والأطفال. إلا أن حكومة ويلسون رفضت هذا التعليل وحملت الحكومة الألمانية مسئولية إجراءات كهذه (غير قانونية)، ولم تلبث أن أغرقت ألمانيا السفينة لوزيتانيا في 7 مايو-أيار 1915 بمن عليها من سياح أمريكان. (عبد الحميد البطريق، 1974، ص 166).

وكانت هذه الأزمة سبباً في رفع حرارة العداء الأمريكي نحو الألمان. ولم تلبث تطورات الحرب أن أدت إلى المزيد من حوادث إغراق السفن التجارية الأمريكية.

وجاء حادث إغراق الباخرة فيجيلنتيان 19 مارس - آذار 1917 لتدفع الرئيس ويلسون إلى إتخاذ قرار مصيري. ولا شك أن ويلسون كان قد قرر الدخول في الحرب إلى جانب الحلفاء منذ أوائل 1917 وكان ينتظر الحادث الذي يحمل الألمان مسؤلية (ارغام) حكومة الولايات الولايات المتحدة على دخول الحرب.

4.1.3 العوامل الأيديولوجية

كانت هناك نداءات قوية في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى الدخول في الحرب إلى جانب الديمقراطيات، ويقصدون بذلك فرنسا وبريطانيا، على اعتبار أن ألمانيا والنمسا من الدول الدكتاتورية والأتوقراطية التي لم يعد نظامها متلائماً مع العصر

الحديث، وأن من واجب الشعب الأمريكي أن ينقذ شعوب ألمانيا والنمسا من دكتاتورية حكامها، ومنحها الفرصة لتحكم نفسها بنفسها بأسلوب ديمقراطي. ولكن كان هناك نقد شديد موجه إلى هذه النظرية يتركز في أن الدخول في الحرب إلى جانب إنجلترا وفرنسا، يعني كذلك الدخول إلى جانب حليفتهما روسيا القيصرية الدكتاتورية الأوتوقراطية الرجعية، ولا يشرف الولايات المتحدة أن تدافع عن مثل هذه القيصرية. ولكن حدث ما غير الأوضاع، إذ قامت الثورة في مارس / آذار 1917 في روسيا، وأسقطت القيصرية، ولم يعد هناك ما يمنع من دخول الولايات المتحدة إلى جانب الحلفاء.

2.3 الثورة الروسية

أما روسيا فقد منيت بهزائم ساحقة على أيدي القوات الألمانية المسلحة التي أوقعت بها خسائر فادحة وأخذت المجاعة ونقص المؤن تهدد البلاد التي عمها السخط ضد الحكومة والقيادات العسكرية. وفي 8 مارس / آذار 1917 بدأت سلسلة الأحداث التي انتهت بنشوب الثورة ضد الحكم القيصري، فقد نشب شغب عام في العاصمة بتروجراد اقترن بميل عام إلى الاعتصام. وتلا ذلك انقطاع الصحف عن الظهور، ثم اعتصام عمال الترام . وفي 11 مارس / آذار أعلنت إحدى الفرق العسكرية العصيان، وفي اليوم التالي تمرد الحرس القيصري. وما لبث العصيان أن عم أرجاء البلاد. وكانت هذه الثورة ناتجة عن الجوع والشقاء والإجهاد، واقترنت بمظاهر الغيظ والسخف والاستياء. فقد امتعض الروس للخسائر الهائلة التي لحقت بجيوشهم والنكبات الحربية التي حلت بهم، وخسارة أربعة ملايين من القتلى والجرحى واختلاس أموال الدولة وسوء توزيع موارد البلاد ومنتجاتها. وكانت الحكومة القيصرية جندت عدة ملايين قتلوا وجرحوا مما أدى إلى حرمان الأراضي من الأيدي العاملة وقلة المحاصيل. كما ارتفعت أثمان السلع ارتفاعاً فاحشاً ونقصت كميات الفحم مما أدى إلى إغلاق كثير من المصانع. واضطربت المواصلات بسبب تكريس القطارات لنقل الجنود والذخيرة، وعلت الأصوات مطالبة بمحاكمة القادة وكبار رجال الحكومة الذين تميزوا بالعجز والفساد.

وما لبث العمال أن سيطروا تماماً على بتروجراد. وفي الوقت الذي تشكلت فيه حكومة مؤقتة أقام العمال المضربون مجالس منتخبة (سوفيتات) ولجنة تنفيذية مؤقتة مهمتها تسلم السلطة. وشهدت العاصمة لجنتين إحداهما معتدلة تهدف إلى إقامة حكومة

برلمانية على النمط الغربي وتنادي باستمرار روسيا في الحرب إلى جانب الحلفاء - والأخرى تسعى إلى إقامة حكم شيوعي في البلاد، ولو أدت المحافظة على النظام الجديد إلى أن تعقد روسيا صلحاً منفردا مع ألمانيا وتتنازل عن مساحات واسعة من أراضيها، ولم يجد النظام القيصري من يبدي نحوه أي عطف. فقبض على القيصر وأسرته وانتهى حكم آل رومانوف الذين حكموا منذ أوائل القرن السابع عشر وما لبث القيصر أن أعدم وأفراد أسرته.

وصل لينين إلى روسيا من منفاه في سويسرا، وفي الحال تزعم الجناح المتطرف وسعى إلى السيطرة على الحكم. وكان لينين قبل نشوب الحرب العالمية زعيماً للجناح المتطرف في الحركة الاشتراكية الروسية (البلشفيك) فقد انشقت الحركة إلى جناحين البلشفيك - بمعنى الأغلبية - الذين نادوا بأن تحقيق الاشتراكية يتطلب وجود مجموعة من الثوريين المتمرسين في العمل السري يستهدفون التمهيد لنشوب ثورة مسلحة تقيم دكتاتورية الطبقة العاملة (البرولتاريا) تمهيداً للقضاء على الطبقات وإقامة مجتمع لا طبقي.

أما المنشفيك - بمعنى الأقلية - فكانوا يرون أن تقويم النظام القائم أمر ممكن عندما يتحد كل المؤمنين بالاشتراكية والديمقراطية، وأن بالإمكان تحقيق الاشتراكية عن طريق الأساليب الديمقراطية البرلمانية. واستطاع لينين ان يجمع حوله الأنصار، وسعى إلى القضاء على الحكومة المؤقتة رافعاً شعار:

السلام للجيش - الأرض للفلاحين - الغذاء للجميع - الحكم للسوفيت

وازدادت أعداد السوفيت حين انضم اليهم الفلاحون والعمال والجنود. وفي 6 نوفمبر / تشرين الثاني 1917 احتلت القوات البلشفية أبنية المرافق العامة في بتروجراد. وفي اليوم التالي قبض على أعضاء الحكومة المؤقتة وقامت حكومة جديدة أطلق عليها اسم المجلس السوفيتي لوكلاء الشعب "الذي انتخب لينين رئيساً له وأعلن قيام أول حكومة اشتراكية في العالم. ودعا الفقراء في شتى البلدان إلى تأييد الثورة الروسية، كما عمل على إنشاء "دولية" شيوعية مهمتها العمل على نشر المذهب الشيوعي في شتى أنحاء العالم. وأسرعت الحكومة الجديدة في وضع أسس نظام شيوعي، فأعلنت ملكية الدولة لجميع مصادر الثروة ووسائل الإنتاج وألغت مبدأ الملكية الخاصة وأخذت تهاجم

الحرب الدائرة وتصفهـا بأنها نضال استعمـاري هدفه الاستحواذ على المستعـمرات. كما نشرت المعاهدات السرية التي عقدتهـا الدول العظمى قبل الحرب وفي أثنائها ومنها اتفاق سايكس - بيكو الذي عقد في عام 1916 بين بريطانيا وفرنسا ونص على اقتسام الدولة العثمانية بين الدولتين.

ولكي يتفرغ البلشـفيك لتدعيم نظامهم أسرعوا إلى توقـيع صلح منفرد مع ألمانيا في 3مارس / آذار 1918 تخلوا بمقتضاه عن مساحة قدرها خمسمائة ألف ميل مربع من الأراضي يسكنها 66 مليون من أفـراد الشعب الروسي (وقد أطلق لينين على عـقد هذا الصلح اسم "الانهزامية الثورية" - بمعنى التخلي عن جـزء في سبيل انقاذ الثورة ذاتها) وقد استرجع هذه الأراضي خلال الحرب العـالمية الثانية، بل سيطروا على مناطق أخرى كما سنرى فيما بعد. (عبد العزيز نوار، 1980، ص 227).

وما لـبثت الحـرب الأهلية أن نشـبت بين البلشفـيك وأنصار النظـام القيـصري. واستمـرت هذه الحرب ثلاث سنوات حارب خلالهـا الجيش الأحمر ضـد القوى المحلية المعادية وضد قوات التدخل الأجنبي التي أرسلها الحلفـاء المنتصرون - بعد انتهاء الحرب العـالمية - إلى روسـيا بهـدف القضـاء على النظام الجديد. وقـد تمكن البلشفـيك من الانتصـار على أعدائهم بفضل تنظيـمهم الدقيق وإقـامتهم نظامـاً يوفر العدالة لمجـموع الشـعب الروسي. ثم تفـرغوا لبناء الدولة الجـديدة على أسـاس التـخطيط الاشتـراكي والتوجـيه الاقـتصادي. فـما لبـث روسيا (التي أطلـق عليها اسم اتحـاد الجمـهوريات السوفيتية الاشتراكية) أن تحـولت من بلد فقير متخلف إلى إحدى الدولتين العظميين في العالم.

4. أنتهاء الحرب

كان الألمان في اوائل عام 1918 قد عقـدوا العزم على إحراز النصر على الجـبهة الغربيــة التي نقلوا اليها الكثـير من قواتهم من الجـبهة الشرقـية عقب نشـوب الثورة في روسيا.

إلا أن قوات الحلـفاء استطاعت إيـقاف الهجـوم الألماني. ومنذ 18 يوليه / تموز أخذت القوات الفرنسية تشن الهجمات المتـتالية على الألمان مستفيدة من تدفق الإمدادات الأمريكية الضخـمة والقوات المسلحة الأمريكية على الجبهــة الغربية. وحين شن الإنجليز هجوماً كبيراً في 8 اغسطس / آب بدأت خطوط الألمان في الانهيار. وفي تلك الأثناء كان الرئيس الأمريكي ولسون يحاول ان يوقع الانقـسام في ألمانيا بتكراره أن قتال الحلفاء لا يستهدف الشعب الألماني، بل هو موجه ضد حكومـته المستبدة. كما أصر على أنه لا يجب ان تتضــمن شروط الصلح ضم شعوب على غـير رغبة منها او دفـع تعويضات. وفي رسالة إلى الكونجرس الأمريكي في يناير / كانون ثاني 1918 عرض النقاط الأربع عشـرة كأساس لصلح عـادل. وقد تضمنت هـذه النقاط : عقـد اتفاقات صـريحة يتم التوصل اليها علانية، وحرية البحـار في السلم والحرب، وإزالة الحواجز الاقتصادية بين الدول، وخفض التسلح، وتعديل غير متحيـز للمطالب المتعلقة بالمستعمرات، وبالتعاون مع روسيا لإرساء سياستها القومية بمؤسسات من اختيارها الخاص، وإعادة تعديل الحدود في أوروبا مع العناية اللازمة بمبدأ حق الشعوب في تقرير المصيـر، وإقامة (جمعية عامة للأمم) لتوفر (الضمانات المتبادلة للاستقلال السياسي وسلامة وحدة الأراضي).

ورأت الحكومة الألمانية - وقـد اندحرت جيوشها وأوشك حلفـاؤها على الانهيار وإزاء تدفق القــوات الأمريكية على الجـبهــة بأعداد لا نهـاية لها - أن صلحـاً فردياً هو الوسيلة الوحيدة لمنع غزو الأراضي الألمانية. لهذا ناشدت ولسون بالتفاوض على أساس النقاط الأربــع عشر، وفي تلك الأثنـاء تمرد الأسطول الألماني حين صدرت اليـه الأوامر بالخروج إلى البـحر، ومـا لبثت الثورة أن انـتشرت في مـختلف المدن الألمانيــة، وأخذ الشعب يلح في طلب الصلح. وفي أول اكـتوبر / تشرين أول 1918م طلبت الحكومة الألمانيــة توقيـع الهدنة وأجـبـر القيـصـر وولي عهـده على الفـرار إلى هولنده ونودي بالجمهورية.

وفي نوفمبر / تشرين ثاني 1918 وقعت الهدنة بين الألمان وممثلي الحلفاء. وقد نصت هذه الهدنة على انسحاب ألمانيا إلى ما وراء نهر الراين وتسليم ما تبقى من مستعمراتها. كما حددت أنواع الأسلحة وكمياتها التي يجب تسليمها للحلفاء. واعتبر الألمان أن هذا الشرط الأخير قد حرمهم حق المساومة : وفي سبتمبر / أيلول 1918م سلمت بلغاريا دون قيد أو شرط، وفي 31 اكتوبر / تشرين أول أرغمت تركيا على قبول الشروط التي فرضها عليها الحلفاء. وفي 3 نوفمبر / تشرين ثاني وقعت الهدنة بين الحلفاء والنمسا. وقد استمرت الحرب أكثر من أربع سنوات، وكانت حرباً مدمرة بالغة العنف والشراسة لم تشهد البشرية في تاريخها مثيلاً لها من قبل، بفضل السلاح القوي والحديث الذي استخدم لأول مرة في التاريخ، وأصبح ميدانه على الأرض وفي الجو وتحت البحر، وهكذا استخدمت في الحرب لأول مرة الطائرات والدبابات والغواصات والغازات السامة والمناضيد والمدافع بعيدة المدى وقاذفات اللهب والأسلحة الأوتوماتيكية. . . .الخ. وجند لهذه الحرب حوالي 65 مليون مقاتل، وسقط فيها ما يقرب من 10ملايين قتيل وأكثر من 20 مليون جريح، وحوالي 13مليوناً من المدنيين بسبب الجوع والمرض والإصابات، وقدرت الخسائر المادية بأكثر من 350بليون دولار.

وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وفي الساعة العاشرة من اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر / تشرين ثاني من عام 1918، وقع ممثلو ألمانيا على هزيمتهم في عربة من عربات القطار في غابة (كومبيين COMPPIENE) في شمال فرنسا، وبهذا أعلنت نهاية الحرب العالمية الأولى. (عبد الحميد البطريق، 1974، ص 176).

5. نتائج الحرب ومؤتمر الصلح:

التـقى صانعـو السـلام - ويلسون (عـن أمريكا) ولويد جـورج (عن بريطانيـا) وكليمنصو (عن فرنسا) وأورلاندو (عن إيطاليا) وعدد من الساسة الذين هم أقل اهمية، في باريس فـي جـو من الكراهيــة والطمع والخـوف: الكـراهيـة للعـدو والـطمع في المستعمرات والتعويضات، والخوف من الشيوعية.

وكان الصلح الذي أبرم قد جـاء نتيجة الإملاء لا التـفاوض. والواقع أنه لم تجر مفاوضـات بين ألمانيا والدول المنتصـرة. ولكن اجتمع مؤتمر الصلح في فـرساي وناقش الحلفاء شروط الصلح وضموها إلى ميثاق عصبة الأمم ثم قدموا الميثاق إلى الوفد الألماني وأبلغوه أن عليـه أن يوافق على الميثاق كله أو يرفـضه كله، وهددوا بأنه إذا لم يصل رد بعد خمسة أيام فستتخذ الإجراءات لاحتلال ألمانيا.

وهكذا لم يكن الصلح مـعـاهدة بين طرفين، بل إمـلاء من طرف واحد، فلقـد سيطرت على صياغـة معاهدات الصلح روح التشفي والتنكيل ورغبـة ساسة الحلفاء في تأمين بلادهم ضد أخطار الحرب، ومعاقبة أعدائهم على الجرائم التي ارتكبت خلالها.

1.5 النتائج السياسية

كانت المشكلات التي تقـرر أن ينظر فيها مؤتمر الصـلح، عزيزي الدارس، عديدة ومعقـدة، وكانت أكثرها دقـة تلك المشكلات المتعلقة بخـريطة أوروبا الجديدة والمطالب المتضاربة الـتي كانت تتنازع هذه القطعة من الأرض أو تلك. ولهذا تشـكلت عدة لجان لدراسة المشكلات المعـروضة. ولكن الحقيـقة التي ظلت راسخـة بمرور الوقت - خلال انعقاد المؤتمر - أن الثلاثة الكبار "لويد جورج" و"كلمنصو" و"ويلسون" هم الذين كان لهم الكلمة العليا في رسم تلك الخريطة، وخـاصة لويدجورج وكليمنصو إذ توخى كل واحد منهـما أن تكون تلك الخريطة متـمشية مع مـصالح بلده أولا. وتم لهم ذلك في سلسلة من المعاهدات فرضوها على الدول المهزومة وهذه المعاهدات هي :

1- معاهدة فرساي مع ألمانيا (28 يونيو / حزيران 1919).

2- معاهدة سان جرمان مع النمسا (سبتمبر / أيلول 1919).

3- معاهدة نالي مع بلغاريا (27 نوفمبر / تشرين ثاني 1919).

4- معاهدة تريانون (4يونيو / حزيران 1920).

5- معاهدة سيفر مع تركيا اغسطس / آب 1920 ثم عدلت بمعاهدة لوزان يوليو / تموز / يوليو 1923.

1. معاهدة فرساي Versailles :

اعترفت ألمانيا في هذه المعاهدة بمسئولياتها عن إشعال نيران الحرب، وكانت الشروط التي تضمنتها هذه المعاهدة مثار جدل طويل بين الدول المنتصرة.

حيث كانت النتيجة هي تصفية أملاك ألمانيا فيما وراء البحار وفرض غرامة عليها بلغت حوالي 6600 مليون من الجنيهات. واقتطعوا أجزاء من أراضيها بلغت عشر مساحتها، وذلك ترضية لجيرانها، وفرض عليها عدم تسليح حدودها الغربية وألا تحتفظ بقوات تزيد على 100.000 جندي. كما فرض عليها إلغاء التجنيد الإجباري وألا تحتفظ بمدافع ثقيلة أو طائرات حربية أو غواصات - إلى غير ذلك من القيود الكفيلة بضمان أمن فرنسا. كما تضمنت تسوية فرساي تدويل منطقة السار الغنية بالمعادن لمدة خمس عشرة سنة واحتلال جيوش الحلفاء لمنطقة الراين للمدة نفسها. وبالإضافة إلى ذلك فقد تم فصل بروسيا الشرقية عن ألمانيا حتى يمكن لدولة بولندة الجديدة أن تحصل على ممر يوصلها لبحر البلطيق، وضمت إلى دولة تشيكوسلوفاكيا الجديدة منطقة السوديت التي يسكنها عدد كبير من الألمان.

2. معاهدة سان جرمان St. Germain

أما إمبراطورية النمسا فقد مزقت شر ممزق : فاستقلت المجر التي أصبحت جمهورية وانكمشت مساحة النمسا بالشكل الذي هي عليه الآن، وسلخت منها أجزاء ضمت إلى إيطاليا وأخرى ضمت إلى دولة يوغوسلافيا الحالية (وهي امتداد لدولة الصرب التي كانت السبب المباشر للحرب). كما ضمت أجزاء من الإمبراطورية النمسوية القديمة إلى جمهوريتي تشيكوسلوفاكيا وبولندة الجديدتين. وحرم على النمسا ذاتها أن تنضم لألمانيا.

وأما بلغاريا فقد اقتطعت منها أجزاء ضمت إلى كل من يوغسلافيا واليونان.

3. معاهدة تريانون Trianon

وكانت خسائر المجر بمقتضى معاهدة تريانون أقل فداحة، وإن اشتركت مع النمسا

في أنهما أصبحتا دولتين لا منافذ لهما على البحار. وقد فقدت المجر ثلثي أراضيهما وتقريباً نصف سكانها لصالح رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا.

4. معاهدة نالي Neuilly

كانت بلغاريا هي الدولة المهزومة الوحيدة التي لم تفقد الكثير من أراضيها، حيث أعيدت إلى حدودها التي كانت عليها في عام 1914، على اعتبار أنها خسرت الكثير من الأراضي في حرب البلقان الثانية (1913). وكانت الخسارة الرئيسة التي منيت بها مركزة في تنازلها عن تراقيا الغربية لليونان. وأكدت معاهدة نالي هذه التسويات مع بلغاريا.

5. معاهدة سيفر Sevre

أما فيما يتعلق بالدولة العثمانية فقد أصبحت قاصرة على تركيا بعد أن احتلت الجيوش البريطانية العراق حتى الموصل والشام حتى حلب. وسيطرت قوات الحلفاء على المضايق.

وفرضت على تركيا معاهدة سيفر (آب-اغسطس 1920) وبمقتضاها وضع نظام خاص بالملاحة التجارية والحربية والطيران المدني والعسكري خلال أوقات السلم أو الحرب. وتنازلت تركيا لليونان عن كل ما لديها في أوروبا فيما عدا القسطنطينية ومنطقة صغيرة على طول المضايق وبحر مرمرة بعمق يحول دون أطلالة يونانية على المضايق. واستقلت أرمينيا، وتولت اليونان - التي حصلت من تركيا على جزر إيجه - أمر الإشراف على منطقة أزمير وما حولها ووضعت منطقة أضاليا تحت الإشراف الايطالي. كما تخلت تركيا عن حقوقها في ولاياتها العربية ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي. (Hurewitz 1958, p.123 Lousanne)

6. معاهدة لوزان

وقع معاهدة سيفر السلطان العثماني، بينما كانت الحركة الوطنية التركية بزعامة مصطفى كمال (أتاتورك) ترفضها وترفض التفريط في أي شبر من الأراضي التركية. وأعاد تكوين القوات التركية، وقاتل اليونانيين حتى دحرهم، وظل وراء الفرنسيين والإيطاليين حتى تخلوا عما كان تحت يدهم من أرض تركية، وأخيراً توصل أتاتورك إلى

معاهدة لوزان (24 تموز - يوليو 1923) التي أنهت حالة الحرب وحددت الحدود مع بلغاريا واليونان، ودعت إلى تحديد للحدود التركية - العراقية، والتركية - السورية، ووافق الحلفاء من جانبهم على إلغاء الامتيازات الأجنبية. وفي نفس اليوم وقع "ميثاق المضايق" الذي يضمن حرية المرور فيها زمن السلم والحرب ونظم مرور القوات البحرية والجوية المسلحة وغيرها، وتألفت لجنة دولية للإشراف على سير العمل في المضايق طبقاً للميثاق الخاص بها.

وبمقتضى هذه المعاهدة أيضاً جلت القوات الفرنسية والبريطانية والإيطالية عن الأراضي التي كانت تحتلها من الجمهورية التركية الجديدة. (بيير رونوفن، 1969، ص 159).

2.5 النتائج الاقتصادية

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كان الناس يتصورون أن الانتقال من اقتصاديات الحرب إلى اقتصاديات السلم أمر ميسور. بينما كان في الواقع أمراً معقداً جداً، حتى بالنسبة للدول المنتصرة نفسها. ولهذا ظلت آثار الإنهاك بادية على أوروبا لفترة ليست بالقصيرة بعد الحرب.

ومما ضاعف من متاعب ما بعد الحرب، النقص الشديد الذي منيت به الشعوب المقاتلة في عدد الشباب العامل الذي سقط منه الملايين في ميادين الحرب، بينما كانت أوروبا حينذاك في حاجة إلى مزيد من الأيدي العاملة لإصلاح ما تخرب من الأراضي الزراعية، وما تهدم من معامل ومصانع - خاصة في فرنسا -.

وحيث أن أعداداً ضخمة من سفن النقل التجاري قد أغرقت خلال الحرب، وأن طرق المواصلات التي دارت حولها معارك الحرب كانت مخربة، فقد واجهت أوروبا مشاكل معقدة لاستيراد حاجاتها من الخارج. بل إن عملية الاستيراد - الضرورية - كانت هي نفسها تواجه مشكلات مالية معقدة. إذ استنفذت الدول المتقاتلة معظم رصيدها من الذهب في سد حاجاتها العسكرية. واضطرها ذلك إلى إصدار أوراق نقد، سببت هي الأخرى انخفاضاً في قيمة العملة. بينما كانت الأسعار - بسبب ظروف الحرب قد ارتفعت بنسبة عالية. وقد أدت هذه الظروف إلى أن تتجه الدول الأوروبية - بصفة عامة - إلى اتباع سياسة (الاكتفاء الذاتي). وسياسة الاكتفاء الذاتي تؤدي إلى التقليل من حجم التجارة الدولية الأمر الذي أسهم في تعميق الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929م.

وكان ارتفاع الأسعار قد سبب تدهورا في القيمة الفعلية لدخل العامل، ولم تستطع الحكومات أن ترفع المرتبات بما يعادل ارتفاع الأسعار، إلا أن الحاجة الماسة إلى أيدي عاملة بأعداد متزايدة وضخمة لإعادة بناء ما تهدم من مدن ومصانع وإصلاح ما تخرب من أرض أدى إلى ارتفاع أجور العمال بعد الحرب، ومن ثم كانت الضربة مركزة على أصحاب الدخول الثابتة من أمثال الموظفين وأصحاب العقارات والسندات. وإن ظهر في مقابل هذا مجموعة من "أغنياء الحرب" أفادوا بالملايين من قيامهم بدور متعهد التموين أو وسيط لشراء السلع والأسلحة.

أما الفلاحون فلم يتعرضوا لهزات شديدة، بخاصة المناطق البعيدة عن المعارك، وإن كانت نسبة إنتاج المحاصيل قد قلّت بسبب التجنيد العام. أما بعد الحرب فقد أدى نجاح الثورة البلشفية في روسيا إلى ذعر في الدول المجاورة، وسعت حكومات هذه الدول إلى مقاومة انتشار البلشفية باتباع أساليب تكسب بها الفلاحين إلى جانبها، وحيث أن الدعوة إلى تقسيم وتوزيع أراضي كبار الملاك على الفلاحين هي التي جذبت جماهير الفلاحين إلى المشاركة الإيجابية في الثورة البلشفية، فقد أسرعت هذه الحكومات إلى توزيع أراضي كبار الملاك على الفلاحين، وبخاصة أراضي الملاك الأجانب.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من أن ألمانيا خرجت مهزومة من الحرب، وأنها فقدت بعض مراكزها الصناعية المهمة، إلى جانب أسطولها التجاري، برغم هذا كله لم تواجه ألمانيا مشكلات اقتصادية حادة مثل تلك التي واجهت الدول الأخرى. وذلك لأن الحرب لم تنتقل إلى قلب ألمانيا، ولأنها كانت - خلال الحرب مضطرة للاعتماد على مواردها الذاتية فقط لعجزها عن الاستيراد من الخارج بسبب الحصار البحري المضروب عليها، ومن ناحية أخرى أدى ذلك الحصار البحري إلى أن يكتشف الألمان بديلاً لبعض المواد التي يلزم استيرادها من الخارج، ومن ذلك استخدامهم المطاط الصناعي والمواد الكيميائية والبترول التركيبي والحرير الصناعي. وقد أدت هذه الاكتشافات إلى خدمة اقتصاد ألمانيا لا خلال الحرب فقط بل كذلك بعد أن وضعت أوزارها، فأعانت على التخفيف من متاعب ألمانيا ومأساتها بعد الهزيمة، حقيقة فرضت على ألمانيا تعويضات - غير محدودة - إلا أن الموقف الدولي خفف من ضخامتها وكانت تدفع بالتقسيط وليس دفعة واحدة الأمر الذي لم يعرض ألمانيا لانهيار عقب انتهاء الحرب.

3.5 النتائج الاجتماعية

يجدر أن نشير أولاً إلى أن هذه الحرب كلفت الدول التجارية تضحيات ضخمة جداً في الأرواح بالقياس إلى الحروب السابقة. وكانت خسائر روسيا في الأرواح هي الأكثر فداحة إذ بلغت أكثر من مليونين، وخسرت ألمانيا أقل من مليونين بقليل، وفقدت المملكة الثنائية (النمسا والمجر) مليونا وربع المليون، وأما بريطانيا وإمبراطوريتها فقد خسرت نصف مليون. أما الولايات المتحدة فخسرت 115 ألفاً، جزء كبير منهم كان بسبب وباء الإنفلونزا الذي استشرى في أوروبا عقب الهدنة. وهكذا ذهب ضحية الحرب أكثر من عشرة ملايين إنسان، وأكثر من ضعفهم قد سقط جريحاً وكتب عليه أن يعيش مقعداً أو عاجزاً حتى آخر حياته.

إن تعرض أوروبا لهذه الخسائر في الثروة البشرية وبين فئة معينة من الشباب بين العشرين والأربعين بالذات أربك كثيراً من المعدلات التي كانت تسود إحصاءات الزواج والتوازن بين تعداد الذكور والإناث والمواليد وأعمار التلاميذ في المدارس وأعمار اليد العاملة.

وكان طبيعياً أن تهبط نسبة المواليد خلال فترة الحرب لافتراق الأزواج عن زوجاتهم. وبعد الحرب ارتفعت هذه النسبة بسرعة كبيرة ولدرجات أثرت على الحركة التعليمية وعلى اليد العاملة فيما بعد.

كذلك أثرت هذه الحرب في سرعة منح المرأة الكثير من حقوقها في وقت مبكر عما كان متوقعاً، فقد كانت المرأة تحصل على حقوقها السياسية والاجتماعية ببطء قبل وخلال الحرب. أما بعدها فكان هناك ميل واضح من جانب الحكومات لرفع كثير من القيود السياسية والاجتماعية التي كانت مفروضة عليها. ففي بريطانيا تطلبت الحرب بذل كافة الجهود وحشد كل الطاقات من أجل النصر، وحيث أن الجيوش استوعبت ملايينا من الشباب، أسرعت المرأة إلى أن تحل محلهم في الأعمال المدنية مثل العمل في المصانع والمتاجر وفي دواوين الحكومة والشركات وفي المستشفيات والمدارس، ومنهن من تطوعن للعمل العسكري. وبذلك تكون المرأة قد وقفت جنباً إلى جنب مع الرجل في الكفاح فحق لها أن تحصل على حق الانتخاب ما إن تبلغ الثلاثين من عمرها. وبذلك تكون بعض الحواجز التقليدية بين الرجل والمرأة قد أخذت تذوب.

وكما ضعفت الحواجز بين الرجل والمرأة في بريطانيا بسبب ظروف الحرب قللت هذه الظروف كذلك من الفوارق بين البرجوازية الغنية والطبقة الكادحة. بسبب اتفاق الجميع على العمل من أجل هدف واحد هو النصر النهائي على العدو، وكانوا إخوة سلاح داخل الخنادق الرطبة في شمال فرنسا وفي ساحات الحرب.

تدريب (2)

تعتبر النتائج السياسية للحرب العالمية الأولى من الأسباب التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية. علل.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. ترتب على الحرب العالمية الأولى نتائج اقتصادية هامة، وضح ذلك.
2. من الأسباب التي دعت الولايات المتحدة إلى دخول الحرب العوامل الاقتصادية. وضح ذلك.

6. الخلاصة

في هذا الفصل عـزيزي القارئ، أثرنا عدداً من الموضـوعات المتعلقـة في الحرب العالمية الأولى حيث تطرقنا إلى بحث أوضاع الدول الأوروبيـة وبخاصة بريطانيا وفرنسا وبروسيا وإيطاليـا وألمانيا ومملكة النمسا والمجـر والدول البلقانية، قبـيل نشوب الحرب، وأسباب هذه الحرب ودوافعها الاقتصادية والعسكرية والقومية.

كما تطرقنا إلى التكتلات والأحـلاف الدولية قبيل نشوب الحرب وخاصـة عصبة الأباطرة الثلاثة (ألمانيا والنمسا وروسيا) والتحالف الثلاثي ألمانيا، النمسا، إيطاليا ثم دول الوفاق الثلاثي بريطانيا، فرنسا، بروسيا.

وهذه التكتلات والأحلاف برغم أنها أقرت السـلام في أوروبا لمدة مؤقتة إلا أنها تسببت فيما بعد في اندلاع الحرب العالمية الأولى.

وبحثنا الأزمات الدوليـة مثل ضم النمسا لإقليمي البـوسنة والهرسك عام 1908 والحروب البلقـانية التي خاضتهـا تركيا ضد دول البلقـان (مقدونيا، بلغـاريا، اليونان، الصرب) عام 1912/ 1913 وهزيمة العثمانيين وإجبارهم على التخلي عن سلطاتهم في أوروبا، وأزمة 1911م.

وأشرنا إلى نشـوب الحرب العالمية الأولى في صـيف عام 1914 على أثر إطلاق طالب صربي الرصاص على ولي عهد النمسا في مدينة سيراجيفو وقتله هو وزوجته وما كان من الإنذار النمساوي للصرب ورفض الصرب للإنذار.

وتطرقنا كذلك من خـلال هذه الوحدة إلى توضيح مـجرى الحرب على الجـهتين الغربية والشرقـية فعلى الجهة الغربية اسـتطاع الألمان اكتساح بلجيكا وفرنسـا خلال فترة وجيزة، وعلى الجهة الشرقيـة استطاع الألمان والنمساويون صد الهجوم الروسي، وتمكن الألمان من هزيمة رومانيا. وفي 29/ اكتوبر / تشرين أول 1914 أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية، وفي 5 نوفمبر / تشرين ثاني أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية، وهكذا انجرفت أقدام معظم دول أوروبا إلى الحرب وتحولت إلى حرب عالمية حيث امتدت الحرب إلى قارات أربع من قارات العالم الست باستثناء الأمريكيتين.

وشهد عام 1917 دخول الولايات المتحدة هذه الحرب لعـوامل وأسباب اقتصادية واجتـماعية وعـسكرية وأيديولوجية، ثـم نشوب الثورة الروسيـة ضد الحكم القيـصري

وخروج روسيا من الحرب بتوقيعها صلح منفرد مع الألمان. وبتدفق القوات الأمريكية على الجبهة بأعداد ضخمة رأت الحكومة الألمانية وقد اندحر جيشها إزاء هذا التدفق فوقعت على الهدنة مع ممثلي الحلفاء في نوفمبر / تشرين ثاني 1918 كما أرغمت تركيا على قبول الشروط التي وضعها الحلفاء ثم تلتها النمسا، وهكذا انتهت الحرب المدمرة والتي استمرت أكثر من أربع سنوات بهزيمة ألمانيا وحلفائها.

وأخيرا تطرقنا إلى نتائج الحرب وكيف اجتمع الحلفاء في مؤتمر الصلح بقصر فرساي وأجبروا ألمانيا على التوقيع على الميثاق الذي قدم لها، وقد تمخضت هذه الحرب عن نتائج اقتصادية وسياسية واجتماعية كلفت أوروبا الكثير.

7. لمحة مسبقة عن الفصل الخامس

بعد أن اطلعت، عزيزي القارئ، من خلال هذا الفصل على مسببات وأحداث الحرب العالمية الأولى وأوضاع الدول الأوروبية قبيل نشوبها، وأسبابها، ومجراها، ونتائجها، فإننا نقدم لك في الوحدة التالية "الحرب العالمية الثانية" لتتعرف أيضاً على أوضاع الدول الكبرى الأوروبية قبيل نشوبها وهذه الدول هي (ألمانيا النازية، إيطاليا الفاشية، فرنسا، بريطانيا) ثم أسباب قيام هذه الحرب وهل تعتبر رداً على الحرب العالمية الأولى، ودخول الولايات المتحدة وروسيا الحرب إلى جانب الحلفاء، ودخول اليابان الحرب إلى جانب دول المحور، وأخيراً نتائج هذه الحرب، وعليك عزيزي الدارس للإفادة أن تجري مقارنة لوحدك بين أسباب ونتائج هاتين الحربين العالميتين اللتين كلفتا أوروبا والبشرية الكثير الكثير وفاقت خسائرهما البشرية والمادية ما كان متوقعاً.

8. إجابات التدريبات

تدريب (1)

تكوّن حلف عصبة الأباطرة الثلاثية من ألمانيا والنمسا وروسيا، وقد وضع أساس هذا الحلف المستشار الألماني بسمارك لإحكام العزلة حول فرنسا، وحل المشاكل بين الدول الثلاث بالطرق السلمية ولكن هذا الحلف تحطم في أعقاب مؤتمر برلين عام 1878، واستطاعت ألمانيا المحافظة على تحالفها مع النمسا برغم انسحاب روسيا ثم أصبح الحلف ثلاثياً مرة ثانية بانضمام إيطاليا عام 1882 التي انضمت للحلف رغبة منها في الانتقام من فرنسا بسبب احتلال الأخيرة لتونس والتي كانت محط أطماع إيطاليا غير أن هذا التحالف ظل ضعيفاً بسبب سوء العلاقات بين النمسا وإيطاليا، وبعد عزل بسمارك 1890 خرجت فرنسا من عزلتها وتحالفت مع روسيا 1893 للوقوف ضد ألمانيا، أما بريطانيا والتي أحست بخطر ألمانيا ومزاحمتها لها في الأسواق الخارجية فتعاونت مع فرنسا ووقعت معها الاتفاق الفردي عام 1904م.

كما سعت فرنسا للتوفيق بين بريطانيا وروسيا حيث تمت تسوية مناطق النفوذ بينهما في إيران وأفغانستان والتبت، وهكذا تعاونت الدول الثلاث فرنسا، بريطانيا، روسيا ووقعت بينهما (الوفاق الثلاثي) عام 1907. وعندما أحست ألمانيا بخطر هذا الوفاق عارضته ولجأت إلى التسلح مما جعل دول أوروبا تحذو حذوها، وأصبح الموقف يهدد بالانفجار ومما زاد في خطورة الأوضاع انضمام إيطاليا عشية الحرب العالمية الأولى إلى دول الوفاق الثلاثي بعد انسحابها من الحلف الثلاثي وانضمت تركيا إلى ألمانيا والنمسا. وهكذا انقسمت أوروبا إلى مجموعتين متقابلتين وبرغم أن وجود هذه الأحلاف أدى إلى إقرار السلام بصورة مؤقتة إلا أنه تسبب فيما بعد في اندلاع الحرب العالمية الأولى. ذلك أن الأسلوب الذي اتبعته الدول في التحالف كان أسلوباً تنافسياً ولم يكن توافقياً، ونتج عن هذا التنافس السباق إلى التسلح والكراهية والخوف فكانت نتيجة لكل هذا هو انطلاق شرارة الحرب العالمية الأولى، ومن الأزمات الدولية التي نشبت وكان لها أثرها في نشوب الحرب :

- ضم النمسا لأقليمي البوسنة والهرسك عام 1908. نتج عن هذا الضم تصاعد الروح العدائية بين الصرب ضد النمسا، وإقدام أحد الوطنيين المتحمسين من الصرب على

اغتيــال ولي عهد النمسا، ويعــتبر هذا الاغتيال الســبب المباشر لقيام الحــرب العالمية الأولى.

- الحروب البلقــانية 1912- 1913 وهزيمة تركيـا في هذه الحروب وتخليـها عن كثير من ممتلكاتها في أوروبا.

- أزمة أغادير 1911 وكانت من نتائجها تحالف بريطانيا مع فرنسا ضد ألمانيا.

وكان أن اشتعلت الحرب في صيف عام 1914 على أثر اغتيال ولي عــهد النمسا وزوجته بيد طالب صربي في مدينة سيراجيفو عندما كان الأمير في زيارة لولاية البوسنة الخاضعــة للنمسا، فعمت النمســا وأوروبا موجة من الغضب وقررت الحكومــة النمسوية والتي كانت تساندها حليفتها ألمانيا بـالانتقام من الصرب، وقدمت النمسا إنذاراً للصرب تطلب منها الموافقة علــى المطالب النمسوية خلال ثمان وأربعين ساعة. اعــتبرت الصرب أحد بنود الإنذار تدخلاً في شؤونها الداخلية ورفضــته، وأعلنت النمسا عليها الحرب في 28/ يوليو / تموز 1914. وقفت بروسيا إلى جانب الصرب كما وقفت ألمانيا إلى جانب النمسـا، وأعلنت روسيا التعبئة العامة ضد النمسا وحليفتها ألمانيا وأسرعت فرنسا وأعلنت التعبــئة العامة مــساندة لحليــفتهــا روسيــا وطلبت ألمانيا من الدولتين إلغــاء إجراءاتهــما العسكرية، وإزاء رفض الدولتين الاســتجابة للمطالب الألمانية أعلنت ألمــانيا الحرب على روسيا وفرنسا في بداية اغسطس 1914. أما بريطانيا والتي لم تكن حتى ذلك الوقت قد اتخذت موقفاً مع أحد الطرفين والتي خــشيت من التفوق العسكري الألماني في أوروبا، سارعت في إعلان الحرب على ألمانيا وبادرت بالوقوف إلى جانب فرنسا، أما إيطاليا فقد ترددت في دخول الحرب تطبيقاً لبنود حلفها مع ألمانيا والنمسا وكذلك الحكومة العثمانية والتي كانت تربطها علاقات وثيقــة مع ألمانيا التي حصلت على حق مد خط حديد برلين بغداد بــين عام 1899- 1902. وهكذا انجــرفت أقدام مــعظم دول أوروبا في الحــرب وتحولت إلى حرب عــالمية كما دخلت الولايات المتــحدة الحرب في مرحلة مــتأخرة إلى جانب دول الحلفاء.

تدريب (2)

في معاهدة فرساي اعترفت ألمانيا بمسؤوليتها عن إشعال الحرب وكانت النتيجة هي تصفية غرامة أملاك ألمانيا فيما وراء البحار وفرض عليها غرامة مالية بلغت 6600 مليون من الجنيهــات، واخضعوا أجزاء من أراضــيها بلغت عشــر مســاحتــها ترضية لجــيرانها.

وفرض عليها عدم تسليح حدودها الغربية، وأن لا يزيد عدد قواتها المسلحة عن 100.000 جندي، كما فرض عليها إلغاء التجنيد الإجباري وألا تحتفظ بمدافع ثقيلة أو طائرات حربية أو غواصات، وتضمنت المعاهدة والتي وقعتها ألمانيا مع المنتصرين في 6/26 / 1918 تدويل منطقة المسار الغنية بالمعادن لمدة خمسة عشر سنة، واحتلال جيوش الحلفاء لمنطقة الراين لنفس المدة. كما تم فصل بروسيا الشرقية عن ألمانيا وضمت إلى دولة تشيكوسلوفاكيا الجديدة (منطقة السوديت) التي يسكنها أغلبية ألمانية.

كل هذه الشروط جاءت نتيجة الإملاء على ألمانيا وليس التفاوض حيث اجتمع مؤتمر الصلح في فرساي وناقش الحلفاء شروط الصلح وضموها إلى ميثاق عصبة الأمم ثم قدموا الميثاق إلى الوفد الألماني وأبلغوه إما أن يوافق على الميثاق كله أو يرفضه كله، وهددوا الوفد بأنه إذا لم يصل الرد خلال خمسة أيام فستتخذ الإجراءات لاحتلال ألمانيا.

لذا يمكن القول أن هذا الإجحاف والظلم بحق ألمانيا لم يتم نسيانه، وأخذت ألمانيا تعمل بعد خروج وفدها من مؤتمر الصلح في فرساي على الثأر لكرامتها وهزيمتها، بالاستعداد إلى حرب جديدة وكانت الحرب العالمية الثانية.

9. مسرد المصطلحات

- البلشفيك Bolsheviki

انقسم الحزب الديمقراطي الاشتراكي في روسيا إلى قسمين عام 1903م.

الفريق الأول يتزعمه (لينين) وكانوا يعارضون أي تعاون مع الأحزاب المعتدلة البرجوازية، ولا يوافقون بتاتا على سياسة الاعتدال أو الإصلاح بالتدريج بل يريدون أن تصل الطبقة الكادحة إلى أهدافها في الحال.

أما الفريق الثاني فكانوا يرون تطبيق النظام الاشتراكي بالتدريج بضرورة البدء، بتعليم الطبقة الكادحة حتى تفهم واجباتها وتتشرب روح الاشتراكية.

ولما أخذت الأصوات على هذين الرأيين، انضمت الأغلبية إلى الزعيم (لينين) ولذلك أصبحوا يعرفون باسم (البلشفيك) أي الأكثرية أما الفريق الآخر فأصبحوا يعرفون باسم المنشفيك أي الأقلية.

- نيتشه Nietzche

فيلسوف ومفكر سياسي ألماني، ولد من أسرة فقيرة معدمة، كانت حياته معقدة جداً تهب عليها العواصف من كل جانب، عندما بلغ سن الرشد ساءت حالته الاقتصادية ففكر بالانتحار. عمل أستاذاً جامعياً ووجهت له تهمة الإلحاد، كتب عدة مؤلفات فلسفية وسياسية أهمها خطابات إلى الأمة الألمانية يعلن فيها أن اللغة الالمانية هي اللغة الوحيدة القادرة على الارتفاع إلى مستوى الحقائق الفلسفية، وفي ذلك إعلان واضح على تفوق الشعب الألماني على غيره من الشعوب لذا يعتبر نيتشه أول منظر للقومية الألمانية بشكلها العنصري والرافد الأكبر للفكر النازي فيما بعد، وبرغم ذلك يبقى دائماً فيلسوف الحرية واشتراكية الدولة.

10. المراجع

أ - المراجع العربية

1. رونوفن، بيير: تاريخ القرن العشرين. تعريب نور الدين حاطوم. دار الفكر الحديث/ لبنان 1969.

2. فيشر، هربرت: تاريخ أوروبا في العصر الحديث. تعريب أحمد هاشم، وديع الضبع، دار المعارف بمصر 1972.

3. نوار، عبد العزيز: التاريخ المعاصر أوروبا(1871-1945). دار الفكر العربي، القاهرة 1980.

4. نوار، عبد العزيز، ونعنعي، عبد المجيد : تاريخ الولايات المتحدة الحديث. دار النهضة العربية / بيروت. 1973.

ب - المراجع الاجنبية

1. knudson : A History of the League of Nation Atlanta (smith and Co) 1938

2. Hurewitz.J : Diplomacy in the Near and Middle East, Princeton 1958 vol.11



الفصل الخامس

الحـــرب العالمـية الثانيــة

1. المقدمة

1.1التمهيد

أهلاً بك، عزيزي القارئ، إلى الفصل الخامس من كتاب تاريخ العالم الحديث والمعاصر» وهو بعنوان «الحرب العالمية الثانية»، والذي خلاله نرى الضائقة الاقتصادية التي شملت العالم. اذ لم تكد تمضي على انتهاء الحرب العالمية الأولى عشر سنوات حتى اتضحت في معظم دول العالم مظاهر ضائقة كبرى عم معها الكساد الاقتصادي دول أوروبا وأمريكا، وبالتالي العالم كله نتيجة لتحكم أوروبا في اقتصاد المستعمرات وسيطرة الولايات المتحدة على الاقتصاد والأسواق العالمية. وكان من أهم مظاهر هذه الأزمة انكماش التجارة وخفض الأجور وأزمات البطالة وسوء أحوال المعيشة، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تستطع الدول المهزومة إعادة بناء اقتصادها في الوقت نفسه الذي تسدد فيه قروضها والتعويضات المفروضة عليها. كما أن الدول المنتصرة عجزت هي الأخرى عن سداد ديون الحرب وتحقيق الرخاء لشعوبها - فقد كانت مُدينة للولايات المتحدة وحدها بما يزيد على عشرة بلايين من الدولارات. وقد تعددت المشروعات الأمريكية لتسهيل الوفاء بديون الحرب والتعويضات، إلا أن الاقتصاد الأمريكي ذاته لم يسلم من الضائقة والكساد العالمي حتى عام 1934م.

ولقد أدت هذه الأزمة الاقتصادية إلى زعزعة النشاط الصناعي وإلى البطالة الجماعية، كما أثرت في الزراعة وتسببت في انهيار النظام النقدي وهبوط التجارة العالمية، وزعزعت تطور النظام الرأسمالي وهزت توازن القوى في المعسكر الرأسمالي ودعائم النظام الذي قامت عليه المعاهدات الإمبريالية التي أعادت تقسيم العالم في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وفي بعض البلدان أدت إلى ظهور دكتاتوريات جديدة، بحكم أن الكثيرين فقدوا الثقة بالنظم البرلمانية، مما مهد لقيام أنظمة حكم جديدة تعتمد على زعامة فردأو جماعة صغيرة تسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة.

ويلقي الكثيرون مسئولية نشوب الحرب العالمية الثانية على هذه الأنظمة الدكتاتورية، وذلك على اعتبار أن الأفراد الذين سيطروا على هذه الدول كانوا طموحين

ولا يحد من سلطتهم برلمان أو رقابة شعبية بإمكانها أن تراقب قراراتهم وتعترض على الخاطئ منها. ومن ناحية أخرى فقد عُني هؤلاء الزعماء بإنشاء الجيوش وتسليحها ودعمها باستمرار حتى تكون مستعدة لتنفيذ مآربهم عن طريق اللجوء إلى القوة. كما أنهم أثاروا الحماسة القومية المتطرفة لدى الجماهير وذلك لتسهيل السيطرة عليها وشغلها عن مشاكلها الداخلية ملوِّحين لها بأحلام توسعية مشروعة وغير مشروعة، مؤكدين لها أنها مؤهلة للمجد ومثيرين لها الأمجاد القديمة التي عفا عليها الزمن.

وكانت أحداث فترة ما بين الحربين (1919- 1939م) انعكاساً للتسويات العامة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والتي أثارت الحقد والاضطراب واليأس وخيبة الأمل. وهكذا أصبحت القوة الفيصل الأكبر في حسم المنازعات الدولية. كما ازداد التسلح بالتدريج في جميع أقطار أوروبا وفشلت عصبة الأمم في فرض سلطتها على الدول المعتدية، وأخذ الجو السياسي يتلبد بالغيوم وانتهكت حرمة المعاهدات ومبادئ القانون الدولي، ولاح للدكتاتوريات أن بإمكانها تنفيذ ما تريد باستخدام القوة أو التهديد باستخدامها.

أما الدول الديمقراطية الكبرى فقد أغمضت أعينها عن رؤية الخطر الداهم : فواصلت أمريكا سياسة العزلة واعتمدت بريطانيا على قوة أسطولها وعلو مكانتها الدولية فلم تبذل جهداً لوقف العدوان. وبدأت هي وفرنسا سياسة عرفت بسياسة " التهدئة " تميزت بالخمول الذهني والتراخي الأدبي والجبن السياسي. ومما ساعد على ذلك أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد أدت إلى انشغال الدول الغربية المنتصرة ببذل الجهود المستمرة من أجل الإنعاش الاقتصادي، مما صرفها عن شؤون التسلح ودعم الجيوش والأساطيل والوقوف بحزم في وجه أطماع الدكتاتوريات الجديدة. وهكذا انفسح المجال أمام كل من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية واليابان لإعاقة أي محاولات لوقف التسلح واللجوء إلى القوة لتنفيذ خططها التوسعية والعدوانية.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك ، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن :

1. تذكر المفاهيم والمصطلحات والتعميمات وتبين القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في الفصل.

2. تعرَّف الأسباب المباشرة وغير المباشرة للحرب العالمية الثانية.
3. تبين دور المصالح الاقتصادية للدول الاستعمارية في قيام الحرب العالمية الثانية.
4. تتبع مراحل الحرب العالمية الثانية وأدوارها.
5. تستنتج أثر الحرب العالمية الثانية على أوروبا بخاصة والعالم بعامة.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى خمسة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف السابقة إذ يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل. ويرتبط القسم الأول بالهدف الثاني الذي يتناول الاسباب المباشرة وغير المباشرة للحرب العالمية الثانية، اما القسم الثاني فيرتبط بالهدف الثالث الذي يتناول المصالح الاقتصادية للدول الاستعمارية في قيام الحرب العالمية الثانية. والقسمين الثالث والرابع يرتبطان بالهدف الرابع الذي يتناول مراحل الحرب العالمية الثانية وادوارها. اما القسم الخامس والأخير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهدف الخامس والذي يتناول اثر الحرب العالمية الثانية على أوروبا بخاصة والعالم بعامة.

4.1 القراءات المساعدة

القراءات التالية - عزيزي القارئ - مفيدة لتعمق فهمك لموضوع الفصل :

1. البطريق، عبد الحميد : التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960) دار النهضة العربية ، بيروت 1974 ص 243، 263 .
2. دروزيل، جـ . ب : التاريخ الدبلوماسي ، تعريب نور الدين حاطوم ، مطبعة جامعة دمشق 1962 ص 89، 96.
3. لاوند، رمضان: الحرب العالمية الثانية .دار العلم للملايين بيروت 1979. ص 41، 52.
4. Gantenbein James . W. Background of the World War 11 New York 1948.

2. أوضاع الدول الكبرى قبل الحرب العالمية الثانية

ولكي يتسنى لك، عزيزي القارئ، فهم هذه التطورات نجد لزاماً علينا أن نعرض للفاشية الإيطالية والنازية الألمانية، فان نجاحهما وإتباعهما وسائل جديدة لتحقيق أطماعهما قد أديا إلى إشاعة جو من الاضطراب السياسي في العالم، مما أغرى دولاً كثيرة بالإقتداء بهما، خاصة وأن النجاحات التي حققتاها قد أدت إلى قيام حركات مستوحاة منهما في كثير من أنحاء العالم. وكذلك نعرض أوضاع الدول الكبرى والأوضاع الداخلية التي تمر بها قبل قيام الحرب.

1.2 ألمانيا النازية

في عام 1919 أعلن النظام الجمهوري في ألمانيا. إلاأن النظام الجديد واجه انهيار النظام النقدي ومشكلة البطالة وصعوبات أخرى وبخاصة من جانب الشيوعيين الألمان الذين شجعهم قيام الثورة البلفشية في روسيا على محاولة تكرار التجربة نفسها في ألمانيا التي وجد بها أقوى حزب شيوعي في أوروبا خارج حدود الاتحاد السوفيتي. لهذا عمت ألمانيا موجة من القلاقل وعدم الاستقرار وسفك الدماء.

طلبت الحكومة الجمهورية تأيد المحافظين والعسكريين لها في مقاومة الشيوعية. وانتظم مئات من الضباط السابقين في تشكيلات هدفها قمع الحركة الشيوعية. وتشكيل الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) للعمال تحت زعامة أدولف هتلر وكان هتلر خيالياً جاف الطبع خطيباً فياضاً شديد الحماسة والبلاغة. يفيض قلبه اعتزازاً بجنسه الألماني. وكان يعرف كيف كانت ألمانيا عظيمة قوية قبل الحرب، وشعر أن بإمكانها أن تعود إلى سابق مجدها إذا ما تغلبت على مشاكلها. وكان شديد الإيمان بوجوب خضوع الجميع لسلطة الدولة. وقد جمع حوله عدداً من الأنصار الذين طالبوا باتحاد جميع الألمان في دولة ألمانية قوية وإبطال معاهدات الصلح وإرجاع المستعمرات الألمانية وإلغاء حقوق اليهود الانتخابية وتأسيس جيش وطني وهيمنة الدولة على الأعمال التجارية الكبيرة. كما هاجم أنصار المسالمة والنزعة العالمية والنظام الرأسمالي (عبد الحميد البطريق. 1974 ص 293).

وقد قام الحزب النازي على قدماء المحاربين الذين وزعوا كراهيتهم على الشيوعية واليهود والديمقراطية البرلمانية، وذهبوا إلى أن ألمانيا قد منيت بالخيانة على يد ذلك

الثالوث غير المقدس الذي أودى بالبلاد إلى هاوية الهزيمة والدمار الاقتصادي والفوضى السياسية. ثم كونوا عصابات مسلحة وضعت نفسها تحت تصرف من يوفر لهم فرصة اغتيال الشيوعيين او إرهابهم.

وبمضي الزمن نجح المحافظون والرأسماليون في ألمانيا في استعادة قوتهم وسيطرتهم على الاقتصاد القومي. وكان النازيون قد نجحوا في بناء جهاز سياسي ضخم مستغلين مشاكل البطالة وأصبحوا على استعداد للسيطرة على الحكم. وما حل عام 1933م حتى أصبح النازيون أقوى الأحزاب في البرلمان (الريخشتاج) الألماني. كما أصبح زعيمهم هتلر - بعد نجاح الحزب في الانتخابات - مستشاراً للرايخ أي رئيساً للوزراء ثم ما لبث أن أصبح رئيساً للجمهورية بالإضافة إلى رئاسة الوزارة. وقرر هتلر منذ البداية أن يشدد قبضته على الحكم، فحل الريخشتاج ودعا إلى انتخابات جديدة. وقبل أن تجرى هذه الانتخابات عمد هتلر إلى أشد وسائل العنف ضد المعارضين لحكمه، فتعقب صحفهم بالمصادرة والإغلاق ومنع اجتماعاتهم وقصر الإذاعة على أعضاء الحزب النازي وقبض على الزعماء الشيوعيين. لهذا سهل عليه الفوز بأغلبية ساحقة ظهر بعدها في الريخشتاج بلباسه النازي (القميص الرمادي الذي عليه شارة الصليب المعقوف) مطالباً أعضاءه بمنحه سلطات دكتاتورية. وما أن تم له ذلك حتى فض المجلس الى اجل غير مسمى.

وكان نجاح هتلر راجعاً إلى استغلاله سوء أحوال البلاد وبعثه الروح القومية والعسكرية وإثارة الحماس الوطني للتخلص من آثار الهزيمة. ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على نجاحه شعور الألمان بحاجتهم إلى رجل قوي يوحدهم وينقذهم من محنة الهزيمة والإذلال. كما ان كثيراً من الأغنياء ساندوا الحركة النازية خوفاً على ثرواتهم من سيطرة الشيوعيين فيما لو استولوا على الحكم.

1.1.2 أسس النازية

وما لبث هتلر أن قضى على الأحزاب المعارضة وحكمها بحزب واحد هو الحزب النازي الذي اهتم برعاية الشباب الألماني بدنياً وعسكرياً وخلقياً وتلقينهم المبادئ النازية الآتية :

1. التطرف في العقيدة القومية والعنصرية واعتبار الجنس الآري الذي ينتمي اليه الألمان - هو أحسن الأجناس وأرقاها - على حين أن اليهود هم أحقر الأجناس ولا

يقل عنهم شأناً سوى الزنوج. فلقد كانت النازية شديدة العداء لليهود فاتهمتهم بأنهم قد تسببوا في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى لهذا بادر النازيون إلى مضايقة اليهود واضطهادهم مما أدى إلى هجرة الكثيرين منهم إلى فلسطين وعملوا على قيام دولة يهودية على هذه الارض العربية.

2. والنتيجة العملية لنظرية الجنس الآري هي تبرير سياسة "المجال الحيوي" بمعنى أن تضع ألمانيا يدها على مساحة من الأراضي تكفي للوفاء بحاجاتها الاقتصادية - ومعنى هذا أن تتوسع ألمانيا على حساب جيرانها، ومن الطبيعي أن تكون الخطوة الأولى في هذا السبيل تحقيق وحدة الشعب الألماني وضم الأقليات الألمانية التي وضعتها معاهدة فرساي خارج الأراضي الألمانية وبخاصة في بولندة وتشيكوسلوفاكيا، وضم النمسا. الشعب الألماني كثيف العدد لابد له أن يحتل مكانه تحت الشمس، وبخاصة في أوروبا لا في المستعمرات - وكان من الواجب أن يحصل الألمان على حاجتهم من المواد الغذائية وهم أولى بهذه الثروة من سكان الاتحاد السوفيتي الذين ينتمون إلى جنس أدنى (السلاف) في رأي النازيين.
3. تمجيد الزعامة واعتبار الزعيم (الفوهرر) ممثلا للشعب بأسرة والفرد خادما للدولة والمجتمع. وتتفق النازية مع الفاشية في التضحية بالفرد من أجل الدولة.
4. عدم الارتباط بالدين وسلب الكنائس ورجالها كل سلطة تفوق سلطة الدولة.
5. إشراف الدولة الكامل على موارد ثروة البلاد حتى تتمشى اقتصاديات ألمانيا مع المبادىء النازية لهذا قامت النازية بإلغاء النقابات باعتبارها منظمات احتكارية معطلة لتقدم البلاد، وأحلت محلها " جبهة العمل الألماني ". وحرَّم الحكم النازي على العمال حق الإضراب والاعتصام، وتولت الحكومة حسم المنازعات بين العمال وأصحاب العمل.

2.1.2 سياسة هتلر الخارجية

وهكذا صمم هتلر على توسيع حدود ألمانيا ونقض شروط معاهدة فرساي، والواقع أن الحرب العالمية الأولى ما إن وضعت أوزراها حتى شرع الألمان في الاعداد لحرب عالمية ثانية. وقدذكر جوستاف كروب - رجل الصناعات الحربية في ألمانيا - أن بلاده لم تضيع وقتا بعد توقيع معاهدة فرساي إلا في وضع الأسس العلمية المتينة للاستعداد من جديد للعمل من أجل القوات المسلحة الألمانية ودون إضاعة أي وقت أو خبرات سابقة.

وما أن وصل هتلرإلى الحكم حتى قرر العمل على تطبيق البرنامج الذي وضعه في كتابه " كفاحي " حقيقة أن ألمانيا كانت قد دفعت التعويضات التي فرضت عليها بمقتضى معاهدة فرساي، ثم انضمت إلى عصبة الأمم إلا أنها كانت لا تزال تعاني من تحديد قواتها البرية والبحرية ومن نزع سلاح منطقة الراين وسلبها إقليم السار الغني بموارده الصناعية. وكان الحزب النازي يعمل على اتحاد ألمانيا مع النمسا واستعادة الأراضي التي ضمها جيرانها بمقتضى معاهدة الصلح. لهذا فما أن وصل الحزب إلى الحكم حتى دأب على تسليح ألمانيا على نطاق واسع وقلدته في ذلك إيطاليا الفاشستية.

لم يمض على وصول هتلر إلى الحكم أكثر من ثمانية شهور حتى أعلن في أكتوبر تشرين أول1933 انسحاب ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح ثم من عصبة الأمم. كما أعلن عدم تقيده بمعاهدة فرساي. لهذا قرر الاتحاد السوفيتي في عام 1934 الانضمام إلى عصبة الامم لكي يجعل منها منبراً يدافع فيه عن السلام ويندد بالعدوان وفي مارس/ آذار 1935 ألغت ألمانيا كل ما ورد في معاهدة فرساي بشأن نزع السلاح وقررت العودة إلى التجنيد الإجباري والعمل على زيادة عدد قواتها المسلحة. وقد استنكرت عصبة الامم هذا الإجراء وفي مايو أيار 1935 عقدت فرنسا تحالفاً مع الاتحاد السوفيتي لتبادل المساعدة في حالة الاعتداء على أحدهما.

وفي مواجهة هذا الحلف عملت ألمانيا على كسب ود إنجلترا، فعقدت معها اتفاقاً يقضي بألا تزيد قوة ألمانيا البحرية عن 35٪ من الأسطول البريطاني.

ولكن هتلر أراد زيادة عدد الجيش ففي عام 1936 كان عدد الجيش الألماني مبدئياً 26 فرقة. ولكنه في عام 1938 أصبح 42. وفي ذلك الحين ارتفع عدد الجيش الألماني إلى 1.5 مليون جندي بينما كان الجيش الفرنسي في اخر 1936 حوالي623000 جندي، ومن هؤلاء كان أكثر من 200000 في المستعمرات.

كان هتلر يطلب من الجيش الطاعة للنظام وعندما صرح بأنه سيأخذعلى عاتقه قيادة القوى المسلحة بمساعدة رئيس الأركان العامة، أصبح الجيش منذ ذلك التاريخ تحت رقابة الحزب القومي - الاشتراكي.

واهتمت الحكومة الالمانية أيضاً بالتعبئة الاقتصادية للحرب. فمنذ عام 1933 طبقت سياسة "المشاريع" لتوجيه الاقتصاد الألماني، حتى إن المشروع الثاني وهو

"مشـروع الأربع سنوات" الذي هيء في 1936 تحت إشـراف غورينغ، كـان موجـهاً بصراحـة نحو تعـبئـة الحرب. ونفـذ هذا المشروع في تنمـية صناعـة التسلح وصـناعة الاستعاضة (كالبنزين التركيبي، والكاوتشـوك التركيبي، والقطن الاصطناعي لتقوم مقام المواد الأولية الأجنبية).

وإذا كانت الخدمـة العسكرية تتويجاً لتـربية كل ألماني تربية أهلية فـإن هذه التربية تبدأ قـبل الدعوة إلى خدمة العلم. فـفي السن الرابعة عشـرة يدخل الأولاد في منظمة "الشبيـبة الهتلرية" ويتلقون في الوقت ذاته تربيـة رياضية وثقافـية ذات طابع عسكري. وفي السـن العشـرين يدخلون في خدمـة العلم التي كانت إجبـارية على جميع الشـباب الألماني بموجب قانون حزيران/ يونيو 1935. وعليهم أن يقوموا خلال ستة أشهر بتنفيذ أشغال ذات نفع عام. وكان هؤلاء الشبـاب، الذين يدخلون في خدمة العلم، يحشدون في معسكرات ويتلقون ثقافة قومية وثقافة تؤهلهم للحياة العسكرية.

ولإتمام هذه التعبئة قامت الحكومة وخاصة في أيلول سبتمبر1936، بتنمية كراهية الشيـوعيـة. وفي مؤتمر الحـزب في نورامبـرغ، كانت جـميع الخطب التي ألقـاها هتلر وأعوانه تتركـز حول هذه الفكرة نفسهـا " يجب على ألمانيا أن تكون عاملاً حـاسماً في النضال ضد البلشفية ".

وفي 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1937 عقد هتلر مؤتمراً سريعاً مع أعوانه الأساسيين وصرح بأن تسليح ألمانيا قـد انتهى عملياً وقال: «إن الرايـخ يملك لبضع سنين، وحتى عام 1944 تفـوقاً في التـسلح. وهذا التفـوق لا يكون بالطبع إلا مـؤقتـاً، وذلك لأن الأسلحة تتبدل، ولأن أسرار التسلح يصعب كتـمانها دائماً، وأيضاً لأن فرنسا وبريطانيا العظمى تشعران بالخطر وتقـومان بدورهما بجهد في التسلح». واخـتتم هتلر قوله «بأن على ألمانيا ألا تنتظر، بل يجب أن تحقق أهداف سياستهـا الخارجية وذلك باستفادتها من الدور الذي تملك فيه التفوق في التسلح».

2.2 الفاشية الإيطالية

دخلت إيطاليا الحـرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفـاء الغربيين على الرغم من حلفها مع ألمانيا والنمسا. وسبب ذلك هو طمعها في ضم الاقليات الإيطالية الداخلة في نطاق الإمـبراطورية النمـسوية وخـشيـتهـا على سواحلـها الطويلة من خطر الأسـاطيل

البريطانية القوية العاملة في البحر المتوسط. وبرغم أن الحرب قد انتهت لصالح الدول المتحالفة -ومنها إيطاليا- إلا أن الإيطاليين اعتبروا نصيبهم من غنائم الحرب اقل مما كانوا يتوقعون. هذا إلى أن ظروف الحرب قد أدت إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية وازدياد الضرائب واضمحلال تجارة البلاد الداخلية والخارجية. وكانت إيطاليا تعاني من ازدياد عدد السكان ونقص موارد الفحم والحديد. لهذا انتشرت البطالة وهبط مستوى العمال وتعددت حوادث الإضراب. فقد اعتقد العمال الإيطاليون بوجه خاص أن دخول بلادهم الحرب كان نكبة عليهم، فاشتد سخطهم وتحولت أعداد كبيرة منهم إلى الشيوعية وكثرت الاضطرابات وحوادث سفك الدماء.

وحين تراكمت ديون الحكومة نشب نزاع خطير بين الرأسماليين والاشتراكين. وفي عام 1921م شهدت إيطاليا ثورة اجتماعية عنيفة، إذ استولى العمال على المصانع بعض الوقت وطالب الفلاحون بالاستيلاء على الأرض. وشعرت الطبقات الغنية والوسطى بأن شبح الشيوعية يتهددها، فتطلعت إلى وجود حكومة قويةتحميها من الفوضى، ثم ما لبث أن قبلت

النظام الفاشستي برغم دعوته إلى زيادة الضرائب وذلك باعتباره أهون الشرين. وحينئذ وجدت إيطاليا في بنيتو موسوليني الزعيم المنشود.

1.2.2 نشأة موسوليني وجماعته

بدأ موسوليني حياته مدرسا ثم سافر إلى سويسرا لاستكمال تعليمه. وهناك اتصل بالمنظمات الاشتراكية وأسهم في نشاطها وحرر في صحفها. ولما عادإلى إيطاليا قبض عليه بسبب نزعاته الثورية. ثم حارب في صفوف الجيش الإيطالي خلال الحرب العالمية الاولى، وبعد انتهاء الحرب اشتغل بالصحافة وانضم إلى جماعة الفاشست التي نادت في عام 1914م بدخول إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء. وبعد انتهاء الحرب أثار الفاشست المشاعر القومية لدى الشعب الإيطالي الذي اعتقدأنه خدع ولم يتحقق ما كان يراه حقا له من الكسب نتيجة انضمامه إلى الحلفاء.

وتزعم موسوليني جماعة الفاشست التي أخذت تدعو إلى تنفيذ مشروعات إصلاحية ثورية هدفها إنقاذ إيطاليا من أزمتها، فطالبت بفرض ضرائب عالية على رؤوس الأموال والشركات ومصادرة بعض أموال الكنيسة لمصلحة الشعب ، هذا برغم

أن الحزب الفاشستي كان مناصرا لسلطة رجال الدين وعلى رأسهم بابا روما زعيم الكاثوليك في العالم. كما طالبوا بتحديد ساعات العمل بحيث لا تزيد على ثماني ساعات يوميا وغير ذلك من الإصلاحات التي كانت تلقى تأييدا شعبيا. ورحبت فئات كثيرة من الإيطالين المعادين للاشتراكية بحركة موسوليني ، ومن هؤلاء الفلاحون وكبار الملاك وأصحاب المصانع والأغنياء الذين كانوا يخشون شبح الاشتراكية والشيوعية. فقد اجتذبهم إلى جانب الفاشست ما قاموا به من حملات إرهابية مسلحة على اجتماعات الاشتراكين والشيوعين ومهاجمتهم لدور صحفهم وإحراقهم لمؤسساتهم.

2.2.2 الحزب الفاشستي الوطني

وفي عام 1921 أسس موسوليني "الحزب الفاشستي الوطني " ووضع لأعضائه لباساً خاصاً هو القميص الأسود، وجعل له تحية خاصة هي رفع اليد اليمنى على نمط التحية الرومانية القديمة، وكان الحزب الفاشستي معادياً لمنح النساء حقوق الانتخاب وينزع الى القومية والانفراد بالحكم ويعارض في تعصب شديد المبادئ الحرة وينزع إلى الدكتاتورية.

وطغت دعاية هذا الحزب وبرنامجه الإصلاحي على الأحزاب الأخرى القائمة في البلاد، فتقربت الحكومة القائمة وقتئذ من موسوليني وأنصاره. وفي أكتوبر/ تشرين أول 1922 زحف ثلاثون ألفاً من الفاشست على روما للاستيلاء على السلطة، وتم لهم ذلك دون سفك دماء. وما لبث الملك ان وكل إلى موسوليني تأليف الوزارة مما آذن بقيام الحكم الفاشستي في إيطاليا (عبد الحميد البطريق 1974،ص263).

ومنذ اللحظة الاولى انتقل نبوغ الدوتشي "بمعنى القائد " ونشاطه الجم إلى كل قسم من أقسام الدولة، فأصبح كل فرع من فروع الحكومة يطالب بمستوى جديد من الكفاية والنشاط ، وأنزل القصاص الشديد بالموظفين عديمي الذمة وبدأ تنفيذ أعمال ضخمة. وأدى ذلك إلى الترحيب بالفاشستية التي لم تعتبر نظاماً سياسياً فحسب بل اعتبرت مبدأ وديناً. فقد قاومت الفاشستية الشيوعية الدولية بمبدأ آخر يقوم على الاشتراكية القومية المتحمسة يقوده حزب سياسي منظم يدعو إليه ويفرضه على الأمة ويؤيد كل قوة تعمل على اتحادها ويقمع بشدة كل من يعمل على انقسامها. وهكذا أعيد التعليم الديني الى المدارس وتصالحت الدولة مع الكنيسة وقضى على كل انواع العداء في صفوف الامة. واذا كان الثمن الذي دفعه الايطاليون للمنافع التي جاء بها الدوتشي

هو فقدانهم للحرية، فقد أبدوا استعـدادهم لدفع أي ثمن في سبيل اعادة الاستقرار الى البلاد. ولقد أتيح لهـم زعيم، شعبي الاتجاه برغم استبداده، يسعى جاهداً لجـعل أمته قوية متـحدة، ولقد أدى نجاح موسوليني إلـى اثارة اعجاب بلدان أخرى بالفاشيـة وقيام جمـاعات او أحزاب فاشـسـتيـة في تلك الاقطار. ومن ابرز التنظيمات الـفاشستـية في الوطن العربي جماعة "مصر الفتاة" التي أنشأها أحمد حسين في مصر.

3.2.2 سياسة موسوليني الداخلية

اتجه موسوليني إلى القـضاء على الاشتراكيين المعارضين لحكمـه، فازدادت موجة إرهابهم على أيدي أعوانه ذوي القمصان السوداء، كـما قضى على الحياة البرلمانية برغم بقاء البـرلمان، وإن يكن قد تحول إلى أداة لا سلطة لهـا. وأبقى على النظام الملكي الذي حددت سلطته هو الآخر. وهكذا لم يوجد من ينازع سلطة الدوتشي الذي انفرد بتوجيه سياسة البلاد الداخلـية والخارجية ونصب نفسـه قائداً عامـاً للقوات المسلحة. وكان على كل من ينضم إلى الحـزب الفاشـستي أن يدلـي بالقسم الآتي : " أقـسـم أن أطيع بغيـر مناقشة أوامـر الدوتشي وأن أخدم أغراض الثورة الفـاشستية بكـل قوتي وأن أضحي في سبيلها بدمي إذا لزم الامر ". وقد عنى موسوليني بتدريب الشباب الإيطالي وكون منهم جماعات يشـرف عليها زعماء الحزب إشـرافاً كاملاً. وقد بلغ أفراد هـذه الجماعات في عام 1939 م قرابة خمسة ملايين شاب وقرابة ثلاثة ملايين من الفتيات.

أما القوة العسكرية فقد ارتفع عدد الطائرات من مائة طائرة عام 1932 الى 2000 طائرة عام 1939 كما أن عدد الجيش زاد بنسبة 70٪ بين عامي 1932، 1936 وأصبح عدد الغواصات 105 في عام 1936.

ولعل أهم ما يميز الفاشـستية في سياستها الاقتصـادية أنها كانت تهدف إلى إلغاء حرب الطبـقات عن طريق خلق التعاون بـين العمل ورأس المال. فلقد أعاد مـوسوليني تنظيم الاقتصاد الإيطالي بمـا يضمن رقابة الدولة عليه ويحقق مصالح أصـحاب الأعمال والعمال في الوقت نفسه. وقـضت التشريعات الاقتصادية الفاشـية بمنع إضرابات العمال ورفع أجورهم وخفض ساعات العمـل وتنظيم التجارة والصناعة والنقل والمهن الأخرى تحت إشراف هيـئات مختصـة تقرر شؤون العمل في كل قطـاع منها ويمثل فيهـا العمال وأصحاب الأعمـال. وقد حقق التنظيم الاقتصادي هدفـه الخاص بزيادة الأنتاج الزراعي

والتوسع في استغلال مساقط المياه لتوليد الكهرباء وتحسين طرق النقل ووسائل النهوض بالإنتاج الصناعي للبلاد.

4.2.2 سياسة موسوليني الخارجية

ولما كانت الفاشية حركة وطنية متطرفة فقد تبنت سياسة خارجية توسعية تعيد لإيطاليا مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة، لهذا أعلن موسوليني أن البحر المتوسط بحر إيطالي، كما طالب لإيطاليا بتونس وجزيرة كورسيكا ونيس وسافوي، وكلها تابعة لفرنسا مما أدى إلى سوء العلاقات بين الدولتين.

وكانت إنجلترا قد حاولت إرضاء إيطاليا على حساب مصر، فساعدتها على ضم واحة جغبوب المصرية إلى ليبيا الواقعة تحت الإحتلال الإيطالي. ولما كانت إيطاليا قد حصلت في أواخر القرن التاسع عشر على بعض الأملاك في شرقي إفريقيا فإنها كانت تطمع في ضم الحبشة التي كانت قد استطاعت الدفاع عن استقلالها وهزيمة القوات الإيطالية (1895م). وأعاد موسوليني الكَّرة وضع شده في عام 1935م فغزا الحبشة التي دافع شعبها ببسالة عن استقلاله مستعملاً اسلحته البسيطة في مواجهة تفوق السلاح الايطالي الذي أدى في النهاية إلى ضم الحبشة إلى أملاك إيطاليا، التي ازدادت أطماعها وتطلعت إلى السيطرة على مصر والسودان. ولما كان من شأن هذه الاطماع أن تثير بريطانيا المسيطرة على عصبة الامم، فقد انسحبت ايطاليا من العصبة وتقربت من ألماني النازية. وفي عام 1935 غزت إيطاليا ألبانيا بقصد تعزيز سيطرتها على بحر الأدرياتيك. وأصبح فكتورعمانوئيل ملكاً على إيطاليا والبانيا وامبراطورا على الحبشة، وإن بقيت السلطة في يد رئيس وزرائه موسوليني.

3.2 فرنسا

كان هاجس فرنسا حكومة وشعباً هو ألمانيا ومدى قدرتها على النمو الاقتصادي والعسكري والسكاني. وكانت هذه المخاوف مثار حديث كافة الأوساط، وفي نفس الوقت كانت مثار خلاف شديد فيما بينهما، وبسبب عدم قدرة حكومات فرنسا على التحكم في السياسات الدولية من جهة، وبسبب فشل هذه الحكومات في أن تحصل على أغلبية برلمانية، وذلك لأن فرنسا كانت دولة كثيرة الأحزاب، لا يستطيع واحدمنها أن يحصل على أغلبية في البرلمان، ومن ثم كانت حكومة ائتلافية تراعي أحيانا سياسات

حزبية متعارضة الأمر الذى يجعل الحكومة الفرنسية غير قادرة على وضع سياسة خارجية أو داخلية واضحة المعالم ثابتة الأهداف.

بل إن بعض الوزارات لجأت إلى أسلوب إصدار المراسيم بدلا من تقديم مشروعات هذه المراسيم إلى مجلس البرلمان وفقا للأصول البرلمانية الديمقراطية، وذلك كي تستطيع تنفيذ هذه المراسيم دون عرقلة مستطاولة من جانب البرلمان. وكان هذا ما لجأ إليه (لافال). وإن كانت لهذا الأسلوب ميزته إلا أنه كان محل نقد شديد من جانب أنصار الديمقراطية بل ومن جانب أصحاب الدعوة إلى تقوية الهيئة التنفيذية.

حدث هذا في وقت أخذ العالم يتجه إلى تركيز السلطات التنفيذيه في يد زعيم قوي يستطيع أن يدفع عجلة الدولة الإنتاجية والسياسية نحو التفوق والعظمة. ولقد شاهد الفرنسيون ذلك في عدوتهم التقليدية ألمانيا، فانزعجت، وقويت نداءات الإصلاح والتغيير الجذري ومقاومة الفساد الإداري وتقوية قدرات الدولة العسكرية والإنتاجية

ولقد كان يحق لفرنسا فعلا أن تزداد خشية سنة بعد أخرى من ألمانيا، فلم يكن حلفاء فرنسا يساندونها بقوة بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبح عليها أن تعتمد على قدراتها الذاتية في مواجهة ألمانيا المتطورة. ومع أن فرنسا عقدت سلسلة من المحالفات مع دول صغيرة مثل (يوغوسلافيا- رومانيا - تشيكوسلوفاكيا) ومع هولنده، إلا أن مثل هذه الدول الشرقية لاتستطيع أن تشكل جبهة ردع لألمانية، وظلت مخاوف فرنسا قائمة من صدام بين الدولتين على شاكلة ما حدث بين بسمارك ونابليون الثالث، خاصة بعد ذلك النمو السريع في اقتصاديات ألمانيا في الثلاثينات،وهو نمو اقتصادي يعطي الفرصة لنمو عسكري سريع.

كان ذعر فرنسا من نمو ألمانيا(المهزومة)، خاصة في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين، وما بعد ذلك.وقد تحدثت إحدى الصحف البريطانية في أوائل يناير- كانون الثاني1933 عن نمو ألمانيا قائلة:

«أصبحت ألمانيا. . .أقوى دولة في أوروبا من الناحية الاقتصادية، فهي تملك الصناعات. وأكثرها كفاية وهي على استعداد لإغراق العالم كله بالسلع الرخيصة.فهي منافس حاد وخطر اقتصادي لا على دول أوروبا الوسطى وحدها وإنما على جميع الدول الأوروبية دون استثناء».

لقد أصبحت فرنسا في حاجة إلى حكومة قومية تستطيع أن تواجه حكومة برلين النازية الهتلرية وحكومة موسوليني الفاشستية. ولكن الحكومة الفرنسية ما كانت لتصبح على شاكلة هذين النظامين إذ أنهما لا يتلاءمان مع طبيعة الشعب الفرنسي، الذي كان قد ذاق حلاوة الحكم الاستبدادي المطلق (لويس الرابع عشر) والثوري المستبد (زعماء الثورة الفرنسية) والجماعي المضطرب (حكومة الادارة) والملكي الدستوري الضعيف (لويس الثامن عشر وشارل العاشر) والامبراطورى الفردى (نابليون الاول) والإمبراطورى الدستوري (نابليون الثالث)، والجمهوري الديمقراطي الحزبي الانتخابي الإمبريالي (الجمهورية الثالثة). واستقرت أوضاع الحكم عند دستور هذه الجمهورية، وأصبحت تشبع ميول الفرنسي الديمقراطية وأعطته فرصة العظمة الحقيقية التي كان يبحث عنها منذ واترلو(1815م).

إذاً، كانت فرنسا تبحث عن حكومة قوية لا فاشستيه ولا نازية وإنما ديمقراطية حزبية، برغم ما كانت تتعرض له الديمقراطية الغربية من هجمات ونقد مرير. ومن ثم كانت محاولات اليمين للسيطرة على الحكم، ومحاولات اليسار المتطرف للوصول إليه لاتجدي، وحيث أن العصر أصبح عصر الطبقة الكادحة، وقيمة الحكومة تتركز في برنامجها الاشتراكي. وقيمة الحزب في مدى ارتباطه بالطبقة العمالية والفلاحين، وحيث إن العديد من الأحزاب اليسارية كان قد ظهر في فرنسا، فإن مثل هذه الأحزاب اليسارية تكون مرشحة لتسلم السلطة لو اتحدت فيما بينها.

ولكن ما كان بين الأحزاب اليسارية من خلافات ظل يحول لفترة طويلة بين تكوين جبهة منها، حتى شعرت هذه الأحزاب أن هناك خطراً مشتركاً عليها لو ظلت هكذا مفككة، إذ سيؤدي الأمر -من وجهة نظرها -إلى تفوق حزب فاشستي أو على طراز الفاشست. ومن هنا تكونت (الجبهة الشعبية) من الأحزاب اليسارية للوصول إلى الحكم ولتنفيذ برنامج إصلاحي شامل.

وكانت الجبهة الشعبية مؤلفة من عشرة أحزاب تختلف في ميولها نحو البروليتاريا ونحو البرجوازية وهي :

1. الحزب الراديكالي. 2. الحزب الشيوعي. 3. الحزب الاشتراكي.
4. عصبة حقوق الإنسان. 5. حركة الكفاح. 6. الاتحاد العام للعمل الموحد.
7. الاتحاد العام الكونفدرالي للعمل. 8. لجنة المثقفين المناهضة للفاشست.
9. اللجنة العالمية ضد الفاشية والحرب. 10. الاتحاد الاشتراكي الجمهوري.

وكانت هناك مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية قد أسهمت في ظهور "الجبهة الشعبية" في عام 1935 في فرنسا وأهمها عزيزي القارئ ما يأتي :

1. كانت الشقة في الحكومة الفرنسية قد اهتزت بشدة بسبب عدم وجود حزب قوي صاحب أغلبية يسندها ويعطيها القدرة على الاستمرار لمدة طويلة نسبياً في الحكم. وكانت الخلافات بين الزعامات السياسية المتعددة المتتالية تحول دون أن يكون لفرنسا سياسة خارجية أو داخلية محددة المعالم باستثناء سياسة التصلب ضد ألمانيا.
2. تعدد الأحزاب دون أن يتفوق واحد منها، وضعف الحكومة عن تنفيذ خطط إصلاحية راديكالية بسبب النقص في سلطات الهيئة التنفيذية الأمر الذي أدى إلى تقوية السلطة التنفيذية خاصة بعد ذلك التركيز الهائل في سلطاتها في إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية.
3. الفضائح المالية الضخمة التي تورط فيها رجال الحكم والبرلمان والموظفون والدعوة التي قويت لإجراء تطهير في النظام الفرنسي الديمقراطي الذي كان مجال تهكم كل من موسوليني وهتلر.
4. كان توقيع المعاهدة السوفيتية الفرنسية وإبرامها في عام 1936 دافعاً لمهادنة الشيوعيين الفرنسيين للحكومة الفرنسية، بل والدخول في تكتل للأحزاب اليسارية لمقاومة النظم الفاشستية والنازية.

هذا التجمع اليساري لم يلبث أن وجهه تجمع قوي يميني كان مستعداً للتلاعب بسعر الفرنك نكاية باليسار الأمر الذي عمق البغضاء بين اليسار الفرنسي والأوليجاركية المالية المتحكمة في مقدرات البلاد. إذ كان بنك فرنسا موجهاً بواسطة كبار أصحاب الأسهم فيه، وهؤلاء كانوا قادرين على التحكم في اقتصاديات البلاد.

كان هذا التجمع اليساري معداً لمواجهة الانتخابات الجديدة، وقد تفوقت فيها (الجبهة الشعبية) برئاسة (ليون بلوم) وتشكلت وزارة من كبار اليسار الفرنسي دون أن يشترك فيها الحزب الشيوعي، وإنما أيدها النواب الشيوعيون.

وسارت خطة " الجبهة الشعبية " على أساس إحداث تغييرات راديكالية في التنظيم والإدارة والتشريع العمالي واقتصاديات الإنتاج والمال بشكل يكفل لفرنسا قوة قادرة على التصدي لألمانية النازية المتطورة.

ولهذا عملت الجبهة الشعبية بعد أن تسلمت الحكم على وضع سلطات قوية في يدها كي تصبح قوة تنفيذية فعالة وهو أمر كانت تطالب به هيئات فرنسية متعددة. وفي نفس الوقت عملت على تصفية الهيئات الفاشستية التي انتشرت في فرنسا.

ومن حيث الإصلاح الإداري، كان للجبهة الشعبية برامج وأهداف عديدة، وأقدمت على الكثير ولكن العبء كان أعظم والفساد الإداري كان أعمق من أن تتمكن حكومة واحدة من تطويرها. إلا أن مراسيمها لتحسين حال العمال من حيث ساعات العمل وزيادة الأجر كانت أكثر توفيقاً وأكثر الإصلاحات تعرضاً للنقد بعد ذلك. فقد قللت " الجبهة الشعبية " من ساعات العمل وجعلتها أربعين ساعة في الأسبوع، وزادت من أجر العامل، وأممت بعض الصاعات المتعلقة بالإنتاج الحربي، ومع هذا كانت النتائج غير كبيرة، وكان النقد أكبر، وكان الخلاف بين الزعامات في داخل "الجبهة الشعبية " واضحاً، ولهذا لم تعش هذه الجبهة في الحكم طويلاً، وسقطت وزارة (ليون بلوم) لعدم قدرتها على مواجهة الأزمة الاقتصادية في فرنسا مواجهة فعالة.

ولا شك أن قدرات "الجبهة الشعبية" على إحداث تغيير جذري كانت محدودة، ولا شك أيضاً أن الظروف التي حكمت فيها أعطت للمشكلات الدولية أهمية أكبر بكثير من المشكلات الداخلية، فقبل أن تتولى الجبهة الشعبية الحكم كانت القوات الألمانية تستولي على الراين، وتوالت العمليات العدوانية من جانب الدكتاتورية الإيطالية على الحبشة، والدكتاتورية اليابانية على الصين، والتدخلات الإيطالية والنازية والسوفيتية في الحرب الأهلية الإسبانية فطغى كل هذا على جهود "ليون بلوم " في إصلاح الوضع الداخلي.

4.2 بريطانيا

ظلت بريطانيا ذات استقرار سياسي على أساس التنافس بين الأحزاب الثلاثة الكبيرة : (حزب المحافظين، حزب الأحرار، حزب العمال).

وكان يدور جدل حول النظام الوزاري البريطاني، ولكن دون التعرض له، وكانت الأزمات الكبرى الداخلية التي تعرضت لها بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى تتركز في:

1. إضراب 1926 وأزمة الصراع بين العمال والمحافظين.

2. الأزمة الاقتصادية الدولية الكبرى 1929.

3. المشكلة الايرلندية المزمنة.

4. تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش 1936.

كانت قوة التيار الاشتراكي قد ظهرت في بريطانيا - مثل غيرها من دول أوروبا - بعد الحرب العالمية الاولى. فمنذ 1920 كانت تقع - من وقت لآخر - إضرابات يقوم بها عـمال المناجم وتشكلت لجنة لـدراسة أسبـاب هذه الإضرابات، وفي التـقرير الذي أعدته هذه اللجنة اتهام واضح للنظام الذي كان متهما بشأن ملكية مناجم الفحم والمطالبة بإعادة النظر فيه لصالح نظام يتضمن نوعاً من الإدارة العامة لتلك المناجم تراعى مصالح العـمال. إلا إن حكـومة المحـافظين - التي تغلبت فـي انتخـابات 1921 على كل من الأحرار والعمال - أهملت متعمدة الأخذ بتلك التوصية الثمينة.

وكان أن هدد العمـال بإضراب عام في 1921 ولم تتجنبه حـكومة المحافظين الا بشق الأنفس. ولكن قرر عمال المناجم الإضراب مرة أخرى في مايو/أيار 1926 بعد أن فشلت مفاوضاتهم مع الرأسمالية المتحكمة والتي كانت تسعى إلى تخفيض أجر العمال. ويختلف إضراب 1926 عن سابقـه بأنه كان واسع النطاق إذ أعلنت تجمـعات عمـالية عديدة تأييدها لإضراب عمال المناجم، وهي :

1. عمال السكك الحديدية والنقل.
2. عمال المطابع.
3. عمال البناء.
4. عمال مناجم الحديد والصلب.

وإلى جانب ذلك بعض المـشتغلين في الميـدان التجاري، وأصـبح هذا الإضراب المحك الذي سيكشف مدى صلابة العمال في مواجهة أصحاب رؤوس الأموال والدولة.

عـزمت حكومة المحـافظين على عـدم نجاح الإضـراب عن طريق إدارة المحطات والمراكـز الصناعيـة والسيطرة علـى أحواض الشـحن والتفـريغ والمواصلات الداخليـة، وصمدت حكومة المحافظين قوة أمام هذا التكتل الـعمالي. بل عملت على تفتيت قوى الإضراب العام بإصدار مرسوم في 1927 بعدم شرعية الإضرابات المؤيدة او الإضرابات التي تحرج الحكومة وتهدد الأمة.

وعندمـا وقـعت الازمـة الاقتـصـادية الدوليـة (1929) وتدهور سـعـر الجنيـه الإستـرليني، كان العـمال - برئاسـة رمزي مكدونالد - قـد وصلوا إلى الحكم. ولكن

كانت المعضلة الاقتصادية معقدة اضطرت مكدونالدإلى تكوين حكومة اتحاد وطني (صيف 1931). عملت على تخفيض النفقات والمرتبات تجنباً للتضخم النقدي وزيدت الرسوم الجمركية على الواردات وتقوية الروابط الاقتصادية بين بريطانيا ومستعمراتها. وكل هذا كان يبعد بريطانيا عن سياستها التقليدية الخاصة (بالتجارة الحرة). ولكن بصفة عامة كانت قدرات بريطانيا الاقتصادية في نمو مطرد ساعدها في ذلك اتساع إمبرطوريتها.

وإذا كانت السياسة الداخلية والاقتصادية مستقرة في بريطانيا وتؤدي إلى تنمية مواردها وزيادة استغلالها لإمبراطوريتها كانت سياستها الخارجية في نظر العديد من المؤرخين - وبخاصة المؤرخوين السوفيت - هي المسئولة عن تشجيع هتلر على متابعة مغامراته العدوانية ضد معاهدة فرساي وضدأوروبا الشرقية فيتهم هؤلاء المؤرخون حكومة بريطانيا بعد الحرب بما يلي :

1. تحريض المانيا على التوسع في اتجاه أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي.
2. تقوية البرجوازية القومية المتطرفة النازية عسكرياً بمدها بالسلاح والخبرة الفنية والعسكرية، وسارت الولايات المتحدة الأمريكية في نفس الاتجاه الخطر.
3. وقفت حكومة بريطانيا إلى جانب النازية الهتلرية بصراحة عندما عقدت معها اتفاقياً بحرياً في يونيو/حزيران (1935) الذي يمنح لألمانيا الفرصة لبناء الغواصات بمعونة مالية وفنية بريطانية. وقضت بذلك حكومتا بريطانيا والولايات المتحدة على تنفيذ نظرية (الأمن الجماعي) التي كان يتمسك بها الاتحاد السوفيتي.

وكان تشمبرلن - زعيم المحافظين - يعتقد أن التفاهم المباشر مع ألمانيا خير من السير وراء وهم (الأمن الجماعي) حتى لقد استبعد فكرة عقد مؤتمر اقترحه روزفلت - رئيس الولايات المتحدة الامريكية - لتخفيف حدة التوتر العالمي، وآثر أن يستمر في مفاوضات ومساومات مع هتلر حتى لقد عرض على هتلر فكرة التسوية الشاملة للمشكلات الدولية، وإعادة بعض المستعمرات إلى ألمانيا. ولكن هل كانت حكومة لندن صادقة في مساعيها، أم أنها كانت تريد شراء السلام من هتلر بأي ثمن مؤقتاً حتى توقعه في أزمة حياة أو موت مع الاتحاد السوفيتي وفرنسا ؟ وأغلب الظن أن تشمبرلن كان يلعب لعبة كبيرة للغاية تجلت في موقفه المحايد من ضم هتلر للنمسا ومن مفاوضات ميونخ 1938 م .

3. الأزمات الدولية قبل الحرب

1.3 الحرب الأهلية الإسبانية

كانت أسبانيا، عزيزي القارئ، تعاني من التدهور العام الذي أصابها بعد فقدانها مستعمراتها في أمريكا الجنوبية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبعد حربها الخاسرة ضد الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1898. وكانت الملكية الحاكمة تستند على كنيسة كاثوليكية متزمتة، وعلى الحكم الدكتاتوري وعطلت العمل بالدستور. إلا أن قوى التغير كانت أقوى من الرجعية الحاكمة، وانتشرت الأفكار اللبرالية في الجامعات والأفكار الاشتراكية بين العمال، وزاد من هذا التطور اللبرالي عمق الفساد في البلاط الملكي وبين الإرستقراطية المتنفذة.

ونظراً لعدم وجود زعامة قادرة على تكتيل قوى المعارضة للأتوقراطية الحاكمة، ونظراً لنمو العسكريين المؤيدين للملكية، كانت الثورات التي قامت قبل الحرب العالمية الأولى غير فعالة، مثل ثورة برشلونة 1909. ولكن جاءت الهزة الشديدة التي هزت المجتمع الإسباني بكافة قواه من المغرب.

ففي عام 1921 تمكن مجاهد عربي من تجميع القوى الوطنية حوله ضد الاستعمار الإسباني ونجح عبد الكريم الخطابي في إنزال كارثة بالجيش الإسباني راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف قتيل.

كانت الهزيمة العسكرية شديدة الوطأة على الحكومة والشعب الإسباني، ولكن الأشد منها ما تبع ذلك من ذيوع الفضائح التي انغمس فيها الملك الفونسو الثالث عشر نفسه.

ولكي ينقذ الملك نفسه ورجاله من أن تكشف الأمور على حقيقتها أمام الشعب لو تولى الوزارة وطنيون من ذوي النزاهة خاصة بعد أن وقف البرلمان والصحافة والطلبة إلى جانب تقصي حقائق النكبة العسكرية وأسبابها، عمل على إسقاط الحكومة القائمة حينذاك، وإقامة حكومة ديكتاتورية برئاسة الجنرال بريمو دى ريفيرا (سبتمبر - ايلول 1923).

وسرعان ما حل البرلمان، وقيد الحريات ونفى المعارضين، وسيطر بقبضة من حديد على البلاد. ولكن مثل هذا الأسلوب من الحكم الدكتاتوري الذي يعارض

المشكلات الحقيقية لقلق الشعب لا يعيش طويلاً إذ يفقد شهراً بعد آخر المؤيدين حتى يجد نفسه أعزل معتمداً على القوة العسكرية، فإن هو فقد تأييدها سقط بسرعة، وهذا ما حدث لبريمودي رفيرا في عام 1929 واضطر إلى الاستقالة عام 1930 بين مظاهر المطالبة بالحكم الانتخابي النيابي الدستوري.

وجد الملك أن التيار التقدمي أقوى من أن يقاوم، ولهذا أصدر مرسوماً بإجراء الانتخابات وإطلاق الحريات. فكانت فرصة كبيرة لزعماء الحركات الاشتراكية للوصول إلى المجلس النيابي وإلى كرسي الوزارة. وكان أن أحرزت الأحزاب الجمهورية نصراً إنتخابياً ضخماً، وآثر الملك أن يغادر البلاد بينما أعلنت الجمهورية في 1931. وتولى زامورا رئاستها المؤقتة وتشكلت حكومة اشتراكية يسارية مناهضة للكنيسة والملكية والدكتاتورية العسكرية.

وفي يوليو/ تموز 1936 م نشبت الحرب الأهلية الاسبانية التي زادت في تأزم الموقف الدولي. ففي عام 1931 قام النظام الجمهوري في إسبانيا وظل مضطربا حتى جرت الانتخابات النيابية في فبراير/ شباط 1936. وانتصرت فيه الجبهة الشعبية - ذات الاتجاه اليساري - وألفت الحكومة التي ضمت الاشتراكيين والشيوعيين. وبدأت الحكومة الجديدة تتخذ بعض الإجراءات الثورية كتأميم الملكيات الكبيرة وإبعاد الكنيسة عن السيطرة على التعليم وغير ذلك. واتحد أنصار الكنيسة مع كبار الملاك وبعض ضباط الجيش لمعارضة الحكومة الجديدة. وبدأ القواد المناصرون للملكية الحرب الأهلية التي استمرت ثلاثة أعوام. وقامت بعض الفرق العسكرية في مدن إسبانيا وكذلك القوات الإسبانية التي كانت ترابط في مراكش بحركة عصيان ضد الحكومة. ونزل الجنرال فرانكو - الذي أصبح قائداً للجيش - إلى مراكش الإسبانية ومنها قاد القوات المتمردة لغزو إسبانيا من الجنوب.

ولقد تكاتفت القوى التقدمية في شتى أنحاء العالم لنصرة حكومة إسبانيا الشرعية فوفد المتطوعون إلى إسبانيا للانضمام إلى قوات الجبهة الشعبية، كما انضم آخرون إلى قوات الجنرال فرانكو. فبرغم أن هذا الصراع كان يشكل مسألة إسبانية داخلية، إلا أن الحرب الأهلية الإسبانية كانت بالغة الأهمية لأن كلا الخصمين استعان بقوى خارجية - فأعتمد فرانكو على تأيد ألمانيا وإيطاليا بينما اتجهت الجبهة الشعبية إلى الاستعانة بالدول الديمقراطية، فتوافد لنجدتها المتطوعون من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة. وكانت

الحكومة الجـمهورية تعول على التـأييد الرسمي من جـانب هذه الدول، إلا أن الحكومة البريطانية اقترحت مبدأ عدم التدخل على اعـتبار أنه كفيل بانتصار الجمهورية. ولم يلب طلب الجبهـة الشعبيـة الإسبانية للمسـاعدة على نطاق واسع سوى الاتحاد السـوفيتي. وبدت الحـرب الأهلية الإسـبانيـة وكأنهـا صورة للـنزاع العقـائدي في العالم بين دعـاة الاشتراكـية والديمقراطية وأعدائهـما. وهذا مما يفسر العنف الذي تميـزت به الحرب: وقد تدفقت الأسلحة والمتطوعون من شتى الدول إلى جانب طرفي النزاع. وفي عام 1938 م بلغ عدد القوات التي أمدت بها ايطاليا الفاشـستية فرانكو 10,000 جندي كانوا مسلحين بأحدث الأسلحة الألمـانية. وفي مارس/آذار 1939 دخل فرانكو مدريد بعـد أن كان قد استولى على معظم المدن الاسبانية. وكان انتصار فرانكو يعني انتصار القوى الفاشية التي أقام نظام حكمه على منوالها. وهكذا كانت الحرب الأهلية الإسبانية من مقدمات الحرب العالمية الثانية.

2.3 الاستعمار الإيطالي للحبشة

كانت فرنسا وبريطانيا منذ 1906 متفوقتي النفوذ في الحبشة. وأي توغل إيطالي فيـها يعني التصـدي لهاتين الدولتين مـعا. ولكن في الثلاثينـيات ضعـفت إمكانية هذا التصدي الأنجلو - الفرنسي بسـبب اختلافات جوهرية في مجالات السـياسة الدولية بين فرنسا وبريطانيا. إذ كانت فرنسا تخشى التصدي لمشروعات إيطاليا الإستعمارية في شرق إفريقـية ، فقـد يؤدي ذلك إلى تقارب بين إيطالـيا وألمانيا أو إلى تركـيز نشـاط إيطاليا الاستـعماري في حـوض البحر المتـوسط الأمر الذي يثيـر الكثير من المتـاعب في وجه الفرنسيين هناك.

كانت الحبشة قد دخلت عضواً في عصبة الأمم منذ 1923 ، واستعمارها بواسطة إيطاليا يعتـبر سابقة خطيـرة تهز كيان عصـبة الأمم هزة قاتلة، إذ أن العصـبة تقوم على أساس نظرية الأمن الجـماعي للدول الأعـضاء وضمـان سلامة هذه الدول. ومـا كانت الدول لتقبل مثل هذا الافتئات على عضو في العـصبة حيث قد تتعرض أية واحدة منها لنفس المصير ولكن وبرغم كل هذا ، فإن موقف الدول الكبرى هو الذي يمكن أن يعطي لهذه المفاهيم القوة اللازمة أو التخاذل الذي يجعل قيمة هذه المفاهيم في الحضيض.

وكـان موسـوليني يدرك أن كل شيء يمكن التـفاوض عليـه والمسـاومة عليـه مع حكومة بريطانيا وحكومة فرنسـا التي تخشى من وقوع تحالف ألماني - إيطالي. ومن هنا

سارت الاستعدادات العسكرية الإيطالية جنباً إلى جنب مع المفاوضات السرية مع حكومتي باريس ولندن.

وكان العامل الاقتصادي واضحاً في وقوع العدوان الإيطالي على الحبشة، فقد قامت بعثات علمية إيطالية بدراسة إمكانيات الحبشة الاقتصادية، وكتبت هذه البعثات الكثير من التقارير التي تتحدث عن الثروات الضخمة الزراعية أو المدفونة في باطن الأرض.

وكانت معالجة الفاشست للأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها إيطاليا منذ 1929كجزء من الأزمة الاقتصادية الكبرى العالمية ولا ينطوي حلها على حل جذري، وبالتالي تعرضت إيطاليا لموجة متصاعدة من البطالة. فاتجه الفاشست إلى امتصاص هذه البطالة عن طريق التوسع في التجنيد العسكري والتوسع في التجهيزات العسكرية، وهذا يضع في يد الحكومة إمكانيات عسكرية كبيرة تمكنها من تحقيق التوسع الاستعماري ومواجهة أزمة البطالة وأزمة الكساد في آن واحد.

ثم إن إيطاليا وهي تحتل أريتريا - كانت تستطيع أن تفرض كلمتها على بريطانيا إذا ما أرادت هذه القيام بمشروعات لتنظيم عمليات تخزين مياه روافد النيل في الحبشة. فعندما ما أرادت بريطانيا إقامة سد على بحيرة تان، دخلت معها ايطاليا في مساومات انتهت في 1925.

وكانت العلاقات الاقتصادية بين الحبشة وإيطاليا تنمو بسرعة وفق خطة إيطالية، فمع أن إيطاليا وقعت ميثاق صداقة مع ا لحبشة في 1928، إلا أن التغلغل الاقتصادي كان ينمو بشكل يهدد استقلال الحبشة لدرجة أن الامبراطور هيلاسلاسي سعى إلى جذب رؤوس الأموال الأمريكية تجنباً لسيطرة الأموال الإيطالية من جهة وحتى يوقف الضغوط الاقتصادية على الحبشة من جهة أخرى. ولكن قوة الجوار الإيطالي للحبشة، وعدم وجود مواضع قدم أمريكية في المنطقة، ووقوف بريطانيا وفرنسا موقفاً سلبياً إزاء هذا التغلغل الإيطالي، جعل موسوليني يشدد من ضغوطه على الحبشة، في انتظار الفرصة الملائمة للاستيلاء عليها.

وجاءت هذه الفرصة في وقت كانت فيه العلاقات الدولية معقدة عامي 1934 ، 1935 ففي ديسمبر - كانون أول 1934 وقع نزاع مسلح بين القوات الحبشية والإيطالية حول تبعية قرية (وال وال) وقتل في هذه الحادثة حوالي الثلاثين من الجند الإيطاليين.

ومع أن القوات الإيطالية استولت على القرية إلا أن موسوليني أمعن في المطالبة بالتعويضات، ورفض أية مناقشة بشأن التحقيق عن تبعية (وال وال) للصومال الإيطالي.

أما الحبشة فقد استنجدت بميثاق العصبة، وطلبت التحكيم طبقاً لميثاق الصداقة الإيطالي الحبشي، ولكن تابعت إيطاليا ضغوطها وحشودها العسكرية برغم مطالبة عصبة الأمم لإيطاليا بتسوية الأزمة على أساس من الميثاق الإيطالي الحبشي. ولكن ضربت إيطاليا عرض الحائط بالحلول السلمية وزحفت جيوشها إلى قلب الحبشة.

ولم تضعف عزيمة موسوليني، برغم تحرك الأسطول البريطاني إلى البحر المتوسط، وبرغم موافقة عصبة الأمم على فرض العقوبات ضد ايطاليا، حيث أن بريطانيا كانت تناور فقط ولا ترغب في أن تكون الحبشة سبباً في حرب مع إيطاليا، وحيث أن العقوبات التي فرضتها عصبة الأمم كانت ذات طابع إقتصادي فقط، لم تكن مجدية ولم تقلل من تحركات إيطاليا العسكرية.

وكانت آخر محاولة بذلت لإنقاذ الحبشة تلك التي قام بها "هور" خلال محادثاته مع "لافال" حول تنازل الحبشة عن قسم متسع جداً من أراضيها لإيطاليا في مقابل حصول الحبشة على مخرج لها إلى البحر عند ميناء عصب الواقع تحت يد الإيطاليين. ولكن لم يقبل البرلمان البريطاني بهذه الخيانة لاستقلال عضو في عصبة الأمم فاستقال الوزير البريطاني "هور"، وكذلك سقطت وزارة الفرنسي "لافال"، بينما كان الإيطاليون يستولون على كل الحبشة ويولون فيكتور عمانويل الثالث إمبراطوراً عليها، وظهر إلى الوجود "شرق أفريقية الإيطالي" في منتصف 1936، وهو نفس العام الذي اندلعت فيه الحرب الأهلية الإسبانية التي شاركت فيها إيطاليا مشاركة عنيفة.

وحيث أن التآزر الإيطالي الألماني كان في تزايد فقد سعت بريطانيا - بصفة خاصة - إلى محاولة إبعاد إيطاليا عن ألمانيا بعد أن انتهت المشكلة الحبشية على تلك الصورة، على أساس اعتراف بريطانيا بالوضع الجديد في الحبشة في مقابل سحب إيطاليا قواتها من إسبانيا وعدم تحصين إيطاليا للحدود الليبية المصرية. وتم ذلك فعلاً في اتفاقية عقدت في أبريل/ نيسان 1938. (نوار عبد العزيز، 1982. ص 374).

3.3 هتلر وإعادة توحيد ألمانيا

بعد أن قويت ألمانيا عسكرياً ودولياً وضمت اقليم السار وحصنت أراضى الراين، وتحولت بلجيكا وهولنده إلى الحياد وكذلك بريطانيا، أقدم هتلر على العملية الكبرى

التي كـانت يدبر لهـا منذ وقت طويل وهي ضم النـمســا برغم أنف الدول المتـمـسكة بنصوص معاهدة فرساي وبرغم معاهدته مع فـرنسا باحترام استقلالها (11 تموز - يوليو 1936)، ولكن الذي أعطى الحجج القوية لتدخل هتلر في شئون النمسا الداخلية نمو قوة الحزب النازي داخلها وتطلعه إلى التأييد الألماني الفعال له. ولهذا نجد هتلر - الذي تنكر لإقدام الحزب النازي النمساوي على قـتل (دلفوس)، رئيس وزراء النمسا في 1934 - يوجه في فبراير - شباط 1938 إنذاراً إلى رئيس وزراء النمسا الجديد (شوشنج) بإعطاء النازي عدداً هامـا من الحقائب الوزارية، ثم أتبعـه بإنذار آخر بعد وقت قصـير بضرورة إسناد الحكم إلى (سايس انكورات) الزعيم النازي النمساوي.

وبرغم المعارضة المستميتة التي أبداها رئيس الجمهورية النمساوية (كولاس)، تمكن (أنكورات) من الوصول إلى كرسي رئاسة الوزارة، وأسـرع هتلر إلى إعلان ضم النمسا إلى ألمانيا.

وحتى يقطع هتلر الطريق على تدخل الدول المتشبثة بمعاهدة فرساي في الموضوع، أجرى استفتاء تمخض عن 97٪ من الشعب النمساوي موافقاً على الإنضمام إلى ألمانيا، وهنا أثبت هتلر أن لا قيمة للرأي العام المفكك وأن معاهدة فرساي كانت واجهة القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وأصبـحت تحت أقدام الدول المهزومة والمنتصرة على السواء، وأن عـصبة الأمم أصـبحت منظمـة لا جدوى منها بعـد أن فقـدت دولتان من أعضائها استقلالها.

وكانت إيطاليا تكره مـثل هذا الاندماج النمساوي في ألمانيـا ولكنها قبلت الوضع الجديد. وقـدر هتلر كم كان هذا ثقـيلاً على نفس الدوتشي الأمـر الذي سيجـعل هتلر مديناً بهـذه النهاية السـعيدة إلى مـوقف موسـوليني الهادئ، وآل على نفـسه أن يراعي مصالح موسوليني فـيما يجد من موضوعات كبيـرة. ولكن مما لا شك فيه أنه ابتداء من ضم ألمانيا للنمـسا تحولت مراكـز القوى في دولتي المحور، كانت إيطاليـا قبل 1938 - على الأقل - على قدم المسـاواة مع ألمانيا، أما بعـد ضم النمسا فـقد أصبح مـوسوليني موجهاً بالسياسة الهتلرية.

ولـم يكد هتلر يحـقق لألمانيـا ابتلاع النمـسا حـتى توترت العـلاقات بين ألمانيـا وتشيكوسلوفاكـيا التي اتهمها هتلر بإسـاءة معاملة الألمان المقيمين فـيها، ثم طالب بضم إقليم السوديت إلى ألمانيا. ولما كانت إنجلترا وفرنسا غيـر مستعدتين للحرب وتسيران في

طريق التهدئة، فقد أصر هتلر على مطالبه، وإزاء ذلك وافقت الدولتان الغربيتان على ضم إقليم السوديت الى ألمانيا. ولم تجد تشيكوسلوفاكيا بدأ من الخضوع فخسرت خمسة ملايين من سكانها وأكثر من ربع مساحتها.

ولم يكتف هتلر بذلك بل عمد إلى التدخل في شؤون تشيكوسلوفاكيا الداخلية حتى أزالها من الوجود باعتبارها دولة مستقلة ذات سيادة في مارس/آذار 1939. وكان موقف أوروبا من جديد إزاء هذا الإجراء الألماني هو التسليم بالأمر الواقع. وعبثاً حاول الاتحاد السوفيتي إنقاذ تشيكوسلوفاكيا، إلا أن بولندة لم تسمح لقواته بالمرور في أراضيها. وهكذا أدى تخاذل الدول الغربية إلى توجيه ضربة للأمن الجماعي في أوروبا ومهّد لمزيد من التوسع الألماني صوب الشرق في اتجاه الاتحاد السوفيتي.

4.3 الحرب اليابانية الصينية

كانت المشكلة الصينية اليابانية واحدة من الأزمات الدولية التي أقلقت العالم قبل الحرب العالمية الأولى. وأساس هذه المشكلة أن اليابان أصبحت دولة كبيرة، على النظام الأوروبي، وتزايد عدد سكانها وإنتاجها بشكل كبير لا يتناسب مع العدد القليل من المستعمرات التي ورثتها عن الأمبراطورية الألمانية في الشرق الأقصى أو في فورموزا وكوريا. وكان استيلاؤها على ميناء(بورت آثر) حثها باستمرار على التوسع الاستعماري في منشوريا. إلا أن منشوريا كانت صينية، وكانت حكومة الصين الوطنية بزعامة "تشان كاي تشيك" قد خرجت منذ وقت قصير من حروب أهلية مريرة في الوقت الذي تحولت فيه سياسة اليابان الى شن عدوان إقتصادي على منشوريا تمهيداً للاستيلاء عليها.

فقد نمت صادرات وواردات اليابان من وإلى منشوريا. ونفذ اليابانيون مشروعات إقتصادية وسكك حديدية واسعة النطاق، وهاجر إلى منشوريا عشرات الألوف من اليابانيين. وأصبحت السياسة اليابانية إزاء منشوريا واحدة من الأسباب التي تدفع هذا الجناح للتحمس إلى الوزارة أو تسقط الوزارة التي لا تتابع سياسة السيطرة اليابانية على منشوريا. وكانت القيادة العسكرية اليابانية شديدة التحمس لتحقيق التوسع الياباني في منشوريا خلال فترة العشرينات والثلاثينات من هذا القرن.

وكانت الحكومة الصينية - وهي عضو في عصبة الأمم - تحاول لفت أنظار الدول الكبرى إلى مخططات العدوان الياباني عليها دون أن تتحرك هذه الدول تحركاً إيجابياً،

وذلك لأن الظروف كانت غير مواتيةبسبب الأزمة الإقتصادية الدولية عام 1929 التي شغلت العالم، وبسبب نمو الفاشستية في إيطاليا والنازية في ألمانيا وإنشغال الاتحاد السوفيتي بمشاكله الداخلية وعدم وجوده عضواً في عصبة الآمم وتدهور مكانة هذه العصبة خاصة بعد إنسحاب ألمانيا منها عام 1933 وانسحاب إيطاليا منها عام 1936م.

ومن ثم كان على حكومة الصين الوطنية مضطرة إلى الاعتماد على قواها المحلية المفككة لصد العدوان الياباني الإقتصادي والعسكري. وكان طبيعيا أن يكون رد الفعل شديداً في الدوائر الاقتصادية اليابانية ضد المشروعات الإقتصادية وخطوط السكك الحديدية الصينية، وضد الهجرة العمالية الصينية إلى منشوريا، وكانت هجرة مدبرة إلى جانب الهجرة الطبيعية الصينية إلى منشوريا.

وبتزايد المنافسات الاقتصادية اليابانية الصينية في منشوريا تعددت فرص الحوادث بين الشعبين الصيني والياباني، ووقوع قتيل من هذا الجانب أو ذاك سيؤدي إلى تأجيج المشاعر القومية في كل من الدولتين،بالإضافة إلى تصاعد الدعوة بين اليابانيين لاستغلال مثل هذه الحوادث لشن هجوم شامل ضد الصين. وقويت هذه الدعوات في أعقاب إرتفاع نسبة البطالة في اليابان بسبب الأزمة الدولية الإقتصادية. وهكذا أصبحت الحرب ضد الصين علاجاً لمشكلتي البطالة والإقتصاد القومي الياباني والحاجة إلى مجالات خارجية لاستيعاب الفائض البشري الياباني المتراكم.

استغلت حكومة اليابان حادثة تخريب ضد الخط الحديدي الياباني في منشوريا، ودون إعلان حرب زحف جيش ياباني على المواقع الرئيسة الاستراتيجية في جنوب منشوريا في (سبتمبر - أيلول 1931).

انفجرت الحرب على اثر حادث لا قيمة له في ذاته وهو قضية مدينة صغيرة على بعد 20 كم في الجنوب الغربي من بكين، فمنذ 1935 أدخل اليابانيون جنوداً إلى الصين الشمالية في منطقة بكين، ولكن الصينين لم يسحبوا جنودهم. ووجد على هذا النحو في المنطقة الكائنة في جنوب بكين جيوش يابانية وجيوش صينية جنباً جنباً. وفي ليل 7 تموز / يوليو1937 كانت سرية يابانية تقوم بمناوراتها بالقرب من هذه المدينة، وإذا بها تتلقى عيارات نارية من جهة المدينة حيث توجد حامية صغيرة ولم يجرح أحد من اليابانيين ولكنهم قاموا مباشرة بهجوم على المدينة واستولوا عليها، وبعد هذا طلبت

الحكومة اليابانية من الحكومـة الصينية أن تسحب جميع جيـوشها التي كانت في الصين الشماليـة، ويراد بذلك الجيش التاسع والعشـرون، وكان حوالي 450000 جندي، وأن تتخلى عن التـدخل "في اتفاق محتمل الـوقوع يمكن أن يبرم بشأن الصين الشـمالية". وهذا يعني أن تتـسامح الصين بإعـلان "الاستـقلال الذاتي" لهـذه المنطقة تحت رعـاية اليابان.

أجابت الحكومة الصينية بأنها لا تقبل بتضحية حقوقها و سيادتها. وكان هذا كافياً لقطع العلاقـات بين الصين واليابان. وفي 16 تموز/يوليو قـام اليابانيـون بالحرب دون إعلانها. وفي خلال يومين استولوا على بكين وطـردوا الجيش الصيني التاسع والعشرين نحو الجنوب بعد أن خسر ثلث جنوده.

ودامت الحرب، التي بدأت بهذه الشروط، حتى عام 1945، وكان الدور الأول منها أكثر نشاطـاً، وهو يمتد حتى آخر عام 1938. وأحرز اليابانيون نصـراً كبيراً. ولم يكن ذلك بفـضل تفوق جنـودهم، لأنهم كانوا أقل عـدداً من الجنود الصـينيين، ولكن بفضل تفوق سلاحهم ونظام جيوشـهم. وقد استولى اليابانيون خلال حرب 1937 على شانغـهاي ثم نانكن وفي الوقت نـفسه احـتلوا شبـه جزيرة شان - تونغ . وفـي حملة 1938 توصلوا إلى صعـود وادي يانغ - تسه والاستيلاء على هـانكيئو Hanke'ou وهو أكبر مـركز تجاري في الصين الوسطى. واضطرت الحكومـة الوطنية في ذلك الحين، أن تؤسس عاصمتها في تشونغ - كـينغ، في الوقت ذاته قام اليابانيون بعمليات نزول في الصين الجنوبية في "آموي" Amoy أمام جزيرة فورموزا، وبعد ذلك بقليل في كانتون. وفي بدء 1939 احتل اليابانيون الصين الشمالية كلها وقسماً من الصين الوسطى وشاطئ الصين الجنوبية. وهذا ما يمثل الأرض الصينية، ولكنه يعتبر القسم الهام في البلاد. لأن هذه المناطق، التي احتلهـا اليابانيون، كانت قـبل الحرب تضم 42٪ من سكان الصين. ومع هذا فلم يكن وضع اليابانـيين متيناً جداً في المناطق الـتي احتلوها. كانوا يقبـضون على الطرق الكبرى والخطوط الحديدية فـقط، بينما كانت الجيوش الصـينية تقبض على الأرياف التي تفـصل بين طرق المواصلات الكـبرى، حـتى إن الحكومة الصـينية عندمـا التجـأت عام 1940 إلى تشونغ - كـينغ، صرحت بأنها مـا زالت تشرف على بلديات المناطق التي احـتلها الـيابانيـون، وأن هذه البلديات مـا زالت على اتصال مع الحكومـة الوطنية وتتلقى أوامرها.

وبرغم هذا النجاح، الذي لاقاه اليابانيون، لم يتوصلوا إلى غاياتهم. وكان هم اليابانيين أن يسقط تشانغ - كاي - شيك وتسقط الحكومة الوطنية الصينية، ويصل للسلطة أناس مستعدون للتعاون الاقتصادي بين الصين واليابان، ويقبول وجود حاميات يابانية في بعض نقاط الصين الاستراتيجية، ومساهمة الصين في الميثاق المناوىء للدولية الشيوعية.

أما تشانغ - كاي - شيك، بالرغم من الاخفاق الذي مني به فما زال يقبض جيداً على ناصية الأمر، ويؤكد بأنه يريد أن يذهب بالنضال إلى أقصاه، كما يعتقد بأن اليابان لن تستطيع النجاح في "إدارة" فتوحاتها، حتى أنه يرى، منذ 1938 في الحرب الصينية - اليابانية، حادثاً أولياً لحرب جديدة عالمية يمكن أن تبدل الشرائط الاستراتيجية للحرب الصينية - اليابانية؛ وأن اليابان، التي ظنت أنها تقوم بحرب قصيرة، قد حشرت نفسها في حرب طويلة جداً.

لقد كانت الحرب الصينية - اليابانية حادثاً له أهميته العالمية. فمنذ 1938 كانت اليابان سيدة جميع المراكز الصناعية وجميع المراكز التجارية في الصين ، وترغب في حذف النفوذ الاقتصادي الذي كان للدول الغربية في هذه البلاد. ولا شك في أن اليابانيين احترموا "الامتيازات" الأجنبية أي الأحياء التي تديرها الدول الاجنبية في شانغهاي وتيان - تسن الخ . . ولكن هذه الامتيازات الأجنبية وجدت في الواقع منعزلة ولا تستطيع أن تحافظ على علاقاتها التجارية النشيطة مع باقي الصين. فقد حرم اليابانيون، بداعي الأمن، على السفن التجارية الأجنبية صعود نهر يانغ - تسه أي أكبر طريق صالح للملاحة في الصين الوسطى. ومثل هذا العمل، بالنسبة الى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، يؤلف حالة خطرة على مصالحهما التجارية والمالية الضخمة في الصين.

تدريب (1)

برغم أن هتلر نجح في اجتذاب أغلبية الشعب الألماني لتأييد المبادىء النازية إلا أن هذه المبادىء احتوت الكثير من الزيف والتضليل. وضح ذلك.

اسئلة التقويم الذاتي (1)

1. وضّح كيف كانت الحرب الأهلية الإسبانية من مقومات الحرب العالمية الثانية؟
2. ناقش السياسة التي اتبعها موسوليني داخل ايطاليا وخارجها مبيناً ما لها وما عليها؟

4. مجريات الحرب العالمية الثانية

1.4 عوامل قيام الحرب

لم يمض عشرون عاما على انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى كان العالم يسير بخطى واسعة نحو حرب عالمية أشد ضراوة وأعظم فتكا من سابقتها. واتضح للعالم أن معاهدات الصلح التي عقدت في أعقاب الحرب الأولى لم تكن سوى هدنة مؤقتة لحين قيام جولة جديدة من الصراع العالمي ومن أهم العوامل التي أدت إلى قيام الحرب:

1.1.4 قبول شروط معاهدات الصلح:

إن قسوة الشروط التي فرضتها معاهدات الصلح 1919- 1920 على الدول المنهزمة في الحرب الأولى. أدت إلى خلق حالة من الحقد والتذمر لدى شعوب هذه الدول، وبالتالي ولد عندها التصميم الأكيدة على الانتقام من تلك الدول التي أذلتها وهدرت كرامتها.

2.1.4 ظهور عدد كبير من الدول القومية:

وخاصة في البلقان ووسط أوروبا، وعدم وجود حدود ثابتة لهذه الدول ساعد على اشتداد التنافس التجاري والاقتصادي بينها وأدى فيما بعد إلى ظهور النزاع المسلح، هذا بالإضافة إلى خلق مشكلة الأقليات بين الدول كما حدث حينما سلخ الحلفاء حوالي خمسة ملايين ألماني عن وطنهم الأم ووضعوهم تحت حكم بولندا وتشيكوسلوفاكيا.

ويعتقد كثير من المؤرخين أنه كان بإمكان العالم تجنب الحرب الجديدة لو غلبت الحكمة والموضوعية على واضعي معاهدات الصلح. فبدلاً من تمزيق العالم الأوروبي إلى المزيد من الدول الصغيرة كان الأفضل لو أقيم صرح وحدة أوروبية تجمع شعوبأوروبا بمختلف أجناسها وتضع أساس إلانتماء إلى القارة الأوروبية وليس إلى وحدات صغيرة متنافسة ومتحاسدة.

لقد نجح ولسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة في كسب موافقة الدول المتحالفة والمنهزمة على حد سواء على إقامة عصبة الأمم كوسيلة لنشر السلام والاستقرار في العالم. ولكن هذه المنظمة لم تكن سوى منظمة حكومات لا منظمة شعوب،

وبالتالي فقــد كان بقاؤها مرهونا بمشيـئة الحكومات التي سرعان مـا دب الخلاف بينها. وترتب على ذلك فشل عصبة الامم في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها.

3.1.4 الأزمة الاقتصادية العالمية:

أخذ العالم في مطلع الثلاثينات من هذا القرن يتعرض لأزمة اقتصادية خانقة كان لها أكبر الأثر في جـر العالم نحو حرب جديدة. فقــد أخذت كل دولة تفرض تعاريف جمركية عالية على البضائع المستوردة بغـية حماية انتاجها الوطني والمحافظة على السيولة النقدية، فنتج عن ذلك اضـمحلال التبـادل التجاري بين الدول وكســاد المصانع وازدياد البطالة بنسبة هائلة.

4.1.4 ظهور الحكومات الاقتصادية الدكتاتورية:

كان من النتــائج المباشـرة الاقتصــادية - كمـا ذكرنا - ازدياد البطالة خـاصة بين العمال والفلاحين الذين فقدوا كل ثقة في الأنظمة الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية، ولذلك سارع هؤلاء إلى الانضواء تحت لواء الزعامات القومية المتطرفة كالنازية والفاشية، التي نجحت في إقامة حكومات دكتاتورية كمـا حدث في ألمانيا وإيطاليا واسبانيا واليابان وغيرها. وقد لجأت هذه الحكومات الجديدة إلى عقد الأحلاف العسكرية استعداداً للقيام بمغامرات عـسكرية واسعة تستطيع من خـلالها توجيه انتبـاه شعوبها بعـيداً عن الشؤون الداخلية وتركيزه على تحقيق أمجاد زائفة وعظمة خيالية.

2.4 قيام الحرب:

كان السبب المباشر الذي أشعل نيران الحـرب الثانية هو مشكلة ميناء دانزج والممر البولندي. وكان هذا مـيناء ألمانيا على ساحل بحر البلطيق، ولكن الحلفـاء بعد إعادتهم خلق الدولة البولندية قرروا إنشـاء ممر بولندي عرضه حوالي 25 ميلاً يربط بولندا ببحر البلطيق عند ميناء دانزج الإلماني، وتقرر أن تكون دانزج مـدينة حرة تحت وصاية مندوب سام تعينه عصبة الامم ويكون مسؤولا أمامها فقط.

وبانشاء هذا الممر البولندي عزلت بروسيا الشرقية عن الوطن الأم ألمانيا، وانفصل السكان الألمان الذين يسكنون دانزج عن بلادهــم فأدى ذلك إلى احتكاك دائم بـين ألمانيا وبولندا، إذ لم يكن باسـتطاعة الألمان الوصول إلى بروسـيا الشرقـية إلا عن طريق خط حديدي يسيطر عليه البولنديون سيطرة تامة.

وفي آواخر صيف عام 1939 وجه هتلر انذاراً إلى بولندا بضرورة إعادة النظر في مسألة دانزج والممر البولندي، وكان هتلر قد اطمأن إلى ضعف احتمال دخول الاتحاد السوفيتي الحرب ضد ألمانيا معتمداً على ميثاق عدم الاعتداء الألماني - الروسي، وفي مطلع أيلول سبتمبر عام 1939 اجتاحت الجيوش الالمانية بولندا، وعندئذ وجهت الحكومتان البريطانية والفرنسية إنذارات شديدة اللهجة إلى المانيا بضرورة سحب قواتها من الأراضي البولندية في بحر أربع وعشرين ساعة. وفي 3 ايلول/ سبتمبر أعلنت الدولتان الحرب على ألمانيا، وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية واتسع نطاقها وتعددت ميادينها واستمرت حوالي ست سنوات. (بيير رونرفن 1969 ص 508).

وفيما يلي استعراض موجز لأهم جبهات الحرب:

1. جبهة البلطيق:

تمكن الألمان بعد أسبوعين من بدء غزوهم لبولندا في أيلول/ سبتمبر من الاستيلاء على مدينة دانزج الحرة والممر البولندي وبعض المناطق في غرب بولندا ووسطها حيث بلغ مجموع مساحة ما استولى عليه الألمان 73 ألف ميل مربع من الأرض يسكنها حوالي 22 مليون نسمة. واستطاع الروس الذين عقدوا معاهدة تحالف وعدم اعتداء مع ألمانيا في 23 آب / أغسطس عام 1939 من احتلال شرق بولندا وضمها إلى روسيا.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1939 تمكنت القوات الروسية من احتلال فنلندا بعد حصار دام ثلاثة شهور، كما خضعت لها أيتونيا ولاتفيا ولتوانيا وقبلت وجود قواعد عسكرية روسية فيها.

وفي نيسان/ ابريل عام 1940 استطاع الألمان احتلال الدنمارك ثم النرويج بعد شهرين، وتم تطهيرها من القوات البريطانية والفرنسية.

2. الجبهة الغربية وسقوط فرنسا:

تقدمت الجيوش الألمانية في 10 ايار/ مايو عام 1940 فهاجمت لكسمبرغ وهولندا وبلجيكا. وتم لها الاستيلاء على لكسمبرج خلال ساعات قليلة. أما هولندا فقد سقطت بعد خمسة أيام، ولكن بلجيكا استبسلت في الدفاع واستطاعت وقف الزحف الالماني عدة أيام. ولكن القوات الألمانية نجحت في اكتساح بلجيكا والقضاء على كل مقاومة فيها وتطهيرها من القوات البريطانية والفرنسية وإجبارها في 27 ايار / مايو على

الجلاء عن طريق دنكرك. واعتبرت بريطانيا عملية الجلاء هذه التي شملت ما يزيد على الثلث مليون مقاتل من الحلفاء انتصارا كبيراً، وقد حذر تشرشل في مجلس العموم الريطاني بأن "انقاذ القوات المتحالفة من المحنة التي تعرضت لها لا يمكن اعتباره انتصاراً فالانتصار في الحروب لا يكون بالجلاء".

اكتسح الالمان بعد ذلك شمال فرنسا وانهارت مقاومة الجيش الفرنسي خاصة بعد إعلان إيطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا في 8 حزيران / يونيو. وفي 14 حزيران/ يونيو غادرت الحكومة الفرنسية باريس إلى بوردو واخذت تستعد لطلب الهدنة بينما هرب الجنرال ديغول إلى لندن ليتزعم هناك حركة "فرنسا الحرة". وفي 22 حزيران/ يونيو وقع المندوبون الفرنسيون اتفاق الهدنة مع ألمانيا في نفس القطار التي وقع فيه الألمان شروط الهدنة المهينة مع الحلفاء عام 1918. ونصت الهدنة على احتلال القوات الألمانية أكثر من نصف فرنسا بما فيها العاصمة باريس والجزء الشمالي من البلاد وجميع الساحل الفرنسي المحاذي للاطلنطي حتى حدود إسبانيا. واشترط على فرنسا أن تدفع تكاليف الاحتلال وألا تسمح بزيادة عدد جيشها على 100 ألف مقاتل وهو نفس الرقم الذي كانت فرنسا والحلفاء قد فرضوه على ألمانيا في معاهدة فرساي، وتكونت في فرنسا حكومة موالية للالمان بزعامة المارشال بيتان دعيت بحكومة فيشي نسبة إلى مقرها (رمضان لاوند 1979 ص 52).

3. جبهة بريطانيا:

بعد سقوط فرنسا توقفت العمليات الحربية فترة من الوقت استعداد للمعركة الكبرى وهي غزو الجزر البريطانية واحتلالها. بدأ سلاح الجو الألماني يقوم بغارات متلاحقة على بريطانيا منذ آب/ أغسطس عام 1940، وذلك استعداداً للقيام بعملية إنزال قوات ألمانية في بريطانيا، بعد أن يكون قد أنهكها سلاح الجو الألماني. إلا أن تفوق سلاح الجو البريطاني وصمود الشعب في لندن وفي المدن الصناعية ضيع على الألمان فرصة نجاحهم في إخضاع بريطانيا.

وقد أدى هذا الفشل الألماني في غزو بريطانيا إلى تشجيع الشعوب الواقعة تحت الاحتلال الإلماني على بدء حركة المقاومة ضد المحتلين، كما حدث في هولندا وبلجيكا والنرويج وفرنسا. وكان للفشل الإلماني هذا أن تشجعت الولايات المتحدة وأخذت تقوم بمد الإنجليز بما يحتاجونه من المساعدات والأعتدة الحربية.

4. جبهة افريقيا:

قبل أن تنتـهي محاولات الغزو الألماني لبـريطانيا كان القتـال قد امتد إلى جـبهة أخرى. ففي أيلول / سبتمبر عام 1940 زحف الإيطاليون من ليبيا شرقا باتجاه مصر بغية احتلال قناة السويس وقطع مواصلات الإمبراطورية البـريطانية عن مستعمراتها في الهند والشـرق. وبالرغم من أن القوات الإيطاليـة أحرزت بعض الانـتصارات إلا ان الـقوات البريطانية استطاعت القيام بهجوم معاكس طردت على أثره الايطاليين من مصر واحتلت برقـة وأسرت أكـثـر من مئـة ألف جندي إيطالي. وفي غـضـون ذلك نجحت القـوات البريطانية ايضاً في طرد الإيطاليين من الحبشة وأرتيريا.. مما دفع هتلر إلى إرسال فرقتين ألمانيتين إلى شـمال افريقيـا بقيادة المارشال روملل لإنقـاذ من تبقى من الإيطاليين ووقف التقدم البريطاني عبر الشمال الأفريقي.

5. جبهة البلقان

قام موسوليني بعد الهزائم التي مني بها في أفريقيا بمهاجمة اليونان ولكن اليونانين استطاعوا وقف الزحف الإيطالي ورد القوات المهاجمة على أعقابها.

على أثر هذه الهزائم المتلاحقة التي تعرض لها الإيطاليون، قام الألمان بالتقدم عبر البلقان فـأرغمـوا رومانيا على الانضـمام إلى دولتي المحـور: المانيا وإيطاليـا. وفي عام 1941 احتلت ألمانيا يوغسلافيا وطردت القوات البريطانية من اليونان.

وهكذا، عزيزي القـارئ، بقيت بريطانيا وحيـدة في الميدان تصارع خصـما عنيداً بمنتهى الشراسة والضراوة.

6. الجبهة الروسية:

بالرغم من توقيع ألمانيا وروسيا لميثاق عدم الاعتداء عام 1939 إلاأن العلاقات بينهمـا ظلت متـوترة. ولم يكن هذا الميثـاق سوى هدنة مؤقـتة يقصـد منها اسـتكمال الاستعدادات العسكرية لخوض حرب فاصلة بينهما.

وفي صباح 22 حزيران / يونيو عام 1941 قامت الجيوش الألمانيـة بغزو روسيا دون سابقإ انذار. وبعد مرور بضعة أيام أعلنت كل من ايطاليا وهنغاريا ورومانيا وفنلندا وبلغاريا الحرب على روسيا. ولكن الألمان فشلوا في حملتهم هذه فشلا ذريعاً ونتج عنها بداية انهيار ألمانيا في الحرب. وأهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الحملة هي:

1. نجاح الاستراتيجية التي اتبعها الجيش الأحمر السوفيتي وذلك بالانسحاب المتواصل أمام الجيوش الألمانية من أجل إبعاد الألمان عن قواعدهم الأصلية ومراكز تموينهم.
2. استهانة هتلر بالقوات الروسية مما جعله ينشر قواته على مساحات واسعة بدل أن يركزها لمهاجمة نقاط استراتيجية محددة.
3. شروع روسيا في تطبيق مشروع السنوات الخمس الذي وفر لها إمكانية الحرب الطويلة الأمد.
4. استفادة الروس من هزائم الشعوب الأخرى وذلك بإتقانهم معرفة التكتيكات الاستراتيجية العسكرية التي يطبقها هتلر وبالتالي كان من السهل على الروس مواجهتها. وبالإضافة إلى هذه العوامل فقد ساعد اتساع البلاد وصعوبة مناخها واستبسال الروس في المقاومة على هزيمة الألمان وعودتهم على أعقابهم.

7. جبهة الشرق الأقصى:

قامت اليابان في أيلول/ سبتمبر 1940 بعقد معاهدة تحالف مع ألمانيا وإيطاليا لمدة عشر سنين اعترفت بها اليابان بأوروبا كمنطقة نفوذ لألمانيا وإيطاليا واعترفت فيها المانيا وايطاليا من جهة أخرى بالشرق الأقصى كمنطقة نفوذ لليابان.

بدأت اليابان أعمالها العسكرية في نهاية عام 1941 حينما بدأت هجوماً على أملاك الولايات المتحدة وبريطانيا في المحيط الهادي. وقامت اليابان باحتلال الهند الصينية وسيام وبورما وسنغافورة. وفي غضون ذلك بدأت الولايات المتحدة تستعد لصد التوسع الياباني المتواصل وأجرت مفاوضات بينها وبين اليابان للوصول إلى تسوية للنزاع في الشرق الأقصى. وبينما كانت المفاوضات دائرة في واشنطن انقضت فجأة قاذفات القنابل اليابانية في صباح 7 كانون اول / ديسمبر عام 1941 على الأسطول الأمريكي في القاعدة البحرية الكبرى "بيرل هاربر" بجزر هاواي واغرقت عدة سفن حربية أمريكية، وبذلك خسرت الولايات المتحدة أقوى قطعها البحرية وقضي بضربة واحدة على تفوقها البحري في المحيط الهادي. وعلى أثر ذلك أعلنت الولايات المتحدة الحرب على اليابان.

ولم يحل شهر حزيران / أيلول عام 1942 حتى استطاعت اليابان السيطرة على الشرق الاقصى من الهند حتى جزر هاواي ومن سيبريا حتى استراليا.

3.4 أحداث مهمة أثرت على مجرى الحرب

في 27 سبتمبر 1940 تم التوقيع على ميثاق ثلاثي أطلق عليه اسم ميثاق برلين - روما- طوكيو - وهذه، عزيزي القارئ أهم بنوده:

1- تعترف اليابان بقيادة ألمانيا وايطاليا باقامة نظام جديد في أوروبا وتحترم هذه القيادة.

2- تعترف ألمانيا وإيطاليا بقيادة اليابان بإقامة نظام جديد في شرقي آسيا وتحترمان هذه القيادة.

3- تتفق ألمانيا وإيطاليا واليابان على التعاون وضم جهودها على ضوء الخطوط الوارد ذكرها في البندين السابقين.

4- تتفق ألمانيا وايطاليا واليابان على التعاون وتوحيد جهودها. وتتعهد الدول الثلاث أيضاً بأن يساعد بعضها بعضاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً إذا تعرضت أي منها للهجوم من دولة غير مشتركة حاليا في الحرب الأوروبية أو في النزاع الصيني - الياباني.

5- تؤكد الدول الثلاث أن الشروط السابقة لا تؤثر على الوضع السياسي القائم بين أي دولة من الدول الثلاث وروسيا السوفيتية.

وكان الاتحاد السوفيتي هو الهدف المباشر لميثاق برلين وكان موجهاً كذلك ضد بريطانيا والولايات المتحدة.

إلا أن أحداثا هامة أثرت على مجرى الحرب، وكان لها أثر كبير على نتائجها وأهمها:

- تدخل الولايات المتحدة رسمياً في الحرب.
- دخول روسيا الحرب إلى جانب الحلفاء.
- دخول اليابان الحرب إلى جانب دولتي المحور.

1.3.4 تدخل الولايات المتحدة رسمياً في الحرب

كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية - برئاسة فرانكلين روزفلت - تدرك تماماً أن ذلك النمو الذي أصابته ألمانيا النازية في أوروبا، وذلك الميثاق الألماني الياباني قد جعل يوم الصدام بين الديمقراطية الأمريكية وديكتاتوريات دول المحور، وشيكة

الوقوع وإن كان الشعب الأمريكي بصفة عامة لا يدرك حـينذاك حقيقة ما سيصيب بلاده من أخطار أيدولوجية واقتصادية إذا انفردت ألمانيا بالتسلط على أوروبا.

ومن ناحـية أخرى كـان سقـوط فرنسا بـالذات وانشغال بريـطانيا بالكفـاح ضد الهجـمات الألمانية عليـها يعني أن المسـتعمـرات الفرنسيـة البريطانية فـيما وراء البـحار أصبحت تعاني من "الفراغ" أو من محاولات حكومة فيشي - الواقعة تحت توجيه ألمانيا - للسـيطرة على تلك المستـعمـرات الفرنسـية، ومـعنى سيطرة فـيشي على مـثل هذه المستـعمرات أن ألمانيا تسـتطيع أن تستخـدمهاضد المصـالح الأمريكية في العـالم الجديد نفـسه، وهذا مـا حـدا بروزفلت إلى بذل الجـهود الـكبيـرة من أجل إقناع الكونجـرس الأمـريكي بأن الحرب الدائـرة في أوربا تهم الولايات الأمريـكية بالدرجـة الأولى، وأن سياسة العـزلة التي انتهجتها الحكومـات الأمريكية منذ 1919 أصبحت عقـيمة وأضرت بمصالح الولايات المتـحدة الأمريكيـة، وقد تقوض مكانتهـا الدولية إذا ما تفـوقت ألمانيا النازية في أوروبا وإذا ما استطاعت الجهود الألمانية أن تكسب إلى جانبها دولا من أمريكا اللاتينيـة التي لم تكن قد استـقرت أمورهـا السياسـية بعد. واسـتطاع روزفلت أن يقنع الكونجرس بأمـور جعلت هتلر معـتقداً تماما أن حكومـة الولايات المتحدة الأمـريكية في سبيلها إلى دخول الحرب ضد ألمانيا.

وخلال الانتخـابات التي أجريت في نوفمبـر/ تشرين ثاني 1940لاختيار رئيس للجمـهورية الأمـريكية كـان المرشحـان هما فرانكلين روزفـلـت (الديمقراطي) ومنافـسه (الجمهوري) وندل ويلسكي، ولم يبد أي من المرشحين خلافاً يذكر حول سياسة الولايات المتحدة إزاء الحرب الدائرة، وهي سياسة كانت تميل بوضوح إلى تأييد جانب بريطانيا.

ومن الأمور النادرة جداً فـي تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية أن يـفوز بالرئاسة لثلاث مرات متتالية رئيس واحد، فللمرة الثالثة أعيد انتخاب فرانكلين روزفلت، وبذلك وضع الأمريكيـون على رأس حكومتـهم رجلاً عزم على مـقاومة النازية والفـاشستـية، والتصـدي للخطر الياباني المتصـاعد في الشرق الأقـصى، وذلك "النظام الجديد" الذي كان يسعى هتلر إلى تحقيقه في أوروبا وحكومة اليابان العسكرية في الشرق الأقصى.

مـا أن سيطر هتـلر على القارة الأوروبيـة حـتى أحس الرئيس فـرنكلن روزفلت وأعوانه بأن أمن الولايات المتحدة معرض للخطر مما جـعلهم يخشون اختلال التوازن في البحار إذا مـا دخلت اليابان الحرب واستولى الألمان على الأسـطول الفرنسي. ففي هذه

الحالة تصبح الولايات المتحدة تحت رحمة المعتدي، لهذا قرر الرئيس الأمريكي بذل المزيد من المساعدات للحلفاء. وقد ترتب على هذا التحول تغير في نظام المساعدات لبريطانيا: فقد قررت الحكومة الأمريكية تقديم 50 مدمرة في مقابل تأجير خمس قواعد عسكرية في الممتلكات البريطانية الواقعة في خط الدفاع الأمريكي. وكان معنى ذلك أن الولايات المتحدة قد اندفعت إلى مكان القيادة في الكتلة الانجلو - أمريكية، بينما هبطت بريطانيا إلى مركز الشريك الأصغر (بيرونوفن 1969 .ص537).

كما أصدر الرئيس روزفلت قانون الإعارة والتأجير آذار (مارس 1941) وبمقتضاه أصبح من حقه أن يقدم الأسلحة والمواد الحربية إلى الدول المتحاربة التي يحددها على ألا يضر ذلك بمصالح أمريكا الدفاعية. ويعد القانون انقلابا في سياسة أمريكا الخارجية: فهو لم يخرجها عن الحياد رسمياً فحسب، بل إنه يعتبر بداية لسياسة المساعدات الخارجية التي اتسع مداها بعد انتهاء الحرب. وقد طبق هذا المشروع على الاتحاد السوفيتي بعد الغزو النازي لأراضيه.

وسرعان ما أفاقت الولايات المتحدة من صدمة بيرل هاربر واستطاعت إجلاء اليابانيين عن الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية الهامة في المحيط الهادي. ثم بدأت قواتها تتحول من الدفاع إلى الهجوم وأخذت تقصف المواقع والمدن اليابانية معتمدة على تفوقها الجوي. كما صمد الجيش الأحمر أمام الهجوم الألماني وتحول الى الهجوم بعد أن أوقع بالألمان هزيمة كبرى في ستالينجراد / تشرين ثاني (نوفمبر 1942). وبينما القوات الروسية تتعقب القوات الألمانية، ركز الأمريكان والإنجليز غاراتهم على المدن الألمانية ثم أنزلوا قواتهم إلى شمالي إفريقيا ثم في جزيرة صقلية فإيطاليا التي اضطرت إلى التسليم في (سبتمبر / ايلول 1943م) وأخيراً أنزل الحلفاء جيوشهم إلى الأراضي الفرنسية ونجحوا في إجبار الألمان على الجلاء عن فرنسا وبلجيكا وهولنده وواصلوا تعقب الألمان داخل بلادهم التي أطبق عليها الروس من الشرق.

2.3.4 دخول روسيا الحرب إلى جانب الحلفاء

برغم أن هتلر كان قد أعلن أن ضم إقليم السوديت سيكون آخر أطماعه، فانه ما لبث أن طالب بولنده بإعادة النظر في مسألة ميناء دانزج والممر البولندي الذي يفصل بين شطري ألمانيا. وحينئذ أنذرته بريطانيا وفرنسا بأنهما لن تقفا مكتوفي الأيدي إذا ما

اعتدى على بولنده وذلك تنفيذاً لالتزام هاتين الدولتين بضمان استقلال بولنده. لذلك تقارب هتلر مع الاتحاد السوفيت ووقع الطرفان في23 آب/ اغسطس 1939م ميثاق عدم اعتداء كان هدف هتلر منه ضمان تأييد السوفيت له في إجراءاته الحربية الوشيكة ضد بولنده أو حياد الاتحاد السوفيتي على الأقل إذا ما نشبت الحرب بينه وبين فرنسا وبريطانيا. وخلال ذلك كان رئيس الوزراء البريطاني نيفل تشمبرلن يركز على زيارات السلام التي كان يقوم بها إلى ألمانيا للاجتماع بهلتر على أمل منع نشوب الحرب.

وقد وجه النقد إلى الاتحاد السوفيتي لتوقيعه ميثاق عدم الاعتداء مع ألمانيا. ولكن حكومة موسكو كانت قد فقدت الثقة بنظام الأمن الجماعي وبالحلف الفرنسي. والواقع أنها ظلت بعض الوقت أشد ميلاإلى التحالف مع الدولتين الغربيتين نظراً لاحتمال تطلع هتلر إلى ضم منطقة أوكرانيا الواقعة داخل الاتحاد السوفيتي. إلا أن التحول في سياسة روسيا الخارجية كان ناتجاً عن رغبة ستالين في حماية الاتحاد السوفيتي من جميع الأخطار الخارجية دون تمييز بين الدول الفاشية وغير الفاشية - ومن ثم إجراؤه المفاوضات مع كلا المعسكرين المتنازعين في غربي أوروبا في وقت واحد. وفي النهاية وجد أن مصلحة بلاده تقتضي التقارب مع ألمانيا.

وفيم يلي بنود ميثاق عدم الاعتداء الروسي - الألماني :

1- يتعهد كل من الطرفين بالامتناع عن استخدام القوة ضد الطرف الآخر بمفرده أو مع دول أخرى.

2- إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب مع دولة ثالثة يمتنع الطرف الآخر عن تأييدها بأي شكل من الأشكال.

3- لا يجوز لأحد الطرفين الانضمام إلى كتلة معادية للطرف الآخر بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

4- في حالة وقوع خلاف يقوم الطرفان بحله عن طريق التشاور أو التحكيم.

وما أن اطمأن هتلر إلى ضعف احتمال دخول الاتحاد السوفيتي الحرب ضد ألمانيا حتى اجتاحت جيوشه بولنده في أول/ أيلول سبتمبر 1939م. وقد اتخذ قرار غزو بولنده لعدة أسباب. فالعدوان الفاشي في أوروبا وآسيا وافريقيا قد زعزع وضع بريطانيا وفرنسا إلى حد كبير في الوقت نفسه ازدادت فيه قوة ألمانياوحلفائها وإمكاناتها الصناعية، كما أن التقدير النسبي الذي أجراه النازيون لقوة الاتحاد السوفيتي والدول الغربية قد جعلهم موقنين أن من الأسهل تحقيق تطلعهم إلى الزعامة العالمية بتدمير القوى الرأسمالية الغربية لا بمهاجمة الاتحاد السوفيتي. وهكذا أدت سياسة التهدئة إلى تعرض الدول الغربية ذاتها للعدوان.

وبعد يومين من اجتياح الجيوش الألمانية لبولنده أعلنت إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا التي رفضت سحب جيوشـها من الأراضي البولندية. وبذلك بدأت الحرب العالمية الثانية التي لم تلبث أن شملـت أوروبا ثم تعدتها إلى إفريقيا وآسيا وخـاصة بعد دخول إيطاليا واليابـان الحرب إلى جانب ألمانيا. كمـا غزا الألمان الاتحاد السوفـيتي في (يونيو/ حزيران 1941) بأكبـر حملة عسكرية عرفـها التاريخ حـتى ذلك الوقت مما دفع الاتحاد السوفـيتي للانضمام إلـى دول الحلفاء وما لبثت الحـرب أن عمت العالم بأسـره بصورة تفوق في مداها ودمارها ما حدث خلال الحرب العالمية الأولى.

3.3.4 دخول اليابان الحرب إلى جانب دولتي المحور

في عام 1931 اجتـاحت اليابان منشوريا - وكـانت اليابان، وهي دولة ناشـئة، تطمع في التوسع في الشـرق الأقصى. وكانت قد اصطدمت في أوائل القـرن العشرين بروسيا القـيصرية التي كانت قد وصلت إلى المحيط الهـادي بعد استيلائها على سـيبريا ومنغوليا وتطلعت إلى أخـذ نصيبها من إمـبراطورية الصين المتداعية التي كانت مـوضعا لأطماع الدول الأوروبيـة الكبرى جميـعاً. وبعد الحرب العـالمية الأولى شعر اليـابانيون بضيق أرضـهم ففكروا في أن يحلوا المشكلة بالهجرة إلى الخارج، إلا أن الدول الاوروبية المسـيطرة على الأمـاكن القـريبة - وعلى رأسـهـا إنجلتـرا - أقفلت باب الـهجـرة في وجوههم، فاتجهوا إلى الصين لا سيما وأن بعض أقاليمها - مثل منشوريا - كانت قليلة السـكان. ولـم تصادف اليـابان في منشوريا أي مقـاومة تذكر. ولم تعـمل الدول الكبرى شيئاً لنصرة الصين التي أخذت اليابان تغزو أراضيها. وبمرور الوقت سيطرت اليابان على سواحل الصين وأهم الموانيء دون أن تحاول احتـلالها كلها بسبب اتساع مساحـتها. كما تطلع اليابانيون إلى التوسع في الشرق الأقصى، ولم يكونوا يرون في حركتهم التوسعية في جنوب شرقي آسيا نوعا من الاستعمار بل اعتقدوا أن تفوقهم الحضاري والجنسي يبرر تزعمهم للأقطار المجاورة لاستغلال خيراتهـا على أحسن وجه. بل إنهم اعتبروا أنفسهم مـحـررين للشـعوب الآسـيـوية من سـيطرة الرجل الأبيض مـلوحين بشـعار "آسـيـا للآسيويين". ووقفت عـصبة الأمم عاجزة أما العدوان اليـاباني على الصين، مما سيغري دولا أخرى باللجوءإلى القوة تحقيقا لاطماعها.

بعـد أن سيطر الألمان على مـعظم القـارة الأوروبية (وكـانوا قد احـتلوا رومانيـا وبلغاريا ويوغسلافيا واليونان) تفرغوا لتوجيه ضربتهم التالية إلى الاتحاد السوفيتي. ففي صيف 1941 م زحفت القوات الألمانية على الأراضي الروسـية وأوقعت بالروس خسائر

هائلة في الأرواح والعتاد. وفي ديسمبر/ كانون أول 1941 هاجم اليابانيون ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي وحطموا السفن الحربية الأمريكية مما أدى الى دخول الولايات المتحدة الحرب. (رمضان لاوند1979، ص414).

وقد حقق اليابانيون بعد بيرل هاربر مكاسب وقتية فاستولوا على مناطق واسعة وغنية في المحيط الهادي بقوات صغيرة نسبياً. وأخذت القوات المسلحة الأمريكية والبريطانية والهولندية تسلم لليابانيين نقطة استراتيجية بعد أخرى. ووطد اليابانيون أقدامهم في الهند الصينية وسيام واستولوا على الملايو وسنغافورة واحتلوا الجزر الرئيسة في أندونيسيا وجزءا من غينيا الجديدة وبورما والفلبين وهونج كونج. كما احتلوا عدة جزر ذات أهمية استراتيجية في المحيط الهادي وغزوا جنوب الصين عن طريق بورما.

ويعود السبب في الأخطاء العسكرية التي ارتكبها الحلفاء في المحيط الهادي إلى السياسات الاستعمارية والعنصرية التي كانت تتبعها حكوماتهم. فقد حالت هذه السياسات دون تمكنهم من الحصول على معونة أهالي البلاد ضد التوسع الياباني خشية أن تؤدي هذه المساعدات إلى تشجيع حركات التحرر الوطني. ورأت اليابان في انشغال الدول الاستعمارية العظمى في الحرب ما يحقق آمالها في إقامة امبراطورية الشرق الكبرى التي كان اليابانيون يحلمون بتشييدها.

4.3.4 ظروف انتهاء الحرب

خلال الأشهر الأولى من عام 1942 بدا وكأن جيوش المحور (ألمانيا وإيطاليا) ستكسب الحرب، ولما دخلت اليابان، بدا وكأن القوات اليابانية - بسبب انتصاراتها السريعة في الهند الصينية الفرنسية والملايو وبورما ستزحف إلى الهند لتلتقي بالقوات الألمانية المنتصرة في روسيا، والتي تصور البعض أنها ستلتقي بالقوات اليابانية في الهند.

ولكن كما خابت آمال المحور (ألمانيا وإيطاليا) في اجتياح روسيا والهبوط إلى القوقاز واجتياح مصر والشام للالتقاء بقواتهما في الشرق الأوسط خابت آمال المحور (ألمانيا واليابان) في الالتقاء في الهند. فلقد أخذت موازين الحرب تتجه لصالح الحلفاء بعد ستة أشهر فقط من نكبة الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر.

وفي العلمين استطاع الجيش الثامن البريطاني بقيادة الجنرال مونتجومرى، أن يهزم جيش القائد الألماني الشهير "روميل" في معركة العلمين (23 / تشرين أول أكتوبر 1942) مما أدى إلى تراجع قوات المحور دون توقف أمام الجيش البريطاني.

وفي 31 مايو أيار 1943 انتهت معركة ستالينجراد الكبرى بين الجيش الروسي المدافع عنها وجيش الجنرال باولوس الألماني باستسلام الأخير ليبدأ من بعد ذلك تراجع الجيوش الألمانية دون توقف تقريباً.

وبينما أخذت القوات السوفياتية تتقدم في اتجاه شرق أوروبا الشرقية ظلت القوات البريطانية تتقدم على طول البحر المتوسط حتى دفعت القوات الألمانية في اتجاه تونس. وبينما نزلت قوات أمريكية ضخمة في 8 نوفمبر/ تشرين ثاني 1942 في شمال إفريقية ليجد الألمان أنفسهم بين جيش منتصر بريطاني يتقدم من الشرق وآخر أمريكي فرنسي يتقدم من الغرب وانتهى الأمر باستسلام حوالي ربع مليون من قوات المحور في أوائل مايو/آيار 1943، فكانت الكارثة الثالثة بعد ستالنجراد والعلمين التي نزلت بالمحور حيث بات الطريق ممهداً لغزو إحدى دول المحور في عقر دارها وهي إيطاليا، وكان نزول قوات الحلفاء في صقلية (سبتمبر/أيلول 1943) بداية النهاية بالنسبة لموسوليني ولإيطاليا الفاشستية فقد سقط موسوليني في (25 يوليو/تموز 1943) وجاءت حكومة تفاوضت مع الحلفاء على الاستسلام بلا قيد ولا شرط. وأدى ذلك إلى تدفق القوات الألمانية على إيطاليا لتستميت في المقاومة ولكن دون جدوى أمام التفوق العددي والآلي في الطيران لدى جيوش الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة.

وبينما كانت القوات الأمريكية والإنجليزية تشق طريقها من جنوب إيطاليا صوب الشمال والقوات الروسية - المدعومة بالمعدات الضخمة الأمريكية - تتقدم في أوروبا الشرقية، فتحت جيوش الولايات المتحدة الأمريكية تساندها القوات البريطانية الجبهة الثانية عندما قامت تلك الجيوش بالنزول في نورماندى بشمال فرنسا في / 6 حزيران يونيو 1944 ليتم تحرير فرنسا من النازي ويبدأ غزو ألمانيا حتى سقطت برلين. و استسلمت ألمانيا في السابع من مايو/ ايار1945 بلا قيد ولا شرط على نحو ما قرره الحلفاء في مؤتمر كازابلانكا (الدار البيضاء) في 1945م.

وأما اليابان فقد بلغت ذروة قوتها واتساعها خلال عامي 1941 إلى 1942، وذلك عندما كانت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مشغولتين بإعادة تصعيد قواتهما الجوية والبحرية والبرية، ومواجهة خطر الغزو الألماني لبريطانيا وخطر الإندفاع الألماني إلى قلب الشرق الأوسط وخطر اجتياح الإتحاد السوفيتي. واستطاع اليابانيون أن يجتاحوا الفلبين والهند الصينية (الفرنسية) وتايلاند، والملايو، وسنغافورة، وجزر الهند الشرقية (أندونيسيا) والجزر العديدة المؤدية إلى نيوزيلنده واستراليا، ولكن ابتداء من

مايو/ ايار 1942 بدأت الضربات الأمـريكية توقف سرعـة التقدم والتفـوق الياباني في الباسيفيكي وشرق آسيا، ثم بـدأت عمليات الضغط العسكري المتواصل ابتداء من هزيمة اليابانيين في معركة ميدواي 1942 ، ثم بعد معركة جوادلكنال التي استمرت ستة أشهر انتهت بانتصـار القوات الأمريكية في نوفمبر/ تشرين ثاني 1942 لينتقل عنصر المبادرة إلى يد الأمريكيين في أوائل 1943م.

وفي عام 1945 نجح الروس والحلفاء الغـربيون في غـزو الأراضي الألمانية وحين دخلت القـوات الروسيـة إلى برلين (يونية/ حـزيران 1945) انتحـر هتلر وكبـار قادته وأعلنت ألمانيـا الاستسـلام دون قيـد أو شرط. واحـتلت القوات الروسـية والأمريـكية والإنجليزية والفرنسية أراضيهـا. وفي تلك الأثناء كان اليابانيون ينهارون يوما بعد يوم - فقضت الغـواصات الأمريكية تحلق فـوق الموانىء اليابانية وتغرق فلول السـفن المعادية. وراحت السفن الأمريكيـة على الأسطول التجاري الياباني وأخـذت الطائرات الأمريكية تغير على سواحل اليابان وأصبحت طوكيو وغيرها من المدن الصناعية الكبرى خرابا بعد قصفهـا بالقنابل الحارقة. وكان القادة اليابانيون يدركـون أنهم قد هزموا ولكنهم حاولوا الحصول على أحسن الشروط بمواصلة القتال غير أن الحلفاء لم يبدوا ميلا الى التفاوض، خاصة وأن روسيا كانت على وشك الانضمام الى الحرب في الشرق الأقصى.

وقد نجح الأمريكيون في تفـجير أول قنبلة ذرية حيث ألقت في 6 اغسطس / آب طائرة أمريكية قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما الصناعية في اليابان. وبعد ثلاثة أيام ألقيت قـنبلة أخرى على مـدينة نجازاكي. وإزاء خطر الدمـار الشامل الذي كـان يواجه اليابان استسلمت دون قيد أو شرط في (2 سبتمبر/ ايلول)(جـ.ب دروزيل 1962 . ص 9) .

وهكذا انتهت أكبر حرب مروعة عرفهـا التاريخ بعد أن خلفت في أعقابها الشقاء والفوضى. وأخذ الامـريكيون بوجه خاص يبدون حـماسهم لعالم جـديد تحكمه تدابير الأمن الجماعي. وخيل للكثيـرين أن الولايات المتحدة ستتفرغ لشئـونها الداخلية خاصة بعد أن ساهمت بجهودها في إنشاء منظمة عالمية جديدة هي الأمم المتحدة.

ولكن تعذر الاتفاق بين روسيـا والغرب بصدد مسائل مهمة، خـاصة وأن روسيا كانت تـعتزم إقـامة نطاق عـريض حولهـا من الدول التابـعة لها والـوصول إلى البـحر المتوسط. ولـم يمض وقت طويل حتى شـهد العالم حـالة من التوتر بين حـلفاء الأمس أطلق عليها اسم "الحرب الباردة" .

5. أهم العوامل الرئيسة التي أدت الى هزيمة دول المحور

أولاً- أرادت دول المحور أن تسيطر عسكريا على قلب الحضارة الحديثة (أوروبا) وهي تفقد مقومات هذه السيطرة، حيث أنها حضارة قامت على أساس ديمقراطي يعتمد على إمبراطوريات استعمارية مترامية الأطراف تمدها بقوى اقتصادية وبشرية كبيرة ومستندة إلى دولة كبرى فتية رهيبة الموارد البشرية والاقتصادية هي الولايات المتحدة الأمريكية، وما كان يدور في فلكها من دول أمريكا اللاتينية، وتحالفت معها دولة فتية هي الاتحاد السوفيتي وإن اختلفت مع الحلفاء من حيث مفهوم الديمقراطية إلا أنها كانت قادرة على أن تقذف بأعداد هائلة من الجيوش الواحد بعد الآخر ، في إصرار تمرست عليه روسيا في حروب طويلة عديدة خلال القرن التاسع عشر والعشرين.

وكان إقحام الحرب على الإتحاد السوفيتي من جانب ألمانيا وإقحام الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية من جانب اليابان عاملين جوهريين في أن يستميت السوفييت في ردع العدوان النازي الذي يحتقر بلادهم، وفي أن يصر الأمريكيون على ردع اليابانيين الذين كانوا في نظر الأمريكيين ناكري جميلهم لما كان للأمريكيين من فضل على اليابان من حيث فتح أعينهم على الحضارة الحديثة منذ منتصف القرن التاسع عشر.

ثانياً- وهناك نظرية هامة تذكر أن الدولة التي تتوسع إلى مسافات بعيدة أكثر من قدراتها لن تلبث أن تتعرض أطرافها للتآكل، ولن يلبث قلبها أن يضعف عن دفع دماء جديدة للمحافظة على ما سيطرت عليه. ولقد اتسعت فعلاً الرقعة على الألمان، وأصبحوا يقاتلون في جبهات ثلاث متباعدة منفصلة عن بعضها، ولقد حاول هتلر في أول الأمر أن يحول دون ذلك بتوجيه ضربات قاتلة إلى كل جبهة على حدة، وبدا وكأن الخطة قد نجحت في أعقاب هزيمة فرنسا فألقى بثقله على بريطانيا ولكنه خسر "معركة بريطانيا" فألقى بثقله على الإتحاد السوفيتي وحرباً متواصلة في شمال افريقية ثم امتدت إلى إيطاليا نفسها بينما فتحت "الجبهة الثانية" في فرنسا وأصبحت القوات النازية مضطرة إلى القتال في ثلاث جبهات متباعدة (نوار عبد العزيز 1982 . ص 437).

ولم تكن مهمة القوات الألمانية هي القتال على تلك الجبهات فقط، بل كان عليها أن تراقب بدقة الشعوب التي تسيطر عليها، حيث كانت القوات الألمانية

تنتشر من البلقان حتى إيطاليا وفرنسا بالإضافة إلى الإتحاد السوفيتي - على أرض معادية انتشرت فيها المقاومة والسرية والعلنية هنا وهناك.

ثالثاً- بينما اتفق هتلر وموسوليني والعسكرية اليابانية على نظام جديد في أوروبا والشرق الأوسط والشرق الأقصى يهدف إلى اقتسام العالم الأوروبي والقديم، كانت بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا الحرة والحلفاء يدعون إلى السلام العالمي والحرية واحترام الذات والمساواة وينكرون حق عنصر من عناصر البشرية في أن يدعى لنفسه التفوق على غيره.

ولقد أثبتت العناصر والشعوب الأخرى أنها لا تقل صلابة عن الألمان، فإذا كان الإنجلو سكسون من نفس العنصر الآري وحق لهم أن يضربوا أمثلة رائعة في المقاومة البطولية خلال معركة بريطانيا والصمود في طبرق ومالطة ثم في الاستمرار في الحرب حتى النصر، فإن الروس أثبتوا بطولاتهم في ستالنجراد ولننجراد وفي التضحيات الرهيبة في ميادين القتال التي أفقدتهم أحد عشر مليونا من زهرة شبابهم.

ولقد كانت صلابة الألمان خلال محنتهم في 1944 و 1945 أقرب إلى المستحيل منها إلى القدرات، على العكس من الإيطاليين الذي بدا عليهم خور العزيمة منذ اشتراكهم في القتال سواء في اليونان أو البانيا أو شمال إفريقية، مما اضطر الألمان أن يحلوا محلهم في هذه الجبهات التي كانت من المسئوليات الأولى الإيطالية. ولا تكاد صقلية تسقط ويبدأ غزو إيطاليا حتى يقع انقلاب يطيح بالدوتشى الذي ملأ أسماع الدنيا بأن الإمبراطورية الرومانية ستعود على يديه.

رابعاً: وإذا ما قورنت فرنسا، الحليف الذي سقط من الضربة الأولى بإيطاليا، جناح المحور الذي سقط أيضاً هو الآخر من الضربة الأولى، نجد أن فرنسا ممثلة في ديجول عزمت على أن تستمر في الكفاح، وحتى أولئك الفرنسيون الذين كانوا مترددين بين الكفاح والانتظار كانوا مستعدين في أكثر من مرة للتضحية إذا ما حاول الألمان الإفادة منهم رغماً عنهم، وأبلغ شاهد على ذلك إغراق الفرنسيين أسطولهم في طولون عام 1944 عندما حاول الألمان السيطرة عليه. حقيقة قاومت قطعات الجيش الفرنسي التابع لفيشى الحلفاء في الدار البيضاء وفي سوريا ولبنان، ولكنها كانت تقاوم الإنجليز لأنهم تخلوا عن فرنسا في محنتها في 1941

وليس حباً في الألمان أو تأييداً لهم، وهذا يفسر لماذا كانت صعوبة التوصل إلى اتفاق أو تفاهم مع ممثل القطاعات الفرنسية في تلك الجهات وإن لم يتم هذا إلا بعد جهد ودماء.

أما الإيطاليون فقد انقلبوا فكراً وسلاحاً ضد نظام الفاشيست وضد النازي، وكأن الشعب كان ينتظر الفرصة للتخلص من هذا الكابوس، فما أن واتته حتى هدم النظام القديم الفاشستي ولم يجد الألمان من الإيطاليين المؤيدين لهم سوى قوات أخذت تتناقص بسرعة، بينما كان عدد الفرنسيين الذين انخرطوا في قوات الحلفاء يتزايد باطراد.

خامساً- وبينما وجدت بريطانيا وفرنسا في مستعمراتها معيناً لا يكاد ينضب من المقاتلين الوطنيين من أمثال الفرق التي تكونت من الجزائريين ومثل الجيوش الكثيفة من الهنود التي قاتلت حتى ضفاف نهر الألب في قلب ألمانيا وحتى جبال الألب الإيطالية، تجد إيطاليا لا تفيد إلا بقوات هزيلة جداً جمعتها من مستعمراتها التي سرعان ما فقدتها في سنوات الحرب الأولى.

سادساً- إن التنسيق العسكري بين دول المحور كان ضعيفاً، كل عضو كان ينفذ مخططاته العسكرية على حده، على العكس من الحلفاء الذين تلقوا درساً رائعاً في قيمة القيادة المشتركة التي قادت بريطانيا وفرنسا في أواخر الحرب العالمية الأولى إلى النصر. فقد عنى الساسة الأمريكيون والإنجليز بتوحيد القيادة، وأسندت إلى الجنرال إيزنهاور قائد الحملة الكبرى على نورماندى في عام 1944 واستطاع أن يضع الخطط وتنفذها القطاعات العسكرية الأمريكية والإنجليزية والفرنسية والهولندية وغيرها في سرعة ويسر لسهولة تفاهم هيئة الأركان المختلطة، ولأن السلاح الأمريكي أصبح هو السائد في أيدي المقاتلين من الحلفاء، حتى السلاح الإنجليزي كان هو الآخر قد أصبح على الطراز الأمريكي.

سابعاً- وإذا ما طبقنا نظرية ماهان Mahan القائلة بأن مصير الصراع بين قوى البحر والبرهو لصالح الأولى، لوجدنا أن ألمانيا كان يعوزها السلاح البحري المتطور منذ نشوب الحرب، وكان ذلك نتيجة من نتائج معاهدة فرساي 1919 التي حرمت ألمانيا لفترة طويلة من بناء أسطول بحري قوي في الوقت الذي كان فيه

الأسطول البريطاني يضم العديد من البوارج الثقيلة، وأصبحت قوة الحلفاء البحرية رهيبة بانضمام الأسطول الأمريكي الضخم إلى الأسطول البريطاني.

وكانت عمليات الإمدادات تتم بدقة وكثافة ولم تعوز الحلفاء مادة خام استراتيجية خلال الحرب، بينما كانت ألمانيا تعاني بمرارة من نقص البترول خاصة بعد استيلاء روسيا على منابع البترول في رومانيا.

ومع أن الاتحاد السوفيتي كان هو الحليف الوحيد البعيد عن الاتصال المباشر مع الحلفاء إلا أن فتح الطريق عبر الخليج العربي وإيران إليه لتوصيل الإمدادات العسكرية الأمريكية الضخمة قد جعله قادراً على تنسيق خططه العامة مع قادة الجبهة الثانية مما عجل في تحقيق النصر.

6. نتائج الحرب

أحدثت الحرب العالمية الثانية تغييرات أساسية في الوضع الدولي أهمها:

1- لقد نتج عنها ظهور الاتحاد السوفيتي الكتلة والولايات المتحدة كقوتين عظيمتين، تزعم إحداهما الكتلة الشرقية (الاشتراكية) والأخرى لكتلة الغربية (الرأسمالية)، مما أدى إلى زيادة حدة التوتر في العالم، الذي خرج من الحرب العالمية الثانية ليدخل فورا في الحرب الباردة، وظهرت إلى الوجود الأحلاف العسكرية المتنافسة بما تحمله من أخطار على السلام والأمن الدوليين.

2- عقد مؤتمر بوتسدام في يوليو/ تموز 1945 وضم روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا تم بموجبه ما يلي:

- حرمان ألمانيا من كثير من ممتلكاتها، فقد اقتطعت منها بروسيا الشرقية وضم القسم الشمالي منها إلى روسيا والجنوبي إلى بولندا. كما حصلت بولندا على مدينة دانزج الحرة.
- تحطيم القوة العسكرية الالمانية.
- إعادة تنظيم الاقتصاد الألماني بحيث يوجه للإنتاج الزراعي وإنتاج الصناعات السلمية الاستهلاكية. .
- دفع ألمانيا تعويضات للحلفاء.
- تقسيم ألمانيا إلى مناطق نفوذ بين روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا. وقد ظهر إلى حيز الوجود في عام 1949 دولتان ألمانيتان: ألمانية الشرقية وعاصمتها برلين (الجزء التابع لروسيا) وألمانيا الغربية وعاصمتها بون (الجزء التابع لبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا). (جـ.ب. دروزيل 1962، ص 84)

3- القضية اليابانية: زالت الامبراطورية اليابانية بعد أن أخذت من اليابان جميع ممتلكاتها الخارجية. وألحقت جزر كوريل وجزيرة سخالين بالاتحاد السوفياتي بموجب اتفاق يالطا Yalta. أما الجزر، التي تملكها اليابان في المحيط الهادىء الأوسط بصفة انتداب، فقد ألحقت في الواقع بالولايات المتحدة. وعادت منشوريا إلى الصين، ولكن الاتحاد السوفياتي استعاد تقريباً جميع الفوائد التي كانت تملكها روسيا

القيصرية في هذه المنطقة حتى حرب 1905 وأخيراً قسمت كوريا بين منطقة احتلال روسية ومنطقة احتلال أمريكية، على أن تصبح بعد بضع سنوات دولة مستقلة.

4- تقسيم النمسا عام 1945 إلى أربع مناطق من روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا. ولكن الحلفاء اعترفوا باستقلالها عام 1946.

5- اتسعت الروح القومية في بلاد آسيا وأفريقيا ومطالبتها بحق تقرير المصير وانهاء الاستعمار مما ساعد على نجاح حركات التحرر الوطني.

6- اكتشاف أسلحة حديثة متطورة قلبت النظم العسكرية القديمة رأساً على عقب.

7- نزول بريطانيا وفرنسا من مرتبة الدول الكبرى الأولى إلى مرتبة ثانية وثالثة.

8- انهيار الحكم الفاشي في إيطاليا والحكم النازي في ألمانيا.

9- ظهور كثير من الدول المستقلة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (دول العالم الثالث) وتعرضها لكثير من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة لتخلفها العلمي والتكنولوجي وعجزها عن تنمية مواردها ورفع مستوى معيشة سكانها.

10- قامت منظمة الأمم المتحدة التي ضمت الدول المستقلة في العالم.

11- شرد الملايين في أوروبا واليابان كما عمها الخراب والدمار.

تدريب (2)

كانت العنصرية والطمع واضحة في أفكار وأعمال هتلر في محاولته السيطرة على اوروبا، اشرح ذلك؟

اسئلة التقويم الذاتي (2)

1- هناك عوامل رئيسة أدت الى هزيمة دول المحور، اشرح ذلك.

2- اشرح الأسباب التي دعت الولايات المتحدة إلى دخول الحرب العالمية الثانية.

7. الخلاصة

ناقشنا في هذا الفصل، عزيزي الـقارئ، حيثيات الحرب العالميـة الثانية حيث أنه بحلول أول سبتمبر/ أيلول 1996 يكون قد مضى نصف قرن ونيف على نشوب الحرب العالمية الثانية ذلك الحدث الجلل الذي استمر قرابة ست سنوات (1939- 1945) وشمل أركان العالم، وتسبب في خسائر بشرية ومادية ومـعنوية جسيمة تركت آثاراً عميقة على معظم شعـوب العالم، واستطاعت هذه الشعـوب أن توجه قادتها وزعمـاءها نحو عدم تكرار أخطاء القـادة السابقـين ومن هذه الشعـوب الشعب الألمـاني والشعب اليـاباني. وأصبح كلٌ من الشعـبين يتمسك بالديمقراطيــة، بعد الخراب الذي حل بهما، وأصـبحا الآن في طليعة دول العالم اقتصادياً ولم يدب القنوط واليأس في نفوس مواطنيها.

والحرب العالمـية الثانية فيـها الكثير من الدروس والـعبر لا للشعوب فـحسب بل وللأفراد كـالدبلوماسيين والعـسكريين لما فيهـا من معاهدات واتفـاقيات، ولما فيـها من استراتيجية وتكتيك عسكري ومـعارك وأسلحة، ولقد عرضنا ،عزيزي القارئ ،في هذه الوحدة إلى أوضاع دول العالم قبيل الحرب العالمية الثانية وخاصة الدول الكبرى حينذاك وهي ألمانيـا النازية وإيطاليا الفـاشية وبريطانيـا وروسيـا، وكذلك الأزمات الدولـية التي نشبت قبل الحـرب الأهلية الإسبانيـة، والاستعمـار الإيطالي للحبشة والحرب الـيابانية- الصينية ثم عرضنا إلى عوامل قيام الحرب العالمية الثانية ومن أهمها كان ظهور الحكومات الدكتاتورية مثل ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، وكذلك تحدثنا عن دخول الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحرب وكذلك اليابان وروسيا ونتيجة ذلك على مصير الحرب.

وعلينا أن نقر أن الحـرب العالمية الثانية كـانت أكثر الصراعات تكـلفة في التاريخ ولم تقتصـر خسائرها على الناحـية البشرية، بل تعـدتها إلى الخسائر الاقتـصادية والتي بلغت في تصورات أحـد الباحثين إلى 1154 مليار دولار أمريكي، أنفـقت كلها على السلاح والعـتاد الحـربي. هذا عدا الخراب الذي حل بالمـمتلكات، ففي بريطـانيا على سبـيل المثال تم تدميـر ثلث مبانيـها. كمـا خلفت الحرب العـالمية الثانيـة وراءها نتائج اجتماعـية ونفسية تركت آثاراً عميـقة في مجتمعات العـالم. وما إلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيمـا ونجازاكي وما تركته من آثار اجتماعية ونفـسية على من بقي حياً إلا الدليل على ما نقول.

8. لمحة مسبقة عن الفصل السادس

ننتقل، عزيزي القارئ في الفـصل التالى وهو السادس من هذا الكتاب إلى بحث موضوع عصبة الأمم وهيئة الأمم فنتطرق بالحديث إلى نشأة كل منهما وأهدافهما إضافة إلى مناقشة أجهـزة العصبة وأعمالهـا والتطرق إلى مبادىء الأمم المتحدة والعضـوية فيها وفروعها والمنظمـات الدولية المرتبطة بالأمم المتحدة ، ومنها منظمـة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة ، واليونسكو ومنظمـة الصحة العالمية واليونسيف وغـيرها ونقدم لك في نهاية الفصل عن إنجازات الأمم المتحدة .

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

لقد احتوت المبادئ النازية على الكثير من التزييف والتضليل تتمثل بالآتي:

1- اعتبار الجنس الآري الذي ينتمي إليه الألمان أحسن الأجناس وأرقاها، وأن اليهود والزنوج أحقر الأجناس، وهذا التصنيف على أساس العرق والجنس فيه نوع من المغالاة والتطرف ويتنافى مع القيم والمبادئ الإنسانية والديمقراطية، وليس له أي دليل علمي أو منطقي حيث ثبت علمياً أن قدرات الإنسان وكفاءاته ليس لها أي علاقة بلونه أو جنسه أو عقيدته أو دينه وأن مبادئ الأمم المتحدة اليوم تمنع بل وتحرم معاملة الإنسان على إحدى الأسس السابقة، وأن جميع الناس قد ولدوا أحراراً وهم متساوون أمام القانون.

2- نتيجة لنظرية تفوق الجنس الآري عمل الألمان الآريون على تنفيذ سياسة المجال الحيوي وهو توسع ألمانيا على حساب جيرانها والعمل على إيجاد مستعمرات لها تستورد منها المواد الأولية بأسعار زهيدة وتصدر لها صناعاتها والتي اعتمدت على الموارد الأولية المستوردة بأسعار عالية.

3- تمجيد الزعامة الفردية واعتبار الفوهرر (هتلر) ممثلاً لشعب ألمانيا بأسره.

4- عدم الارتباط بالدين.

5- إلغاء النقابات باعتبارها منظمات احتكارية تعطل تقدم البلاد.

6- حرم على العمال حق الإضراب والاعتصام.

تدريب (2)

صمم هتلر على توسيع حدود ألمانيا ونقض شروط معاهدة فرساي طمعاً في محاولته للسيطرة على أوروبا ولتنفيذ أطماعه وأحلامه اتبع الخطوات التالية:

1- دأب على تسليح ألمانيا كي تتفوق عسكرياً.

2- بعد ثمانية شهور من توليه الحكم أعلن انسحاب ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح ثم من عصبة الأمم المتحدة.

3- أعلن عدم تقيده بمعاهدة فرساي عام 1919 وألغت ألمانيا عام 1935 كل ما ورد في هذه المعاهدة بشأن نزع السلاح.

4- عمل على زيادة قوات ألمانيا المسلحة وذلك بالعودة إلى التجنيد الإجباري لجميع الشباب في سن العشرين ففي عام 1936 كان عدد الجيش الألماني 26 فرقة أصبح عددها بعد سنتين 42 فرقة، وأصبح عدد أفراد الجيش الألماني 1.5 مليون جندي.

5- قام بتوجيه الاقتصاد الألماني نحو التعبئة الحربية.

6- تعبئة الشبيبة الألمانية لكراهية الشيوعية، وعندما شعر هتلر بتفوقه العسكري عقد في 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1937 مؤتمراً سريعاً مع أعوانه المقربين صرّح فيه بأن تسليح ألمانيا قد انتهى عملياً وأن ألمانيا ستظل متفوقة عسكرياً لبضع سنين قادمة وكون هذا التفوق مؤقتاً و لن يستمر طويلاً ولأن الأسلحة سوف تتبدل أيضاً إضافة إلى أن أسرار التسلح سوف لن تظل سرية ويصعب كتمانها ، لكل هذه الأسباب على ألمانيا أن تتحرك بسرعة لتحقيق أهداف سياستها الخارجية بالتوسع، مستفيدة من تفوقها في التسلح ، وفعلاً بعد أقل من سنتين من مؤتمر تشرين ثاني 1937 نشبت الحرب العالمية الثانية في 1 سبتمبر/ أيلول 1939.

10. مسرد المصطلحات

- البرجوازية Bourgoisie

طبقة اجتماعية ارتبطت تاريخياً من حيث نشأتها بالمدن أو القرى الكثيرة ذات الأسواق التجارية، وتكونت من طبقة العمال والنبلاء وكانت ترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال والمحلات العامة والمشرفين على شؤون الصناعة والتجارة. وقام المجتمع البرجوازي على أنقاض المجتمع الإقطاعي وتملك البرجوازية الثروة العقارية والزراعية والصناعية وعلى الصعيد السياسي أفرزت البرجوازية الدولة القومية الحديثة والديمقراطية الليبرالية والبرلمانية إلى جانب الفاشية والنازية والامبريالية الحديثة.

- البروليتاريا Prolitariat

طبقة العمال الصناعيين الذين يعتمدون في كسب رزقهم على بيع عملهم باعتبار أنهم غير مالكين لرأس المال أو وسائل الإنتاج ربط البروليتاريا بالمفهوم الماركسي والصراع الطبقي.

- الدوتشي Ducc

لقد عرف به موسوليني، وأصل كلمة دوتشي من اللاتينية Dux وتعني القائد وقد أطلق اللقب على موسوليني بالتحديد منذ المسيرة إلى روما عام 1922 وبعد عام 1925 خرج التعبير عن تداوله بين الفاشيست وأصبح مستعملاً في التظاهرات العامة أيضاً.

- الرايخ Reich

كلمة ألمانية تعني في الأصل "الدولة" بصرف النظر عن نوع الحكم فيها ثم أصبحت تعني معنى أوسع هو الامبراطورية، وتشكل الرايخ الأول باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة والتي كانت تشمل جزءاً كبيراً من الشعب الألماني ثم تكون الرايخ الثاني عام 1871 بعد أن وحّد بسمارك ألمانيا بزعامة بروسيا وظل هذا الرايخ قائماً حتى عام 1918 ثم أطلق على فترة الحكم النازي اسم "الرايخ الثالث" أما كلمة الرايخستاج Reichstag فتطلق على مجلس الشعب وينتخب أعضاؤه بالاقتراع العام وكانت سلطة هذا المجلس محدودة لأن الوزارة لم تكن بمسؤولة امامه بل أمام الإمبراطور.

- الفوهرر Fuhrer

كلمة ألمانية معناها قائد أو زعيم أشاع استعمالها أدولف هتلر رسمياً على أثر تنصيبه خلفاً للرئيس هندينبرغ، أصبح فوهرر مستشار الرايخ الألماني نظراً لأنه ابتغى تأكيد السلطة الشخصية وتجسدها فيه كزعيم أعلى وأوحد.

11. المراجع

أولا- المراجع العربية

1- جرانت، وتمبرلي : تاريخ أوروبا في القرن العشرين. ترجمة محمد أبو درة، لويس اسكندر ،ج2، مؤسسة سجل العرب 1967.

2- الدسوقي، محمود كمال : الحرب العالمية الثانية صراع استعماري - دار المعارف، القاهرة 1967.

3- رونوفن، بيير : تاريخ القرن العشرين. ترجمة نور الدين حاطوم دار الفكر الحديث / لبنان 1969.

4- فيشر ،هربرت : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. تعريب أحمد هاشم، وديع الضبع دار المعارف بمصر 1977.

5- منسي، محمود صالح : الحرب العالمية الثانية - مطبعة عبير - القاهرة، 1989

6- نوار، عبد العزيز : التاريخ المعاصر أوروبا (1871-1945) دار الفكر العربي 1982

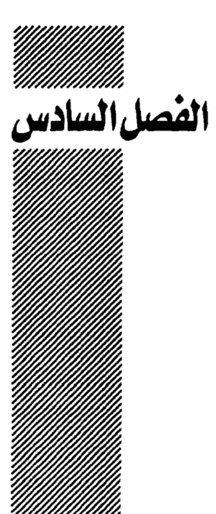
ثانيا- المراجع الأجنبية

1- Gantenbein James . W. : Background of the World War II NewYork 1948.

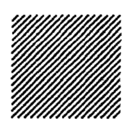
2- Jordan, .W.M: Great Britain , France and the German problem 1918 - 1939. London 1944.

3- Liddeu, Hart : History of second war (Pan Books land 1973).

الفصل السادس



عصبة الأمم وهيئة الأمم والمنظمات المنبثقة عنها



1. المقدمة

1.1 التمهيد

نرحب بك، عزيزي القارئ، في الفصل السادس من كتاب "تاريخ العالم الحديث والمعاصر" وهو بعنوان "عصبة الأمم وهيئة الأمم والمنظمات المنبثقه عنها" والذي يعالج موضوعين مهمين حول فكرة التعاون الدولي لحل المنازعات التي كانت تقوم بين الدول الكبرى.

وهي فكرة قديمة راودت خيال الفلاسفة والعلماء منذ أقدم العصور، ففي القرن السابع عشر للميلاد قدم "مكسمليان سلي" وزير هنري الرابع ملك فرنسا مشروع لدمج جميع دول أوروبا في تحالف دائم، تحرّم بموجبه الحروب وتقوم مجالس عامة بالتحكيم في المنازعات والخلافات الدولية. وفي عام 1632 اقترح العالم الفرنسي "إمريك كروسيه" إلغاء الجيوش الأوروبية وإقامة محكمة دولية لتسوية المنازعات، كان الدافع لمثل هذه المشروعات الرغبة في تجنب ويلات الحروب والمحافظة على الأمن والسلام. غير أن هذه المشروعات المثالية لم تلق قبولاً، فحلت محلها الأحلاف ذات الأهداف الدفاعية والتوسعية. ونشأ عن هذه الأحلاف فكرة التوازن الدولي في أوروبا كوسيلة لمنع نشوب الحرب، وظلت هذه الفكرة مسيطرة على عقول السياسيين الأوروبيين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى .

وقد شهد القرن العشرون – بالإضافة إلى عشرات الحروب الصغيرة والمحدودة – حربين عالميتين فاقت نتائجهما المدمرة كل ما كان متوقعاً، ومن العوامل التي أدت إلى تلك الخسائر الفادحة، التطور الهائل في صناعة الأسلحة خلال هذا القرن، وتحول الحرب إلى حرب شاملة تعبئ بها الدول كل إمكاناتها العسكرية والمدنية.

ويكفي للتدليل على عظم الخسائر التي حلت بالبشرية من جراء تلك الحروب أن تعرف أن الحرب العالمية الأولى قد نتج عنها مقتل عشرة ملايين إنسان (من العسكريين والمدنيين) وإصابة عشرين مليوناً آخرين بجراح مختلفة. أما خسائر الحرب العالمية الثانية فقد فاقت الأربعين مليونا بين قتيل وجريح أما من الناحية الاقتصادية فقد بلغت الخسائر المباشرة 180 مليار دولار، أما الخسائر غير المباشرة فقد بلغت 151 ترليون دولار .

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل ان تكون قادراً على أن:

1- تعرف المصطلحات والتعميمات وتبين القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في هذا الفصل.

2- تذكر أهداف عصبة الأمم.

3- توضح أسباب انهيار عصبة الأمم.

4- تحدد العوامل التي أدت إلى إنشاء هيئة الأمم المتحدة.

5- تميز بين اختصاصات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

6- تبين أوجه القصور في ميثاق الأمم المتحدة وطريقة أدائها.

7- توضح دور الدول الكبرى في توجيه الأمم المتحدة.

8- تبين أهمية المنظمات الدولية المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسين يرتبطان بقائمة الأهداف السابقة، حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل. في حين يرتبط القسم الأول "عصبة الأمم" بالهدفين الثاني والثالث، ويرتبط القسم الثاني "هيئة الأمم المتحدة" بالأهداف المتبقية من الرابع إلى الثامن.

4.1 القراءات المساعدة

القراءات التالية - عزيزي القارئ - مفيدة لتعمق فهمك لموضوع الفصل:

1- أبو جابر، فايز صالح : التاريخ السياسي الحديث، العلاقات الدولية المعاصرة، دار البشير، عمان 1989، ص 293-295.

2- باروس، جيمس : الأمم المتحدة، ماضيها، حاضرها ومستقبلها، ترجمة نور الدين الزراري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1979، ص 91-93.

3- دروزيل، ج . ب : التاريخ الدبلوماسي، تعريب نور الدين حاطوم، مطبعة جامعة دمشق 1962، ص 111-112.

4- الدقاق، محمد السعيد : الأمم المتحدة والمنظمات الاقليمية، منشأة المعارف بالاسكندرية 1977 ص 160-163.

5- عمر، حسين : المنظمات الدولية. دار الفكر العربي، القاهرة 1993، ص 412.

6- المعز، محمد صالح : المنظمات الدولية، مطابع قطر الوطنية، قطر 1987، ص 16.

2. عصبة الأمم

كانت الخسائر الفادحة التي منيت بها أوروبا خلال الحرب العالمية وفقدها ملايين البشر من زهرة شبابها، دافعا قويا لأن تشتد حركة البحث عن وسيلة جماعية دولية لمنع تكرار هذه المجزرة البشرية الهائلة التي استمرت أكثر من أربع سنوات. ولم يكن الرئيس ولسون (رئيس الولايات المتحدة) هو أول من نادى بفكرة تجمع أوروبي للعمل من أجل السلام، فلقد كان هناك العديد من المفكرين والفلاسفة الأوروبيين الذين دعوا لفكرة التجمع الأوروبي ولكن دون ان تجد هذه النداءات استجابة.

من جهة أخرى شهدت أوروبا في العصور الحديثة العديد من الحروب الطاحنة مثل حرب الثلاثين عاما (1618 - 1648) وحرب الوراثة الإسبانية (1701 - 1713) وحرب السنين السبع (1756 - 1763) وحروب الثورة الفرنسية ونابليون (1792-1815) ونتج عن هذه الحروب مقتل مئات الآلاف من البشر فضلاً عن التخريب والدمار.

ومن ناحية أخرى لم تكن فكرة عصبة الأمم التي روج لها الرئيس ولسون بكل قوة من عملة هو فقط، وانما هي نتيجة منطقية لتطور العلاقات الدولية بمختلف مظاهرها وتعدد جوانبها. فقد وجدت أوروبا نفسها اكثر من مرة مضطرة إلى عقد مؤتمرات كبرى لتسوية المعضلات التي يستعصي حلها على دولة أو اثنتين ومن هذا القبيل مؤتمر فينا 1815، مؤتمر باريس 1856 مؤتمر لاهاي 1899، مؤتمر لندن 1912 الخ.

ومن المعروف أن المؤتمرات الدولية تمهد أو تساعد على ظهور اتحادات وهيئات سياسية دولية تعمل على نطاقات أوسع، ولهذا أعدت تلك المؤتمرات والاتحادات أذهان أوروبا إلى تقبل فكرة عصبة الأمم في عام 1918م.

كذلك شهدت أوروبا عدداً من المشروعات تغلب على معظمها روح المثالية ويصعب تحقيقها، خاصة في ظل ازدهار الروح القومية، وحرص الملوك والامراء على التمسك بما في أيديهم من سلطات وامتيازات، وعدم رغبتهم في الخضوع لسلطة أعلى تحد من سلطاتهم، ومن هذه المشروعات على سبيل المثال مشروع السلام الدائم في أوروبا الذي وضعه شارل كاستل Charles Castel سنة 1781 ومشروع بنتام Bentham الفيلسوف الانجليزي الذي نشره سنة 1793 ومشروع المحكمة الدولية وبرنامج الوحدة

الأوروبيـة، ومما يؤخذ عـلى تلك المشروعـات أنهـا كانت تـعالج الأوضـاع في أوروبا المسيحية فقط وتستبعد ما عداها وبخاصة الدولة العثمانية وسائر أنحاء العالم الإسلامي، فضلاً عن إغراقها في المثالية مما أفقدها الطابع العملي وجعلها مستحيلة التحقيق.

ومن الواضح، عزيزي القارئ، أن هذه المؤتمرات والمشروعـات جميعاً لم تؤد إلى استتاب السلام إلا لفـترات قصيرة، وسرعان ما كانت الحـروب تنشب من جديد مؤكدة الحاجة إلى تنظيم دولي ناجح لحفظ السلام.

1.2 نشأتها

ترجع أهميـة عصبة الأمم إلى أنها تقـدم للبشر أداة لتنظيم العالـم وحكمه، وقد أدرك صائغـو عهد العصـبة بأن من العبث خلق حكومـة عليا تلغي الحكومات القومـية للدول، وتحل محلها في السيطرة على شؤونها.

وكانت أول مـحاولة جادة لتأسـيس منظمة دولية تسـعى لحل المشاكل بين الدول بطريقـة سلمية هي إنشـاء «عصـبة الأمم»، وكان الـفضل الأول في إنشائهـا يرجع إلى الرئيس الامـريكي "وودرو ويلسـون Woodrow Wilson" الذي أعلن في خطاب له أمام الكونجرس في 8 شباط / فبراير سنة 1918 (وكانت الحرب العالمية الأولى لازالت مشتعلة) أنه يجب أن تتكون جمعية عـامة للأمم عن طريق اتفاقات رسمية، تعمل على تقديم ضمانات متبادلة للمحافظة على الاستقلال السياسي والإقليمي للدول جميعها.

وفي مؤتمر الصلح الذي عقـد في أعقاب الحرب، حرص ويلسـون على الحصول على تأييد لفكرة تضمين معاهدة الصلح مـشروعاً لعصبة الأمم، وفي 25 يناير / كانون ثاني سنة 1919 وافق مؤتمر الصلـح على قرار بتأسـيس «عصبـة الأمم»، وتشكيل لجنة لإعداد مشروع لميثاق هذه العصبة... وقد وضح الخلاف آنذاك بين اتجاهين رئيسـين:

1- الاتجاه الفـرنسي الذي كان يرى ضـرورة إنشاء عصـبة أمم قوية تمتـلك القدرة على مراقبـة المانيا، وتستطيع أن تكفل احتـرام معاهدات السلام، على أن تزود لتـحقيق ذلك بقوة حربية.

2- الاتجاه الأنجلو أمـريكي، وكان معـاديا لفكرة «القوة الحربيـة الدولية» ويرى أن هذه القوة تحـد من سيادة الدول، كمـا كان أصحاب هذا الاتجـاه لا يرغبون في جمـعية تتخذ صفـة الإلزام، ويفضلون جمعية تدخـلها الدول باختيارها، مع مجـرد التعهد

بالالتجاء إلى الوساطة الدولية إذا قام نزاع بين الدول... أي أن العصبة يجب أن تمارس ضغطاً أدبياً على الدول للمحافظة على السلام. وقد انتصر هذا الاتجاه الذي كانت تسانده دول الكومونولث وأمريكا اللاتينية والدول التي كانت ترغب في تعديل معاهدات السلام.

2.2 ميثاق العصبة

تضمن ميثاق العصبة مقدمة حددت أغراضها وهي «توثيق التعاون بين الأمم، وضمان السلم والأمن الدوليين» ثم حددت المبادىء التي تقوم عليها العصبة وهي:

أ- قبول الدول للالتزام بعدم اللجوء إلى الحرب.

ب- العلاقات بين الدول تكون علنية وعلى أساس العدالة والشرف.

جـ- تلتزم الدول باحترام قواعد القانون الدولي العام.

ثم احتوى الميثاق على 26 مادة تحدد أسلوب تشكيل العصبة والمهام التي تضطلع بها ووسائل تحقيق أهدافها. (محمد صالح المسفر، 1987، ص 16).

1- تتألف العصبة من الدول العظمى وهي إنجلترا، فرنسا، الولايات المتحدة، إيطاليا واليابان ويسمح لغيرها من الدول بالانضمام إليها إذا حصلت على ثلثي الاصوات.

2- على الدول الأعضاء تبادل المعونة ضد أي عدوان، وفض المنازعات عن طريق التحكيم، وتجنب أي حرب لمدة ثلاثة أشهر بعد التحكيم.

3- تلغى المعاهدات بين الدول الأعضاء والتي تتعارض مع التزامات العصبة.

4- لكل دولة من الأعضاء صوت واحد في الجمعية العمومية.

5- تشكل سكرتيرية دائمة للعصبة مقرها جنيف.

6- الشؤون التنفيذية يقوم بها مجلس يتكون من ممثلين عن الدول الخمس العظمى وأربعة تختارهم الجمعية. وبهذا يكون أعضاء مجلس الأمن تسعة أعضاء.

7- قرارات العصبة يجب أن تصدر بالإجماع.

8- لم ينص الميثاق على تاريخ معين لانتهاء العصبة، أي أنها منظمة دائمة.

ولكن هذه الآمال الكبيرة لم تعمر طويلاً. فإنه عندما التأم عقد الجمعية الأولى للعصبة في جنيف في خريف 1920، لم يكن ممثلا بها غير أربع وأربعين دولة. ووقفت

روسيا بعيداً عنها، ولم تر العصبة يومئذ أن ألمانيا وتركيا وغيرها من دول الأعداء السابقة تستحق أن تشارك فيها، فقد اعترضت فرنسا ونجحت في اعتراضها على دخول أعدائها خلال الحرب في العصبة، ولكنهم لم يلبثوا أن دخلوها، ولم تلبث ألمانيا أن انسحبت منها، كما انسحبت أيضاً اليابان.

ولكن أخطر ضربة وجهت للعصبة هي عدم تمثيل الدولة (الولايات المتحدة الأمريكية) - التي كانت موافقتها على قراراتها، ومعاونتها في تنفيذها - امر جوهري لتنفيذ العقوبات الاقتصادية التي قد تعاقب بها الدول الأعضاء التي تنقض ميثاقها، وهي الدولة التي وضعت سائر الأمم ثقة كبيرة في ميلها إلى العدل، وبعدها عن الهوى والغرض، فعند عرض معاهدة الصلح على مجلس الشيوخ الأمريكي اقترح إجراء تعديلات عليها، ولما لم تتم هذه التعديلات، لم تجز المعاهدة - وميثاق العصبة من ضمنها - على موافقة المجلس، وظلت الولايات المتحدة خارج العصبة.

ويلاحظ، عزيزي القارئ، أن العصبة، برغم أنها منظمة ذات اتجاه عالمي - أي أنها تسمح لجميع دول العالم بالانضمام إليها - إلا أنها لم تنجح من الناحية الواقعية في تحقيق صفة العالمية، حيث أنها لم تضم في أي وقت كل الدول المستقلة، بالإضافة إلى أن معظم شعوب آسيا وإفريقيا لم تكن دولاً مستقلة في هذه الفترة، كما استبعد الأعضاء المؤسسون - وهم الحلفاء المنتصرون - دول الأعداء بعض الوقت، كما ظلت العصبة محرومة من إسهام الدول الكبرى في نشاطها:

أ- لم تنضم الولايات المتحدة إلى العصبة، وذلك خوفاً من تدخل أوروبا في شؤون القارة الأمريكية.

ب- لم تقبل ألمانيا إلا سنة 1926 (وقد اعطيت مقعداً دائماً) ثم انسحبت سنة 1933م.

جـ- لم ينضم الاتحاد السوفيتي إلا سنة 1934م ثم فصل سنة 1939م.

د- انسحبت اليابان سنة 1935م.

هـ- انسحبت إيطاليا سنة 1937م.

3.2 أهداف العصبة

عزيزي القارئ، وكان لعصبة الأمم - كما نص ميثاقها اختصاصات واسعة شملت الموضوعات الآتية :

- فض المنازعات بين الدول بالطرق السلمية.
- الإشراف على برامج تخفيض التسلح.
- العمل على رد العدوان على أي دولة عضو.
- توثيق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الدول.
- تنظيم الانتدابات الدولية.

وعلى الرغم من هذه الاختصاصات الواسعة إلا أن العصبة كانت تنظيما غير فعال وذلك للأسباب الآتية:

1- لم تكن العصبة تملك أي سلطات حقيقية أو قوة ضرورية لفرض احترام مقرراتها بل كانت تستند إلى الرأي العام.

2- قرارات العصبة يجب أن تصدر بالإجماع، ولم تكن مع هذا إلا مجرد توصيات.

3- لم يحرم ميثاق العصبة الحرب، بل أجازها إذا فشل حل المنازعات بالطرق السليمة، وذلك بعد انقضاء مهلة ثلاثة أشهر على ذلك الفشل.

4- الإجراءات والجزاءات الجماعية ضد الدولة المعتدية تكون بعد وقوع العدوان، وبذلك تكون متأخرة عادة (لم تطبق هذه الإجراءات إلا مرة واحدة ضد إيطاليا بسبب عدوانها على الحبشة سنة 1935 وقد تعمدت بعض الدول تأخير التطبيق والتراخي فيه مما أدى إلى الفشل).

5- لم تزد العصبة عن كونها هيئة أوروبية تنظر إلى المشكلات العالمية من زاوية أوروبا وحدها، وتعتبر سائر بلاد العالم الأخرى من ملحقات أوروبا.. فمثلاً كان نظام الانتداب الذي أوجدته العصبة استعماراً مقنعاً، وبقيت الأشكال الأخرى للاستعمار كالحماية والاحتلال والدمج كما هي بدون تغيير.

وعلى أي حال أقر ميثاق عصبة الأمم في 28 نيسان ابريل 1919 على أساس أنها منظمة دولية تحمي السلام العالمي لابقوة السلاح ولكن بقوة الرأي العام العالمي، وبقوة بقاء الدول فيها وارتباطهم المعنوي بميثاق العصبة الذي ينص على عدم اللجوء إلى القوة لتسوية المشكلات التي تظهر بين الدول. وأصبح على الدول الأعضاء أن تلتزم بأهداف العصبة الأخرى وهي: (بيير رونوفن 1969، ص 421)

1- عدم عقد معاهدات أو اتفاقيات سرية، وإنما يجب أن تكون علنية.
2- العدالة والشرف والنزاهة يجب أن تكون هدف كل معاهدة أو اتفاقية.
3- احترام قواعد القانون الدولي العام في علاقات الدول بعضها ببعض.
4- عندما تكون دولة كبرى مسؤولة عن إقليم متخلف بواسطة (الإنتداب) يجب أن تعمل الدول المنتدبة على رقي مجتمع الدولة المتخلفة. وكانت عصبة الأمم هي التي أشرفت على نظام (الإنتداب) على الأراضي التي كانت تحت حكم الدول المهزومة (الدولة العثمانية والإمبراطورية الألمانية).
5- وفي مجالات العلاقات الدولية الاقتصادية دعى ميثاق العصبة إلى تأمين حرية النقل والتجارة.
6- في المجالات العمالية والاجتماعية دعت العصبة إلى ضرورة رفع مستوى العامل ورفع الاستبداد عنه وإعطائه حداً أدنى من الأجور يجعله قادراً على الحياة الكريمة.
7- حماية النساء والصبية من الاستغلال.
8- تدبير الوسائل لمكافحة الأوبئة والأمراض.

وكان المفروض نظرياً أن تنضم كل دول العالم إلى عصبة الأمم. ولكن هذا لم يتحقق، وتكون أعضاء العصبة من الدول التي وقعت على الميثاق والدول التي انضمت إليها فيما بعد.

2 - أجهزة العصبة

ولتنفيذ تلك الأهداف تشكلت أجهزة إدارية وفنية وتنفيذية لعصبة الأمم على النحو التالي:

1. الجمعية العمومية (العصبة):

تتكون من ممثلي الدول الأعضاء، ولكل دولة صوت واحد، وكانت أهم مسؤولياتها الحفاظ على السلام، ولكن دون أن يكون تحت يدها الإمكانيات الكفيلة بتحقيق ذلك فلم تعط القوة العسكرية لفرض السلام، ولم تنجح في مهمة نزع السلاح. ومن هنا كانت سلطاتها محدودة جداً واستشارية. وكان مقرها في (جنيف).

2. المجلس:

يتألف من منـدوبي الدول الكبرى ومندوبي أربع دول أخرى تـنتخبـهم الجمعـية العمومية. ومـهمته إعداد الخطط اللازمة للحفاظ على السـلام أو أية موضوعات أخرى من مسؤوليات العصبة، وبوجه خاص العمل على حل الخلافات بين الدول سلمياً. وقد تولى (المجلس) مـسؤولية إعـداد النظم واللوائح التي سـتسيـر عليهـا «محكمـة العدل الدولية».

3. الأمانة العامة:

وهي الجهـاز الإداري الدائم باستمـرار (بعكس (العصبـة) أو (المجلس). والتحق بالعصبة عدة مؤسسات وهيئات دولية جديدة أهمها:

أ- محكمة العدل الدولية:

أقر مؤتمر لاهاي الأول الذي انعـقد عام 1899 تشكيل محكمة يتم اخـتيارها من بين الدول الأعضاء فـي المؤتمر من أجل النظر في النزاعات التي قد تنشـأ بين الأعضاء. واتخذت من لاهاي - في هولنده - مقراً لها.

ب - مكتب العمل الدولي

كان الهدف منه رعاية مصالح العمال ورفع الغبن عنهم، وإصدار التشريعات التي تحافظ على حقوقهم.

5.2 أعمال العصبة

من الأفكار المثـمرة، عزيزي القـارئ، التي احتـوى عليها الميـثاق فكرة التـعاون الدولي بجميع أشكاله في زمن السلم فقد أوجب على الـدول أن تتعلم التعاون معا عن طريق العصـبة لا فقـط في إنجاز الأعمـال الكبرى التي تقتـضي التعـاون، بل أيضاً في التعـاون معا في جـميع الشؤون ذات المصـالح المشتركـة، كصون مسـتوى المعيـشة بين العمال، ومناهضـة الرقيق الأبيض في النساء والأطفال، وتنظيم تجارة الأفـيون، واتخاذ التدابير الناجمة لوقاية الصحة الدولية، وربما كان هذا الجانب الإنساني من أعمال العصبة هو الذي سجل للعصبة أجل أعمالها.

تلك كانت الظروف التي أدت إلى ظهور عصبة الأمم، والشكل التي ظهرت به، والأهداف التي تسعى إليها. أما مدى نجاحها وفشلها فإن تطور الأحداث خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (1918 - 1939) ساعدت على فشل العصبة في أهم قضية قامت من أجلها وهي قضية السلام العالمي، حيث أنها كانت غير قادرة على فرض كلمتها على الدول الكبرى إذا كانت إحداها طرفا في المشكلة التي تعرض السلام العالمي للخطر، وكانت العصبة ناجحة فقط في العديد من المشاكل التي كانت تقع بين الدول الصغيرة.

فقد فشلت العصبة في القضايا الكبرى التالية:

1- استيلاء بولنده - تؤيدها فرنسا - على مدينة (فلنا) اللتوانية.

2- لم تستطع العصبة إنقاذ الصين من عدوان اليابان عليها الأمر الذي أدى إلى الحرب الصينية - اليابانية الطويلة بل لم تعد اليابان تكترث بالعصبة وانسحبت منها في1931م.

3- لم تستطع العصبة إنقاذ الحبشة من مخططات إيطاليا الاستعمارية، حتى استولت إيطاليا عليها.

4- وجدت المانيا - بعد أن انضمت إلى العصبة - أن فرنسا وبريطانيا توجهان هذه العصبة لخدمة مصالحهما ووجدت أنها غير مفيدة في جمع شمل الأقليات الألمانية المبعثرة في بولنده وتشكوسلوفاكيا وغيرهما، فآثرت الانسحاب منها.

وأما اكبر فشل للعصبة فكان نشوب الحرب العالمية الثانية، أما القضايا التي أحرزت فيها نجاحاً هي :

1- النزاع بين فنلنده والسويد حول جزر الاند (1920)م.

2- النزاع بين بولنده وألمانيا حول حدود سيليزيا (1921)م.

3- مشكلات الحدود اليونانية البلغارية (1925)م وبين بيرو وكولومبيا (1932)م.

(عبد العزيز نوار، 1982، ص 269).

وأيا كانت عوامل النجاح والفشل فإن نظرية كلمنصو ولويد جورج بشأن عصبة الأمم هي التي تفوقت وسيطرت على عملها، بينما انسحبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من العصبة وآثرت العزلة على المشاركة في السياسات الأوروبية، ففقدت العصبة بذلك القوة التي كانت كفيلة بأن تفرض نفسها على كل من بريطانيا وفرنسا.

والخلاصة كانت الأهداف المرجوة من عصبة الأمم أكبر من قدراتها والوسائل المتاحة لها، ولهذا كان طبيعيا أن تفشل في حل المنازعات الدولية، وأن يتناقص دورها تدريجيا إلى أن توقف بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد تمت تصفية العصبة في إبريل عام 1946 وقررت جمعيتها العامة نقل أموالها وممتلكاتها إلى الأمم المتحدة.

أما نظام الانتداب الذي اعتبر كأحد المنجزات الهامة للعصبة، فقد ظهر واضحا عند تطبيقه بأنه لم يكن إلا صورة من صور الاستعمار المنظم، لأن العصبة لم تقم بالإشراف المباشر على إدارة الأقاليم التي كانت تحت الانتداب وإنما أوكلت مسؤولية الإدارة والإشراف عليها إلى دول أخرى كما حصل في الانتداب البريطاني على فلسطين فقامت الدولة المنتدبة بتشجيع عمليات الهجرة غير القانونية للجماعات اليهودية فكانت سببا مباشراً في قيام دولة صهيونية في فلسطين.

تدريب (1)

كانت عصبة الأمم تنظيماً غير فعال، اشرح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- وضح دور الولايات المتحدة في إنشاء العصبة ودورها في إضعافها.
2- اشرح المراحل التي تمت بها إنشاء عصبة الأمم.

3. هيئة الأمم المتحدة

كان من بين نتائج إخفاق عصبة الأمم، عزيزي القارئ، في كفالة الاستقلال للدول الصغيرة، وصون السلام العالمي، واشتباك أمم العالم في حرب طاحنة للمرة الثانية في غضون ربع قرن من الزمان، أن اشتد تصميم قادة دول الحلفاء على ابتداع نظام دولي يكون من أهدافه درء خطر الحروب عن الجنس البشري، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بالحيلولة دون اتخاذ الحروب حكما فيصلاً بين الدول.

1.3 نشأتها

بدأ التفكير في إنشاء الأمم المتحدة منذ نشوب الحرب العالمية الثانية، وتألفت اللجان في الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي لبحث ذلك الموضوع، وفي 14 اغسطس/ آب سنة 1941 اجتمع الرئيس الامريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وأصدرا تصريحاً عرف فيما بعد باسم تصريح الأطلسي، وجاء فيه أن دولتيهما لاتسعيان إلى أي توسع اقليمي، وأنهما تحترمان حق الشعوب في اختيار نظم الحكم التي تروق لها، وأن من بين أهداف الحرب إنشاء هيئة عالمية لحفظ السلام وتحقيق التعاون الدولي.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى نهاية الحرب، لم يجتمع زعماء ما كان يعرف في ذلك الوقت «بالعالم الحر» إلا وخرجوا بتصريح يتضمن إشارة صريحة للتنظيم الدولي الذي كانوا يريدون قيامه بعد أن تضع الحرب أوزارها. ففي الأول من كانون الثاني / يناير 1942 وفي واشنطن وقعت الأمم التي تحارب ألمانيا واليابان «تصريح الأمم المتحدة»، وتعهد المشتركون بأن يهيئوا نظاما للسلام والأمن بعد الحرب، وأكد هذا القرار مؤتمر طهران الذي انعقد بتاريخ تشرين الثاني / نوفمبر 1943 وبحضور روزفلت وتشرشل وستالين. كذلك عقد اجتماع في فندق (دمبرتون أوكس) في واشنطن بتاريخ تشرين أول / اكتوبر 1944 حضره ممثلو بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة والصين، ولم تدع فرنسا لأن حكومتها المؤقتة لم يعترف بها. وفي هذا المؤتمر قال المندوب الأميركي «إن الأمم الكبرى التي أراقت دمها لباقي العالم ترى من حقها وضع قواعد منظمة المستقبل». وتم الاتفاق في هذا المؤتمر على أن تتألف منظمة الأمم المتحدة من : جمعية عامة ومجلس أمن وأمانة ومحكمة عدل دولية. (ج : ب . دروزيل 1962، ص 106).

وفي 30 نيسان / إبريل سنة 1945 اجتمع في سان فرانسسكو مؤتمر كبير ضم ممثلي خمسين دولة، وقد أقر هذا المؤتمر ميثاق «الأمم المتحدة» الذي وقع في 26 حزيران / يونيو سنة 1945، وهذا الميثاق يتكون من مقدمة و 19 فصلا 111 مادة، وقد جاء في ديباجة الميثاق مايلي:

«نحن شعوب الأمم المتحدة».

وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي جلبت على الإنسانية - مرتين خلال جيل واحد - أحزانا يعجز عنها الوصف، وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء والأطفال والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية. وأن نبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي، وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدما، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية والمساواة...

وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار، وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدوليين، وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة ورسم الخطط اللازمة لها وعدم استخدام القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة، وأن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب، وقد قررنا أن نوحد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض». (ج. ب دروزيل، ص 107).

ويلاحظ أن هذه الديباجة بدأت بعبارة «نحن شعوب الأمم المتحدة» خلافا لما جرى عليه العرف السائد من قبل من أن المعاهدات الدولية - الثنائية أو الجماعية - هي اتفاق بين الدول الموقعة عليها، والحق أنه لايمكن أن يصان أمن دولي إلا إذا كان في رعاية الشعوب.

2.3 أهداف الأمم المتحدة

اهتم ميثاق الأمم المتحدة بتوضيح أهداف الأمم المتحدة ومقاصدها، وقد أوضحت المادة الأولى للميثاق أهداف الأمم المتحدة، وهي:

1- حفظ السلم والأمن الدولي وذلك عن طريق منع قيام الأسباب التي تهدد السلم، وإزالتها متى قامت، وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

2- تنمية العلاقات الودية بين الدول على أساس المساواة، وأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها.

3- تحقيق التعاون الدولي لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، بدون تمييز بسبب الأصل أو الجنس أو اللغة أو الدين، وعدم التفريق بين الرجال والنساء.

4- جعل الأمم المتحدة مرجعا لتنسيق أعمال الدول الأعضاء وتوجيهها نحو الغايات المشتركة، وليس المقصود بهذا أن تكون مركزاً لكل أنشطة الدول وإنما أن تكون أداة للتنسيق بين أعمال الدول والمنظمات الدولية الأخرى، وبشرط موافقة الدول الأعضاء على تنسيق أعمالها. (محمد خليل، احمد برقاوي، 1989، ص 197).

3.3 مبادىء الأمم المتحدة

ولتحقيق تلك الأهداف، حرص الميثاق على توضيح المبادىء الأساسية التي تسير الأمم المتحدة وفقاً لها، كي تلتزم الدول الأعضاء باحترامها والسير على مقتضاها، وهذه المبادىء كما حددها الميثاق، عزيزي القارئ، هي:

1- المساواة في السيادة بين الدول.

2- تنفيذ الالتزامات المترتبة على هذا الميثاق بحسن نية.

3- حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية، والمقصود بالطرق السلمية: المفاوضات والتحقيق والوساطة والتحكيم والتسوية القضائية والاستعانة بالمنظمات الاقليمية (مثل جامعة الدول العربية) وعرض النزاع على مجلس الأمن.

4- تحريم استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية.

5- معاونة الأمم المتحدة في الأعمال التي تتخذها وفق الميثاق.

6- العمل على مراعاة الدول غير الأعضاء لمبادىء الأمم المتحدة.

7- عدم تدخل الأمم المتحدة في المسائل التي تتعلق بصميم الاختصاص الداخلي للدول الأعضاء، مع العلم بأن الميثاق أعطى للأمم المتحدة اختصاصات واسعة تتناول مسائل وموضوعات كان العرف الدولي يعتبرها من الأمور الداخلية، كالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتلك المتعلقة بحقوق الإنسان وبالمشاكل الاستعمارية.

4.3 مقر الأمم المتحدة

لم يحدد ميثاق الأمم المتحدة مقر الهيئة، وإن كانت الجمعية العامة قد قررت في 14 ديسمبر/كانون اول سنة 1946 أن يكون المقر الدائم للهيئة في نيويورك، وكانت الحكمة في اختيار نيويورك - وهي أكبر مدن الولايات المتحدة الامريكية - هي الرغبة في إثارة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بصفة دائمة بالأمم المتحدة، والحيلولة دون عودة تلك الدولة الكبيرة إلى سياسة العزلة التي منعتها من الاشتراك في عصبة الأمم.

وفي سنة 1947 عقدت الأمم المتحدة مع الولايات المتحدة الامريكية اتفاقاً خاصاً بالمقر، وينص ذلك الاتفاق على أن لمنطقة المقر حرمة، فلا يجوز دخولها بواسطة موظفي الولايات المتحدة الأمريكية إلا بالشروط التي يوافق عليها السكرتير العام للأمم المتحدة. كما ينص الإتفاق على إعطاء تسهيلات تضمن لموظفي الأمم المتحدة والمنظمات المتخصصة وممثلي الدول الأعضاء، وممثلي الإذاعة والصحافة المعتمدين لدى الأمم المتحدة بالإضافة إلى الأشخاص الذين يدعون للمقر لعمل رسمي، تضمن لهم حرية الدخول إلى المقر دون أي عائق، كما يكون للأمم المتحدة إنشاء تسهيلات إذاعية ومطار في منطقة المقر.

5.3 العضوية في الأمم المتحدة

برغم أن الأمم المتحدة منظمة عالمية، إلا أن العضوية فيها مقيدة بشروط نص عليها الميثاق، وهي نوعان : شروط تتعلق بطالب العضوية، وشروط تتعلق بالإجراءات.

أما الشروط المتعلقة بطالب العضوية، عزيزي القارئ، فهي:

1- أن يكون دولة.

2- محبة للسلام.

3- تتعهد بتنفيذ الالتزامات التي يتضمنها الميثاق.

4- ترى الأمم المتحدة أنها قادرة على تنفيذ الالتزامات الواردة في الميثاق.

5- أن تكون راغبة في تنفيذ هذه الالتزامات.

ويلاحظ أن بعض هذه الشروط شروط سياسية ويصعب وضع معيار لها، وقد حدثت خلافات كثيرة في وجهات النظر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، حول

تفسير هذه الشروط، وكانت هذه الخلافات تحل بطريقة توفيقية، أي بتقديم التنازلات المتبادلة.

أما إجراءات العضوية فهي:

- أن تتقدم الدولة الراغبة في الانضمام إلى الأمم المتحدة بطلب إلى السكرتير العام متضمناً إعلانها قبول الالتزام بميثاق الأمم المتحدة.
- أن يصدر مجلس الأمن توصية بقبول العضو الجديد، ويشترط لصدور هذا القرار عدم اعتراض إحدى الدول الخمس الكبرى عليه.
- أن تصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بقبول العضو الجديد، ويشترط أن يصدر هذا القرار بأغلبية الثلثين.

ويبلغ عدد أعضاء الأمم المتحدة الآن 185 دولة.

6.3 فروع الأمم المتحدة

للأمم المتحدة - بحسب ما نص عليه الميثاق - ستة فروع، وهي:

- الجمعية العامة.
- مجلس الأمن.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي.
- مجلس الوصاية.
- محكمة العدل الدولية.
- الأمانة العامة.

وستتحدث فيما يلي عن هذه الفروع من حيث وظائفها وطريقة تشكيلها:

1.6.3 الجمعية العامة The General Assembly

هي الجهاز الرئيس في الأمم المتحدة، وترجع أهميتها إلى أنها الفرع الوحيد الذي تمثل فيه وعلى قدم المساواة جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، كما ترجع أهميتها ايضاً إلى اتساع اختصاصاتها ووظائفها، فهي تشمل:

1- مناقشة جميع شؤون الأمم المتحدة.

2- حفظ السلم الدولي.

3- مناقشة التسويات السلمية.

4- تنمية التعاون الدولي.

5- الإشراف على نظام الوصاية الدولية.

6- تلقي تقارير فروع الأمم المتحدة.

7- التصديق على الميزانية وتقرير الاشتراكات.

وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة قد خص مجلس الأمن بسلطات أقوى من سلطات الجمعية العامة، إلا أن الدور الذي تلعبه الجمعية العامة يزداد أهمية بسبب عجز مجلس الأمن عن إصدار القرارات في بعض الأحوال، بسبب حق الاعتراض (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الخمس الكبرى، وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين حيث ان هذه الدول لاتتمتع بهذا الحق في الجمعية العامة. (جيمس باروس 1979، ص 91-93).

وتجتمع الجمعية العامة في دورة عادية مرة كل سنة، ويبدأ دور الانعقاد العادي في شهر ايلول / سبتمبر من كل عام كما يمكن أن تجتمع في دورات استثنائية إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ويكون ذلك بناء على طلب مجلس الأمن أو أغلبية أعضاء الجمعية العامة.

ولكل دولة عضو في الجمعية العامة صوت واحد عند التصويت على أي قرار، وتصدر قرارات الجمعية العامة بأغلبية ثلثي الأعضاء المشتركين في التصويت وذلك في المسائل الهامة، وبالأغلبية المطلقة في المسائل غير الهامة.

أما عن لغات العمل في الجمعية العامة فهي: الإنجليزية والروسية والفرنسية والإسبانية والصينية والعربية، بمعنى أن أي خطاب يلقى يجب أن يترجم إلى هذه اللغات الست، وأن تدون ملخصات المحاضر بها.

2.6.3 مجلس الأمن Security Council

لمجلس الأمن أهمية خاصة بالنسبة لسائر فروع الأمم المتحدة كما سبق أن ذكرنا، وذلك باعتباره الأداة التنفيذية للهيئة، والمسؤول بصفة أساسية عن المحافظة على السلم

والأمن الدوليين، وهو يعمل في هذا الصدد نيابة عن أعضاء الأمم المتحدة جميعاً الذين يتعهدون بقبول قراراته. وفيما يلي اختصاصات هذا المجلس وكيفية تشكيله واجتماعاته وكيفية التصويت فيه.

أولا : اختصاصات المجلس :

اختصاص مجلس الأمن الرئيس هو المحافظة على السلام، وهو يباشر هذا الاختصاص بأحد أسلوبين:

1- العمل على تسوية المنازعات الدولية تسوية سلمية.

2- العمل على قمع التهديد والعدوان بإصدار قرارات بوقف القتال أو وقف العلاقات الاقتصادية والمواصلات مع الدولة المعتدية أو باللجوء إلى الإجراءات العسكرية.

ولمجلس الأمن - بالإضافة إلى هذا الاختصاص الرئيس المتعلق بحفظ السلام والأمن الدوليين- اختصاصات لها طابع إداري وفني منها:

1- التوصية بقبول الأعضاء الجدد في الأمم المتحدة.

2- التوصية بإيقاف عضو أو فصله من الأمم المتحدة.

3- التوصية بتعيين السكرتير العام للأمم المتحدة.

4- ينتخب المجلس - بالاشتراك مع الجمعية العامة - قضاة محكمة العدل الدولية.

(فايز صالح ابو جابر 1989، ص 293)

ثانيا : تشكيل مجلس الأمن:

يتكون مجلس الأمن من خمسة عشر عضواً وذلك اعتباراً من 31 اغسطس / آب سنة 1965، أما قبل ذلك فكان المجلس يتكون من أحد عشر عضواً منهم الأعضاء الخمس الدائمون، وتكون الدول الخمس الكبرى أعضاء دائمين فيه وهي : الولايات المتحدة روسيا فرنسا الصين بريطانيا، وتقوم الجمعية العامة بانتخاب الأعضاء العشر غير الدائمين، وينتخب كل منهم لمدة سنتين، ولا يجوز إعادة انتخاب الأعضاء مباشرة بعد انتهاء عضويتهم، وتوزع المقاعد العشرة غير الدائمة على النحو التالي:-

- أربعة أعضاء من الدول الآسيوية والافريقية.
- عضوان من أمريكا اللاتينية.

- عضوان من دول أوروبا الشرقية.

- عضوان من دول غرب أوروبا والدول الأخرى.

ثالثا: اجتماعات مجلس الأمن

يعتبر مجلس الأمن - على خلاف الجمعية العامة - هيئة دائمة، ويعقد المجلس - بحسب نص الميثاق - اجتماعات دورية، ويجوز انعقاد المجلس في أي وقت بناء على طلب رئيس المجلس أو أي عضو في الأمم المتحدة أو أي دولة من غير أعضاء الأمم المتحدة أو السكرتير العام للأمم المتحدة، ولغات العمل في المجلس هي الإنجليزية الفرنسية والإسبانية والروسية والصينية.

رابعا: التصويت في مجلس الأمن

لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد، وتصدر القرارت بأغلبية تسعة أصوات، وللدول الخمس الكبرى حق الاعتراض (الفيتو) بمعنى أنه إذا أبدت إحدى الدول الكبرى الخمس اعتراضها على قرار معين، يمتنع المجلس عن المضي في الاقتراع عليه، وإذا كان الاعتراض بعد إجراء الاقتراع يسقط القرار.

ومن الواضح أن حق الاعتراض هذا ينفي المساواة بين أصوات أعضاء المجلس، وقد أدى الإسراف في استخدام هذا الحق من جانب الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة إلى عجز المجلس، في كثير من الأحيان، عن القيام بوظائفه، وبصفة خاصة فيما يتعلق بحل المنازعات ومنع تهديد السلام والأمن الدولي. ويمكن أن نقدم مثلا على الإسراف في استغلال هذا الحق لجوء الولايات المتحدة الى استخدامه في شهر مارس / آذار 1997 مرتين خلال خمسة عشر يوما لحماية اسرائيل فقط، بينما وافق الاربعة عشر عضوا على الاقتراح المقدم والخاص بوقف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية وبخاصة في مدينة القدس.

ولهذا السبب تطالب الكثير من الدول، بإلغاء هذا الحق الممنوح للدول الكبرى، أو تقييد حالات استعماله، ولكن الرأي لازال مستقراً على إبقاء هذا الحق كميزة للدول الكبرى، تساعدها على تحمل مسؤولياتها في حفظ السلام العالمي، وتمكنها من الدفاع عن مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية ضد تعسف الأغلبية. كما اقترح البعض بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1989، لتوسيع عضوية الأعضاء الدائمين في المجلس من خمسة أعضاء إلى سبعة أو ثمانية أعضاء.

3.6.3 المجلس الاقتصادي والاجتماعي

المجلس الاقتصادي والاجتماعي هو فرع الأمم المتحدة المختص بتحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية التي نص عليها الميثاق وهي:-

1- تحقيق مستوى أعلى للمعيشة والقضاء على البطالة والنهوض بعوامل التطور والتنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي.
2- تيسير الحلول للمشكلات الدولية الاقتصادية والاجتماعية والصحية، وتعزيز التعاون الدولي في أمور الثقافة والتعليم.
3- أن يشيع في العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب اللغة أو الجنس أو الدين، ودون تفرقة بين الرجال والنساء.

ومما لاشك فيه أن إنشاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي دليل على إيمان الأمم المتحدة بأنه لايمكن تحقيق السلام في العالم إلا إذا ارتفع مستوى معيشة كافة الشعوب.

- تشكيل المجلس

يتكون المجلس الاقتصادي والاجتماعي من 18 عضواً تقوم الجمعية العامة بانتخابهم، ومدة العضوية ثلاث سنوات، وللدول الكبرى وجود شبه دائم في المجلس حيث يعاد انتخابهم باستمرار، كما جرى العمل على ضرورة تمثيل مناطق العالم المختلفة، وبصفة خاصة الدول النامية، ولكل دولة عضو في المجلس مندوب واحد.

ولا يملك المجلس الاقتصادي والاجتماعي سلطة إصدار قرارات ملزمة بل تنحصر سلطاته في القيام بدراسات وأبحاث، وفي تحضير المشروعات وتقديم التوصيات، وذلك في شؤون الاقتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم، كما يدعو المجلس إلى عقد المؤتمرات الدولية لدراسة المسائل التي تدخل في دائرة اختصاصه.

والمجلس الاقتصادي والاجتماعي يعمل تحت إشراف الجمعية العامة ويتعاون مع اللجان التي أنشأتها الجمعية العامة مثل صندوق الأمم المتحدة لإغاثة الأطفال (يونيسيف UNICEF)، ومكتب مندوب الأمم المتحدة السامي للاجئين، ووكالة إغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم، وجهاز الأمم المتحدة للتجارة والتنمية وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية ....

وبالإضافة إلى هذه اللجان، توجد، عزيزي القارئ، أنواع اخرى من اللجان هي:

1- اللجان الاقتصادية الإقليمية: فقد رأى المجلس أن من الأفضل أحياناً أن يتم بحث الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية على صعيد المناطق الإقليمية وليس على الصعيد العالمي، وذلك بهدف العمل على وضع سياسة خاصة لحل المشكلات المشتركة الخاصة بكل منطقة، فانشأ أربع لجان اقتصادية إقليمية دائمة هي:
   - اللجنة الاقتصادية لأوروبا.
   - اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى.
   - اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية.
   - اللجنة الاقتصادية لإفريقيا.

2- اللجان الموضوعية والفنية: وهي لجان تهتم بالموضوعات الاجتماعية والاقتصادية المتخصصة مثل: لجنة الإحصاء - لجنة السكان - لجنة حقوق الإنسان - لجنة المرأة- لجنة المخدرات - لجنة التجارة الدولية....

كما يتعاون المجلس الاقتصادي والاجتماعي مع الوكالات والمنظمات المتخصصة التي تضطلع بتبعات واسعة في ميادين الاجتماع والاقتصاد والثقافة والتعليم مثل منظمة الطيران المدني، ومنظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة الصحة العالمية...

كما يتبادل المجلس الرأي مع المنظمات الفنية غير الحكومية التي تعنى بالمسائل الداخلة في اختصاصه مثل هيئة الصليب الأحمر الدولية والاتحاد الدولي لشركات الطيران والاتحاد الدولي للنقابات والاتحاد الدولي للغرف التجارية والاتحاد الدولي للمنتجين الزراعيين.. الخ ويزيد عدد هذه المنظمات غير الحكومية التي يتعاون معها المجلس عن 350 منظمة. (ج. ب دروزيل 1962، ص 111-112).

4.6.3 مجلس الوصاية

عانت شعوب المستعمرات زمناً طويلاً من الاستعمار وأضراره، وكانت الدول المستعمرة مطلقة التصرف في شؤون هذه المستعمرات بدون أي نوع من أنواع الإشراف

الدولي، بل لقد عمدت الدول المستعمرة - لتجنب المنازعات والمنافسات فيما بينها - إلى عقد المعاهدات والاتفاقات لتوزيع مناطق النفوذ فيما بينها.

وجاءت عصبة الأمم بنظام الانتداب الذي طبق على الأقاليم التي انتزعت من الدول المهزومة (المانيا - الدول العثمانية)، وكان هذا النظام يقضي بأن تخرج هذه الأقاليم أو المستعمرات عن سيادة الدولة المنهزمة، وتتولى إدارتها - تحت إشراف عصبة الأمم - دول معينة بهدف الرقي بشعوبها والوصول بها إلى مرحلة الحكم الذاتي أو الاستقلال، وفي الواقع لم يكن إشراف العصبة على تطبيق هذا النظام إلا إشرافاً شكلياً، مما ادى إلى تحويله إلى شكل آخر من أشكال الاستعمار.

أما ميثاق الأمم المتحدة فقد أنشأ نظاماً دولياً للوصاية يطبق على أنواع معينة من الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي بقصد رعاية مصالح سكانها والعمل على تقدمهم نحو الحكم الذاتي أو الاستقلال، ويشرف على تطبيق هذا النظام فرع رئيس من فروع الأمم المتحدة وهو مجلس الوصاية.

الأقاليم المشمولة بالوصاية

نص ميثاق الأمم المتحدة على أن يطبق نظام الوصاية على الأقاليم الآتية:

1- الأقاليم التي كانت مشمولة بالانتداب، وقد طبق عليها فعلاً باستثناء فلسطين (التي صدر قرار من الجمعية العامة بتقسيمها سنة 1947) وباستثناء إقليم جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا) الذي كان يخضع لانتداب اتحاد جنوب إفريقيا، ورفضت هذه الدولة وضعه تحت الوصاية، فأصدرت الأمم المتحدة : قراراً سنة 1966 بإنهاء انتداب جنوب إفريقيا على الإقليم المذكور، ووضعه تحت إشراف الأمم المتحدة، ثم توالت قرارات مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، وكلها كانت تدين موقف جنوب إفريقيا من ناميبيا، وقد نجحت الأمم المتحدة في الضغط على جنوب إفريقيا وحصلت ناميبيا على استقلالها عام 1994.

2- الأقاليم التي اقتطعت من دول المحور (اليابان - إيطاليا) خلال الحرب العالمية الثانية، ولقد طبق هذا النظام على المستعمرات اليابانية في المحيط الهادي وعلى الصومال الإيطالي، كما وضعت ليبيا وأرتيريا تحت إشراف الأمم المتحدة لفترة معينة.

وقد استقلت جميع الاقاليم التي شملت بالوصاية أو انضمت إلى دول أخرى مستقلة، فيما عدا جزر المحيط الهادي، وتديرها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا مما

يجعل نظام الوصاية في طريقه إلى الزوال، ولاشك أن ذلك يعتبر نتيجة إيجابية حققها مجلس الوصاية.

5.6.3 محكمة العدل الدولية

محكمة العدل الدولية هي الفرع القضائي للأمم المتحدة، وقد حلت محل المحكمة الدائمة للعدل الدولي التي أنشئت سنة 1920، وكان مقرها مدينة لاهاي في هولندا، وقد توقف نشاطها عقب قيام الحرب العالمية الثانية واحتلال الألمان لهولندا، ثم تقرر اعتبارها منحلة في 18 ابريل 1964 وعقدت في اليوم نفسه الجلسة الأولى للمحكمة الجديدة: محكمة العدل الدولية التي ما زال مقرها في لاهاي. (فايز صالح ابو جابر 1989، ص 295).

تشكيل المحكمة:

تتألف المحكمة من خمسة عشر عضواً يختارون من بين الأشخاص ذوي الصفات الخلقية الرفيعة والحائزين في بلادهم على المؤهلات المطلوبة للتعيين في أرفع المناصب القضائية، بغض النظر عن جنسياتهم، وينتخب قضاة المحكمة لمدة تسع سنوات، ويجوز إعادة انتخابهم، ويتم انتخاب القضاة بواسطة الجمعية العامة ومجلس الأمن، ويجب أن يتفرغ القضاة لعملهم في المحكمة، فلا يجوز أن يتولوا وظائف سياسية أو إدارية أو غيرها.

اختصاصات محكمة العدل الدولية:

تختص محكمة العدل الدولية بإصدار الآراء الاستشارية في أي مسألة قانونية تفرضها عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو فروع الأمم المتحدة الأخرى، كما تفصل المحكمة في الدعاوي التي ترفعها الدول لا الأفراد. وتصدر المحكمة أحكامها في النزاعات المعروضة عليها وفقا لأحكام القانون الدولي مراعية الاتفاقات الدولية، وقواعد العدل والإنصاف، وأحكامها نهائية غير قابلة للاستئناف، ويلتزم كل عضو من أعضاء الأمم المتحدة بالنزول على حكم المحكمة في أي قضية يكون طرفاً فيها.

وقد أسهمت المحكمة في حل بعض المنازعات الدولية القانونية، ولكن الملاحظ أن حالات الالتجاء للمحكمة قليلة حيث أن الدول - تمسكا منها بمبدأ السيادة وحرصاً

منها على مصالحها الذاتية - مازالت تؤثر وسائل التسوية السياسية بما تتيحه من فرص للمساومة وعدم الالتزام بحل لا ترضى عنه.

6.6.3 السكرتارية العامة (الأمانة العامة)

السكرتارية العامة هي الفرع الرئيس السادس للأمم المتحدة، وهي تختص بالأعمال الادارية لسائر فروع الأمم المتحدة، وهي مظهر لاستمرار أعمال الأمم المتحدة، وهي تختلف عن سائر فروع الأمم المتحدة في أنها لاتتكون من ممثلين عن الدول الأعضاء بل من موظفين دوليين يختارون لكفاءتهم ومؤهلاتهم الخاصة، ويمارسون أعمالهم في ظل الولاء للأمم المتحدة مع مراعاة الحياد السياسي الكامل.

وتتكون من السكرتير العام وعدد من الموظفين العاملين تحت إشرافه ورئاسته والموزعين على الإدارات والمكاتب المختلفة.

- **السكرتير العام**

هو قمة الجهاز الإداري في الأمم المتحدة، وهو يلعب دوراً أساسيا في نشاطها، ويعتبر السكرتير العام للأمم المتحدة شخصية دولية لها نفوذها واحترامها وأثرها الكبير في ميدان العلاقات الدولية.

وتقوم الجمعية العامة بتعيين السكرتير العام بناء على توصية مجلس الأمن، ومدة خدمة السكرتير العام خمس سنوات قابلة للتجديد، وقد جرى العمل على اختيار السكرتير العام من الشخصيات السياسية الهامة في الدول الصغرى لضمان عدم التحيز لإحدى الدول الكبرى، وقد تولى هذا المنصب حتى الآن ستة رجال هم:

- تريجفي لي: النرويجي الجنسية، وهو أول من تولى هذا المنصب الدولي العام، وبقي فيه من سنة 1946 حتى سنة 1953 ثم جاء السويدي همر شولد ثم البورمي يوتانت، ثم النمساوي فالدهايم ثم دي كويلار من المكسيك ثم جاء بطرس غالي من مصر عام 1992 والآن يتولى المنصب كوفي عنان من غينيا.

- الاختصاصات:

- تعيين موظفي الأمانة العامة وترقيتهم وعزلهم.
- الإشـراف على الأعـمـال الادارية من تلقي وتـرجمـة وطبـع وتوزيع الوثائق والتقارير والقرارات في اجتماعات فروع الهيئة المختلفة (ماعدا محكمة العدل الدولية) ومتابعة تنفيذ القرارات.
- إعداد مشروع ميزانية المنظمة.
- تقديم تقرير سنوي عن نشاط المنظمة إلى الجمعية العامة.
- تلقي طلبات الانضمام إلى الأمم المتحدة.
- موافاة فروع الأمم المتحدة بالمعلومات والدراسات الفنية التي تطلبها.
- تسجيل ونشر المعاهدات التي تبرمها الدول الأعضاء.
- إعداد جداول أعمال فروع الهيئة ودعوتها لاجتماعاتها غير العادية.
- التعاقد باسم الأمم المتحدة وتمثيلها أمام المحاكم والمنظمات الدولية الاخرى.

وبالإضافة إلى هذه الاختـصاصات الإدارية يمارس السكرتير العام سلطة سـياسية حيث نص الميثاق على أن للسكرتير العام أن ينبه مجلس الأمن إلى أي مسألة تهدد حفظ السلم والأمن الدوليين، كمـا أن على السكرتير العام أن يقـدم تقارير شفـوية أو مكتوبة حول أي مسـألة محل بحث أمام المجلس، كـما أن من حقه حـضور اجتمـاعات فروع الأمم المتحدة المختلفة والاشتراك في مناقشاتها.

وقد جرى العـمل داخل مجلس الأمن والجمعـية العامة بتكليف السكـرتير العام بتنفيذ بعض المهام السياسية الحسـاسة مع ترك حرية تقدير واسعة له، كما أنه ليس هناك ما يمنع السكرتير العام من أن يوجه الـنصح والمشورة إلى الحكومات بصدد نزاع معين أو لدفعها إلى تأييد نشاط الأمم المتحدة في مجال معين.

وقد اكتسب التقرير السنوي للأمين العام في السنوات الأخيرة أهمية سياسية كبيرة بعد أن أصـبح لايقتصـر على سرد نشاط الأمم المتـحدة في عام، وإنما أصـبح يبرز أهم المشكلات الدولية، ويتضمن أفكاراً واتجاهات خاصة بإيجاد حلول لتلك المشكلات.

- موظفو الأمانة العامة

يتكون جهاز الأمانة العامـة من عدة مكاتب وإدارات يعمل بها عدد من الموظفين يبلغ نحو ثلاثة عشـر الف موظف منهم حوالي خمسة آلاف يعـملون بمقر الأمم المتحدة في نيويورك، والباقون يعـملون في المقر الأوروبي في جنيف وفي مكاتب الأمم المتحدة في مختلف أنحاء العالم.

ويقوم الأمين العام بتعيين الموظفين والإشراف عـليهم، ويراعى في اختيار موظفي السكرتارية العامة أن يكونوا على مستـوى عال من القدرة والكفاءة والنزاهة بغض النظر عن جنسـيـاتهم. والملاحظ أن الغـالبـية العـظمى من هؤلاء الموظفين من رعـايا الدول الغربية، وبخاصة الولايات المتحـدة الامريكية، وذلك بسبب توفر الكفاءات المطلوبة في هذه الدول التي يرتفع فيـها مستـوى التعليم والثقـافة بالإضافة إلى نفـوذ الدول الكبرى وضغوطها. . . ومع هذا فإنه يراعى في اختيار هؤلاء الموظفين التوزيع الجغرافي.

ويتمتع مـوظفو السكرتارية العامة بالحصـانات والامتيازات الدبلوماسـية من أمثلة هذه الإمتيـازات الحصانة القضـائية - الإعفاء من الضـرائب- الإعفاء من قيـود الهجرة وإجراءات قيد الأجانب. . الخ.

7.3 المنظمات الدولية المتخصصة المرتبطة بالأمم المتحدة

وهي منظمات أو وكالات تنشأ بمقتـضى اتفاق بين الحكومات، وتضطلع بمقتضى نظمها الأساسية بتبعات دولية واسعة في الاقـتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم والصحة (أي في الميادين غير السياسية)، ويتم الوصل بين هذه المنظمات والأمم المتحدة عن طريق اتفاقات دوليـة يبرمها مـعها المجلس الاقتـصادي والاجتمـاعي، وتوافق عليها الجمـعية العـامة، ويـلاحظ أن هذا الارتباط بـين هذه المنظمـات والأمم المتحـدة لايقـضي على شخـصيـة هذه الوكالات، والهـدف من ذلك إبعادها إلى أكـبر حد ممكن عـن المشاكل السياسية الدولية، ومنها :

1.7.3 منظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة (FAO)

هي وكالة مستـقلة من وكالات منظومة الأمم المتحدة، وتضم في عـضويتها 156 دولة عقدت العزم فيما بينها من أجل:

- رفع مستويات التغذية والمعيشة لشعوبها.
- تحسين إنتاج جميع المنتجات الغذائية والزراعية وتوزيعها.
- النهوض بحالة أهل الريف.

وقد أنشئت عام 1945 وهي أكبر منظمات الأمم المتحدة المتخصصة، وهي تركز عملها على استئصال الجوع والفقر اللذين يهددان الملايين من سكان البلدان النامية. ومن خلال البرامج الميدانية توجه المنظمة معونات فنية مباشرة لعلاج مشكلات معينة مما يساعد على تشجيع زيادة الاستثمارات الرأسمالية في الزراعة، التي هي عماد التنمية في العالم الثالث. أما البرنامج العادي للمنظمة فهو يجعل منها مركزاً لتبادل المعلومات، ولتقديم المشورة للحكومات في مجالي السياسات والتخطيط، وتنظيم الاجتماعات بين الحكومات والخبراء للتشاور في قضايا الأغذية والزراعة.

وهذه الأولويات التي تسير عليها المنظمة من أجل استئصال الجوع والفقر هي ثمرة أربعين عاماً من الفكر والتجربة داخل المنظمة وخارجها. وقد ظهر الارتباط بين الجوع والفقر وأصبح معترفاً به في أهداف الأمن الغذائي التي رسمتها المنظمة والتي تنادي بأن تتوافر لجميع الناس في كل الأوقات القدرة المادية والاقتصادية للحصول على ما يحتاجون إليه من أغذية.

وإيجاد الحلول لمشاكل المزارعين الصغار والفقراء هو محور السياسات والبرامج التي تعزز التنمية الريفية المتكاملة، التي تقوم على زراعة محاصيل الأغذية والأعلاف وتربية الحيوان واستغلال مصايد الأسماك الصغيرة وموارد الغابات، سواء أكانت مجتمعة أم كان كل منها على حدة، من أجل زيادة إنتاج الأغذية ولتحقيق الاعتماد على الذات اقتصادياً.

2.7.3 منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) UNESCO

وقد أنشئت هذه المنظمة سنة 1946 ومقرها باريس، وتهدف - بحسب ما جاء في ميثاقها - إلى المساهمة في تحقيق السلم والأمن الدوليين عن طريق تنشيط وتوثيق التعاون بين الدول في المجالات الثقافية والعلمية، وهي بذلك تعمل على توطيد احترام مبادىء العدالة وتأكيد حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

وتحقيقا لذلك الهدف فإن منظمة اليونسكو تضطلع بالمهام الآتية:-

1- نشر التعليم عن طريقة مكافحة الأمية وعن طريق التربية الأساسية وتعليم الكبار والمعوقين.

2- الارتفاع بمستوى مناهج التعليم.

3- نشر الثقافة وصيانة المعرفة وترقيتها.

4- نشر العلوم وتشجيع البحث العلمي (ويشمل برنامج اليونسكو العلمي البحث عن الموارد الطبيعية وتصنيع الدول النامية، كما يشمل دراسة العوامل الاجتماعية التي تسبب الخلافات بين الشعوب).

5- تعزيز التعاون العلمي الدولي وتيسير الاتصال بين العلماء.

6- المحافظة على التراث الإنساني.

وتستعين اليونسكو في أداء تلك المهام بالخبراء المتخصصين في فروع العلوم المختلفة وتقوم بنشر المطبوعات التي تحتوي على خلاصة دراسات هؤلاء الخبراء، وتهتم اليونسكو - بصفة خاصة - حين تنفذ برامجها باحتياجات المناطق المتخلفة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وتضم حالياً 185 دولة عضواً مقابل 20 دولة عام 1946.

3.7.3 منظمة الصحة العالمية WHO

وقد خرجت هذه المنظمة إلى حيز الوجود سنة 1948 ومقرها جنيف، وهي تهدف إلى بلوغ كافة الشعوب إلى أعلى مستوى صحي، وهي تقوم بتقديم المعونة في تسهيل تبادل المعلومات والبحوث الطبية وإعداد الخبراء في مكافحة الأمراض والأوبئة والعمل على نشر الوسائل الطبية الحديثة والقيام بالأبحاث الطبية والدراسات المتعلقة بالأمراض والأمصال والأدوية المختلفة.

4.7.3 منظمة العمل الدولية (ILO)

وقد أنشئت في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة 1919 ومقرها جنيف، وتم الوصل بينها وبين الأمم المتحدة سنة 1946، وأهم أهداف هذه المنظمة العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، وتحسين شروط العمل، ورفع مستوى معيشة العمال، ووضع القواعد الدولية للعمل (الأجور - ساعات العمل - الحد الأدنى لسن العامل... الخ)،

كما تقوم المنظمة بجمع البيانات والإحصاءات الخاصة بالعمل وتقديم المعونة الفنية لأعضائها على شكل دراسات وخبراء ومنح دراسية ومراكز للتدريب.

5.7.3 منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونسيف) UNICEF

أنشئت اليونسيف في الأساس لمساعدة الأطفال الذين تضرروا من الحرب وقد صادقت الجمعية العامة سنة 1953 على تثبيت منظمة الطفولة في نظام الأمم المتحدة. وكان ينظر إلى الأطفال باعتبارهم موضوع اهتمام إنساني وخيري محصن ينبغي إحاطتهم بالعناية شأنهم شأن كبار السن والعجزة واللاجئين. لكن وفقا للمنظور التنموي الجديد، لم يعودوا يشكلون قضية منفصلة، بل أصبحوا جزءا من كل قضية. ففي عام 1959 أقرت الجمعية العامة نسخة معدلة من الميثاق العالمي لرفاه الطفل على شكل «إعلان حقوق الطفل». وتم إعلان عام 1979 عاما دوليا للطفل وفي عام 1989 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة «اتفاقية حقوق الطفل» وقد عقد المؤتمر العالمي من أجل الطفل في نيويورك في أيلول 1990 وأصدر توصياته لبقاء الطفل وحمايته ونمائه. (حسين عمر، 1993، ص 412).

6.7.3 منظمات دولية متخصصة أخرى

نكتفي، عزيزي القارئ، بذكر أسمائها وتاريخ تأسيسها ومقرها:

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير IBRD - أنشئ سنة 1945 ومقره في واشنطن.
- المنظمة المالية الدولية I.F.C - أنشئت سنة 1957 ومقرها في واشنطن.
- الهيئة الدولية للتنمية IDA - أنشئت سنة 1960 ومقرها في واشنطن.
- صندوق النقد الدولي IMF - أنشئ سنة 1945 ومقره في واشنطن.
- منظمة الطيران المدني الدولية ICAO - أنشئت سنة 1947 ومقرها في مونتريال.
- اتحاد البريد العالمي UPU - أنشئ سنة 1948 ومقره في برن.
- الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية I.T.U - أنشئ سنة 1965 ومقره في جنيف.

- منظمات الأرصاد الجوية العالمية WMO - أنشئت سنة 1950 ومقرها في جنيف.
- الوكالة الدولية للطاقة الذرية IAAE - أنشئت سنة 1957 ومقرها في فيينا.
- المنظمة الاستشارية الحكومية للملاحة البحرية IMCO - أنشئت سنة 1958 ومقرها في لندن.
- الاتفاق العام للتعريفات الجمركية والتجارية GATT - أنشىء سنة 1948 ومقره في جنيف.

8.3 إنجازات الأمم المتحدة

تعبر الأمم المتحدة عن المثل العليا التي يتطلع إليها الناس حيثما كانوا، فميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ودساتير ومواثيق المنظمات الدولية المرتبطة مع الأمم المتحدة تجسد آمال البشر جميعا في القضاء على الحروب، وفي التطلع إلى حياة أفضل، وقد أكد ميثاق الأمم المتحدة أن الحروب لا تنشب بسبب الظروف السياسية وحدها، وعلى هذا فإن الحاجة ماسة إلى معالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية حتى يتسنى إنشاء عالم يتمتع بالسلام.

وقد عبر دستور منظمة اليونسكو عن تلك الحقيقة، حيث جاء في ديباجته هذه العبارة الواضحة والحاسمة: «حيث أن الحروب تبدأ في عقول الناس، وجب أن توضع أسس الدفاع عن السلام في هذه العقول» كما أكدت الديباجة أيضاً أن «السلام الذي لايقوم الا على اعتبارات سياسية واقتصادية من جانب الحكومات فقط ليس بالسلام الذي تكفل الشعوب له تأييداً مستمراً خالصاً، ولهذا وجب أن يقوم السلام على تضامن الإنسانية تضامناً أدبياً وفكرياً» كما ذكرت أن «جهل كل أمة بوسائل الأمم الأخرى وأساليبها في الحياة كان سببا عاما - في جميع العهود - في تفشي الريبة وسوء الظن بين شعوب العالم، الأمر الذي جعل خلافاتهم يترتب عليها في معظم الأحوال نشوب الحروب» وتستطرد الديباجة فتقول «إن نشر الثقافة على أوسع نطاق وتربية الإنسانية على مبادىء العدالة والحرية وحب السلام، أمور لا غنى عنها لتحقيق كرامة الإنسان، وهي واجب مقدس يتحتم على الأمم جميعاً مراعاته بروح التعاون والاهتمام المشترك بين الجميع».

ويحق لنا الآن - بعد أن استعرضنا مبادىء الأمم المتحدة وأهدافها وفروعها والكيفية التي تمارس بها هذه الفروع نشاطها - يحق لنا أن نتساءل عن مدى نجاح الأمم المتحدة في تحقيق أهدافها... ويجب علينا - حين نحاول الإجابة عن ذلك التساؤل - أن نضع نصب أعيننا طبيعة المجتمع الدولي بما يحويه من متناقضات وصراعات...

1.8.3 في المجال الاقتصادي والاجتماعي

أسهمت الأمم المتحدة منذ قيامها في تقديم الحلول للكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في العالم، كما لعبت دوراً هاماً - عن طريق المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وبالتعاون مع الوكالات المتخصصة - في مواجهة التخلف بحيث أصبحت أداة لا بديل عنها للتعاون الدولي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

فقد قدمت الأمم المتحدة لحكومات الدول المتخلفة معونات من أجل إعداد خطط شاملة للتنمية ضمانا لاستخدام الموارد البشرية والطبيعية والمالية المتاحة لها على أحسن وجه، كما بذلت جهودها لمعاونة تلك البلاد المتخلفة من أجل الحصول على ما تحتاجه من أموال للإنفاق على برامج التنمية.

كما أنشأت الأمم المتحدة جهازاً يختص بالتجارة من حيث علاقتها بالتنمية هو «برنامج الأمم المتحدة للتنمية» وهو أكبر برنامج عالمي للتعاون الفني متعدد الاطراف، ويعتمد في موارده المالية على المساهمات الاختيارية التي تقدمها كل دول العالم تقريباً وقد ساعد ذلك البرنامج الدول ذات الدخل المنخفض على اجتذاب رؤوس الأموال التي تحتاجها لدفع عجلة التقدم الاقتصادي، كما ساعدها على أن تكون لديها القدرة على استخدام رؤوس الأموال هذه، وجميع الموارد المتاحة استخداما أكثر فعالية، وقد عاون هذا البرنامج الدول النامية في تنفيذ آلاف المشروعات الكبيرة والصغيرة.

ونظراً لاهمية الصناعة والتجارة في مجال التنمية الاقتصادية، فقد قامت الأمم المتحدة بإنشاء «منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية»، و«مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية».

كما قامت الأمم المتحدة بوضع وتنفيذ برنامج «عقد التنمية»، حيث خصصت في سنة 1961 مدة عشر سنوات (أي حتى سنة 1970) لتنفيذ برنامج تلتزم بمقتضاه الدول الأعضاء بمساعدة الدول النامية على زيادة دخولها بنسبة 5٪ سنوياً.

وفي سنة 1970 وافقت الأمم المتحدة على «استراتيجية التنمية الدولية للعقد الثاني الدولي للتنمية»، وتنص على أنه يجب على كل بلد متقدم أن يقدم تحويلات مالية إلى البلدان النامية تبلغ 5٪ على الأقل من مجموع إنتاجها القومي.

وفي مايو / أيار 1974 أقرت الجمعية العامة وثيقة بالغة الأهمية وهي «إعلان بشأن نظام اقتصادي عالمي جديد» «كما أقرت برنامج العمل لتنفيذ هذا الإعلان، وقد أكد الإعلان عزم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على العمل بسرعة لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد، يقوم على أساس ضمان العدالة والمساواة في السيادة، وتصحيح التفاوت، ورفع المظالم القائمة، والقضاء على الفجوة المتزايدة بين الدول المتقدمة والدول النامية».

كما قدمت الأمم المتحدة المعونة الفنية في مجال التنمية الاجتماعية، ومن أجل النهوض بوسائل المعيشة في المناطق الريفية. كما أسهمت في الأبحاث التي تتناول موضوعات الانحراف والجريمة، ونظمت المؤتمرات الدولية لدراسة بعض الموضوعات الاجتماعية مثل منع الجريمة ومعاملة المذنبين وأبحاث البيئة والسكان والمرأة، وقد وافقت الجمعية العامة بالإجماع في 7 نوفمبر / تشرين ثاني سنة 1967 على الإعلان العالمي للقضاء على التمييز ضد المرأة.

وفي مجال حقوق الإنسان أصدرت الجمعية العامة «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» بهدف التأكيد على الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يحق لجميع البشر أن يتمتعوا بها دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسياً كان أو غير سياسي. (محمد صالح السفر 1987، ص 83).

وأقرت الجمعية العامة سنة 1965 الميثاق الدولي للقضاء على التفرقة العنصرية، وإزاء استمرار حكومة جنوب إفريقيا في تطبيق نظام التفرقة العنصرية، قررت الجمعية العامة سنة 1974 «رفض قبول أوراق اعتماد أي وفد مفوض من جنوب إفريقيا» وذلك يعني عدم السماح لوفد حكومة جنوب إفريقيا بالمشاركة في أعمال الجمعية العامة، (برغم استمرار عضويتها بالأمم المتحدة). إلا أن نلسون مانديلا الذي قضى 27 عاما في السجن استطاع بكفاحه ونضاله وتضحيات شعبه تشكيل حكومة وطنية ممثلة لشعب جنوب إفريقيا، ورجع هذا البلد إلى الأمم المتحدة كدولة مستقلة متحررة قضت على التفرقة العنصرية التي كانت سائدة تحت حكم الاستعمار الأوروبي.

وعلى الرغم من تلك الإنجازات جميعاً، فإن الانتقادات مازالت توجه إلى الأمم المتحدة، ولا زالت شعوب العالم تطلب المزيد من العمل للقضاء على المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة التي تواجه البشر في معظم دول العالم، حيث لازال حوالي ثلثي سكان العالم يعيشون في أقطار متخلفة اقتصادياً. ولازال أكثر سكان العالم يعانون من سوء التغذية والأمراض والأمية وسوء السكن أو عدم توفره على الإطلاق، ولازال الكثير من الناس لايجدون أية معونة طبية ويلجأون نتيجة لذلك إلى ممارسة الخرافات طلباً للعلاج، ولازال ملايين الاطفال في مختلف أنحاء العالم لايجدون مكاناً في المدرسة.

وبرغم وضع استراتيجية التنمية الدولية سنة 1970 إلا أن أهداف هذه الاستراتيجية لم تتحقق حتى نهاية العقد الثاني للتنمية سنة 1980، ولازالت الفجوة بين الدول المتقدمة اقتصاديا والدول المتخلفة في اتساع ولازال الخلاف بين الدول المنتجة للمواد الخام والدول الصناعية بدون حل.

ولعل هذا الفشل قد أدى إلى الاقتناع بأن الخلل يكمن في طبيعة النظام الاقتصادي العالمي نفسه، وأن الحاجة ماسة إلى إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد، ولازال موضوع التنمية والتعاون الاقتصادي العالمي من أهم الموضوعات التي تواصل الأمم المتحدة بذل الجهود من أجل وضع الحلول المناسبة لها.

2.8.3 في مجال مساعدة الشعوب غير المستقلة.

لعبت الأمم المتحدة دوراً كبيراً في مجال العمل على تحرير البلاد غير المستقلة، وقد شمل هذا الدور نواحي كثيرة، كنظام الوصاية، والتدخل في شؤون البلاد غير المستقلة، والتي ليست تحت الوصاية المنظمة، والعمل إبان المنازعات فيما يتفق ومصالح الاستقلال، وقد استندت الأمم المتحدة في هذا الدور الذي قامت به إلى مبادىء الميثاق، التي تقرر أن لجميع الشعوب حقوقاً متساوية ولها جميعاً حق تقرير المصير.

وقد قامت الجمعية بمراقبة نشاط الدول الاستعمارية مراقبة فعالة، وأنشئت لجنة خاصة لفحص المعلومات التي تقدمها تلك الدول عن مستعمراتها، وناقشت تلك المعلومات وأحوال المستعمرات بشكل ساعد على حصول كثير من الشعوب على الاستقلال وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك.

ففي سنة 1946 تقـدمت سوريا ولبنان بشكوى إلى مـجلس الأمن فحـواها أن القوات الفـرنسية تتلكأ في الانسحـاب من البلدين، وصدر قرار يقضي بانسـحاب تلك القوات على وجه السرعة، وسرعان ما تم تنفيذ ذلك، واستكمل البلدان العربيان مظاهر استقلالهما. وفي سنة 1947 عرض النزاع الأندونيسي - الهولندي على الأمم المتحدة، وبعد مـفاوضات ومسـاع للتوفيق، تم الوصـول إلى تسوية سلميـة أنشئت على أثرها الجمهورية الاندونيسيـة دولة مستقلة ذات سيادة، وفي سنة 1952 قيدت الجمعية العامة في جدول أعمالها المسائل المتعـلقة بمراكش وتونس، ولم تتوقف عن إثارتهما حتى نالت المحميتان اسـتقلالهما. وتدخلت الأمم المتحدة أيضاً في مـشكلة الجزائر، وكانت موضع اهتمامـها سنويا منذ سنة 1955 وكانت فرنسـا قد رفضت حضـور المناقشات في بادىء الأمر، لأنها كانت تدعي أن المشكلة داخلية وليست من اختصاص الأمم المتحدة (انطلاقاً من الزعم الكاذب بأن الجزائـر أرض فرنسية) ولـكنها اضطرت إلى الحضـور لتدافع عن وجهة نظرها.

وقد أصبح أحد الأهداف الرئيسة للأمم المتحدة هو استقلال البلاد جميعاً استقلالاً تاماً وسريعاً، بصرف النظر عن مساحة الإقليم أو عزلته الجغرافية أو قلة موارده، وأيدت الجمعية العامـة دائماً عمل الاستفتاءات في البلاد غير المستقلة لتـحقيق ذلك الاستقلال، واذا لم تكن الأمم المتحدة قد أخرجت إلى الوجود حركـات تحرير شعوب المستعمرات، فإنها بلا شك قد أيدت تلك الحركات وأنارت لها طريق العمل، كما قبلت جميع الدول الحديثة الاستقلال كدول أعضاء.

وقد نشطت حـركة تصـفية الاسـتعمـار منذ سنة 1960 بعد صـدور إعلان منح الاستقـلال للشعوب والبلدان المستعـمرة، بضغط من الدول الإفريقيـة والآسيوية داخل الجمعية العامة، وتعتبر هذه السنة سنة إفـريقيا حيث حصل على الاستقلال خلالها سبع عشرة دولة إفريقية بالإضافة إلى قبرص.

ثم توالى بعد ذلك استقلال المستعمرات الإفريقية السابقة، فيما عدا ناميبيا (إقليم جنوب غرب إفريقيـا) الذي كان خاضعا لاتحاد جنوب إفريقـيا وفق نظام الانتداب، وقد رفضت جنوب إفـريقيا سـريان نظام الوصاية على هذا الإقليم، وطـالبت بضمه اليـها، ولكن الأمم المتحدة أعلنـت معارضتها لذلـك وأصدرت القرارات المتاليـة بإنهاء انتداب جنوب إفريقيا على إقليم ناميبيا منذ عام 1966 كما أصدر مجلس الأمن القرارات التي

يدعو فيها جنوب إفريقيا إلى الانسحاب الفوري من ناميبيا، واعتبار استمرار احتلالها لها انتهاكا عدوانيا ضد الأمم المتحدة، كما قرر مجلس الأمن سنة 1970 دعوة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الامتناع عن ممارسة أي علاقات مع جنوب إفريقيا تنطوي على الاعتراف بسلطتها على ناميبيا. كذلك أقرت محكمة العدل الدولية عام 1971 إلغاء شرعية انتداب جنوب إفريقيا على ناميبيا، وفعلا استطاعت ناميبيا الاستقلال عن جنوب إفريقيا عام 1994 وأصبحت عضواً في منظمة الأمم المتحدة. (محمد سعيد الدقاق، 1977، ص 160-163).

9.3 الأمم المتحدة في الميزان

إذا تتبعنا مسيرة الأمم المتحدة منذ إنشائها حتى الآن نجد أنها قد نجحت في بعض القضايا في حين أخفقت في قضايا كثيرة، ومن الإيجابيات التي حققتها الأمم المتحدة :

1- نجحت في أن تكون منبراً عالمياً يقصده زعماء العالم وأصحاب القضايا حيث يعبرون عن أفكارهم، ومطالب أوطانهم، وبذلك أصبحت منظمة دولية بخلاف عصبة الأمم المتحدة التي كانت أشبه بمنظمة أوروبية.

2- ساعدت - إلى حدٍ ما - في تصفية الاستعمار وتحقيق الاستقلال لكثير من الدول الآسيوية والإفريقية.

3- وضعت يدها على أهم مشاكل عالمنا المعاصر عندما سلطت الأضواء على التفاوت الكبير بين الدول الصناعية (الغنية والمتقدمة)، والدول النامية (الفقيرة)، وبذلك جعلت من هذا الصراع الطبقي محل اهتمام عالمي.

4- حققت نجاحاً متواضعاً في بعض القضايا التي اتفقت فيها الدولتان العظيمتان مثل : قضية التميز العنصري، وتأميم قناة السويس. . الخ.

أما الميادين التي أخفقت يها الأمم المتحدة، فهي كثيرة، منها:

1- أنها لم تنجح في القضاء على الحرب الباردة بين المعسكرين، بل إن الأمم المتحدة نفسها لم تكن بمنأى عن هذه الحرب، إذ تمكنت الولايات لمتحدة من جر المنظمة الدولية إلى مواقعها، وجعلها أداة لتحقيق أهدافها (كما حدث في الحرب الكورية).

2- أخفقت في تحقيق أحد الأهداف الرئيسة التي أنشئت لأجلها، وهو : نزع أو تحريم الأسلحة العادية والذرية، أو في تكوين جيش دولي لتنفيذ إرادتها.

3- إن من أخطر الأمور التي فشلت في تحقيقها، هو فشلها الذريع في إحلال السلام والقضاء على الحروب في العالم، سواء الحروب بين الدول الصغرى أو التي شاركت - وتشارك - فيها الدول الكبرى - لهذا ما زال السلام بعيداً عن التحقيق. ومن هنا، فقدت الغالبية ثقتها في مقدرة الأمم المتحدة على إحلال السلم أو علاج المشاكل الخطيرة.

4- لم تنجح في تنشيط وتنظيم التنمية الاقتصادية على مستوى عالمي وفي جعل المساعدات المالية والفنية تمر عن طريقها، إذ لا زالت هذه المساعدات تعطى بحسب شروط الدول الغنية ووفقاً لمصالحها.

5- أخفقت في تطوير أو تجديد القانون الدولي وفي وضع قواعد ثابتة وواضحة تخضع لها جميع الدول دون استثناء.

6- وأخيراً، فشلت في حل القضية الفلسطينية، وعجزت باستمرار عن تنفيذ قراراتها المتعددة بإعادة الشعب الفلسطيني إلى وطنه، والاعتراف بحقوقه المشروعة، فلم تتمكن من إجبار الكيان الصهيوني على احترامها، كما عجزت حتى الآن عن حل جذري لقضية يوغسلافيا والصراع الصربي البوسني ولكن، وعلى الرغم من كل السلبيات فإن كثيراً من المفكرين يرون أن الأمم المتحدة قد أصبحت من مستلزمات الحياة الحديثة ولا مفر من وجودها، ولا غنى عن خدماتها المتواضعة.

تدريب (2)

يتمتع مجلس الأمن بسلطات أقوى من سلطات الجمعية العامة، ناقش هذه العبارة.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. اشرح المقصود من الفيتو، وبين المبررات التي أدت إلى إقراره والنتائج التي ترتبت على استخدامه.

2. ما الفرق بين موقف كل من عصبة الأمم والأمم المتحدة من الحرب ؟

4. الخلاصة

عالجنا في هذه الوحدة - عزيزي الدارس - كل من عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة وهما مؤسستان دوليتان مهمتين. عالجنا موضوع التعاون الدولي لحل المنازعات التي نشبت بين الدول بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية. ومن المعروف أن المؤتمرات الدولية تمهد لظهور اتحادات وهيئات سياسية دولية تعمل على الاستفادة من النتائج المدمرة التي تمر بها البشرية، وعلى أثر الدمار الذي حاق بالقارة الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى قام رئيس الولايات المتحدة "ولسون" ونادى بفكرة تجمع أوروبي للعمل من أجل السلام واستبعاد الحروب وما تجره من ويلات على البشرية، وكان قد سبقه إلى هذا النداء عدد من المفكرين والفلاسفة الأوروبيين ولكن دون أن تجد نداءاتهم آذاناً صاغية.

وفي مؤتمر الصلح الذي عقد في أعقاب الحرب الأولى في باريس حرص "ولسون" على الحصول على تأكيد لفكرته وطالب بأن تتضمن معاهدة الصلح مشروعاً لعصبة الأمم وتم ذلك في 25/ 1/ 1919 حيث أقر المجتمعون في المؤتمر تأسيس عصبة الأمم. وتشكلت لجنة لإعداد مشروع ميثاقها.

ومع أن ميثاق العصبة نص على منحها اختصاصات واسعة إلاّ أنها كانت غير فاعلة، إذ أنها لم تكن تملك أي سلطات حقيقية وقراراتها يجب أن تصدر بالإجماع. لذا فشلت في حل العديد من المنازعات الدولية إذ لم تستطع إنقاذ الصين من العدوان الياباني كما أنها لم تستطع إنقاذ الحبشة من الاستعمار الإيطالي. ولقد انسحبت ألمانيا من عصبة الأمم عندما لمست أن بريطانيا دوماً توجهها لخدمة مصالحها.

وكان نشوب الحرب العالمية الثانية أكبر فشل واجهته عصبة الأمم وعمل في إنهاء دورها. وكان لهذا الفشل أثر بالغ في سياسات الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية وتوجهها للبحث في أمر جديد يجنبها الخوض في حرب عالمية ثالثة. ومع ظهور الافكار النازية والفاشية، جرت مناقشات واتصالات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين بخصوص الشكل الذي يجب أن تكون عليه المنظمة التي ستخلف عصبة الأمم. وقد تم لأجل ذلك عقد مؤتمرات عديدة في أعوام 1942، 1944، وفي مؤتمر مالطا عام 1945. وأخيراً كان مؤتمر سان فرنسيسكو، وهو أهم هذه المؤتمرات حيث

وافقت دول الحلفاء على ميثاق المنظمة الدولية الجديدة في 26/ 6/ 1945 ودخل الميثاق مرحلة التنفيذ الفعلي في 24/ 10/ 1945 وقد هدفت المنظمة الجديدة إلى حفظ السلام والأمن الدوليين وتنمية العلاقات بين الدول وتحقيق التعاون الدولي في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية بواسطة أجهزتها الإدارية والتنفيذية. وجعل الأمم المتحدة وسيلة لمساعدة الدول الأعضاء وتوجيهها نحو الغايات المشتركة كما جاء في الفقرة الرابعة من المادة الاولى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمم المتحدة لعبت دوراً مهماً في مجال العمل على تحرير البلاد غير المستقلة. واذا تتبعنا مسيرة الأمم المتحدة نجد أنها قد نجحت في بعض القضايا وفشلت في قضايا أخرى وخاصة في حل القضية الفلسطينية حيث عجزت عن تنفيذ قراراتها العديدة وإعادة الشعب الفلسطيني إلى وطنه كما لم تتمكن من اجبار اسرائيل على احترام قراراتها بهذا الخصوص. ولكن رغم كل سلبيات الأمم المتحدة فإن الكثير من السياسيين يرون أن لا مفر من وجودها ولا غنى عن خدماتها.

5. لمحة مسبقة عن الفصل السابع

عزيزي القارئ : بعد أن قرأت الفصل السابع، وأجبت عن أسئلة التقويم الذاتي يجدر بنا أن نمهد لك الطريق لتعرف الفصل القادم والذي ستتناول فيه حركات التحرير ضد الاستعمار وخاصة في دول العالم الثالث وعوامل نشوء هذه الحركات ودور الأحزاب والحركات السياسية في تلك الحركات كما سيقدم لك نماذج من ثورات في العالم الثالث والتي حصلت في كل من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والتي هزمت الاستعمار وحققت الاستقلال لشعوبها ومن أهمها ثورة الجزائر في إفريقيا وثورة فيتنام والهند في آسيا وثورة كوبا ونيكاراجوا في أمريكا اللاتينية وننهي الفصل بالاجابة عن نماذج من نهضة شعوب آسيا في كل من اليابان والصين.

6. إجابات التدريبات

تدريب (1)

برغم أن عصبة الأمم منظمة ذات اتجاه عالمي، ولكنها تنظيماً غير فعال للأسباب التالية:

1- لم تكن تملك أي سلطات حقيقية أو قوة ضرورية لفرض احترام قراراتها بل كانت تستند إلى قوة الرأي العام العالمي.

2- لم تكن قرارات العصبة والتي يجب أن تصدر بالإجماع ملزمة إذ لم تكن إلا مجرد توصيات.

3- لم يُحرِّم ميثاق العصبة الحرب بل أجازها إذا فشل في حل المنازعات عن طريق التحكيم وبالطرق السلمية، وذلك بعد مضي ثلاثة أشهر على فشل التحكيم.

4- الإجراءات والجزاءات الجماعية ضد الدولة المعتدية تصدر بعد وقوع العدوان وبذلك تكون هذه الإجراءات متأخرة، ولم تطبق هذه الإجراءات سوى مرة واحدة ضد إيطاليا عندما اعتدت على الحبشة عام 1935، وقد تعمدت بعض الدول تأخير التطبيق والتراخي فيه مما أدى إلى الفشل.

5- كون عصبة الأمم منظمة أوروبية كانت نظرتها إلى المشكلات العالمية من زاوية أوروبية وكانت تعتبر سائر دول العالم من ملحقات أوروبا وأوجدت نظام الانتداب وهو استعمار مقنع في واقع الحال واتفقت على الحماية والدمج كأشكال أخرى من الاستعمار.

تدريب (2)

لقد فرض ميثاق الأمم المتحدة مجلس الأمن باعتباره الإدارة التنفيذية للهيئة بسلطات أقوى من سلطات الجمعية العامة، ذلك أن مجلس الأمن المسؤول بصفة أساسية عن المحافظة على السلم والأمن الدوليين، وهو يمارس صلاحياته نيابة عن أعضاء الأمم المتحدة جميعاً والذين يتعهدون بقبول قراراته، وهو يباشر اختصاصاته بأحد أسلوبين، أولاً العمل على تسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية، وثانياً العمل على قمع العدوان والتهديد بإصدار قراراته بوقف القتال أو التهديد بوقف العلاقات الاقتصادية

والمواصلات مع الدول المعنيــة أو اللجوء إلى الإجراءات العسكرية كـما فعل مع كل من العراق وليبـيا، حيث أوقف العلاقات الاقـتصادية والمواصلات ولجـأ إلى قصف العراق بالقنابل، وكما أوقف المواصلات الجوية مع ليبيا.

ولمجلس الأمن صلاحيات أخرى فنية وإدارية منها:

1- التوصية بقبول أعضاء جدد في الأمم المتحدة.

2- التوصية بإيقاف عضو أو فصله من الأمم المتحدة.

3- التوصية بتعيين السكرتير العام للأمم المتحدة.

ولقد رأينا حق النقض (الفيتو) الذي لجأت إليه مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية بعدم التجديد لولاية ثانية للدكتور بطرس غالي السكرتير العام للأمم المتحدة على الرغم من حصوله على موافقة الأربعة عشـر عضواً الآخرين من أعضاء مجلس الأمن. كذلك استخـدمت أمريكا الفيتـو مرتين خلال اسبوعين في شـهر مارس / آذار 1997 لحماية اسرائيل من قرار وافـقت عليه 14 دولة في مجلس الامن، يدعـو إلى وقف الاستيطان في الاراضي الفلسطينية وبخاصة في مدينة القدس كما يعتبر مجلس الأمن وعلى خلاف الجمعية العامة، هيئة دائمة ويعقد المجلس اجتماعات دورية ويجوز اجتماعه في أي وقت بناء على طلب رئيس المجلس أو أي عضو في الأمم المتحـدة أو أي دولة من غير أعضاء الأمم المتحدة أو السكرتير العام للأمم المتحدة.

7. مسرد المصطلحات

- الانتداب Mandate

الانتداب كما نص عليه ميثاق عصبة الأمم هو تكليف دولة تُدعى الدولة المنتدبة مساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض، وتدريبها على الحكم حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها.

- الحرب الباردة Cold War

حالة من حالات الصراع غير المسلح في ظل وضع متوتر بين جانبين يستهدف كل جانب تقوية نفسه وإضعاف الجانب الآخر بكل الوسائل ما عدا وسيلة الحرب الساخنة. ولقد استخدم هذا المفهوم للمرة الأولى من قبل الأمير "خوان مانوئيل الإسباني" في القرن الرابع عشر ثم من قبل الاقتصادي الأمريكي برنارد باروش في مطلع العام 1947 وأصبح تعبيراً شائعاً من قبل الصحفي والتر ليبمان ويفهم منه بصورة عامة وصف حالة التوتر بين الدول الغربية والكتلة الشرقية التي حصلت بعد عام 1945 على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية.

- الوصاية Sovereignty

نظام دولي خاص وضعه ميثاق الأمم المتحدة عام 1945 بتنظيم أمور الأقاليم غير المستقلة وإدارتها بإشراف مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة. وتنظيم أمور الأقاليم المشمولة بنظام الوصاية على أساس اتفاق وصاية بين الأمم المتحدة والدولة المشرفة، تتعهد بموجبه الدولة المشرفة باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية في الإقليم، وتهيئة الإقليم للحكم الذاتي والاستقلال.

8. المراجع

أ - المراجع العربية

1- أبو علية، عبد الفتاح : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الرياض، 1979.

2- خليل، محمد يوسف، برقاوي، احمد توفيق : تاريخ العالم الحديث والمعاصر، وزارة التربية، الكويت، 1989.

3- الدقاق، محمد سعيد : الامم المتحدة والمنظمات الاقليمية، منشأة المعارف بالاسكندرية، 1977.

4- رونؤن، بيير : تاريخ القرن العشرين تعريب نور الدين حاطوم. دار الفكر الحديث لبنان 1969.

5- عبد الرحمن، عبد الرحيم : التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، القاهرة 1986.

6- عمر، حسين : المنظمات الدولية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

7- فشر، هربرت : تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789-1950) تعريب أحمد هاشم، وديع الضبع. دار المعارف بمصر 1972.

8- المسفر، محمد صالح : المنظمات الدولية، مطبعة قطر الوطنية، قطر 1987.

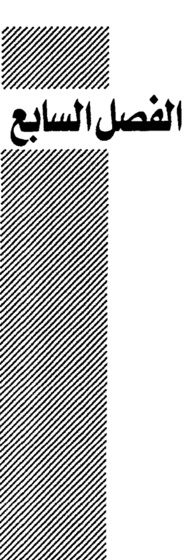
9- نوار، عبد العزيز : التاريخ المعاصر أوروبا 1871-1945 دار الفكر العربي، القاهرة 1982.

ب - المراجع الأجنبية

1- Toynbee, Arnold : Survey of International Affairs. (1920-1923) Oxford University Press, 1951.

2- Woodward, Butter: Documents on British Foreign Policy (1919 - 1939) 3rd ser, Vol.III. Washington. 1949.

3- Yearbook of International Organizations 2nd Edition Vol.1. 1995. K. G. Saur. London.



الفصل السابع

حركات التحرر من الاستعمار

1. المقدمة

1.1 التمهيد

مرحباً بك، عزيزي القارئ، إلى الفصل السابع من كتاب "تاريخ العالم الحديث والمعاصر" والذي يعالج موضوعاً أولاه الكثيرون من الكتاب والباحثين والسياسيين والأكاديميين جل اهتمامهم هو حركات التحرير من الاستعمار في بلدان العالم الثالث وعوامل قيامها.

وسنعرض لأهم عناصر هذا الفصل بالحديث عن القوى المؤثرة في ثورات التحرير الوطني ثم نشأة حركات التحرير الوطني في العالم الثالث بعامة والوطن العربي بخاصة، وكيف قامت هذه الحركات بمقاومة السياسة الاستعمارية التي تصدت لحركات التحرير وحاولت إجهاضها بل ووأدها قبل أن تستفحل. ثم الدور الذي لعبته الأحزاب السياسية والمنظمات السياسية في النضال ضد الاستعمار، وتنظيم القوى الشعبية لمواجهته وتبين كيف نشأت الأحزاب السياسية في مجتمعات العالم الثالث والمنظمات السياسية الأخرى، ومدى تأثيرها في حركات التحرير ودورها في التحديث والتنمية السياسية والتحرر من ربقة الاستعمار والهيمنة، وهل مارس زعماء هذه الأحزاب والمنظمات الديكتاتورية أم الديمقراطية خلال ممارستهم الحزبية والنضالية وما تمخض ذلك عن قيام ثورات وطنية في معظم بلدان العالم الثالث فشل بعضها وحالف النجاح البعض الآخر منها ثورة الجزائر في أفريقيا وثورة كل من كوبا ونيكاراجوا في أمريكا اللاتينية وثورة الهند وفيتنام في آسيا، مع بيان العلاقة التي تربط حركات التحرير والثورات بعضها ببعض في كل من آسيا، وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وأخيراً، عزيزي القارئ، نقوم بتقديم نماذج من نهضة شعوب آسيا كاليابان والصين وعوامل نجاحها في تحقيق نهضتها بعد أن كانت هذه الشعوب شبه متخلفة، خضعت لعوامل عديدة في تاريخها افقدتها استقلاليتها وسيادتها مدة من الزمن، وكيف استطاعت شعوب هذين البلدين النهوض من كبوتها وأصبحت كل من اليابان والصين دولتين لهما مكانتهما القارية والدولية.

2.1 أهداف الفصل

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءة هذا الفصل أن تكون قادراً على أن:

1. تُعرِّف المفاهيم والمصطلحات والتعميمات وتبين القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في الفصل.
2. تُوضح عوامل وأسباب قيام حركات التحرير في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.
3. تشرح دور الأحزاب السياسية في تنظيم القوى الشعبية لمواجهة الاستعمار.
4. تشرح أسباب قيام الثورات في بلدان العالم الثالث.
5. تبين أسباب فشل أو نجاح بعض ثورات أقطار العالم الثالث.
6. تستخلص مدى علاقة بعض حركات التحرير في آسيا مع حركات التحرير في أفريقيا.
7. تحدد عوامل نجاح اليابان والصين في تحقيق نهضتهما.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى أربعة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف السابقة إذ يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل. أما الهدف الثاني فيرتبط بالقسم الأول «حركات التحرير في العالم الثالث وعوامل نشوئها»، من الفصل. ويرتبط القسم الثاني «دور الأحزاب والمنظمات السياسية في حركات التحرير» بالهدف الثالث. أما القسم الثالث «نماذج من الثورات في العالم الثالث» فيرتبط بالأهداف الرابع والخامس والسادس. وأخيراً يرتبط القسم الرابع «نماذج من نهضة شعوب آسيا» بالهدف السابع من أهداف الفصل.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي القارئ، حاول الانتفاع بالقراءات التالية لاتصالها المباشر بموضوع الفصل مما سيجعلك أكثر قدرة على استيعاب ما بها من معلومات:

1. جاليه، بيير، العالم الثالث والعالم الامريكي، ترجمة ذوقان قرقوط، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973.
2. حرب، اسامة الغزالي، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة- الكويت، 1987 .

3. ديليوسين، جـوكوف، سـتيبانوف اسكندروف، العـالم الثالث قضـايا وآفاق المرحلة الراهنة في حركة التحرر الوطني، دار التقدم، موسكو، 1971.

4. العزي، سويم: الديكتاتورية والاستبدادية والديمقراطية والعالم الثالث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987.

5. غريمال، هنري: حـركات التحـرر الوطني في آسيـا وأفريقيـا من عام 1919 وحتى الوقت الحاضر ترجمة د. صالح كعـدان، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1994.

6. هادي، رياض عزيز: العـالم الثالث من الحزب الـواحد إلى التعـددية، سلسلة آفاق (11) دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، 1995.

7. Ethridge; James M, Changing China, New World Press, First Edition, Beiging, China. 1988.

8. Grande, William, M. The Revolution in Nicaragua, Another Cuba, Foreign Affairs Vol. 58, No. 1. 1971- 1980.

2. حركات التحرير في العالم الثالث وعوامل نشوئها

نبحث في القسم الأول من هذا الفصل، عزيزي القارئ، عدة مواضيع تتعلق بحركات التحرير في العالم الثالث فنتطرق إلى القوى المحركة لهذه الثورات وإلى نشأتها ثم ننتقل إلى موضوع السياسة الاستعمارية والحركات التحررية:

1.2 القوى المحركة في ثورات التحرر الوطني

ان نضال شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية في سبيل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي استرعى انتباه الرأي العام العالمي بأسره وآثار اهتمام الباحثين والقارئين، وليس هذا من قبيل الصدفة بل لعوامل عدة أهمها القوى المحركة في ثورات التحرر الوطني لهذه الشعوب، وتتشكل هذه القوى من:

1- الفلاحين: ويؤلف الفلاحون الأغلبية الساحقة من السكان في البلدان النامية. ومن أجل توطيد استقلال البلاد الوطني التام في جميع الشؤون السياسية والاقتصادية لا بد أن تدعمه جماهير الفلاحين أي سواد الناس، وكل حكومة تنظر إلى مهامها بشعور من المسؤولية إنما يتعين عليها أن تأخذ مصالح الفلاحين بعين الاعتبار لأن البحث عن الوسائل لتحسين أوضاعهم، ومقدار الدخل الوطني في الكثير من البلدان النامية يتوقف بصورة رئيسة على حالة الإنتاج الزراعي وآفاق نمو الصناعة الوطنية مرتبطة بامكانات السوق الداخلية أي مدى قدرة الفلاحين على شراء البضائع المنتجة. ومستوى البلاد الثقافي أيضاً مرتبط إلى حد كبير بمستوى تعليم السواد الأعظم من السكان المقيمين في الريف، وخلال حقبة طويلة جداً من الزمن كان الفلاحون وهم الأغلبية الساحقة من بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية محرومين كلياً من حقوقهم السياسية، وكانوا يخضعون إما لفئة الاقطاعيين وإما لزعماء القبائل وإما لسلطة الدولة الاستبدادية المركزية.

إن رواسب هذا الوضع لا تزال ظاهرة حتى الآن إذ أن مستوى الفلاحين في البلدان النامية متأخر كثيراً عن مستوى سكان المدن من حيث الوعي السياسي والثقافي العام.

ومع ذلك لم يقف الفلاحون يوماً مكتوفي الأيدي واستمر نضالهم ضد الاقطاعيين زمناً طويلاً وأن حروبهم في الصين والهند وإيران والبلدان العربية ذات تأثير كبير في مجمل تطور هذه البلدان التاريخي. ومع أن جماهير الفلاحين تُشكل قوة ثورية كبيرة إلا أن هذه القوة لا تستطيع أن تضطلع بدور هام، إلا إذا عملت بالتعاون مع قسم آخر من المجتمع أكثر تلاحماً وأوفر تنظيماً، وتهيأت له القيادة المناسبة. وفي معظم البلدان النامية يتفاعل الفلاحون على الدوام مع فئتين اجتماعيتين أساسيتين تمثلان سكان المدن هما البرجوازية الوطنية (قطاع الصناعة والتجارة) وطبقة العمال.

2- العمال، إن دوراً خاصاً في حركة التحرير الوطني وفي تطور البلدان النامية يعود إلى العمال، ومع أن عددهم في بلدان آسيا وأفريقيا غير كبير نسبياً، إلا أنه من الثابت أن دور وأهمية الطبقة العاملة لا يقررهما أبداً عدد أفرادها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن العمال الزراعيين يؤلفون قسماً كبيراً من العمال في البلدان النامية وهم عمال المزارع والأجراء الزراعيون. والجدير بالذكر أن العمال في المدن والقسم الأكبر منهم يتألف من فلاحين أجبرهم الجوع على النزوح من قراهم ظلوا على اتصال وثيق بحياة الريف ويدعمون بطيب خاطر نضال الفلاحين ضد بقايا ورواسب النظام الاقطاعي الذي يشكل سنداً لاعداء التقدم الاجتماعي وتوطيد الاستقلال الوطني.

3- المثقفين: ونعني بهم المعلمين والمحامين والأطباء وطبقات الموظفين والطلاب والضباط، وهم من حيث نشأتهم أقرب فئات سكان البلاد النامية إلى البرجوازية الصغيرة، وتتميز هذه الفئة بشدة نشاطها ضد المستعمرين والمحتلين. وقبل نيل الاستقلال السياسي في البلدان النانية كان المثقفون يرضون بوظائف الدرجات الدنيا في جهاز الدولة والذي كان يعتمد أساساً على الموظفين الأجانب من أبناء الدول المستعمرة وكان من أبرز المثقفين ممثلو سلك الضباط من العسكريين، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الحلقات الوطنية السرية والتي تضم المثقفين العسكريين من الضباط قد اضطلعت في كثير من البلدان النامية بدور كبير بوصفها النواة الأحسن تنظيماً للنضالات المعادية ضد المستعمرين والمحتلين. ولما كان هؤلاء في خططهم يعتمدون بصورة رئيسة على قواهم الخاصة ودون استمالة الجماهير إلى الاشتراك في النضال التحرري كان من الطبيعي أن يؤدي هذا إلى فشل نضالاتهم الثورية أحياناً

وفي حالة نجاحـها كانوا لا يجدون على الفور السند الاجتـماعي الصلب الضروري لنجاحهم. وبعدما نالت أغلبية بلدان الدول النامية استقلالها الوطني وأصبح الجيش أهم ركن للحكم الوطني الجديـد، غدت أمور كثـيرة رهناً بدرجة أمانة ومـتانة هذا السند. ولا داعي للغـرابة أيضاً إذا كـان الجيش في بعض بلدان العـالم الثالـث قام بانقلابات معادية لـلديمقراطية وفي مصلحة الأقلية المميـزة مع عدم النكران أيضاً أن عدداً لا بأس به من الضباط مرتبط بالسكان الكادحين وقد شاركوا بنشاط في حركة التحـرر الوطني ولم يقبلوا بقاء بلدهم مـتأخراً في الميدان الاقـتصادي والاجتـماعي وكثير منهم أمـعن الفكر في الطريقة التي يمكن بها تعجيل التطور الـتقدمي وتوطيد أركان الدولة الوطنية.

وفي كثير من البلدان النامية كانت فئة الضباط على وجه الدقة أكثر أقسام المثقفين الوطنين تنظيماً وقامـوا بدور المبادر إلى التحولات الاجتماعيـة والاقتصادية ولم يترددوا بإقصاء رجال الدولة الذين تعرضوا للشبهة والفضيحة وإعاقة تطور الدولة التقدمي، وأن الأبعد نظراً بـين زعماء الضـباط الوطنيين ذوي الميـول الثورية أدركوا أنـه لا يمكن لقوى الجيش وحدهـا إحراز أي تقدم في تطبيق النهج الـسياسي التقدمي بل يحـتاج إلى سند قوي من صفوف الشعب وبخاصة الفـئات الكادحة من السكان للوصول إلى نتائج فعلية وملموسـة من أجل توطيد الاسـتقلال الوطني والتـقدم الاجتـماعي وهذا ما سـار عليه الزعيم الوطني جمال عبدالناصر عند قيـامه مع الضباط الأحرار بثورة يوليو المصرية عام 1952، وتبين التجربة أنه لا يمكن السير بنجاح في طريق التقدم الاجتماعي إلا بممارسة الديمقراطيـة في النظام السيـاسي والاجتمـاعي وإشراك الجمـاهير الشعـبية الواسـعة في تصريف شؤون البلد، كما تبين التجربة أيضـاً أن أكبر خطر يهدد الاستقلال الوطني إنما ينبع من تفرقة قوى الشعب والنيل من وحدة القوى الوطنية.

تدريب (1)

للعمال دور خاص وهام في حركات التحرر الوطني، وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- اشرح دور القوى المحركة في ثورات التحرر الوطني.

2- تفكك القوى الشعبية وعدم وحدتها خطر يهدد الاستقلال الوطني. علل ذلك.

2.2 نشأة حركات التحرر الوطني في الوطن العربي

شهد العالم، عزيزي القارئ، في القرن العشرين تغيرات عظيمة في حياة شعوب الكرة الأرضية، فقد فتحت ثورة أكتوبر الاشتراكية الشرخ الأول في نظام الإمبريالية، وأحدثت تحولاً جذرياً في المصائر التاريخية للبلدان المستعمرة، وفتحت عصر الثورات الوطنية التحررية. كما أدى التحالف المعادي للهتلرية في أثناء الحرب العالمية الثانية إلى إضعاف النظام الامبريالي العالمي بشدة، وإلى انتصار الثورات الاشتراكية في عدد من بلدان أوروبا وآسيا وأمريكيا اللاتينية، وتشكل النظام الاشتراكي العالمي، وخلق الظروف والمنطلقات لتصفية النظام الاستعماري الامبريالي، وحصل القسم الأعظم من البلدان المستعمرة على الاستقلال الوطني في النصف الثاني من القرن العشرين.

كانت التغيرات الجذرية التي حصلت في العالم العربي جزءاً لا يتجزأ من عملية التبدل المعاصرة هذه. ففي بداية القرن العشرين كانت كافة أراضي العالم العربي في الواقع إما مُستعمرَة أو شبه مستعمرة، غير أن الوضع تغير جذرياً منذ ذلك الحين، فقد حازت جميع البلدان العربية في الوقت الحاضر عملياً على وضع الدول المستقلة سياسياً، كما حاولت الجماهير الشعبية في عدد من بلدان المشرق العربي والمغرب العربي من خلال الثورات الوطنية التحررية بناء مجتمع جديد خاص بها مكان المجتمع القديم، وبتنامي الشعور القومي والاجتماعي للجماهير الكادحة الواسعة في البلدان العربية أمكن البحث عن الحلول الجذرية لمشاكل العالم العربي بأسرع ما يمكن، مثل: تصفية بقايا النفوذ الاستعماري، تجديد بناء الاقتصاد الوطني المتخلف، تحسين الظروف المعاشية ورفع المستوى الثقافي للسكان، تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية على أسس ديمقراطية. وجرى في عدد من البلدان ذات الحكم الجمهوري الديمقراطي الشعبي وضع تصورات خاصة بالتطور الاجتماعي والاقتصادي يطبعها التأثر الملحوظ بالمبادئ الاشتراكية وبتجربة البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي وفي بقية الدول الاشتراكية. فقد طرح قادة مصر وسورية والعراق والجزائر برامج التطوير غير الرأسمالي لإقامة مجتمع العدالة الاجتماعية.

ولعب اليساريون والشيوعيون العرب في كثير من البلدان العربية دوراً بارزاً في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

لقد حققت الدول العربية منذ حصولها على الاستقلال نجاحات هامة في قضية النهوض بالاقتصاد وبالمستوى المادي والثقافي للسكان. ويلاحظ تقدم ملموس بشكل خاص في البلدان السائرة على طريق التحولات الاجتماعية والاقتصادية الجذرية. وكان للتعاون المثمر مع بلدان المنظومة الاشتراكية وبالدرجة الأولى مع الاتحاد السوفيتي أهمية غير قليلة في التطوير الناجح للبلدان العربية التقدمية. كما نما وزن البلدان العربية في الساحة الدولية، حيث ناضلت الشعوب العربية بفعالية ضد المخططات الاستعمارية الجديدة وضد التهديد الصهيوني ومن أجل حلّ عادل لمشكلة الشرق الأوسط بعامة وقضية فلسطين بخاصة ولإزالة آثار العدوان الإسرائيلي.

إن انتصارات الشعوب العربية في النضال من أجل التحرر الوطني والاجتماعي في أيامنا هذه هي حصيلة كفاح بطولي متفانٍ وطويل، فقد وصلت الجماهير الشعبية في البلدان العربية إلى هذه الانتصارات متسلحة بتجربة غنية من خلال المعارك السابقة من أجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي، كما تعلمت الشعوب العربية وهي تدافع عن حقوقها الوطنية والاجتماعية كيف تنتصر على المستغلين المحليين والأجانب وكيف تبني الحياة بما يتلاءم مع مصالحها وتطلعاتها. وقد ظهرت وتوطدت في إثناء علمية تطور الحركة الجماهيرية منظمات وطنية مناضلة قادت هذه الحركة وصاغت الأيديولوجية القومية الوطنية المعادية للاستعمار، وتنامى الشعور القومي والطبقي لدى الجماهير الكادحة. كما تعلمت الجماهير الشعبية من خلال تجربتها الخاصة أيضاً كيف تميز بين أصدقائها وأعدائها سواء داخل البلدان العربية أم في الساحة الدولية، وتقوى كذلك وتعزز التضامن والتعاضد المتبادل بين الشعوب العربية، الأمر الذي يعتبر عاملاً هاماً في حياة العالم العربي في المرحلة المعاصرة. وتستلهم الجماهير العربية اليوم في نشاطاتها السياسية التضحيات المجيدة للفلاحين وسكان المدن والبدو في أثناء الحروب التحريرية التي قادها عبدالكريم الخطابي وعبدالقادر الجزائري في الجزائر، والمهديون في السودان، وعمر المختار في ليبيا، والثورات الوطنية التحريرية في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن في العراق وسورية ولبنان وفلسطين وغيرها من الثورات الكبيرة والصغيرة.

لقد تميز تطور حركة التحرر الوطني في العالم العربي، كما هو الحال في بقية البلدان الأفريقية- الآسيوية الأخرى، بطابع معقد ومتناقض، وكانت القوة المحركة للانتفاضات المعادية للامبريالية وضد عبودية الاستعمار ونهب الشركات الاحتكارية

الأجنبية هي الجماهير الكادحة في المدينة والريف، الفلاحون والبدو، الحرفيون، الفئات الوسطى من سكان المدن والعمال. ولكن قيادة الحركة التحررية ظلت حتى زمن قريب في أيدي البرجوازية العربية الضعيفة اجمالاً، وكان لا بد لكل هذا من أن يترك أثره الكبير على أيديولجية الحركة القومية ومنطلقاتها التكتيكية والاستراتيجية الذي لا زلنا نلمسه حتى وقتنا الحاضر، إذ لا زالت الحركة الوطنية المعاصرة في البلدان العربية محتفظة ببعض عناصر التيارات الإيديولجية التي تميزت بها فترة بداية النضال من أجل الاستقلال الوطني.

غير أن الكثير من تقاليد المرحلة المبكرة لحركة التحرر الوطني في العالم العربي لم تعد تتلاءم مع الظروف الجديدة، ولكننا كثيراً ما نجد الدوائر المحافظة والرجعية في البلدان العربية تمتدح تلك التقاليد محاولة أن تبرهن على طريقها في عدم إمكانية تطبيق النظريات الفكرية الأوروبية في العالم العربي، وكذلك على عدم تلاؤم ظروف العالم العربي مع تعاليم الماركسية- اللينينية. وتستغل هذه الدوائر الحاجة الطبيعية لدى شعوب البلدان العربية إلى تأكيد الذات القومية وانعدام الثقة الواضح لدى بسطاء الناس بالأيديولوجية الغربية الامبريالية التي انغرست في نفوسهم في عهد الاستعمار. وتطرح الدوائر الرجعية النظريات الامبريالية والتعاليم التقدمية للاشتراكية العلمية في الوقت ذاته، وكأنها ظاهرة لمخطط واحد، وفي السنوات الأخيرة راحت تدعو بشدة إلى هذه "الفكرة"، إلى جانب الدوائر الدينية، بعض العناصر المتطرفة للبرجوازية الصغيرة في العالم العربي، وينادي مؤيدو "النظرية الثالثة" "التي تقوم على أساس التعصب القومي والديني" بمسألة تطابق أهداف الإمبريالية و"الشيوعية العالمية" وخطرهما المتماثل بالنسبة لبلدان "العالم الثالث" وهم غالباً ما يعتمدون في ذلك على أسلافهم وعلى القيم الأخلاقية والفكرية الأزلية لشعوب الشرق.

ولذلك فإن دراسة تاريخ تطور حركة التحرر الوطني بمختلف جوانبها الأيديولوجية والسياسية والاجتماعية بدءاً منذ نشأتها تكتسب أهمية بالغة سواء من الناحية العلمية أو العملية. فقد تولدت في المراحل الأولى للحركة عوامل كثيرة في الحياة العامة لا زالت تؤثر بشكل ملموس على المناخ السياسي الأيديولوجي للبلدان العربية حتى وقتنا الحاضر. ولا زلنا نلاحظ في الكثير من النظريات السياسية والأيديولوجية المعاصرة آثار لأفكار أيديولوجية كانت رائجة في الماضي ثم أصبحت شبه منسيه في كثير من الأحيان فيما بعد.

ما يهمنا هنا هو التأريخ لمرحلة بداية تطور حركة التحرر الوطني للشعوب العربية في آسيا ضد التسلط التركي واستنباط مبادئها الأيديولوجية وأهدافها وشعاراتها السياسية وأسسها التنظيمية، ونحاول قدر المستطاع تتبع عملية تطور الحركة الجماهيرية ضد الاستعباد الأجنبي من جهة، وتشكل الأيديولوجية القومية- الوطنية ونشاط القوميين العرب الأوائل من جهة أخرى.

كما تحاول كشف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حددت انتشار وطبيعة الحركات التحررية في أثناء هذه المرحلة من التطور التاريخي للعالم العربي ومكانها من عملية التطور العامة لحركة التحرر الوطني العربية في العصر الحديث والمعاصر. وغني عن التعريف أن العالم العربي هو قلب الدائرة الحضارية الثقافية الإسلامية في آسيا وأفريقيا، حيث بدأت تتجمع معاني تكوين مركز جديد للقوة والتأثير في العالم. حيث تفجرت مجموعة الثورات الوطنية التحريرية في العديد من الدول في مصر، وسوريا، والعراق، واليمن، وليبيا، والمغرب، على وجه التخصيص، ثم الحرب التحريرية البطولية التي أدت إلى انتصار الجزائر، والمقاومة الفلسطينية.. ثم حركة الوحدة العربية ابتداء من أيديولوجية البعث مروراً بالحركة الوطنية في مصر وهي الحركة التي تلقت دفعة كبرى بقيادة جمال عبدالناصر ليس فقط في التجربة الأولى للوحدة العربية على شكل "الجمهورية العربية المتحدة" من عام 1958 إلى عام 1962، ولكن أيضاً في دعم القوى حرب التحرير الجزائرية وثورة اليمن وحرب تحرير جنوب اليمن ودعم وقيام منظمة التحرير الفلسطينية، وفوق هذا وذاك حروب مصر العربية ضد الدولة الصهيونية والدول الاستعمارية المساندة لها، وتلك مسيرة طويلة وشاقة بلغت ذروتها في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ، وفي العدوان الاسرائيلي عام 1967 ، الذي كان من أهدافه القضاء على النظام المصري بزعامة عبد الناصر وفي حرب أكتوبر عام 1973 ، التي كادت تستقطب القوة العربية حول قيادة مصر في حلف مع سوريا وتقود استعمال سلاح البترول في اتجاه تحقيق نظام اقتصادي عالمي جديد. (عبدالملك، 1985 : ص191).

تدريب (2)

وضح أسباب انتصار الشعوب العربية في نضالها من أجل التحرر الوطني.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- تحدث عن التغييرات الهامة التي حصلت في العالم العربي في القرن العشرين.
2- كان لثورة يوليو المصرية دور في دعم حركات التحرر الوطني في الوطن العربي. اشرح ذلك.

3.2 السياسة الاستعمارية والحركات التحررية

يُعد التوسع الاستعماري، عزيزي القارئ، منذ بداية عصر الاكتشافات الجغرافية وحتى أوائل القرن العشرين حدثاً من الأحداث الأكثر أهمية في تاريخ الإنسانية، لأنه أسهم كثيراً في حركة التغريب Occidentalisation التي أثرت في جميع القارات بدرجات مختلفة، وقد تم هذا التوسع سواء عن طريق احتلال مناطق غير مأهولة أو قليلة السكان هاجرت إليها جماعات كثيفة إلى حد ما من المهاجرين الأوروبيين، أو بامتداد السيطرة السياسية والاقتصادية على شعوب اخضعت بالطرق السليمة أو بالوسائل العسكرية.

تاريخياً، لم يجر هذا التوسع وفقاً لخطة زمنية منتظمة، وإنما مر بمراحل متتابعة من التقدم والتقهقر. فبعد تأسيس الامبراطوريات في القرن السادس والسابع والثامن عشر، شكلت ثورة المستوطنين الانكليز في أمريكا الشمالية بداية عصر "التحرر من الاستعمار" Decolonisation وتبع تأسيس الولايات المتحدة انحلال الامبراطوريات الإسبانية والبرتغالية في أمريكا الوسطى والجنوبية. كما انتقلت كندا وأستراليا ونيوزيلندة وأفريقية الجنوبية من حالة التبعية إلى حالة المساواة في نطاق الكومنولث عن طريق التطور الدستوري التدريجي.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل يطبق على البلدان التابعة أو الخاضعة والتي استولت عليها الدول الاستعمارية الغربية في نهاية القرن التاسع عشر ما يطبق على المستعمرات التي يسكنها مواطنون من أصول أوروبية؟ هذا ما ظنه بعض الأنجليز لإيمانهم بأن التطور الاقتصادي والديمقراطي والحكم الذاتي أمور لا يمكن الفصل بينها، أما الفرنسيون فيقولون بعدم جواز تجزئة الرعايا ولا بد من ارتقائهم إلى حالة باقي المواطنين، ولكن الحقيقة المرة أن السواد الأعظم من الأوروبيين المستعمرين لم يفكروا

حتى الحرب العالمية الثانية بمستقبل المستعمرات وإنما كان اهتمامهم منصباً على حاضرها فقط، لإحساسهم بالتفوق الناجم عن نفوذ حضارتهم وتطورهم الاقتصادي، ولكن هل استمرت الدول الاستعمارية على سياستها تلك بنهب المستعمرات واستغلالها، أم حاولت تطوير هذه البلدان ونقل مزاياها الثقافية والفكرية والاجتماعية والعلمية والتجارية والخاصة بشعوبها المتقدمة إلى شعوب البلدان المستعمرة المحرومة منها؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن الاستعمار قد تخلى إلى حد كبير عن طابع الاستغلال واستبداله بنظام تبادل المنافع والمشروط بمعنى أن الدول المستعمرة هي التي تعين وحدها جدول هذا التبادل ودون استشارة الشعوب المستعمرة (المستعبدة) وحتى تلك التي كان لها حضارات عريقة.

وكان أن صوتت الحكومة البريطانية على أول قانون لتنمية المستعمرات في عام 1928 بمبلغ مليون جنيه استرليني فقط، أما فرنسا فقد بقيت حريصة على التمسك بالمادة 13 من القانون المالي الفرنسي لسنة 1900 والتي تنص على أن المستعمرات تتحمل بنفسها جميع مسؤولياتها بالاعتماد على الضرائب والقروض، ولا تتحمل ميزانية فرنسا سوى النفقات اللازمة للدفاع والإدارة.

وكان الإمبرياليون الإنجليز ينتشون حماساً لدى رؤية أراضي إمبراطوريتهم على الخارطة ملونة باللون الوردي، وتغطي مناطق كبيرة من العالم. كما تعلم طلاب المدارس الفرنسيون أن بلدهم يمتد على قارات العالم الخمس.

في حين كانت الدول الاستعمارية تعمل من أجل استمرارية هذا الوضع ودوامه، بدأ التطور في المستعمرات بعد الحرب العالمية الأولى وبشكل غير منظور إلا أنه لم يتوقف بعد ذلك لأن الأفكار التحررية لم تكن قد تولدت بعد لدى الشعوب المستعمرة كلها، وإنما بين الأكثر نضجاً منها، كما أسهمت أوروبا نفسها بذلك باستقبالها نخبة من أبناء المستعمرات في مدارسها وجامعاتها، حيث تعلموا فيها الحرية ومبادئ التحرر.

كما يمكن القول إن الحرب العالمية الثانية قد قربت من أجل الاستعمار بشكل مفاجئ، إذ كان لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، والذي ورد في ميثاق الاطلسي ثم في ميثاق سان فرنسيسكو صدى مدوٍ لدى الشعوب المستعمرة، ووصل صداه إلى شعوب آسيا وأفريقيا، والتي أخذت تنادي بحق تقرير المصير وخلاصهم من حالة الاستعمار والتبعية والتي يعزون إليها تعاستهم وتخلفهم، وفتحت أمامهم الخيارات

السياسية المستقبلية وكانت تدور حول صيغتين هما الاستقلال الكامل والحكم الذاتي في إطار مجموعة سياسية (كومنولث أو اتحاد) أما صيغة الاستيعاب عن طريق اندماج البلدان المستعمَرَة الكامل مع الدول المستعمِرة فلم تعد ملائمة لتطلعات الوضع الجديد وإن عادت للظهور من حين لآخر كما حصل مع فرنسا ومحاولتها فرنسة الجزائر العربية، غير أن الجميع كان يعلم أنها غير ممكنة التحقيق.

وبشكل عام لم تكن الدول المستعمِرة مهيأة بعد لقبول المطلب الجديد الذي يطالب به أبناء المستعمرات، وبريطانيا العظمى كانت الدولة الوحيدة التي طبقت بنجاح "الكومنولث" في كل من الهند وسيلان قبل أن تطبقه بتردد في مستعمراتها في أفريقيا الغربية، ورفضت القوى الاستعمارية الأخرى تحقيق هذا النمط من التحرر الاستعماري إذ أنها لم تسلم بعد بأن الحركات التحررية التي ظهرت بين شعوب آسيا وأفريقيا تشكل موجة عميقة الجذور سرعان ما تنمو وتزدهر وتجرف كل ما يقف في طريقها.

ولنحاول، عزيزي القارئ، الوقوف على السياسة الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا بصفتهما أعرق دولتين أوروبيتين مارستا استعمار الشعوب وغطت مستعمراتهما مساحة كبيرة من خارطة العالم، وكيف كانت نهاية هذا الاستعمار وتحرر الشعوب المستعمَرَة.

1.3.2 السياسة الاستعمارية الانجليزية (الاستعمار البريطاني)

تعد إقامة المؤسسات السياسية في المستعمرات تقليداً بريطانياً، وقد طبق في البداية على المستعمرات البيضاء، وكان ذلك أمراً طبيعياً بسبب عدم تنازل المستوطنين البيض عن حقوق المواطن بعد تغربه، وفي القرن التاسع عشر نجح هذا النظام في السير بهذه المستعمرات إلى الاستقلال المحلي والوصول إلى وضع (الدومينون)، بلا صدامات، ثم إلى وضع الدول المستقلة ذات السيادة مراحل كومنولث الأمم البريطاني بموجب قانون ويستمنستر عام 1931.

وكانت بلدان الشعوب الملونة المستعمَرَة الأخرى تسير نحو الهدف ذاته لأن الشعب البريطاني كما ذكر أحد الساسة البريطانيين لم يكن يؤمن بنظام السيطرة الاستعمارية بل بحكم الرجال لأنفسهم بأنفسهم، وطبقاً لذلك فقد اعتبروا النظام الاستعماري مرحلة ضرورية، ولكنها مرحلة انتقالية تهدف إلى السير بالشعوب المتخلفة

نحو النضج السياسي، والواقع فقد سارع الانجليز في مستعمراتهم إلى دعوة العناصر المؤهلة من السكان لاقتسام المسؤوليات معهم، وأقاموا إلى جانب حاكم المستعمرة مؤسسة ذات طابع تمثيلي تصبح تدريجياً برلماناً محلياً أي السير نحو الحكم الذاتي، ولئن كان من الضروري أن يحكم الهنود الهند والأفارقة أفريقيا على سبيل المثال، إلا أن الطريق إلى ذلك طويل لأن أكثرية شعوب المستعمرات لا تزال بعيدة عن بلوغ المستوى الثقافي والاقتصادي اللازم لتسيير المؤسسات بشكل منتظم، وكانت بريطانيا تؤكد أن التحرير لا يعني القطع التام للروابط بين شعوب المستعمرات والامبراطورية البريطانية. كما تخلت انجلترا عن طيب خاطر عن السيادة السياسية لمستعمراتها السابقة للحفاظ على العلاقات التجارية والمالية الأكثر أهمية، وشكّل وجود الكومنولث عنصراً ملائماً للسياسة البريطانية فقد ضمن هذا "النادي من الدول المستقلة" والتي ترتبط بالامبراطورية دون أن تكون تابعة لها ارتقاءً سياسياً للشعوب المستعمرَة التي تنال الاستقلال ضمنه.

2.3.2 السياسة الاستعمارية الفرنسية

كان نظام الإدارة المباشر هو السائد في المستعمرات الفرنسية وخاصة في افريقيا الخاضعة للسيطرة الاستعمارية الفرنسية. أما الاستيعاب فقد كان الطريق الوحيد المفتوح أمام أقلية ضئيلة من السكان المحليين. حيث كان للسنغال فقط، نواب أفارقة في البرلمان الفرنسي يقوم بانتخابهم فئة صغيرة من السنغاليين لأن الثقافة الفرنسية لم تكن منتشرة إلا بين أقلية محدودة من الأفارقة الفرنسيين. وكانت أبواب الحصول على المواطنة الفرنسية غير مفتوحة، إلا بشكل ضيق، الأمر الذي حدا بالمثقفين الأفارقة توجيه النقد المستمر للجمهورية الثالثة وكان من هؤلاء ليبولد سيدار سنغور السنغالي الأصل والحاصل على شهادة الأستاذية من الجامعة الفرنسية والذي كان ينادي بأفريقيا سوداء وعلى المستوى السياسي زعماء يختارهم الشعب ليقوموا بتمثيله، ومثله الأعلى كان انشاء امبراطورية وقيام برلمان امبراطوري قائم على المساواة بين الأمم المستعمرة والمتجمعة حول فرنسا ضمن إطار فدرالي.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر مانشيستر الأفريقي عام 1945، وعبرّ الماتنا عضو من المشاركين فيه عن تحالف الطبقة الوسطى مع عامة الشعب، وكان الهجوم في المؤتمر على الاستعمار عنيفاً حيث وضع المؤتمر قائمة مفصلة بالاستغلال الذي تمارسه الدول الأجنبية المستعمرة في أفريقيا، كما طالب باستقلال شعوب أفريقيا الشرقية الرازحة تحت الاستعمار الفرنسي وتوجيه بيان إلى الدولة الاستعمارية جاء فيه:

"إذا كان العالم الغربي لا يزال مصمماً على حكم الإنسانية بالقوة فسيكون الأفارقة في النهاية مجبرين على اللجوء إلى استخدام القوة في إطار الجهد الذي يبذلونه من أجل استعادة الحرية ولو قاد استخدامها إلى القضاء عليهم وعلى العالم أجمع معهم، إننا مصممون على أن نكون أحراراً ونطالب بالحكم الذاتي والاستقلال".
(غريمال، 1994 : ص137).

3.3.2 نهاية الاستعمار

لقد وجد الاستعمار أصوله في نهاية القرن التاسع عشر من خلال انتشار الحمى الوطنية في الغرب كما وجد نهايته في الحركة الوطنية التي نشأت في البلدان المستعمرة والتي غذّاها الفكر الغربي في أغلب الأحيان، فقد ولّد التناقض بين أفكار الحرية والمساواة والعدالة من جهة والسياسة التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية من جهة أخرى، الرغبة في التحرر والحصول على المساواة لدى أبناء الطبقات المثقفة، وبدا لأبناء الشعوب المستعمَرَة أن الحصول على المساواة مرهون بالقضاء على روابط التبعية، وقال الزعيم نكروما بهذا الخصوص ما يلي:

"لقد رأيت أن الحل الوحيد لهذه المشكلة يكمن في حصول شعبنا على الحرية السياسية لأن الأجناس الأخرى لا تظهر له حقه من الاحترام إلا عندما يكون حراً سياسياً، وأنه لمن المستحيل الحديث عن المساواة بين الأجناس إذ لا يمكن لأي شعب حرم من حكومته الخاصة، التعامل مع الشعوب ذات السيادة على قدم المساواة، ولا يمكن لشعب أو جنس وأمة أن

يعيشوا أحراراً محترمين في ديارهم أو خارجها بدون أن يكونوا متمتعين بالاستقلال السياسي". (غريمال، 1994 : ص446).

ولكي يطيل الأوروبيون المستعمرون فترة سيطرتهم فقد اعتمدوا على عدم وعي القوى الأفريقية سياسياً بحجة أنه لا يمكن للمرء أن يدع الشعوب التي لا تتمتع بالوعي السياسي أن تحكم نفسها بنفسها، وعندما تطور هذا الوعي بسرعة لدى هذه الشعوب بتأثير الطبقات المثقفة جوبهت هذه الشعوب بالفكرة القائلة بأن الفكرة القومية أصبحت بالية وإن الإلحاح في طلب السيادة الوطنية أصبح مفارقة تاريخية خطيرة.

كان القادة الأفارقـة يعلمون أن الاستقلال ليس بترياق سحري قـادر على معالجة كافة مشاكل بلدانهم وبأنه لا يعطيهم وحدة الـوسائل اللازمة لبناء اقتصاد حديث يمكنهم من تحـسين مـستـوى المعيشـة بسرعـة، إلا أنهم فضلوا الفـقر مع الحرية علـى الثراء مع العبودية، كما قال الزعيم الأفريقي سيكوتوري. (غريمال، 1994 : ص447).

وعلينا أن نقـر ونعترف أن الحـركة الوطنية فـي البلدان المستعـمرة كانـت العنصر المحرك لتسريع عـجلة التاريخ لا لأنها تمكننا من القضاء على الإمبرياليـة القديمة فحسب بل لأنها منحت الحياة السياسية المستقلة لشعوب ووحدات إقليمية كانت غير مهيأة لذلك على الإطلاق.

وأخيراً لا بد من القول: إن الـقضاء على علاقات التبعـية لم يكن إلا مرحلة من مراحل القضاء على الاستعمار ولكي لا يكون الاستقلال السياسي كلمة بلا معنى يجب أن يستند على أسس اقتصادية صلبة.

تدريب (3)

طالب الزعيم السنغالي ليبولد سنغور بقيام أفريقيا سوداء. وضح ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- اعتبر الشـعب البريطاني الاستعمار مـرحلة انتقالية تهدف إلى السيـر بالشعوب نحو النضج السياسي. ناقش هذه العبارة.

2- وضح دور الحركة الوطنية في البلدان المستعمرة في القضاء على الإمبريالية.

3. دور الأحزاب والمنظمات السياسية في حركات التحرير

نبحث في هذا القسم من الفصل، عزيزي القارئ، موضوعين يتعلقان بالأحزاب والمنظمات السياسية في حركات التحرير الأول يبحث في الجذور التاريخية لتلك الأحزاب والثاني يوضح نشأة الأحزاب السياسية في العالم الثالث.

1.3 الجذور التاريخية للأحزاب السياسية

من المتفق عليه أن الأحزاب السياسية هي في الأصل ابتداع أوروبي اقتبسته شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وأن ظهور الأحزاب السياسية الحقيقية في بلدان العالم الثالث ارتبط بعوامل مختلفة وعديدة كالنضال ضد الوجود الاستعماري، وزيادة الوعي السياسي وموقف السلطات الاستعمارية من قضايا الحريات العامة (وبخاصة حق التجمع وحرية الاجتماع وحرية الصحافة) فضلاً عن القمع الاستعماري والدعم الذي لقيته الحركات الوطنية في العالم الثالث من بعض القوى والشخصيات السياسية في أوروبا، وكذلك تأثير الحربين العالميتين والثورة البلشفية ونشوء عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة.

وهكذا فقد جاء الوقت الذي لم تستطع فيه السلطة الاستعمارية أن تعارض إنشاء أحزاب سياسية حقيقية في بعض الأحيان فإن السلطة الاستعمارية نفسها وبهدف السيطرة على الحركة الوطنية أو مواجهتها أو شقها هي التي دفعت إلى إنشاء أحزاب سياسية، وهكذا نجد في أصل إنشاء حزب المؤتمر الوطني في الهند إداري بريطاني غدا أباً لحزب المؤتمر آنذاك وهو "آلان هيوم". وبتشجيع من نائب الملك في الهند اللورد دوفران، كما شجعت السلطة الاستعمارية البلجيكية في الكونغو "ليوبولدفيل" قبيل الاستقلال إنشاء أحزاب سياسية بهدف منافسة حزب الحركة القومية الكونغولية الذي يقوده باتريس لومومبا زعيم الحركة الوطنية آنذاك.

وعلى الصعيد الاجتماعي لعب المثقفون والطبقة الوسطى والمواطنون خاصة وأحياناً الاستقراطية القديمة دوراً كبيراً، أما الفلاحون والطبقة العاملة فإنهما لم يلعبا دوراً كبيراً في هذا المجال، وهذا ما يفسر لنا كيف أن معظم الأحزاب السياسية التي نشأت في بلدان العالم الثالث كانت في مراحلها الأولى أحزاباً تهيمن عليها نخبة المدن،

وهذه الأحزاب هي بصورة عامة تعد من القوى السياسية الحديثة، وكانت النواة السياسية لهذه الأحزاب هم أولئك النفر الصغير من الأفراد المحدودين من المثقفين والموظفين غير المهتمين بشكل عام بضمان مساندة الجماهير الشعبية، وما يفسر ذلك أن معظم هذه الأحزاب لم تكن في البداية أحزاباً وطنية، وكان هدفها بصورة عامة هو الاندماج بالمجتمع الاستعماري وليس الكفاح ضد الاستعمار، لقد كان هدفها وأملها هو "تحسين النظام الاستعماري وليس تدميره" وذلك ما ينطبق على الحزب الوطني في الفلبين في بدايات القرن الحالي، وكذلك الحزب الدستوري الذي تأسس في فيتنام عام 1925، وطالب ببعض التعديلات في النظام الاستعماري دون أن يضع موضع الشك ما أسماه بالعلاقة المقدسة مع فرنسا. كما أن حزب المؤتمر في الهند ظل حتى عام 1906 موالياً للإدارة البريطانية ولم يطالب بالاستقلال بل بالمشاركة الهندية الأوسع في النظام الموجود. في عام 1898 أعلن رئيس الحزب أن الطبقة المتعلمة هي صديقة وليست عدوة لبريطانيا، وفي عام 1906 طالب حزب المؤتمر بالحكم الذاتي لأول مرة. وفي عام 1920 فقط وتحت رعاية المهاتما غاندي تم تبني شعار الاستقلال لأول مرة بعد أن رفض الإنجليز المطالب المتواضعة للحزب.

كما أن مؤتمر الشعب الذي أسسه كوامي نكروما في غانا طالب بالحكم الذاتي الفوري قبيل مطالبته بالاستقلال التام، ونجد أمثلة أخرى في البلاد العربية حتى قامت معظم الأحزاب والجمعيات العربية حتى الحرب العالمية الأولى تطالب باللامركزية في ظل الإدارة العثمانية، فقد تأسست عنه جمعيات وأحزاب علنية وسرية وهي الإخاء الوطني (1908) والمنتدى العربي 1909 والعربية الفتاة 1909 والجمعية القحطانية 1910 وكلها بالآستانة وحزب اللامركزية في مصر والجمعية الإصلاحية في بيروت وكلاهما تأسس عام 1912 وحزب العهد في الاستانة 1913، ومهما كانت اختلافات المبادئ والنظم والأساليب بين جمعية وأخرى فقد طالبت كلها بمزيد من الاستقلال للعرب ولم يطالب أي منها بمطالب محددة وصريحة بالاستقلال التام، وهكذا كانت هذه الأحزاب أحزاباً إصلاحية وليست ثورية.

2.3 نشأة الأحزاب السياسية في العالم الثالث

أولاً: النظريات المنتشرة لنشأة الظاهرة الحزبية في العالم الثالث

هناك نظريتان تعالجان نشأة الأحزاب في بلدان العالم الثالث على وجه الخصوص ونشـأة الظاهرة الحزبيـة بشكل عـام، حيث تربط النظرية الأولـى "نظرية التنميـة" بين أزمات التنمية وظروف نشأة الظاهرة الحزبية، وطبقاً لهذه النظرية فإن أزمة الشرعية كانت القضية المحورية التي فجـرت الجدل حول نشأة بعض أوائل الأحزاب سواء في أوروبا أو في البلدان النامية.

أما النظرية الثانية والتي تجتهد في تحليل عوامل وظروف ونشأة الأحزاب السياسية فتتمـثل بـ "نظرية التحديث" Modernization وطبقاً لهذه النظرية والتي تعـتبر عالم السياسـة الأمريكي "صموئيل هنتيـفتون" أبرز المدافعين عنها، فـإن التحديث بما ينطوي عليه من تعبئة المزيد من أفراد المجتمع لـلعب أدوار جديدة تؤدي إلى إيجاد مجتمع أكثر تنوعـاً، وبالتالي يدفع إلى الوجـود وإلى مجـال الوعي والنشـاط السيـاسي جمـاعات اقتصادية واجتماعية إما انها لم تكن موجودة أساساً في المجتمع التقليدي، أو أنها كانت خارج نطاق الحياة السياسية، غـير أن الأحزاب في البلدان النامية لا تنشأ لمجرد الضرورة التحديثية فقط إذ أن الحكومـات في أغلب البلدان الآخذة في التحديث تتبع في وقت أو آخر سيـاسة مناهضة للأحزاب، وعادة مـا يُصطحب قمع الأحزاب ببذل جـهود لتقليل مستوى الوعي السياسي والنشاط السياسي.

ثانياً: الأشكال المتغيرة لنشأة الظاهرة الحزبية في العالم الثالث

وبالنظر لاستحالة عرضنا للتنويعات التي تكتنف خلفيات نشوء الأحزاب السياسية في البلدان الناميـة فإننا سنقتصـر في هذا العرض على نشأة وتطور الظاهرة الحـزبية في الشرق الأوسط انطلاقاً من كونـنا معنيين بها قبل غيرها، حيث أن العـالم العربي يحتل موقع القلب فيها، إن منطقة الشرق الأوسط مـثلها في ذلك مثل أمريكا اللاتينية وآسيا، لم تشهد مجالس تشريعية وتقاليد نيابية تسمح بالحديث عن أصول برلمانية للأحزاب كما في أوروبا، وإذا كان التراث الـثقافي الإسلامي هو الذي ساد في المنطـقة فلا مناص من التسليم مع الكثير من الباحثين بأن هذا التراث لم يقدم في جانبه السياسي ما يربط فكرة الشـورى بنظرية محـددة للتمـثيل النيـابي أو حكم الأغلبـية، ذلك لأن جـوهر النظرية

السياسية الإسلامية قد انصب خلال العصور الوسطى على الصفات الواجب توافرها في الحاكم، والقواعد الواجب أن تحكم سلوكه استناداً إلى الشريعة الإسلامية.

وخلال مرحلة السيطرة العثمانية على المنطقة كانت سلطة السلاطين العثمانيين مطلقة، ولم تكن تتحداها أية مراجعات أو توازنات مؤسسية، وقد استتبعت هذه المرحلة مباشرة بالاستعمار الأوروبي الذي أعاق فرص النمو العضوي للمؤسسة النيابية، إذ عمل الاحتلال البريطاني على سبيل المثال على عرقلة التطور الدستوري والنيابي في مصر.

وباستثناء إسرائيل التي تخرج عن إطار التطور العام الثقافي والسياسي للمنطقة فإن تركيا تعتبر البلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي أصبحت فيه الأحزاب السياسية منذ وقت مبكر هي الإدارة الرئيسة للتنافس حول السلطة. أما بقية بلدان الشرق الأوسط فقد واجهت مشاكل أكثر صعوبة انعكست على ظروف النشأة الحزبية فيها، ففي حين ولدت الجمهورية التركية ووراءها مئات السنين من التقاليد الحكومية، فإن البلاد العربية افتقدت لمثل هذا التراث الحكومي إضافة إلى أن اللجوء إلى القوة في طرد المستعمرين من البلاد العربية أدى إلى أن تصبح الجيوش فيها القوة الرئيسة على المسرح السياسي، يضاف إلى ذلك أن سعي

البلاد العربية إلى بلورة هوية قومية واحدة استنفذ كماً كبيراً من الطاقة السياسية لها في فترات مختلفة من تاريخها.

تدريب (4)

عدد عوامل وأسباب ظهور الأحزاب السياسية في بلدان العالم الثالث.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- اشرح نظريات نشأة الأحزاب السياسية في العالم الثالث.
2- كانت الجمعيات والاحزاب العربية السرية والعلنية تطالب باللامركزية في ظل الأدارة العثمانية. ناقش ذلك.

3.3 أنماط وخصائص النظم الحزبية والأحزاب في العالم الثالث

هناك معايير يمكن تطبيقها عند التفريق بين النظم الحزبية، منها المعيار العددي المحض (عدد الأحزاب القائمة) وتؤدي إلى نتائج شكلية. ومنها المعيار الذي يميل إلى الأخذ بمبدأ التمييز على أساس النظم الحزبية التنافسية والنظم الحزبية اللاتنافسية.

أولاً- النمط التنافسي: ويقسم إلى أربعة أنماط أخرى هي: نظم تعددية متطرفة، نظم تعددية معتدلة، نظم الثنائية الحزبية، نظم الحزب الغالب.

فنظام التعددية المتطرفة، يتسم بخصائص كثيرة أهمها وجود أحزاب مناقضة للنظام أي أحزاب معارضة فعالة، ويلاحظ في الوقت نفسه أن هذا لا يعني أن الحزب المعارض هو بالضرورة الحزب الثوري سواء بمعياره الشرعي أو الأيديولوجي، أما الخاصية الثانية فهي وجود تعدد في المعارضة ذاتها.

أما نظام التعددية المعتدلة، فيقصد بها تلك النظم التي يقع النظام الحزبي فيها بين نظام الثنائية الحزبية من جهة ونظام التعددية المتطرفة من ناحية أخرى، بينما نظم الثنائية الحزبية فيندرج في إطارها ثلاث دول فقط هي: بريطانيا، والولايات المتحدة، ونيوزلندة. ونلخص الخصائص العامة لهذه النظم بوجود حزبين في موقع يمكنهما من التنافس للحصول على الأغلبية المطلقة للمقاعد.

النمط الرابع من النظم التنافسية هو نظام الحزب الغالب (المسيطر) ويقصد به الحزب الذي يتقدم مسافة كبيرة على كافة الأحزاب الأخرى. والجدير بالذكر أن التشكيك المبرر في دلالة نتائج الانتخابات وفي صحة الأرقام التي تعلن في العالم الثالث، لا يلغي حقيقة الوجود الرسمي أو الشكلي لهذا النوع من النظم التنافسية في العالم الثالث أكثر من غيرها.

ثانياً- النظام اللاتنافسي: وهو النظام الحزبي الذي تنتفي فيه المنافسة بين الأحزاب بسبب وجود حزب واحد، لا يسمح أصلاً بوجود أي حزب آخر. وكما تدل التجارب الميدانية في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، وهي المناطق التي ابتليت بهذا النمط الاحتكاري للسلطة أكثر من غيرها، فإن نظم الحزب الواحد نفسها تشمل أنماطاً متعددة فهي إما شيوعية أو فاشية أو قومية، وهي إما نظم تسلطية أو ثورية أو رسمية. ونأخذ أحد ثلاثة أشكال: الحزب الواحد الشمولي، الحزب الواحد السلطوي، الحزب الواحد البراغماتي.

1- الحزب الواحد الشمولي، يتسم هذا النوع بمحاولته للانتشار الشامل والتغلغل والتسييس الشاملين، وفي هذا النمط تكون الدولة نفسها أداة في يد الحزب الواحد ذي الأيديولوجية الموحدة والذي يسعى إلى الاستعمال الشامل للقوة السياسية من أجل إعادة بناء النظام الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع.

2- الحزب الواحد السلطوي: وهو بخلاف النمط الشمولي، لا يمتلك القوة ولا الطموح للتغلغل في كل ثنايا المجتمع، ويتسم بالتسلط عن طريق حظر الأنشطة السياسية للقوى الخارجة عن الحزب، وعندما يلجأ الحزب السلطوي إلى التعبئة فإن الجهد التعبوي لا يصل إلى أعماق المجتمع ولكن يعتمد على الشخصية الكاريزمية للقائد ويكتفى بالتأثيرات العاطفية للقائد الملهم مثل (عبدالناصر، سيكوتوري، سوكارنو) ومن المعتاد في مثل هذه النظم وصف عناصر المعارضة بأنها خائنة للقضايا الثورية أو القومية.

3- الحزب الواحد البراغماتي، يتصف هذا النمط بميله إلى اتباع سياسات "استيعابية" على عكس السياسات "التسلطية" التي يتبعها النظام السلطوي، كما أنه يفتقد إلى التماسك الأيديولوجي، وتميل علاقاته الخارجية لأن تكون تجميعية أكثر منها تدميرية ويمتلك القدرة على طرح الطرائق والأساليب التي يتم بها تسخير الأبنية التقليدية سلمياً من أجل أغراض التنمية الاقتصادية. (الغزالي، 1987 : ص153).

4.3 دور الأحزاب في التحديث والتنمية السياسية في بلدان العالم الثالث

ما الدور الذي يمكن أن تلعبه الأحزاب في بلدان العالم الثالث، انطلاقاً من خصوصية وضعها الاجتماعي والتاريخي وفي ضوء الإمكانات الظاهرة والكامنة لهذه الأحزاب؟ وللإجابة عن هذا السؤال علينا، عزيزي القارئ، أن نعرض المباحث الأربع التالية:

أولاً: الأحزاب والتحديث في العالم الثالث

ثانياً: الأحزاب والمشاركة السياسية

ثالثاً: الأحزاب والشرعية السياسية

رابعاً: الأحزاب والتكامل القومي.

1.4.3 الأحزاب والتحديث السياسي

لقد توغل الكثير من القارئين في الإطار العام للدور التحديثي الذي يمكن أن تلعبه الأحزاب في البلدان المتخلفة (بلدان العالم الثالث)، وقد تعددت الاجتهادات إلى الحد الذي يصعب معه حصرها في إطار محدد، إلا أنه ثمة إجماع حول أدوار محددة للأحزاب في مجالات التنمية السياسية والاجتماعية، ولعل أهمها وظيفتان أساسيتان: "التنشئة السياسية وإدارة الصراع السياسي في المجتمع".

فالتنشئة السياسية ترتبط هنا في المجتمعات المتخلفة بالتمييز بين الحزب التعبوي وبقية الأحزاب الأخرى، حيث تشير التعبئة إلى استعمال الحزب كأداة لإحداث التغيير في الاتجاهات وسلوك الأفراد داخل المجتمع.

أما الوظيفة الثانية "إدارة الصراع السياسي في المجتمع" فإن قدرة الأحزاب عليها وتمكنها منها يتوقف على عمق الانقسام الاجتماعي السائد فيه كما يتوقف على نوعية القيادات الحزبية أي اتجاهاتها ومهاراتها.

غير أن الملاحظة الأهم هنا تتعلق بالعلاقة التي تقوم بين الحزب والسلطة، فبالنظر لضعف البنية الإدارية الذي ورثته البلدان المتخلفة عن العهد الاستعماري، فإن الخط الفاصل بين الحزب والحكومة يصبح واهياً، ويضطلع الحزب تقريباً بمجمل الأنشطة. والنتيجة العامة التي تترتب على هذا الوضع هي أن الأجهزة البيروقراطية القائمة يتم تسييسها بواسطة الحزب المسيطر، مع إمكانية أن تستخدم قوة الجهاز الحكومي لمنع مزيد من النمو الديمقراطي، ويؤدي هذا الوضع إلى أن يشكل كبار البيروقراطيين فئة قوية منافسة لقادة الأحزاب السياسية. وفي عدد من البلدان المستقلة حديثاً أبدت البيروقراطية المدنية والعسكرية عداءها لأيديولوجية وبرامج الأحزاب السياسية، وغالباً ما حاولت أن تجتث أسس البرامج الحكومية الإصلاحية وتحطيم النظام الحزبي نفسه.

2.4.3 الأحزاب والمشاركة السياسية

إذا كانت المطالبة بالمشاركة السياسية لدى قطاعات متزايدة من السكان تمثل إحدى الملامح الأساسية للتحديث السياسي والتنمية السياسية فلا شك في أن الأحزاب السياسية تقدم الاطار الأكثر أهمية والأكثر فاعلية، والأكثر ملاءمة لتحقيق تلك المشاركة، وبرغم أن المطالبة بالمشاركة السياسية تنبع أساساً في مرحلة معينة من الطبقات والبيئات

البرجوازية والفئات الوسطى المتعددة في المدن، لانتزاع السلطة من النخب الارستقراطية، إلا أنها لا تلبث أن تمتد إلى قطاعات أدنى من الطبقات الريفية وإلى الطبقة العمالية الحضرية.

ولكن ما مقدار وحجم الاستجابة الإيجابية من جانب الأحزاب والنظم الحزبية للمطالبة بالمشاركة؟ سؤال نطرحه لما يمكن أن نسميه بالقدرة الاستيعابية للأحزاب في البلدان النامية، ليس من الزاوية التنظيمية الكمية ولكن من حيث البنية العامة الأيديولوجية، للإجابة عن ذلك نقول أن هناك ثلاثة أشكال للمشاركة هنا:

المشاركة عن طريق التعبئة والمشاركة من خلال الانتماء الحزبي المحدود والمشاركة من خلال الانتماء الحزبي الكامل.

فالمشاركة عن طريق التعبئة تنسب للحزب الواحد أساساً، ذلك أن حكومة الحزب الواحد هي أداة لتسهيل التعبئة الجماهيرية.

أما المشاركة من خلال الانتماء الحزبي المحدود فيقصد بها سماح النظام السياسي للجماعات المختلفة بتنظيم أحزابها الخاصة مع حرمانها من أي نافذة للحكم أو السلطة، وقد تؤدي هذه الحالة -غالباً- إلى جعل أعضاء هذا النمط من الأحزاب مغتربين عن المجتمع ككل. كما حصل مع الأحزاب الشيوعية في إطار ما سمي بالجبهات الوطنية في العالم الثالث، وتحت قيادة الأحزاب القومية.

الشكل الثالث للمشاركة هو الانتماء الحزبي الكامل ونقصد به منح الأفراد والجماعات حقوق المشاركة السياسية الكاملة سواء كان ذلك من خلال الأحزاب القائمة أو من خلال السماح بإنشاء أحزاب جديدة، ولعل هذا الشكل من المشاركة السياسية هو الأقل وجوداً وانتشاراً في البلدان النامية، ومن ضمنها البلدان العربية.

3.4.3 الأحزاب والشرعية السياسية

إن أزمة الشرعية تعني الانهيار في البناء الدستوري وفي أداء الحكم ينجم عن الاختلاف حول طبيعة السلطة في النظام السياسي، إن التعرف على مدى شرعية النظام وخصوصاً في الوقت الذي ينتفي فيه وجود بيانات واضحة مثل الانتخابات أو غيرها تعتبر مؤشراً هاماً ذا دلالة. ويتمثل هذا المؤشر بملاحظة عملية "الخلافة" أي كيفية انتقال القيادة من شخص إلى آخر، وأيضاً من حزب إلى آخر، فعملية الخلافة تمثل امتحاناً لقضية الشرعية لأن السلطة عندما تنتقل يصبح على الأفراد في النظام السياسي أن يقرروا

ما إذا كان ولاؤهم منصباً على الأشخاص الذين كانوا في السلطة أم على نظام الحكم نفسه، ولعل هذه الملاحظة تنطبق على الأحزاب المعارضة أيضاً بمقدار ما تنطبق على الأحزاب الموجودة في هرم السلطة، والجدير بالذكر أن البلاد التي يوجد فيها حزب فعال واحد على الأقل تكون أكثر قدرة على التعامل الناجح مع مشكلة الخلافة أو انتقال السلطة من البلاد التي لا يوجد فيها أحزاب على الإطلاق، ذلك لأن الأحزاب توضع على محك التجربة في غمار عمليات الانتخابات الحزبية الداخلية في حين لا يعرف البيروقراطيون والعسكريون سوى عمليات التعيين والانتقاء.

4.4.3 الأحزاب والتكامل القومي

إن مفهوم التكامل القومي يعني على أنه اندماج العناصر الاجتماعية والاقتصادية والدينية والجغرافية في الدولة القومية الواحدة، وتشير إلى أن رفع الأحزاب السياسية الحاكمة في الدول النامية المحدثة ما بعد الحرب العالمية الثانية لشعار التكامل القومي مكّن نظم الحزب الواحد السلطوية من قمع الأحزاب القبلية والدينية وبقية الأحزاب الأخرى التي تجعل من القضايا الاجتماعية في رأس قائمة أولوياتها البرنامجية وتنحي القضايا القومية إلى مراتب أدنى، ولعل هذا ما يفسر أيضاً أسباب ظهور الحزب الواحد من خلال حركات التحرر وحركات الاستقلال طويلة الأمد، وفي الوقت نفسه يمكن للنظام الحزبي التنافسي أن يكون أداة فعالة للتكامل القومي، وهو ما ينسف (ديماغوجية) أنظمة الحزب الواحد فيما يتعلق بالقضايا القومية التي طالما بررت ممارساتها القمعية وتغييبها للحريات الديمقراطية بالأخطار الخارجية التي تهدد الأمن القومي.

تدريب (5)

ماذا يعني مفهوم التكامل القومي في الأحزاب السياسية؟

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الأحزاب السياسية في بلدان العالم الثالث في مجالات التنمية السياسية والاجتماعية؟

2- ما مقدار وحجم الاستجابة الإيجابية من جانب الأحزاب والنظم الحزبية للمطالبة بالمشاركة السياسية؟

4. نماذج من الثورات في العالم الثالث

نعرض لك، عزيزي القارئ، في هذا القسم من الفصل نماذج من الثورات التي قامت في العالم الثالث فنتطرق إلى الثورة الجزائرية والمراحل التي مرت بها، وثورة كل من فيتنام والهند ونيكاراغوا.

1.4 الثورة الجزائرية

تكتسب الثورة الجزائرية أهمية كبرى في تاريخ الثورات ضد المستعمر متجاوزة إطارها العربي إلى الإطار العالمي، إذ أنها في الواقع ثمرة لتجربة شعب يمكن اعتبارها من أغنى التجارب في مقارعة التسلط والقهر والاغتصاب منذ أن وطئت أقدام المستعمرين الفرنسيين أرض الجزائر في الخامس من تموز (يوليو 1830) حيث واجهوا مقاومة عنيفة في الكثير من مدن الجزائر وريفها، وبرز من الشعب الجزائري شخصيات لها وزنها الوطني وعلى رأسهم الأمير عبدالقادر الجزائري الذي دوّخ جنرالات فرنسا، وتمكن من أن يفرض عليهم معاهدتين انتهكتهما فرنسا عندما رأت ضرورة ذلك. وكذلك ثورة الحاج محمد المقراني والتي شملت جميع أنحاء الجزائر، وكانت ضد سياسة الاندماج الاستعمارية، وبعد استشهاده برصاص العدو خلفه أخوه بومزراق، وجاء من بعدهم الكثير من القادة الذين كبدوا المستعمر الفرنسي الخسائر بالأموال والأرواح.

إلا أن جميع هذه الثورات لم تكن سوى مقدمة للثورة الجزائرية الكبرى (ثورة المليون شهيد) التي انطلقت الرصاصة الأولى فيها في الأول من نوفمبر (تشرين الثاني 1954) ففي هذا اليوم هاجمت جماعات صغيرة من الوطنيين الجزائريين المنشآت العسكرية الفرنسية في أماكن متعددة من الجزائر في شرق مقاطعة قسنطينة وفي منطقة الأوراس بلغ عددها ثلاثين هجوماً، كما أطلقت النار على رجال الدرك الفرنسي وكانت السلطات الفرنسية تأمل إعادة الهدوء إلى الجزائر بعد أن اتخذت الإجراءات الصارمة، ولكن الشعب الجزائري الثائر خيّب ظنونها، وبدلاً من أن تتمكن فرنسا من إحباط الثورة فقد ازدادت اشتعالاً وامتدت إلى جميع أنحاء الجزائر، وقد كان لقيام هذه الثورة المجيدة أسبابها وظروفها ومن هذه الظروف، ما هو موضوعي يتعلق بالواقع الاقتصادي وأزماته

والواقع السياسي وتطوراته، ومنها ما هو ذاتي يرجع إلى إعداد الثورة وتنظيمها. وإذا أمعنا النظر في أسبابها الموضوعية، فإنها لن تخرج عن عاملين اثنين هما، الاستغلال الاقتصادي والاضطهاد السياسي للجزائريين. (مجاهد، الجزائر عبر الأجيال: ص4)، ذلك أن أحوال الجزائريين عشية اندلاع الثورة كانت سيئة للغاية، حيث أن المستوطنين الأوروبيين الذين كانوا يشكلون أقلية لا يزيد عدد أفرادهم عن ثمانين ألف فرنسي وسط أكثرية جزائرية تقارب العشرة ملايين، يملكون حوالي ثلث الأراضي الزراعية (11 مليون و600 ألف هكتار من الأراضي) بالإضافة إلى احتكارهم وسيطرتهم على تجارة البلاد وصناعتها. (فريحات، 1989: ص3).

مراحل الثورة الجزائرية

مرت الثورة الجزائرية والتي قدمت أكثر من مليون شهيد منذ إعلانها في الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 1954 وحتى تتويجها بالنصر في الخامس من تموز/ يوليو 1962 إلى ثلاث مراحل مهمة هي:

1- المرحلة الأولى وتمتد منذ اندلاع الثورة في نوفمبر/ تشرين الثاني 1954 حتى انعقاد مؤتمر الصمام في العشرين من شهر آب/ اغسطس 1956.

2- المرحلة الثانية من انعقاد مؤتمر الصمام حتى إعلان (ولادة) الحكومة الجزائرية المؤقتة في أيلول/ سبتمبر 1958.

3- المرحلة الثالثة من ولادة الحكومة المؤقتة حتى إعلان الاستقلال في الخامس من تموز/ يوليو 1962.

المرحلة الأولى:

برغم أهمية كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث، ولكن تبقى المرحلة الأولى مهمة لسببين هما، ظهور جبهة التحرير الوطني الجزائري بصورة علنية مع أنها تشكلت في 23/ أكتوبر/ تشرين الأول 1954، وإعلانها الثورة المسلحة ونظراً للدور البارز الذي لعبته جبهة التحرير الوطني على مسرح الأحداث في الجزائر ومشاركتها للثورة الجزائرية المسلحة، لا بأس، عزيزي القارئ، من تسليط الضوء على هذا الدور والسياسة التي انتهجتها الجبهة للوصول بالشعب الجزائري إلى النصر.

جبهة التحرر الوطني: ظهرت جبهة التحرر الوطني بصورة علنية في أول تشرين

الثاني/ نوفمبر 1954 مع أنها تشكلت في 23/ اكتوبر تشرين الأول، في نهاية اجتماع اللجنة السداسية، ويعود أصل تشكيلها إلى اتحاد ثلاث لجان:

أ- اللجنة الثورية للاتحاد والعمل.

ب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

جـ- ولاية القبائل.

وغالباً ما وصف مؤسسو جبهة التحرر الوطني كمنبثقين من البرجوازية الصغيرة أو كممثلين لها الذين أصابهم الاستعمار الفرنسي في سلطاتهم وأملاكهم، مثل (آيت أحمد، بوضياف، بن مهدي) وبروليتاريين مثل (خيضر، وبيطاط) ومستخدمين مثل (بوعجاج مرزوقي) وأعيان وأبناء أعيان، ريفيون مثل (بن بولعيد، كريم) وأبناء تجار وفلاحين مثل (بن بيلا وبن طوبال) وحرفيين مثل (زيغود). (حرب، 1983 : ص105).

وقد رسمت الجبهة سياسة واضحة لها، ركزت فيها على عدة قضايا أهمها:

1- تحقيق الوحدة الوطنية وانطواء جميع الأحزاب والتيارات السياسية تحت قيادة الثورة، وكانت ترفض انضمام أعضاء هذه الأحزاب للثورة بصفتهم الحزبية، ولم يشذ عن تأكيد الجبهة والتعاون معها سوى "مصالي الحاج".

2- لفت نظر دول العالم للقضية الجزائرية وكسب دعم وتأييد هذه الدول.

3- العمل على تأكيد ودعم دول وشعوب الوطن العربي.

ولتحقيق هذه البنود وضمان سرعة تنفيذها ونجاحها دعت الجبهة إلى عقد مؤتمرها الأول والتاريخي "مؤتمر الصمام" في وادي الصمام بمنطقة القبائل، وذلك في العشرين من آب/ اغسطس 1956، تم فيه بيان برنامج الجبهة السياسي والممثل في وحدة التراب الجزائري، والعمل بمبدأ القيادة الجماعية والالتزام بمبدأ الحياد الإيجابي والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي مع الالتزام بالنظام الاشتراكي بعد الاستقلال.

والجدير بالذكر أن الشعب الجزائري قد التف حول جبهة التحرير الوطني بمختلف فئاته وشرائحه، وأصبحت الجبهة هي الممثل الشرعي له، حتى أن جميع الشؤون الاجتماعية والثقافية لا تتم إلا عبر جبهة التحرير الوطني والتي كانت تفرض العقوبات على من يخالفون التعليمات والأوامر الصادرة عن الجبهة وخلق سلطة جماهيرية تضطلع بمهام الإدارة والقضاء كما كان الاستعلامات والتموين من مهامها أيضاً.

المرحلة الثانية:

وأهم ما يميزها هو إجراء الاتصالات بين الجبهة وممثلي الحكومة الفرنسية، وكان آخرها الاتصال الذي تم في الثاني والثالث من أيلول/ سبتمبر 1956 في مدينة روما، ولما لم تسفر هذه الاتصالات عن نتيجة تذكر، بدأ على أثرها امتحان القوة بين المستعمرين الفرنسيين وجبهة التحرير، وذلك في يناير/ كانون الثاني 1957، باضراب الثمانية أيام والذي حول الجزائر إلى بلد ميّت سياسياً اعتقاداً من الجبهة في إمكانية تحقيق انتصار سريع، ولكن ضخامة الوسائل التي استخدمها الجيش الفرنسي آنذاك تسببت في إلحاق أضرار كبيرة في جبهة التحرير وتفكيك الجهاز العسكري بها نتيجة لاحتلال المظليين الفرنسيين لحي القصبة الشعبي، وكانت الضريبة التي دفعها جميع السكان في الجزائر العاصمة باهظة للغاية غادرت على أثرها "لجنة التنسيق والتنفيذ" والتي تم تشكيلها في مؤتمر الصمام العاصمة سراً، وتمكنت من مغادرة الجزائر في نهاية حزيران/ يونيو إلى الخارج وبادرت إلى عقد دورة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في القاهرة اغسطس/ آب 1957 ومن أشهر قرارات هذه الدورة:

1- لا فرق بين جزائري الداخل والخارج ولا أفضلية للقادة.
2- هدف الثورة هو إنشاء جمهورية جزائرية ديمقراطية اشتراكية ولا يتناقض ذلك مع مبادئ الإسلام.
3- زيادة المجلس الوطني للثورة الجزائرية من 34 عضواً إلى 54 عضواً.
4- تعيين آيت أحمد، بن بيلا، بيطاط، بوضياف، خيضر، أعضاء شرف في لجنة التنسيق والتنفيذ لأنهم ساهموا في الإعداد وتفجير ثورة أول نوفمبر/ تشرين الثاني 1954.

والجدير بالذكر أن البعض داخل المجلس الوطني كان ينادي بالتفاوض مع فرنسا مهما كان الثمن، متأثرين بالضغوط التونسية والمراكشية للوصول إلى حل على مراحل، إلا أن القادة العسكريين وبرغم النصائح بالاعتدال والتي قدمها الأصدقاء والحلفاء أصروا وعقدوا العزم على مواصلة النضال طالما لم تتخل فرنسا عن أسطورة «الجزائر فرنسية».

أمام هذا الإصرار قام المستوطنون بالجزائر وعلى رأسهم (سالان) بعملية انقلابية تهدف إلى فصل الجزائر عن فرنسا وإقامة حكومة عنصرية فيها، ولكن الجنرال ديغول

وبرغم غموض موقفه من القضية الجزائرية في البداية إلا أنه عزل قائد الانقلاب "سالان" ومعاونيه من الجيش وأعلن في 13/ أيار/ مايو 1958 إنهاء الجمهورية الرابعة وإعلان الجمهورية الخامسة والتي أصبح بها رئيساً للجمهورية بصلاحيات واسعة. (فريحات، 1989 : ص9).

تزامنت هذه الأحداث مع اتفاق جبهة التحرير الوطني مع القادة المغاربة وبمساعدة الرئيس جمال عبدالناصر تشكيل حكومة مؤقتة في القاهرة وأكد أعضاء لجنة التنسيق أن وجود حكومة مؤقتة سوف يؤدي إلى تبديل جذري في الموقف.

المرحلة الثالثة:

والتي تبدأ بتشكيل الحكومة المؤقتة كما أسلفنا وينتهي بإعلان استقلال الجزائر، وأهم حدث بارز في هذه المرحلة هو قيام الجنرال ديغول بمبادراته لحل المشكلة الجزائرية، حيث عرض ديغول في خطاب له في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني/ 1959 على الجزائريين أن يختاروا إحدى ثلاثة حلول:

أ- الانفصال عن فرنسا أي الاستقلال.

ب- الفرنسة أو المشاركة أي حكم الجزائريين أنفسهم مستندين إلى مساعدة فرنسا.

جـ- اتحاد وثيق مع فرنسا على صعيد الاقتصاد والتعليم والعلاقات الخارجية.

ردت الحكومة المؤقتة على عرض ديغول بتعيين الوزراء الجزائريين المحتجزين الخمسة والتي كانت فرنسا قد خطفتهم في الطائرة في أثناء توجههم من المغرب إلى تونس وهم (آيت أحمد، بن بيلا، خيضر، بوضياف، بيطاط) كمفاوضين عنها وأكدت بذلك بأنها تحرج ديغول وتحكم على مدى صدقه.

ولما لم يكن الجيش الفرنسي قادراً على تصفية جيش التحرير الجزائري برغم تفوقه التقني والعددي. اضطر ديغول إلى الرضوخ والتفاوض مع جبهة التحرر الوطني في مدينة إيفيان الفرنسية في العشرين من أيار/ مايو 1961 . وانتهت في آذار/ مارس/ 1962 بإعلانه استقلال الجزائر. وأصرّ الجزائريون على ان يكون يوم الاستقلال هو الخامس من تموز/ يوليو/ 1962 ذكرى احتلال القوات الفرنسية للجزائر.

تدريب (6)

تحدث عن أسباب الثورة الجزائرية.

أسئلة التقويم الذاتي (6)

1- لجبهة التحرر الوطني الجزائري سياسة واضحة، اشرحها.
2- اتخذ مؤتمر الصمام عدة قرارات هامة. اذكرها.

2.4 ثورة فيتنام

لا شك أن الثورة الفيتنامية قدمت خلال مسيرتها الطويلة والشاقة تجربة غنية نظرياً وعملياً لإستراتيجية حرب التحرر الشعبية باعتبارها الاستراتيجية الأكثر عمقاً لحركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث حيث خاض الشعب الفيتنامي تجربتين متاليتين صمد فيهما وقدم الأرواح والتضحيات وربح وجوده في النهاية، التجربة الأولى ضد الفرنسيين 1946-1954 برزت فيها دروس وخبرات وعِبر جرى الاستفادة منها في التجربة الثانية ضد الأمريكيين من 1960-1976، تلك الدروس والخبرات والعبر كثيرة جداً وقد شملت مساحات واسعة في المجالات السياسية والتنظيمية والعسكرية والاجتماعية، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف استطاع الشعب الفيتامي الفقير والصغير والذي يبلغ تعداده ستة وثلاثين مليون نسمة حينذاك وبإمكانياته المحدودة أن يهزم الفرنسيين أولاً والأمريكيين ثانياً، بالإضافة إلى عملاء الداخل؟

لقد توفرت للشعب الفيتنامي قيادة ثورية مخلصة وتنظيم طليعي ثوري وجبهة وطنية متحدة هي جبهة التحرر الوطني لفيتنام ضمت كل القوى الوطنية، كل ذلك وفر للشعب الفيتنامي صلابة الإرادة والنضال وإيماناً لا يتزعزع بالحرية والاستقلال، واستطاع بذلك تحقيق شعار الأب الروحي للفيتناميين "هوشي منه"، "لا شيء أغلى وأثمن من الاستقلال والحرية". (زهر الدين، 1987 : ص161).

يصف "غابريل بونيه" في كتابه الحرب الثورية في فيتنام، القادة الفيتناميين بقوله: "يتوفر فيهم الإخلاص والإيمان والمعرفة والذكاء والطاقة والشجاعة التي تجابه كل

اختبار وروح القرار والحس بالمسؤولية، ويمتاز هؤلاء بأنهم تمرسوا بالحرب وترقوا في السلم العسكري من خلال المعارك ومنهم من تلقى تدريباً في الأكاديميات السوفيتية والصينية، لا في الشؤون العسكرية فحسب بل في شؤون الاستراتيجية العليا أيضاً". (بونيه، 1970 : ص73).

وكذلك الحال بالنسبة لضباط الفيتكونغ الذين كانوا قدوة لجنودهم يقاسمونهم حياتهم ويرددون معهم الأغاني الثورية، كل ذلك كان يتم بأقصى درجات الانضباط والدقة.

هذا وقد كانت التعبئة والتنظيم الصحيح من أهم الركائز التي استند عليها الفيتناميون في حربهم ونضالهم كل هذا جعل بلداً صغيراً متخلفاً كفيتنام قادراً على هزيمة قوى استعمارية أكبر منه عدداً وعدة. وسجل الشعب الفيتنامي أروع ملامح النصر ضد أعدائه الفرنسيين وأذاقهم مرارة الهزيمة في معركة (ديان بيان فو) عام 1954 بقيادة الجنرال (فونغوين جياب) والذي يعتبر أحد كبار معلمي الحروب التحررية الشعبية في العصر الحديث، وأحد كبار الخبراء السياسيين والعسكريين والذي كان يؤمن بأن الأرض هي الإنسان، والإنسان الفيتنامي هو الأرض. ولا قيمة لأحدهما بمعزل عن الآخر، وعندما سئل عن انتصاره في معركة (ديان بيان فو) أجاب: اسألوا الشعب الفيتنامي البطل فهو الذي انتصر وهو الذي صنع المعجزات. (زهر الدين، 1987 : ص164). هذا وتعتبر معركة (ديان بيان فو) من أهم المعارك الحاسمة في التاريخ الحديث، إذ لم تقتصر الهزيمة على فرنسا وحدها بل كانت هزيمة أمريكية أيضاً بدليل اعتراف الفيلسوف البريطاني الكبير "برتراند راسل" الذي قال "من الهام ملاحظة أن الفرنسيين طالما هزموا نهائياً في (ديان بيان فو) عام 1954 فالأمريكيون قاموا بتوجيه الحرب وإدارتها من وراء الكواليس، حتى أن جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكي حينذاك، عرض استعمال الأسلحة النووية في هذه المعركة ضد فيتنام إلا أنه وجد معارضة شديدة على الصعيد الداخلي". (راسل، 1968 : ص85).

ومع إيمان الجنرال جياب المطلق بأهمية الكفاح والنضال المسلح غير أنه يعترف بأهمية النضال السياسي حيث يقول: "إن على النضال السياسي أن يسيطر في البداية بينما يلعب النضال المسلح دوراً ثانوياً، وبالتدريج يلعب الاثنان دوراً متساوياً في الأهمية إلى أن يسيطر النضال المسلح، وفي النهاية يسيطر النضال السياسي مرة أخرى"

ويضيف: "إذا كانت الانتفاضة الشعبية فناً فـإن الخاصة الرئيسة لقيادتها هي القدرة على تغيير شكل النضال تبعاً لتغير الأحداث". (بابك، 1968 : ص22).

أما جبـهة التحرر الوطني الفـيتنامية فكانت ترى أن النصـر يتم إحرازه من خلال الاقتران المناسب للنضال السياسي بالكفاح المسلح، لقد نظرت جبهة التحرر الوطني إلى الثورة لا علـى أنها حرب صـغيرة بـل على أنها نضال سـياسي بالبنادق، ولكـن يبقى النضال المسلح أو ما أطلق علـيه حرب العصابات هو النموذج المـألوف في فيتنام بشكل عام خاصة في الفترة ما بين 1960م-1965م.

وكان التـبرير العلني لاستخـدام القوة المسلحة هو أن العـدو لم يترك أمام جبـهة التحـرير مجالاً لأي بديل، وبعـد عام 1962 أخذ النضــال المسلح يتحرك نحـو الأمام بصورة متزايدة، وأصبح يسيطر على المسـرح دافعاً بالنضال السياسي إلى الخلف وأخذت الجبهة من خلال أجهزتها الإخبارية تعمل على تقديم إحصائيات تتعلق بهذا النضال.

أرقام هذه الإحصائيات تشير إلى حدة النضــال المسلح كما تشير إلى الأهمية التي تعلقها جبهـة التحرير على الاعتقاد بأن الإصابات التي مُني بها الامـريكيون سيكون لها تأثير بالغ على الرأي العام الأمريكي.

إزاء هذا العنف الثوري كانت جـبهة التحرير الوطني تؤكد على مـوقفها المرة تلو الأخرى في بيـاناتها السيـاسية المتـعددة بأن على الولايات المتـحدة أن تخرج من فـيتنام الجنوبية وأن مشكلة فيـتنام يحلها الفيتناميون أنفسهم. أمـا إذا رفضت الدوائر الأمريكية الحاكمة أن تواجه الواقع واندفـعت بعناد في مغامرة تصعيد حربها العدوانيـة فإن النتيجة الحتمية ستكون الفشل الذريع. وبدخول عام 1965 كانت المناطق المحررة قد بلغت أوج اتساعهـا وجماهير المناطق المحررة بلـغت العشرة ملايين مواطن، وقـوات الثورة ضَمت المزيد من الوحدات، وفي عام 1966 وصل مجموع القوات الأمريكية في فيتنام إلى أكثر من 450 ألف جندي، وبرغم ارتفـاع هذا العـدد الهـائل اسـتبـعـد نائب وزير الدفـاع الأمريكي تحقيق نصر عسكري أمريكي في فيتنام، ومع ارتفاع عدد القوات الأمريكية إلى 525 ألف جندي في عام 1968 تمكن الثوار من احتـلال خمسة طوابق من أصل سـبعة في السـفارة الأمـريكية في سـايجون، ودمـروا ثلاثين دبابة وأعطبـوا خمـسين طائرة، وأصابوا اربعمائة عسكري. (بابك، 1968: ص245).

أمام هذا الوضع المتدهور دعا الرئيس الأمريكي جونسون إلى اجتماع ضم كبار المسؤولين الأمريكيين في شهر مارس/ آذار 1968، وكانت النتيجة نصيحة الرئيس بعدم تصعيد الحرب. فكان أن عقد مؤتمراً صحفياً في 31 مارس/ آذار 1968 دعا فيه الفيتناميين إلى مائدة المفاوضات، وتلك كانت الخطوة الأولى في مسيرة المفاوضات الأمريكية- الفيتنامية والتي امتدت حتى شهر يناير/ كانون الثاني 1973.

مفاوضات باريس: انضمت جبهة التحرير الوطني إلى مفاوضات باريس من بداية عام 1969 - بعد أن أصبحت رباعية الأطراف-، وشارك ممثل الجبهة في جلسات المؤتمر ومداولاته، وقدم مشروعاً للحل السياسي يتضمن عشر نقاط يدعو فيها إلى احترام الحقوق الوطنية للشعب الفيتنامي، وانسحاب القوات الامريكية، وإقامة حكومة ائتلافية وطنية تمهيداً لإجراء انتخابات حرة واتباع سياسة خارجية مسالمة ومحايدة وتحقيق الوحدة التدريجية السلمية مع شمال فيتنام وحذر مندوب الجبهة من محاولة واشنطن تكثيف حربها العدوانية بهدف التفاوض من مركز قوة، مؤكداً عزم الشعب الفيتنامي على مواصلة القتال حتى النصر النهائي.

في تلك الأثناء كانت الأوضاع في فيتنام (الشمالية) هادئة حتى أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تصريحاً في مارس/ آذار 1972 هددت فيه بالعودة إلى استخدام الحرب التدميرية الجوية، وتم ذلك فعلاً في الشهر التالي حيث أعلن عن استئناف القصف ضد أهداف داخل أراضي فيتنام (الشمالية) بحجة الانتقام من الهجمات الواسعة في الجبهة الجنوبية، وقد تم تكثيف هذا القصف واستمراره خلال الشهور التالية، ولكن أكثرها ضراوة وقع في يومي 28/ 29 ديسمبر/ كانون الأول 1972، حيث استخدمت أمريكا أكثر من 500 طائرة عادية و1300 طائرة ب 52 بشكل يومي ومركز على هانوي حيث أصيبت مبانٍ عدة وسفارات أجنبية، وكان رد الزعيم هوشي منه على هذا القصف "تستطيعون أيها المجرمون أن تدمروا منازلنا وقرانا ومدننا وألاّ تبقوا حجراً على حجر، ولكنكم تعجزون أن تدمروا فينا إرادة النضال حتى النصر". (زهر الدين، 1987 : ص163).

أثار هذا القصف موجة جديدة من الانتقادات الحادة داخل المجتمع الأمريكي، وقامت لجنة للتحقيق في جرائم الحرب بزيارة فيتنام الشمالية، صاحب ذلك حملة دبلوماسية واسعة في العالم شنتها هانوي والتي شهدت حركة سياسية مكثفة. وزارها عدد من الوفود للتأييد والتضامن، وسارت المظاهرات في مئات العواصم والمدن، وأمام

كل ذلك أعلن نيكسون أنه أجبر الفيتناميين على توقيع اتفاقية باريس، أما الفيتناميون فقد اعتبروا إخفاق الحرب العدوانية ضدهم هو الذي قاد إلى توقيع اتفاقية باريس في السابع والعشرين من يناير/ كانون الثاني 1973، وبعد ذلك بشهرين ويومين أي في 29/ مارس/آذار جرى إنزال العلم الأمريكي وغادرت آخر وحدة أمريكية عسكرية سايجون، والجدير بالذكر أن الأمريكيين خلفوا وراءهم حوالي نصف مليون طفل يتيم ونصف مليون مدمن على المخدرات والكحول، وقرابة مائة ألف مقعد، وأربعة ملايين مواطن يعانون من الأمراض العضوية والنفسية والتشرد.

وهكذا خرجت أمريكا من فيتنام مهزومة مدحورة، وها هو أحد نوابها السناتور فولبرايت، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ يقول في خطاب ألقاه في الكونغرس: "إن الولايات المتحدة لم تثبت شيئاً في فيتنام إلا عجز أكبر قوة ضاربة في التاريخ في التغلب على ثورة تحررية لشعب صغير". (زهر الدين، 1987 : ص164).

تدريب (7)

ما الدروس والعبر التي أفرزتها الثورة الفيتنامية؟

أسئلة التقويم الذاتي (7)

تحدث عن دور الشعب الفيتنامي في الثورة.

3.4 ثورة الهند

في أثناء الحرب العالمية الأولى وضع الهندوس والمسلمون أكبر طائفتين دينيتين في الهند نهاية مؤقتة لخلافاتهم بهدف مطالبة الحكومة البريطانية معاً بحصول الهند على الحكم الذاتي في أقرب وقت والارتقاء التدريجي بها نحو حكومة مسؤولة، فأصدرت بريطانيا قانوناً في عام 1919 أدخلت فيه بعض الإصلاحات والقليل من الاستقلال الإداري المحلي على مستوى المقاطعات، ولم يرض بذلك إلا القلة من الهنود المعتدلين. وبدأت الاضطرابات في الهند والتي قمعت بعنف وبدون هوادة، ارتكب فيها المستعمر البريطاني مذبحة بحق الشعب الهندي المسالم والأعزل من السلاح عرفت بمذبحة أمريستار في 13 إبريل/ نيسان 1919، حيث اطلق الجنود الإنجليز النار على جماهير

مسالمة وقتلوا 379 شخصاً. وقد شكلت هذه المذبحة نقطة تحول في العلاقات بين الإنجليز المستعمرين والهنود سكان البلاد.

1.3.4 دور غاندي في الثورة

على أثر مذبحة أمريستار لم يعد حزب المؤتمر الوطني أكبر الأحزاب الهندية عبارة عن تجمع سلمي خاضع للقوانين كما كان سابقاً بل أصبح يصغي بشكل متزايد للأنصار المطالبين باستخدام العنف، والثوريين من أعضائه، وحتى غاندي والذي عرف عنه بمقاومته للعنف والقوة تبنى موقف عدم التعاون السلمي، وتبنى حزب المؤتمر وبإيحاء منه في المؤتمر الذي تم عقده في كالكوتا في أيلول/ سبتمبر/ 1920 سياسة عدم التعاون، وطالب بالحصول على الحكم الذاتي بالوسائل السلمية والمشروعة.

ولما كان سلاح عدم التعاون سلاحاً قد يصعب ضبطه والتحكم فيه أراد غاندي عدم استخدامه وتطبيقه بشكل كامل قبل إعداد الجماهير له إعداداً كاملاً تجنباً لوقوع صدامات دامية أخرى بين الهنود والبريطانيين، أدركت السلطة الإنجليزية الحاكمة في الهند مدى فعالية سلاح عدم التعاون عندما قام الهنود بمقاطعة الأصواف الأجنبية وعدم شرائها بناء على تعليمات غاندي، ووجدت السلطة نفسها أمام رجل يملك القدرة بتأثيره الأدبي على شل الحياة العامة بالهند إذا أراد. فأمر نائب الملك باعتقال غاندي في 10 مارس/ آذار 1922، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، إلا أنه أطلق سراحه لأسباب صحية بعد سنتين من سجنه، وعاد غاندي لاستئناف نشاطه داخل حزب المؤتمر وبين صفوف الجماهير إلا أن مجموعة من الشباب الوطنيين من أنصار الحكم الذاتي لم يرضهم اعتدال المهاتما غاندي والذين انتقدوه لإعطائه الأولوية لمبدأ اللاعنف "والحقيقة على حساب حب الوطن" وتهدئة الاندفاعة الوطنية نحو الاستقلال وطالبوا بدستور يضمن إقامة حكم ذاتي في الهند وكان من بين هؤلاء الشباب ج. نهرو الذي طالب في اجتماعات حزب المؤتمر بإدراج الاستقلال الفوري في برنامج الحزب، إلا أن غاندي بدل ذلك بقرار يطالب منح الهند وضع الدومنيون خلال فترة مدتها سنة واحدة وإلا فإنه سيلجأ إلى نضال اللاعنف، من أجل الاستقلال.

وفي حين أن نائب الملك اللورد إيروين Irwin والراغب في المحافظة على النظام وبمبادرة شخصية منه أشعر الهنود بأن المرحلة القادمة ستكون مرحلة ارتقاء الهند إلى الدومينون، ولكن وزير الدولة البريطاني "بيركيهند" صرح أمام مجلس اللوردات بأن

اهتمام انجلترا بالهنود أقل بكثير من اهتمامها بالهند السوق العالمية للبضائع الإنجليزية بعامة ومصانع لانكشير بخاصة، وخلص إلى القول "لقد احتللنا الهند بالسيف وسنبقى فيها" . (غريمال، 1994 : ص73).

وكان الرأي السائد في بريطانيا حينذاك والذي كان يتبناه حزب المحافظين بأن المجتمع البريطاني سينهار بدون الهند، وأن الهنود لن يصبحوا قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم قبل مرور عدة أجيال ولربما بعد مائة عام، كان صدى هذه التصريحات خطيراً في الهند، إذ قرر حزب المؤتمر في مؤتمر لاهور 21/ كانون الأول/ ديسمبر 1929 بأن الاستقلال هدف يجب بلوغه والبدء بحملة عصيان مدني، وتم تنفيذ ذلك في جميع أنحاء الهند.

رافق هذا العصيان رفض دفع الضريبة، فرار الجنود الهنود، مقاطعة البضائع الانجليزية، اضرابات المدارس، واقامة سلطات ثورية في القرى، وقد ذهبت سدى جميع الإجراءات التي اتخذها نائب الملك في الهند بتحريض من جميع المستوطنين الأوروبيين مثل اعتقال عدد من الشخصيات الوطنية وعلى رأسهم غاندي ونهرو، وملء السجون بالمعتقلين، وحل اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر.

وأقر نائب الملك بوجوب تغيير سياسي جذري في الهند، وكتب إلى حكومته بذلك.

دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة في لندن في نوفمبر/ تشرين الثاني 1930، دعت إليه بعض الشخصيات الهندية من خارج حزب المؤتمر، ولما تعثرت المفاوضات اضطر ايروين (نائب الملك) الإفراج عن غاندي الذي سافر في آب/ أغسطس 1931 إلى لندن للاشتراك في المحادثات.

أدلى غاندي الممثل الوحيد لمنظمة جماهيرية هندية هي (حزب المؤتمر) في جلسات مؤتمر المائدة المستديرة بتصريح قال فيه: "مضى الوقت الذي كنت فيه فخوراً بأن أكون أحد الرعايا البريطانيين، ولم أعد أدعي ذلك من سنوات، إنني افضل أن أُدعى ثائراً، أكثر من رعية" (غريمال، 1994 : ص74). كما طالب نهرو باسم حزب المؤتمر "بالسوارج" أي سيادة الهند على الشؤون المالية والجيش والشؤون الخارجية والاقتصادية أي جميع المجالات التي كانت الحكومة البريطانية حريصة على أن تبقى محصورة في نائب الملك،

لذلك لم يكن هناك مجال لأي اتفاق محتمل وبقيت الصعوبات قائمة حتى عشية الحرب العالمية الثانية.

2.3.4 استقلال الهند

"اتركوا الهند وارحلوا عنا لقد مللنا تهربكم وازدواجيتكم، اتركوا بلدنا وسندافع عنها كما دافع الصينيون والروس والبريطانيون عن بلادهم، وسيشكل حصول الهند على الحرية في الحال البداية لتحرير كافة شعوب آسيا الأخرى". (غريمال، 1994 : ص243).

هذا نص القرار الذي تبناه حزب المؤتمر عام 1942 والذي أثار ردود فعل عنيفة ضد بريطانيا، في أماكن متعددة في الهند، إذ هاجم الشعب بعفوية منشآت السكك الحديدية ومكاتب البريد، ومراكز الشرطة، واندفعت حركة قوية من "عدم التعاون السلمي" ردت عليها السلطات الحاكمة البريطانية بعنف وبقسوة، وتم اعتقال 130 زعيماً من زعماء حزب المؤتمر من بينهم غاندي ونهرو، ولكن كل ذلك لم يؤدِ إلى زوال التوتر في النفوس والتي ظلت في حالة توجس وغليان. زاد من هذا التوتر والغليان حصول مجاعة في شمال البلاد وجنوبها في عام 1943- 1944 تراوح عدد ضحاياها بين مليونين إلى ثلاثة ملايين نسمة، وعزا الهنود هذه الكارثة إلى إهمال الإدارة الإنجليزية.

وقد كتب نهرو عن هذه الأحداث بقوله: "إن ما حدث آنذاك لم يكن انفجاراً مفاجئاً بل بعد أن طفح الكيل من كل ما حدث قبل ذلك".

مما سبق نرى أن مبدأ عدم التعاون السلمي، والذي استطاع غاندي "المحرض الصغير ذو قميص النوم" كما سماه تشرشل، إقناع أبناء وطنه بالعمل به هو أفضل الوسائل للانتصار على الإمبريالية، وأن الصمت يمكنه في النهاية إقناع المستعمرين بسوء قيادتهم. وهكذا نجح غاندي في رص صفوف الجماهير الهندوسية في وحدة قوية ضد البريطانيين، مطالباً باستقلال مبني بالدرجة الأولى على حرية العلاقات الخارجية، وما عدا ذلك كما قال نهرو ليس إلا حكماً ذاتياً.

كان البريطانيون على قناعة بذلك ولم يعترفوا به إلا بعد تسلم الحكومة العمالية للسلطة في بريطانيا في تموز/ يوليو 1945 حيث قامت بالتعريف بموقفها حيال المسألة الهندية وتبين من تصريح رئيسها "أتلي" تمسكها بنقطتين أساسيتين، الأولى استعداد البريطانيين لقبول الدستور الذي يحرره ممثلو الشعب الهندي بواسطة جمعية تأسيسية،

والثانية عـقد معاهدة بين لندن وهذه الجمـعية التأسيـسية لتأمين حمـاية الأقليات الدينية والعرقية في الدولة الجديدة.

وقام أتلي بإرسال ثلاثة من أعضاء وزارته إلى الهند في آذار/ مارس 1946 بمهمة واضحة هي مساعدة الهنود على إيجاد الطريق الذي يقود إلى الاستقلال وبأقصى سرعة ممكنة، وترك للهنود أنفسهم الحرية باختيار شكل الحكومة التي يريدونها وأمر بانضمامهم إلى الكومنولث.

سعى الوزراء الثلاثة إلى إيجـاد تسوية دستورية تأخذ بعين الاعـتبار روح مطالب الرابطة الاسلاميـة وتحافظ على الحكومة المركزية وتكون مقـبولة من حزب المؤتمر إلا أن الطرفين قـابلاها بالرفض، وعندئذ قـرر الوزراء وضع الهنود أمـام مسـؤوليـاتهم وذلك بنشرهم لإعلان 16/ مايو/ أيار 1946، وقد جاء فـيه "نأمل أن تختار الهند المـستقلة الجديدة عضوية الكومنولث البريطاني، ونأمل أن تبـقوا مرتبطين دوماً مع شعبنا، إلا أن هذا الأمر متوقف على اختياركم الحر". (غريمال، ص250).

على أثر ذلك صرح أتلي أمام مجلس العـموم البريطاني بنقل السلطة إلى الهنود في موعد أقصاه حزيران/ يونيو/ 1948، وكلف فوتتباتن بهذه المهـمة ونقل مسؤوليات الهند البـريطانية إلى أيدٍ هندية، وكـان عليه مـحاولة حث الزعـماء الهنود علـى إنشاء حكومة وحـدوية في الهند، ولكن بعد وصـوله إلى نيودلهي في 4 آذار/ مارس 1947 أدرك استحالة تحقيق الحل الوحدوي، وأعد خطة عرضها على زعماء الأحزاب المجتمعة في سملا يومي 2،3/ حزيران/ يونيو، اقترح فيها تقسيم الهند على أن تقوم لجنة حدود مشتركة بتـرسيم الحدود وفقاً لرغبات السكان، وسرعـان ما وافق الطرفان، حزب المؤتمر الهندي وحزب الرابطة الاسلامية على خطة الثالث من حزيران/ يونيو، ووضعها موضع التنفيـذ، وتم عرض مشروع قـانون استقـلال الهند على مجلس العمـوم البريطاني في الرابع من حزيران/ يونيو ووافق عليه الملك في الثـامن عشر منه. وأصبحت الهند دولة مستقلة في الخـامس عشر من آب/ اغسطس 1947، وبانتظار نقل السلطات ثم تشكيل حكومتين انتقاليتين الأولى في الهند والثانية في الباكستان.

وهكذا، عـزيزي القارئ، انتـصرت ثورة الـهند السلميـة على بريطانيـا العظمى وحصلت على استقلالها.

تدريب (8)

كيف حقق غاندي استقلال الهند؟

أسئلة التقويم الذاتي (8)

اكتب عن سياسة عدم التعاون السلمي الذي استخدمه غاندي في ثورة الهند.

4.4 ثورة نيكاراغوا

يُعد نجاح هذه الثورة نقطة تحول في التاريخ الحديث لنيكاراغوا بصفة خاصة ولدول أمريكا الوسطى بصفة عامة، وقبل الحديث عن العوامل المحلية والأقليمية والدولية التي كان لها تأثيرها على قيام الثورة ونجاحها، علينا، عزيزي القارئ، أن نقف على التطور التاريخي لهذا البلد، ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

1- تأرجحت هذه الدولة الصغيرة منذ استقلالها من الاستعمار الاسباني سنة 1912 بين فترات من الحكم الديكتاتوري وحروب أهلية طوال القرن التاسع عشر حيث تنازعت السلطة والسيطرة على ثروات البلاد عدة أسر قوية، ومنذ بداية القرن العشرين أصبحت نيكاراغوا هدفاً لسياسة العصا الغليظة الأمريكية، ومن ثم وقعت في دائرة النفوذ الأمريكي بأشكال عديدة تراوحت ما بين الاحتلال العسكري المباشر، وما بين المساندة الأمريكية للنظم الديكتاتورية التي تحمي المصالح الإستراتيجية والاقتصادية الأمريكية.

والجدير بالذكر أن نيكاراغوا ظلت محمية أمريكية تقوم القواعد العسكرية على أراضيها في الفترة من 1912- 1933، باستثناء فترة بسيطة، اندلعت فيها حرب العصابات الوطنية ضد التدخل الأمريكي بقيادة الجنرال "اوجستو سيزار ساندينو" الذي استمر يحارب القوات الأمريكية لمدة ست سنوات حقق خلالها انتصارات هامة جعلت منه بطلاً وطنياً ورمزاً من رموز أمريكا اللاتينية. وحين انسحبت القوات الأمريكية عام 1933، وفي ظل سياسة حسن الجوار، تركت مسؤولية نيكاراغوا للجنرال "انستاريو سوموزا جارسيا" الذي أمر باعتقال (ساندينو) عام 1934، واستولى على الحكم عام 1935، واستمر حكمه وحكم ولديه من بعده حتى سقوط النظام عام 1979م.

ولقد استندت ديكتاتورية "أسرة سوموزا" على دعامتين أساسيتين:

الحرس الوطني الذي مثل أداة القمع والاحتواء للمعارضة، ومساندة الولايات المتحدة لهذا النظام المعروف بعدائه للشيوعية، ولقد سيطر سوموزا (الابن الثاني) الذي تولى الحكم سنة 1967 بعد موت أخيه الذي تولى بدوره الحكم سنة 1957 بعد موت (سوموزا الأب) على اقتصاد الدولة ولم يقدم نظامه إلا القليل للطبقة الوسطى شديدة الفقر من شعب نيكاراغوا.

2- كانت المعارضة السياسية -فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تتسم بالضعف والانقسام- فلقد كان الاتجاه المعتدل وهو الممثل في الأحزاب التقليدية المعارضة مقيد الحركة بسبب التخوف من المساندة الأمريكية لسوموزا من ناحية وبسبب التخوف من المعارضة الراديكالية من ناحية أخرى، الأمر الذي اضطر معه هذا الاتجاه إلى التحالف مع نظام سوموزا. أما المعارضة الراديكالية فلقد تعرضت لقمع شديد، ولكن سنة 1972 وعلى ضوء النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية للزلزال المدمر الذي اجتاح نيكاراغوا ذلك العام، تطورت حركة المعارضة المعتدلة والراديكالية على حد سواء، فلقد تبلورت المعارضة المعتدلة(وهي المعارضة المدنية غير المسلحة)، حول قيادة أحد الديمقراطيين الاشتراكيين، والذي نجح سنة 1974 في تجميع سبعة أحزاب سياسية معارضة مع اتحادين للعمال فيما عرف "بالاتحاد الديمقراطي للتحرر"، ولكن الذي لعب الدور الأساسي في نجاح الثورة هي جبهة "السانديستا للتحرير الوطني" وينتسب اسمها إلى القائد الوطني "ساندينو" الذي ثار ضد القوات الأمريكية عام 1925، ولقد تكونت هذه الجبهة عام 1962 من العديد من التنظيمات الثورية التي اقتدت بنموذج الثورة الكوبية، وحصلت على مساندة هامة من نظام كاسترو طوال الستينات، إلا أنها لم تحرز نجاحاً في حركتها وتعرضت لقمع الحرس الوطني، كما ظلت قواعدها حتى عام 1974 محدودة النطاق.

3- منذ عام 1974 وحتى عام 1979 حدث تطور تدريجي في (جبهة الساندستا) على نحو أبرز شعبيتها من حيث بدأ الحوار بينها وبين التيارات المعتدلة المعارضة حتى تمكنت الجبهة بالتعاون مع روافد المعارضة من إسقاط سوموزا. ولقد حدث ذلك في ظل تطور في المواقف الأمريكية وخاصة منذ بداية ادارة كارتر عام 1977، وبعد أن تصاعدت الأعمال القمعية لنظام سوموزا ضد المعارضة، بعبارة أخرى تمكنت الثورة

من النجاح بعد سلسلة متتالية من الأفعال وردود الأفعال فيما بين قوى الثورة المختلفة وبينها وبين نظام سوموزا والسياسية الأمريكية. (مصطفى، 1988 : ص44).

ويتضح لنا هذا التفاعل الثلاثي، عزيزي القارئ، من العرض التالي:

أ- أخذ يتضح وزن ونضج حركة جبهة الساندينستا منذ مارس/ آذار 1974، حين هاجمت قواتها مقر الحزب المسيحي في العاصمة "ماناجوا" واحتجزت مجموعة من الرهائن تمت مبادلتهم ببعض المسجونين السياسيين، وجاء رد فعل سوموزا عنيفاً ضد القواعد الشعبية المساندة للجبهة، والتي تتركز في مناطق الريف الشمالية، وكذلك تزايدت المعونة العسكرية الأمريكية بمقدار 80٪ كما وصلت انتهاكات حقوق الإنسان في نيكاراغوا إلى الذروة خلال الأعوام التالية.

ب- مع وصول إدارة كارتر للحكم عام 1977، وهي التي جعلت من حقوق الإنسان إحدى ركائز سياستها الخارجية، أصبحت أمريكا اللاتينية بصفة عامة ساحة هامة لتطبيق هذه الركيزة على نحو أبرز الربط بين الاستمرار في تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية لبعض دول القارة وبين تطبيق الأخيرة لمجموعة من الإجراءات التي طالبت إدارة كارتر باتباعها كسبيل للتخفيف من قبضة النظم الديكتاتورية، ولتدعيم التطور نحو الديمقراطية، ولقد انعكس هذا التوجه بقوة على السلوك الأمريكي تجاه نظام سوموزا، وحتى سقوطه، حيث اتسم بالتردد والتأرجح ما بين استمرار دعم هذا النظام بضغوط بعض قوى الكونجرس وما بين التهاون في ذلك بتأثير تطبيق سياسة حقوق الإنسان وما تضمنته من فرض قيود على المعونات العسكرية والاقتصادية المقدمة له.

ففي البداية وبعدم وجود تهديد مباشر لنظام سوموزا، اعتقدت إدارة كارتر باتفاقية تطبيق شروط دعوتها لاحترام حقوق الإنسان في نيكاراغوا، وبالفعل خفضت الإدارة الأمريكية في ابريل/ نيسان 1977 مساعدتها لسوموزا، مما ساعد على تنشيط حركة المعارضة المعتدلة والراديكالية على حد سواء.

جـ- نشطت جبهة الساندينستا من جديد وقامت بعدة هجمات عسكرية في أكتوبر/ تشرين الأول 1977 على قوات الحرس الوطني في عدة مدن، وبالرغم من محدودية هذه الهجمات إلا أنها أوضحت إمكانية النيل من دعائم نظام سوموزا،

الأمر الذي زاد من حماس المعارضة وقيام المعارضة المعتدلة ببدء الحوار مع جبهة السانديستا للتوصل إلى حل لمشاكل نيكاراغوا، ولكن ظلت الجبهة وحتى عام 1978 ليست لديها القوة العسكرية والسياسية بالقدر اللازم لفرض التحدي الحقيقي على نظام سوموزا، هذا فضلاً عن انقسامها إلى فصائل ثلاثة مختلفة فيما بينها حول الأسلوب الأمثل للقيام بالثورة، فنجد أحدها يفضل أسلوب الكفاح المسلح كسبيل لتفجير الغضب الشعبي، كما يؤيد توحيد كل القوى المعارضة حول برنامج إصلاح اجتماعي واحد، ومن ثم فتح قوات اتصال مع القوى البرجوازية واشترك الفصيلان الآخران في رفض التعاون مع "العناصر البرجوازية" لاعتقادهما بعدم ملاءمة أسلوب الأعمال العسكرية في المرحلة القائمة، وحيث كانت احداهما تركز على القواعد الريفية، كانت الأخرى تركز على العمل السياسي بين صفوف البروليتاريا في المدن.

أما عن المعارضة المعتدلة، فلقد أدى اغتيال زعيمها في يناير/ كانون الثاني 1978 إلى اندلاع أعمال العنف في العاصمة وإلى المطالبة بإضراب عام لإسقاط سوموزا، وبالرغم من نشاط جبهة السانديستا، وقيامها بعدة هجمات مسلحة في عدة مدن إلا أن المبادرة والقوة السياسية ظلت في يد المعارضة المعتدلة والتي كانت تنتظر أن تقوم الولايات المتحدة بإبعاد سوموزا عن السلطة.

د- خلال النصف الأول من عام 1978 ظلت السياسة الأمريكية تتأرجح ما بين دعم وتقييد المعونة لسوموزا، بعد أن كانت الإدارة الأمريكية قد خففت في سبتمبر/ أيلول 1977 من القيود التي سبق وفرضتها في أبريل/ نيسان 1977 على هذه المعونة نجدها تعود مرة أخرى إلى فرض عقوبات جديدة كرد فعل للأعمال القمعية التي قام بها نظام سوموزا، ضد انتفاضة يناير/ كانون الثاني 1978، ولكن من ناحية أخرى بدأت الولايات المتحدة -مع بداية النصف الثاني من عام 1978 تدعو إلى حوار بين سوموزا والمعارضة المعتدلة، مع الإشارة إلى حدوث تحسن في احترام حقوق الإنسان في نيكاراغوا.

هـ- وجدت كل من المعارضة المعتدلة والراديكالية خلال النصف الثاني من عام 1978، أنه لا مفر من تطور منطلقات الثورة واكتشفت التيارات المعتدلة -والتي كانت تأمل في قيام الولايات المتحدة بالضغط على سوموزا للاستقالة- عقم هذا التصور، ولم

يعد أمامها إلا التعاون مع العناصر الراديكالية لإسقاط سوموزا، وشكلا معاً تنظيماً عرف "بجبهة المعارضة الموسعة".

أما جبهة الساندينستا فلقد صعدت من نشاطها العسكري وأقدمت على عمل جريء في أغسطس/ آب 1978 حين احتلت قواتها مقر البرلمان في اثناء انعقاده واحتجزت 1500 رهينة، ونجحت في الخروج من نيكاراغوا مع عدد كبير من المسجونين السياسيين، وقد فجر هذا العمل انتفاضة جماهيرية وإضراباً عاماً ناجماً مع استمرار الهجمات على قوات الحرس الوطني، ومع عنف قمع نظام سوموزا لشعب نيكاراغوا أعادت الولايات المتحدة تقييم سياستها لتصل إلى الاعتراف بأن سوموزا لا يقدر بمفرده على إعادة الاستقرار إلى نيكاراغوا وأن هناك حاجة ماسة لحل سياسي ثان لحكومة معتدلة جديدة، ولكن هذا الحل بدا غير واقعي بعد أن تفككت صفوف المعارضة المعتدلة في أوائل عام 1979 من جراء الضغط الأمريكي عليها لقبول التفاوض مع سوموزا، وبعد أن حققت الساندينستا نجاحاً لا يمكن التغاضي عنه، وإقصاؤها عن أي حل، وبعد فشل المفاوضات للخروج بحل من هذا المأزق، وقعت الولايات المتحدة على عقوبات شكلية على نظام سوموزا -وذلك تحت تأثير ضغط بعض قوى الكونجرس، وتحت تأثير الاعتقاد بأن سوموزا ما زال أقدر من المعتدلين المنقسمين، على منع دخول الساندينستا إلى السلطة إلا أنها لم تقدم على مساندة سوموزا بالدرجة المطلوبة واللازمة لمواجهة تصاعد أحداث الثورة وتزايد قوة الساندينستا. (مصطفى، 1988 : ص48).

و- وفي يونيو/ حزيران 1979 بدأت فصائل جبهة الساندينستا بعد أن وحدت صفوفها بمساندة كوبا هجومها الهائل على نظام سوموزا وسيطرت خلال عدة أسابيع على المدن الكبرى وعلى نصف العاصمة "ماناجوا"، وأعلنت تشكل حكومة مؤقتة لإعادة البناء الوطني وذلك بالاتفاق مع الجبهة الوطنية التي تضم العناصر الأكثر ثورية والتي انفصلت عن جبهة المعارضة، وأمام هذا الوضع الجديد الذي جسد المخاوف الأمريكية من انتصار الساندينستا، فكان لا بد أن تبحث الولايات المتحدة عن صيغة جديدة لحل سياسي متطور. ومن ثم وفي رسالة من وزير الخارجية الأمريكي لمنظمة الدول الأمريكية أفصحت الإدارة الأمريكية عن رغبتها في استقالة سوموزا، وعن دعوتها لتشكيل حكومة موسعة، وأخيراً تكوين قوة جماعية أمريكية

من دول المنظمـة لضمان وقـف اطلاق النار في نيكاراغوا، ولم توافق المنظمـة على البند الأخير والذي اعتبرته ستاراً لإضفاء الشرعية على تدخل أمريكي.

وبالرغم من أن الولايات المتحـدة أصبـحت مـستـعدة لإجبـار سومـوزا على الاستقالة، إلا أن المعارضة المعتدلة لم يكـن بمقدورها في هذه الفترة الموافقة أو الاشتراك في الخطة الأمريكيـة، كذلك لم يعد من الممكن تجـاهل دور السانديستـا في أي مرحلة تالية، ولذا فإن الولايات المتحدة، ومع اقتراب قـوات السانديستا من الانتصار العسكري النهائي، تخلت عن تصورها لاتفاقية تشكيل حكومة مؤقتـة تستبعد مشاركة الساندبستا، ومن ثم اعترفت بالحكومـة المؤقتة لإعادة البناء الوطني، وطالبت بعـدم المساس بالحزب الليبـرالي الجديد لسومـوزا، أو الحرس الوطني، كمـا طالبت بزيادة تمثيل المعـتدلين في مجلس قيادة الثورة، وذلك في مقابل استقـالة سوموزا أو الاستمرار في تقديم المساعدة الأمريكية، ولم يكن بإمكان الحكومة المؤقتة الجديدة الموافقة على هذه المطالب التي كانت تعني الحكم المسبق على الثورة بالفشل. (Grande و 1971 :P. 29).

وعلى ضوء التحليل السابق الذي يربط بين ديناميـات العلاقات بين تيارات الثورة المختلفة المـدنية والسياسيـة والعسكرية فيهـا، وتطور المواقف الأمريكية تبـرز التساؤلات التالية:

لماذا نجحت ثورة نيكاراغوا؟

هل بسبب فشل الولايات المتحدة في مساندة نظام سوموزا؟

أم بسبب الدور السوفياتي والكوبي في مساندة الساندبستا؟

وهل كان للعوامل الداخلية والإقليمية تأثيرها؟

فيما يلي سنحاول، عزيزي القارئ، إلقاء الضوء على القوى الخارجية بالمقارنة مع وزن القوى الداخليـة، حيث سنرى خـصوصـية هذه الثورة على الـنحو الذي أدى إلى نجاحها.

أ- الدور الأمريكي:

ونعني بذلك مـوقف الإدارة الأمريكيـة من ثورة نيكاراغـوا، حيث فـشلت إدارة كارتر كما وضحنا سابقاً في أن تقدم لسومـوزا مساندة مستمرة وكاملة مما أثر على قدرة

نظامه على ردع العمليات الثورية المسلحة ضده، ومما لا شك فيه أن أهم العوامل التي تؤثر على قدرة نظام ما على مواجهة أعمال العنف المضادة له، هو مقدار وطبيعة المساندة التي يلقاها من دول أخرى وبخاصة القوى العظمى، ولقد ثبت على ساحة أمريكا اللاتينية أن التدخل الأمريكي الفعال ضد أعمال ثورية مسلحة يساعد على إجهاضها والعكس صحيح، والحالتان الوحيدتان في أمريكا اللاتينية التي تخلت فيهما الإدارة الأمريكية عن مساندة النظم القائمة (كوبا في نهاية الخمسينات ونيكاراغوا في نهاية السبعينات) وساعد هذا التخلي على سقوط هذين النظامين.

ب- الدور السوفيتي والكوبي:

إن ثورة نيكاراغوا في مراحلها الأخيرة لم تكن إلا ثورة وطنية شاملة ضد عائلة سوموزا تشكلت وتطورت في نيكاراغوا وليس في كوبا، ولم تكن المساندة الكوبية- السوفياتية، هي العامل الوحيد أو الحاسم في نجاحها، لأن كل القوى الداخلية وبعض القوى الإقليمية تضافرت في إسقاط سوموزا، كما أن هذه المساندة اتسمت -خلال السبعينات- بالحذر وضيق النطاق، ويعود ذلك إلى عدة اعتبارات منها:

1- تزامن تفجر الصراع الثوري في نيكاراغوا (نهاية النصف الأول من السبعينات) مع المرحلة التي شهدت التوفيق بين الاستراتيجية السوفياتية والاستراتيجية الكوبية، حول الأسلوب الأمثل للتعامل مع الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية، وهي المرحلة التي عكست التشاؤم المشترك السوفياتي الكوبي حول احتمالات نجاح هذه الحركات، ومنها نجاح الثورة في نيكاراغوا.
2- التورط السوفيتي الكوبي في أنجولا وأثيوبيا ثم التورط السوفيتي في أفغانستان أثّرا على درجة مساندة هذه الثورة.
3- ظل دور الحزب الاشتراكي لنيكاراغوا (وهو الحزب الموال لموسكو والذي تكون منذ عام 1937)، محدوداً وقاصراً على الدعاية، وتقديم المساعدة المادية فقط.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من أن جبهة الساندينستا قد ضمت عناصر ماركسية وأخرى غير ماركسية جمع بينها العداء لسوموزا، إلا أن الجبهة ظلت منفصلة عن الحزب الاشتراكي لنيكاراغوا وهو أحد ثلاثة أحزاب شيوعية سرية حقيقية حيث ارتبطت بعض عناصر هذا الحزب بالساندينستا خلال الستينات والسبعينات، غير أنه لم يكن قوة أساسية وراء الثورة وبعبارة أخرى، لا يمكن القول: إن القوة الموالية للسوفييت

قد لعبت دوراً أساسياً في هذه الثورة، وكان لقائد جبهة السانديستا ومؤسسها منذ 1961 وحتى وفاته عام 1976 (كارلوس أمادو) حكم قاسٍ على هذا الحزب لرفضه أسلوب الكفاح المسلح، مما جعله يبدو في نظر الجبهة كمن يلعب دوراً مناوئاً لحركة التحرير.

4- بالرغم من التعاظم النسبي لمساندة كوبا للثورة في مرحلتها الأخيرة عام 1979، إلا أنها لم تكن المصدر الوحيد والأساس للسلاح، ولم تتوافر المعلومات والشواهد المؤكدة عن قيام السوفييت وكوبا بإمداد ثوار نيكاراغوا بنفس القدر من السلاح الذي اخذوا يقدمونه بعد ذلك لثوار السلفادور منذ عام 1980، كذلك ووفقاً لتقرير المخابرات الأمريكية المركزية من نيكاراغوا في مايو عام 1979، فإن كوبا لم تلتزم بدرجة كبيرة تجاه الحرب في نيكاراغوا نظراً لعدة اعتبارات من أهمها الخوف من أن يؤدي تزايد التورط الكوبي إلى احتمال المواجهة مع الولايات المتحدة أو إلى احتمال تصعيد الأخيرة لدعمها لنظام سوموزا مما يضر بالحركة الثورية، ناهيك عن حرص كوبا على توازن علاقاتها السياسية مع دول أمريكا اللاتينية، وبعبارة أخرى يمكننا القول: إنه بالرغم من استمرار قوة التعاطف المعنوي بين كوبا والسانديستا منذ ظهور الأخيرة في الستينات إلا أن درجة المساندة المادية والعسكرية انخفضت طوال السبعينات، وذلك تحت تأثير التطور في الإستراتيجية الكوبية تجاه الثورات المسلحة، ولم ترتفع درجة هذه المساندة الكوبية، إلا بعد أن تأكدت كوبا في نهاية عام 1978 من عمق جذور الثورة ضد سوموزا، ومن تزايد فرص نجاحها، ونخلص إلى القول إن الدور الكوبي لم يكن هو العامل الحاسم والوحيد لأنه لم يخلق الثورة أو يفجرها بقدر ما ساندها في مراحلها الأخيرة، حيث توافرت شروط النجاح، وبعبارة أخرى فإن جوهر المسلك الكوبي والسوفيتي تجاه الثورة وحتى نجاحها كان دوراً حذراً ودون التورط المباشر.

وفي النهاية يمكننا القول إن التحليل السابق لوزن وتأثير أساسيات القوتين العظميين لم يكن هو العامل الحاسم والوحيد في نجاح الثورة وإسقاط سوموزا، ولكنه كان عاملاً من عوامل أخرى أثرت كل منها بطريقتها، وبرزت أهمية كل منها في مرحلة أو أخرى من مراحل تطور الثورة، ولعل من أهم هذه العوامل كان تضافر كل القوى المعارضة بالرغم من تباينها الأيديولوجي في مرحلة حاسمة من تطور الثورة، ومع هذا فإن البعض يرى أنه ما كان من الممكن انهيار نظام سوموزا إذا كانت قد استمرت

الأعمدة الثلاثة الأساسية التي قام عليها وهي، المساندة الأمريكية، قوة الحرس الوطني، توحيد صف القوى البرجوازية المسيطرة على النظام، حتى لو كانت قد توافرت العوامل الداخلية الأخرى والمساندة الدولية والإقليمية.

بعد نجاح الثورة بدأ النظام الجديدة مساره في ظل تساؤلات عديدة ثارت حول عدة أمور، أولاً: حول طبيعة علاقات القوى التي ستحكم مساره الداخلي واحتمالات تطوره نحو مزيد من الاعتدال أم مزيد من الراديكالية.

ثانياً: حول طبيعة كل من السياسات الأمريكية والسوفيتية والكوبية تجاه هذا النظام.

وخلاصة القول، كان مستقبل النظام الجديد في نيكاراغوا مرتبطاً بنوعين من التحديات التي ستواجهه:

التحديات الداخلية: وتتمثل بمدى النجاح في التوفيق بين مطالب الساندينستا وقوى التيار المعتدل.

التحديات الخارجية: وتتمثل بطبيعة السياسات الأمريكية ودرجة وطبيعة المساندة السوفيتية والكوبية.

فعلى الصعيد الداخلي فلقد ألقت التحولات الجذرية العنيفة منذ عام 1989 - في أوروبا الشرقية وتخفيف الاتحاد السوفياتي مدة المواجهة مع الولايات المتحدة - بظلالها على اضطرار النظام الحاكم في نيكاراجوا للتحول نحو الاعتدال والإذعان للمطالبة بحل الأزمة النيكاراجوية عن طريق المبادرة بإجراء انتخابات ديمقراطية حرة جرت في فبراير شباط 1990 تَقبّل فيها. «اورتيجا» فوز «يوليتا تشامورو» - زعيمة التحالف المعارضة - ومهد لها انتقالاً سلمياً منظماً لرئاسة البلاد، وانتقلت الجبهة الساندينية إلى مقاعد المعارضة النشطة والمؤثرة. ولقد تضافرت عدة عوامل كانت سبباً لهزيمة الجبهة وفقدانها الرئاسة مثل الحصار الاقتصادي ودعم نشاط متمردي الكونترا ونصيب المساعدات المالية الخارجية. (عثمان، السياسة الدولية، ص244).

وعلى الصعيد الخارجي أدى التقارب مع كوبا إلى ازدياد مخاوف الولايات المتحدة. إبان ادارة رونالد ريجان، والتي بادرت إلى تعليق مساعداتها الاقتصادية

لنيكاراجوا بعد اتهامها لمساعدة الثوار اليساريين في السلفادور وتلقي أسلحة سوفياتية لتمضي العلاقات بين واشنطن وماناجوا نحو المزيد من التدهور، ولتكثيف حدة الخناق فرضت الولايات المتحدة منذ منتصف الثمانينات خطراً اقتصادياً على التبادل التجاري مع نيكاراجوا ساعد على تدهور الأوضاع الاقتصادية لحكم الجبهة الساتدينية مما دفعها إلى مزيد من التقارب مع دول المنظومة الاشتراكية بعامة ومع كوبا بخاصة.

تدريب (9)

اشرح دور جبهة السانديستا في ثورة نيكاراغوا.

أسئلة التقويم الذاتي (9)

ما التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت النظام الجديد في نيكاراغوا؟

5.4 ثورة كوبا

كانت جزيرة كوبا مستعمرة إسبانية، خضعت للاستعمار الإسباني منذ عام 1511م وحتى تحررت عام 1898، ثم أصبحت تابعة مباشرة للولايات المتحدة الأمريكية حتى عام 1902، حيث تخلوا عنها بعد أن احتفظوا بقاعدة بحرية فيها وتركوا وراءهم حكومة قمعية تُخضع اقتصاد البلاد للاستغلال الرأسمالي الأمريكي. وبعد الحرب العالمية الأولى قام "باشادو" بانقلاب عسكري وحكم البلاد حكماً ديكتاتورياً، ولكن ثورة ديمقراطية أطاحت به عام 1933م، وبعد أشهر استولى على السلطة ديكتاتور آخر هو "باتيستا" الذي أجرى في عام 1944م انتخابات تشريعية، أطاحت به ففر إلى الولايات المتحدة، عاد إلى كوبا في 10/ آذار/ مارس 1952، وقاد انقلاباً عسكرياً مدعوماً من الولايات المتحدة وأسقط النظام الجمهوري القائم، وطرد رئيس الجمهورية من البلاد، وفرض على البلاد حكماً ديكتاتورياً متخلفاً، الأمر الذي زاد النقمة الشعبية وخلق الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة للثورة. (سارتر، 1996 : ص3).

في هذه الأجواء وجد المحامي الشاب "فيديل كاسترو" المناخ المناسب لجمع بعض الشبيبة في حركة أطلق عليها اسم حركة 26 تموز، كان هدفها قلب نظام الحكم

الديكتاتوري بقوة السلاح، حيث استطاع كاسترو تدريب وإعداد 150 شاباً نقلهم من العاصمة هافانا، إلى سانتياغو دي كوبا، وألبسهم ملابس جنود وشن هجوماً على ثكنة "موتكادا" وكان هدف كاسترو من هذا الهجوم الاستيلاء على مستودعات الأسلحة في الثكنة وتوزيعها على المناضلين والثوار للسيطرة على المدينة، وعندما فشل بعد قتل وأسر معظم أنصاره لجأ إلى سلسلة جبال "سييرا مايسترا" الوعرة لبدء حرب عصابات من هذا المعقل الجبلي المنيع، وهناك جمع 38 شاباً لمواصلة النضال، ولكن لسوء حظه ففي أول آب/ اغسطس 1953 أسرته دورية بقيادة الملازم الزنجي "ساريا" وهو نائم مع زميلين له من شدة التعب وسلمته إلى السلطات التي أحالته إلى المحاكمة، حيث دافع كاسترو عن نفسه بخطابه الشهير "سينصفني التاريخ"، وحكمت المحكمة بسجنه 15 عاماً، (زهر الدين، 1987 : ص156). والجدير بالذكر أن الرأي العام الكوبي لم يدعمه حينذاك علماً أنه كان أحد أعضاء الحزب الأرثوذكسي، وبعد عامين من السجن تم الإفراج عن كاسترو، ونفي إلى المكسيك حيث بدأ هناك يعيد تنظيم حركة 26 تموز، على أسس جديدة، وتحت شعار "الوطن أو الموت" وأخذ يقوم بتدريب عناصر حركته بجو من السرية خوفاً من جواسيس باتيستا، وكانت المهمة الأولى للحركة تنظيم الجيش الثوري الذي سيتوجه إلى كوبا لتحريرها، وهناك تعرف كاسترو على "أرنستو تشي غيفارا" الطبيب الثائر الأرجنتيني والذي كان لاجئاً في المكسيك بعد اشتراكه في ثورة فاشلة في غواتيمالا، وبعد الانتهاء من التدريب حدد كاسترو أحد أيام شهر آذار/ مارس 1956 للتحرك إلى كوبا، إلا أن الشرطة المكسيكية داهمت مقرهم واعتقلت العديد من أنصاره، وبعد أن تم تحريرهم عادوا إلى التدريب من جديد. واشتروا مركباً وتسلموا البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية وأبحروا على سفينة صغيرة إلى كوبا وكان عددهم 83 ثائراً من بينهم كاسترو وغيفارا، وبعد قضاء اسبوع بعبور خليج كوبا كان الجنود والشرطة بانتظارهم، وكان من المفروض أن يقوم بعض أعوانهم بإثارة الشغب في العاصمة دعماً لعملية الإنزال، ولكن العاصفة التي أخرت وصول السفينة جعلت الشرطة الكوبية تفتك بالثوار، وهرب الناجون بعد مقتل عدد قليل منهم إلى جبال "السييرا مايسترا" ولم يكن معهم سوى 23 قطعة سلاح فقط. من هذه المنطقة الجبلية بدأ الثوار وبإمكانياتهم المتواضعة بشن هجماتهم الناجحة على الدوريات والمخافر والثكنات، وقد أطلق عليهم اسم ثوار الجبل في الوقت الذي أطلق فيه على أنصارهم في المدن والأرياف اسم مجموعات السهل، يقول جان بول سارتر، في كتابه (عاصفة على السكر) "إن رجال

الجبل هم الذي أوتوا الشجاعة وهم الذين بدأوا الثورة وثبتوها، أما شبان المدن فلم يكونوا متجذرين بالثورة مثل كاسترو ورفاقه. (سارتر/ ص94).

بعد العمليات الناجحة لثوار الجبل وجدوا من الضرورة حاجتهم إلى دعاية أكبر وتقوية النواة الثورية سياسياً وعسكرياً للانطلاق بعد ذلك، إلى تحرير كوبا، وأصدروا في 12/ يوليو/ تموز 1957 كتاباً (بيان السييرا) وقعه ثوار الجبل ومندوبون عن الحزب الأرثوذكسي، وكان كاسترو أحد أعضائه، ويعتبر هذا البيان وثيقة سياسية تنص على ضرورة إيجاد جبهة وطنية تضم جميع الأحزاب السياسية المعارضة وجميع المؤسسات الوطنية والقوى الثورية لخلق جبهة كاملة للصراع وقد كان.

وتم تقسيم الثوار إلى مجموعات بقيادة كل من فيديل كاسترو، وأخيه راؤول، وغيفارا والميرا، وبدأت عملياتهم الناجحة ضد نظام باتيستا وحرروا كثيراً من المدن والقرى وأصبح للثوار صحيفة اسمها "الكوبي الحر" وتعززت قاعدتهم بالجبال بمحطة إرسال إذاعية ناجحة، بدأت أول شباط/ فبراير 1958 بالبث إلى الشعب الكوبي.

وامتدت الثورة إلى جميع أنحاء كوبا، وسقطت معاقل النظام الديكتاتوري معقلاً تلو الآخر، وفي 31/ كانون الأول/ ديسمبر 1958 كان باتيستا قد انهار أمام انتصارات الثورة، خاصة وأن غيفارا قد أعلن من إذاعة الثوار يوم 31/ كانون أول/ ديسمبر سقوط مدينة (سانتا كلارا) في يد قواته. أمام هذا الوضع المتدهور وفقدان الأمل بالتغلب على الثوار فر باتيستا إلى الولايات المتحدة وللمرة الثانية حاملاً معه ثروة ضخمة، ولكن الثوار لم يعتبروا أن الحرب قد انتهت بفرار باتيستا، وأعلن كاسترو في أول كانون الثاني/ يناير 1959 بأن القتال مستمر حتى تستسلم الحاميات العسكرية كلها، وأن الثورة ترفض الانقلاب العسكري الذي سيطمس انتصار الشعب، وأن على العمال أن يستعدوا لإضراب شامل وبالفعل تم الاضراب وتولى "باركين" قيادة الجيش الثوري بعد خروجه من السجن، وصدر الأمر للجيش بالتحرك نحو العاصمة هافانا، وسقطت قلعة "كابانا" وسانتياغو دي كوبا، في يد الثوار، وانتخب الثوار في 6 كانون الثاني/ يناير 1959 القاضي "مانويل اوروتياليو" رئيساً للجمهورية نظراً لمواقفه المشرفة خلال فترة الحكم الديكتاتوري، وألقى فيديل كاسترو خطابه الشهير في معسكر "ليبرتاد" أمام جيش الثوار في الثامن من يناير/ كانون الثاني 1959، وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة كاسترو. (زهر الدين، 1987 : ص159).

وهكذا، عزيزي القارئ، تحقق النصر للثـورة الكوبية بعد أن قدمت عشرين ألف قتـيل حصيلة عامين مـن الصراع، وسار النظام الكوبي على الخط الاشـتراكي برغم أن ثورة كوبا أول ثورة اشتـراكية لم يقم بها الحزب الشـيوعي ثم تحولت فيمـا بعد، وكان كاسترو قـد أعلن النظام الاشتراكي في 26 نيسان/ ابريل 1961، وتم تأميم الصناعات والمؤسسات الوطنية والأجنبـية، وألغيت الملكيات الزراعية الكبـيرة وحرم على الأجانب امتـلاك الأراضي الكوبية، ونظم العـمل ضمن التـعاونيات الزراعـية وتم القـضاء على التمـييز العنصري، وقـد تم كل ذلك بدعم من المعسكر الاشتراكي وعلـى رأسه الاتحاد السـوفياتي.

وهكذا انتـصـرت الثورة في كـوبا بقـيـادة كاسـتـرو وتحدت أمـريكا والمعـسكر الاستعـماري بأجمعه، ولقـيت التأييد والدعم من جمـيع القوى الوطنية والتقـدمية في العالم، وما زال قـول فيديل كاسـترو الذي أحبه الشـعب لإخلاصه "قوياً ومـتحدياً"، حيث قال: "على فم الـولايات المتحدة الأمريكية أقـمنا الاشتراكيـة كتعبيـر عن المسافة القصيرة جداً بين أمريكا وكوبا". (زهر الدين: ص160).

والجدير بالذكر أن العلاقـات الأمريكية الكوبية لا يزال يشوبها التـوتر وعدم الثقة وخاصة منذ أن أسقطت كوبا طائرتين مروحيتين في شباط/ فبراير 1996، وكانتا تحملان منفيين كـوبيين وردت الولايات المتحدة على ذلك بحظر اقـتصادي على الشـركات التي تتعامل مع كوبا.

تدريب (10)

اذكر الأعمال والإصلاحات التي قامت بها الثورة الكوبية بعد نجاحها.

أسئلة التقويم الذاتي (10)

ما الدور الذي لعبته حركة 26 تموز في الثورة الكوبية؟

5. نماذج من نهضة شعوب آسيا

نعرض لك، عزيزي القارئ، في هذا القسم وهو الأخير من الفصل نموذجين من نهضة شعوب آسيا هما اليابان والصين.

1.5 اليابان

يدور تساؤل الآن عن أسباب تقدم وعظمة شعب اليابان ويتحدث الكثيرون عن مبدأ أو نظرية حديثة في العالم تطبق الآن اسمها اليابانزم Japanism.

فما هي اليابانزم هذه التي خالفت النظريات العالمية، وبإيجاز شديد يمكن القول إنها تعني في الواقع نظاماً عاماً أو نظرية متكاملة تمتد حدودها في أعماق التراث الحضاري الياباني وتكتسب سماتها من الأرض والطبيعة والبيئة اليابانية، ثم يمتزج كل ذلك ويتحول إلى مقومات تحدد أبعاد الشخصية اليابانية التي يراها العالم في صور مناهج خاصة للحياة وأنماط خاصة للسلوك، ولا نبالغ إن قلنا إن الشعب الياباني ينفرد فيها من بين سائر الشعوب.

ومن المعروف أن الشعب الياباني تعرض لأسوأ هزيمة عسكرية في التاريخ الحديث فلم يستسلم للبقاء على الخراب والدمار الذي خلفته الحرب، وهل هناك أبشع من خراب ودمار القنابل الذرية؟

إنه شعب لم يجعل من حاضره ساحة يحاكم فيها ماضيه، وإنما استطاع هذا الشعب بجهود أبنائه وحبهم لوطنهم أن يصنع في فترة زمنية محدودة بدأت عام 1945 أي بعد الحرب العالمية الثانية ما عجز الكثير من الأمم عن انجازه في مئات السنين. شعب يُقدس النظام ويميل إلى الانتماء والولاء: (حاتم، 1990 : ص18).

1.1.5 الاقتصاد الياباني

نتيجة الحرب العالمية الثانية فقدت اليابان أكثر من مليون قتيل، ودمرت الصناعة وخربت الأراضي الزراعية وأبيدت مدينتا هيروشيما وناجازاكي حتى أصبح الشعب الياباني شعباً خائفاً لا يملك المال والغذاء، ومع ذلك لم يستسلم وبدأ من نقطة الصفر معتمداً على حبه وتقديسه للعمل بلا كلل وعبر تجربته العملية استطاع احراز النجاح بالرغم من أن أرضه جزر عديدة ليس فيها أية مواد أولية مثل الفحم والحديد والنفط اللازمة لقيام أي صناعة.

إلا أن العقلية اليابانية الاقتصادية المتطورة لم تكتف بالازدهار الاقتصادي لليابان بل خططت للشركات اليابانية الكبرى للزحف على أسواق العالم وبخاصة أسواق المعسكرين الكبيرين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ولقد أدى توسيع نشاط هذه الشركات لزيادة قدرتها الإنتاجية، ومثال ذلك شركة (ميتسوبيشي) أكبر الشركات اليابانية والتي قدرت مبيعاتها خلال عام 1970 بقيمة 470 مليار دولار أي حوالي نصف الميزانية القومية لليابان وحققت أرباحاً صافية قيمتها 8 مليارات من الدولارات، وتزداد أهمية هذه الشركات التجارية سنة بعد سنة، وهي تتتبع الأحداث الاقتصادية في العالم، وتراقبها للتعرف على الاتجاهات السائدة في عالم التجارة والأعمال والمال. (عربيات، 1983 : ص42).

كما نوعت الشركات اليابانية أسواقها في دول العالم مع الصين والمعسكر الشرقي لتوسيع أسواقها التجارية خشية الاعتماد على سوق واحد كالولايات المتحدة الأمريكية.

هذا وقد توصلت اليابان في الفترة من 1950-1980 إلى احتلال المكانة الأولى في قطاعات الصناعة البحرية والتصوير والدراجات النارية والتلفزيون والأدوات الإلكترونية والأدوات الكهربائية والسيارات.

وبرغم أن اليابان والتي يسكنها اليوم أكثر من مائة وعشرين مليون إنسان، إلا أنها تبدو كقزم صغير بين جارتيها الصين، وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي، إلا أننا إذا قارنا الموضوع بالناتج القومي للشعوب تصبح اليابان من العمالقة، حيث أعطت الجغرافيا لليابان خصائص فريدة، فخمس مساحتها لا يصلح للاستغلال، وما تبقى من مساحة يضيق عن استيعاب البشر كما لا يستطيع تزويدهم بالإنتاج الزراعي الكافي لحاجتهم، لذا نرى أن الطبيعة قد أعطت اليابانيين القدرة على العمل الشاق حتى أصبح لدى اليابانيين ما يسمى بأخلاقيات العمل، وليس من المبالغة القول بأنها أكثر أخلاقيات العمل عمقاً، وأصالة في العالم كله، كما أن جزر اليابان والمعرضة إلى أكثر الأعاصير والتيارات الهوائية والهزات الأرضية عنفاً جعلت بعض المراقبين يصفون اليابانيين بأنهم ذوو عقلية "تيفونية"، حيث يعترف اليابانيون أن الزوابع الهوائية والتي تسمى بالتيفون، قد أنقذت بلادهم أكثر من مرة ويشيرون بذلك إلى محاولات المغول في القرن الثالث عشر عندما قاموا بتجريد حملتين ضد اليابان، وبعد أن اجتاح المغول الصين القومية

أوقفهم ذاك التيفون، والمعروف باسم "كاميكازا" أو الريح المقدسة كما يسميها اليابانيون. (الرميحي، 1993 : ص13).

ومن سمات اليابانيين المعروفة الذات الجماعية أي العمل كفريق، وأصبح ذلك من سمات شخصيتهم الوطنية، وكذلك التنظيم الاجتماعي، وهذه السمات ليس جديدة عليهم وإنما تضرب في تاريخهم القديم حيث انصهر المجتمع الياباني منذ القدم في بوتقة واحدة، وقد ازداد هذا الانصهار والتلاحم حديثاً بعد تعرضهم لمآسي القنبلة الذرية التي ألقيت على مدينتي نجازاكي وهيروشيما، حيث لم يجد اليابانيون شيئاً بعد الحرب العالمية الثانية، في معظم مدنهم لا منازل صالحة ولا مواصلات ولا مياه نظيفة، وعندما رجع الجنود والأسرى والمدنيون اليابانيون الذي شاركوا في الحرب ما وراء البحار إلى بلدهم وكان عددهم وقتذاك يقدر بسبعة ملايين رجل، زادت الأوضاع سوءاً بعد عودتهم.

وعندما نزلت القوات الأمريكية إلى الجزر اليابانية بعد استسلام اليابان في الحرب كانت بلاداً خربة يشعر شعبها بمرارة الهزيمة، وهول الكارثة، ولحسن حظ اليابانيين كانت أحد أهم أهداف الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة بعد الحرب هو نزع سلاح اليابانيين وترويض الشخصية اليابانية، ورب ضارة نافعة كما يقال، إذ وفرّت تلك السياسة لليابان الطاقة التي مكنتها من التوجه للإنتاج الاقتصادي والاعتماد على الولايات المتحدة لحفظ السلام في جنوب شرق آسيا.

2.1.5 المعجزة الاقتصادية اليابانية

لقد تضافرت مجموعة من الظروف التاريخية دفعت بالتجربة اليابانية إلى النجاح من بينها دون شك المساعدات الأمريكية في بداية السنوات الصعبة التي لجأ فيها اليابانيون إلى زراعة كل شبر في اليابان كي يحصلوا على لقمة العيش، ثم انفجرت حرب كوريا مما ساعد في الاعتماد على اليابان كمحطة تموين لتلك الحرب، وبهذا بدأ الانتعاش الاقتصادي في اليابان، كما أدت حرب فيتنام فيما بعد إلى الاعتماد لفترة طويلة على اليابان أيضاً. وأصبح نجاح اليابان الاقتصادي وكذلك كوريا الجنوبية هدفاً تحرص عليه الدول الرأسمالية كي ترى الشعوب القريبة كالصين وهي من نفس الثقافة تقريباً، وذات النموذج الشيوعي، الفرق في المستوى بين النظامين.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل هناك معجزة اقتصادية في اليابان حالياً؟ وقد يكون الحديث عن ذلك متأخراً اليوم، فاليابان تعاني من مشكلات اقتصادية لعلها جزء

من المشكلات الاقتصادية في الغرب، فاليابانيون يتحدثون اليوم عن اقتصاد الفقاعات بعد أن كانوا يتحدثون عن الانتعاش الاقتصادي في السبعينات والثمانينات من هذا القرن.

وبرغم ذلك يمكن القول إن اليابان قد أصبحت اليوم دولة عظمى اقتصادياً وينسج اقتصادها الضخم شبكة العلاقات الدولية ويشكل برهاناً لرفع درجة التوتر بين الشمال والجنوب، وسيكون لوزن الاقتصاد الياباني ولصموده القوي في المنظمات المالية والدولية الكبرى الأساس في توجيه القرارات الدولية، وبالنسبة للعقود القادمة سيتجاوز الناتج القومي الخام الياباني مثيله في الولايات المتحدة.

كانت المهمة صعبة أمام اليابانيين في عالم كان فيه الشعب الياباني لا يزال يعيش مرارة الحرب النووية، تلك الحرب التي دمرت ثاني أكبر مدينتين في اليابان، ومنذ ذلك الوقت تولدت لديهم قناعة مطلقة أن الحرب ليست الوسيلة الوحيدة لحل الخلافات الاقليمية، وكانت *جروح هيروشيما ونجازاكي المتأصلة في نفوس اليابانيين دافعاً ومثبتاً* لإيمانهم، وعوضت اليابانيين عن هزيمتها وألمها في مدة أربعين سنة، والارتفاع إلى مرتبة القوة الاقتصادية الثانية في العالم عندما مثل ناتجها الخام 14٪ من الناتج العالمي، وهو أكبر بضعفين من ناتج ألمانيا الموحدة، وبلغ دخل الفرد الياباني 23.700 دولار سنوياً فيما دخل الفرد الأمريكي 21.000 دولار ولا يفوقه سوى دخل الفرد السويسري 30.270 دولار وان أغنى رجلين في العالم هما يابانيان كما أن أغنى شركة في العالم يابانية أيضاً، وأصبحت اليابان الدائنة الأولى في العالم، وفي مقدمة البلدان التي تمنح المساعدات للبلدان النامية، وهي المصرفي المميز عن الولايات المتحدة والعالم الرأسمالي، وكما تعد نسبة التضخم في اليابان ضئيلة لدى قياسها بالولايات المتحدة. (الزعبي، 1993 : ص266).

وتشير الدراسات أن النمو الناتج القومي الخام يصل إلى 3.5٪ في العام مقابل 2 إلى 3.1٪ في الويات المتحدة وألمانيا، وارتفاع فائض ميزانية المدفوعات الجاري وصل عام 1991 إلى 7.8 مليار دولار مقابل 1.96 مليار دولار عام 1990، إضافة إلى أن تمويل العجز الضخم في الميزانية الأمريكية، والذي بلغ مقدار الثلث بفضل شراء اليابانيين للمنتوجات الأمريكية.

ويمكن القول إن اليابان قد حققت أهدافها الرئيسة لفترة ما بعد الحرب ووصلت مرتبة عالية بين دول العالم، وأصبحت علاقتها بالولايات المتحدة متوازنة من جديد. ومع ذلك تظل قوتها الاقتصادية حساسة أمام الضغوط المنتظمة التي تمارسها عليها القوى الغربية، إلا أنها لا تزال صعبة المنال من الطامعين فهي قادرة على تخطي معظم الجواجز والعقبات التي تعترضها، وكما حققت وضعاً أمنياً عالياً تستطيع بواسطته الادعاء بقدرتها على حماية ذلك الأرخبيل الضيق.

وتجدر الإشارة هنا، عزيزي القارئ، أن ماك آرثر القائد الأمريكي وحاكم اليابان بعد هزيمتها في الحرب الثانية، كان حماسه في أن يجعل من اليابان سويسرا آسيا، وبالفعل لقد انتعشت اليابان في ظل دستور ليبرالي جديد وأصبحت ثالث وحدة اقتصادية في العالم في الستينات، أهّلها ذلك لتتمتع في استقرار سياسي مضمون، وكان الاقتصاد الياباني حينذاك معجزة إلى درجة أن ثاني سلعة تستوردها اليابان من الخارج بعد اللحم كانت اللوحات الفنية، وذلك نتيجة للفائض التجاري الضخم. (الرميحي، 1993 : ص19).

واشتكى المسؤولون اليابانيون أن مخلفات المنازل اليابانية من الأدوات المنزلية والتلفزيونات والأدوات الكهربائية والثلاجات التي تتخلص منها الأسر اليابانية كانت تشكل مشكلة لجامعي هذه المخلفات.

ومهما يكن من أمر فإن القوة الاقتصادية اليابانية ما زالت قائمة، ولعل أحد مفاتيح نجاحها هو الإدارة والتي تتداخل عوامل نجاحها بين التعليم الممتاز والنسيج الاجتماعي التاريخي الذي يربط اليابانيين بتقديس العمل والولاء للمؤسسة وتفهم الإدارة لحاجات العاملين لديها، ويمكن القول إن الإدارة اليابانية والشركات اليابانية قد أصبحتا محط دراسات عديدة في الغرب، انتهت هذه الدراسات إلى التأكيد على فاعلية العلاقات الاجتماعية والتنظيم الجيد والدوافع العمالية لاتقان العمل، كما أكدت هذه الدراسات أن اليابانيين ليسوا حيوانات اقتصادية، كما أنهم ليسوا ملائكة، ولكنه مجتمع مر بتغييرات كثيرة وعميقة، وهم شعب متجانس ومختلف ورغم محافظتهم على خصوصيتهم فإن الأوضاع الجديدة تفرض تكيفاً جديداً فقد انتشر في الريف الياباني اليوم زواج اليابانيين من فتيات فلبينيات وذلك لأسباب اقتصادية، إذ ترفض اليابانية العيش في الريف.

وتتميز اليابان بعلاقاتها التجارية مع دول العالم الثالث، كما تشتهر بضائعها بجودتها وقوة منافستها ورواجها في معظم الدول حتى في الولايات المتحدة الأمريكية حتى إن مبيعات شركة تويوتا للسيارات تتفوق على مبيعات السيارات الأمريكية، وخير دليل على تطور الاقتصاد في اليابان هو أن معدل دخل الفرد في اليابان كان في عام 1945 عشرين دولاراً، وأصبح عام 1980 اثني عشر ألف دولار، وأصبح الآن ثلاثة وعشرين الف وسبعمائة دولار، كما أسلفنا وهكذا وصلت اليابان لمرتبة عالية من القوة الاقتصادية مما أتاح لها التأثير على اللعبة الدولية والمشاركة في رسم الاستراتيجيات المستقبلية، وتُعد اليابان نفسها اليوم لكي تصبح دولة عظمى.

تدريب (11)

يتمتع الفرد الياباني بأكثر اخلاقيات العمل عمقاً وأصالة في العالم. علل ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (11)

1- لقد تضافرت مجموعة من الظروف التاريخية دفعت بالتجربة اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية نحو النجاح. ناقش هذه العبارة.

2- للإدارة اليابانية دور هام في المعجزة الاقتصادية اليابانية. اشرح ذلك.

2.5 الصين

الصين، عزيزي القارئ، حضارة عريقة تضرب جذورها في أعماق التاريخ، وتقاليد راسخة تراكمت في أغوار الصينيين منذ أقدم العصور، وتاريخ يمتد من الماضي إلى المستقبل وكتلة بشرية هائلة لا يزال يكتنفها الغموض، وتضم أعجب شعب عرفته البشرية، كل هذه الخصائص تنفرد بها الصين دون غيرها من شعوب العالم، وهي دولة متعددة القوميات، يقطن مساحتها التي تبلغ 9.6 مليون كم2، 55 أقلية قومية أكبرها قومية (هان) والتي تمثل 93.3٪ من عدد السكان الاجمالي البالغ 1.2 مليار نسمة.

بدأت الصين تخطو خطواتها الأولى نحو الانفتاح على العالم الخارجي عام 1979، وبدأت أنظار العالم آنذاك تتجه إلى التنين الآسيوي الذي خرج من القمقم يحطم عزلة أربعة قرون ونصف القرن، يخوض تجربة الإصلاح الاقتصادي التي مكنته

خلال فترة وجيزة من تحويل اقتصاده الضعيف الخاضع لسيطرة الدولة إلى اقتصاد يحقق أعلى معدل نمو (12٪) في التاريخ، وتذكر الناس بمقولة نابليون الشهيرة: "الصين مارد هائج فدعوه نائماً لأنه إذا استيقظ هز العالم". (بن، 1996 : ص7).

ظل الصينيون يتمسكون بسيكيولوجية الحياة الصينية من الاهتمام بالاستقرار والهدوء ومقاومة التغيير بالفطرة، ويخشون الإصلاح ولا يطمئنون إلى التجديد، وعاشوا في عزلة تامة وبمنأى عن الأحداث التي تدور خارج بلادهم بعد أن غرس الأباطرة حب العزلة داخل نفوسهم.

عرفت الصين إرهاصات حركة التحديث لأول مرة في تاريخها في أعقاب حرب الأفيون عام 1840 التي حطمت عزلة الصين وفتحت أبوابها قسراً وكرهاً، وأيقظت الصينيين من أحلامهم حتى شعروا أن لا مندوحة لهم من معرفة العلوم الغربية والتزود بالحضارة الغربية من ناحية، والقيام بالتطوير والتحديث بتدمير النظام القديم وبعث القومية الصينية من ناحية أخرى، وذلك بهدف تحقيق المواءمة والتوفيق بين الأصالة والمعاصرة والبحث عن مخرج لإنقاذ الأمة الصينية من الاضمحلال ومحاولة البقاء في مواجهة الاستعمار الغربي.

كان التحديث الصيني في المقام الأول صراعاً ضد الغرب وضد عدوانه واحتلاله وإذلاله للأمة الصينية، وارتبط منذ الوهلة الأولى بقضية مصير الأمة وتماسكها في مواجهة الاستعمار الغربي وتأرجح وجودها بين البقاء والفناء.

وما كادت تطل أواخر عام 1978حتى شهد العالم مولد الصين الجديدة التي بدأت ترتدي ثوب التغير استعداداً للاندماج في التيار العالمي، وكان ذلك في الدورة الثالثة الموسعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، والتي وجهت ضربة قاصمة لجناح المحافظين داخل أروقة الحزب وانتصار تيار الإصلاح والانفتاح على التيارات الفكرية الأخرى، وبدأت الصين منذ ذلك الحين تخوض غمار تجربة الإصلاح الاقتصادي والانفتاح على العالم الخارجي، ووصف المتشددون الاشتراكيون نتائج الدورة الثالثة بأنه الاتجاه نحو الرأسمالية.

وتعد التجربة الصينية واحدة من التجارب الإنسانية العملاقة في القرن الحالي فقد تركت بصماتها على مسيرة العالم بعد أن أحدثت تحولات جذرية وعميقة في حياة

شعب يصل تعداده إلى (خمس سكان العالم) وبعد مرور 18 عاماً على الإصلاحات وانفتاح الصين على الغرب أصبح للصين تجربتها الفريدة التي قدمت بريقاً من الأمل لدول العالم الثالث، بوصفها نموذج تنمية استطاع أن ينمو باستقلالية وبغير انعزالية، وتسعى الصين شعباً وجيشاً للخروج من العالم الثالث، وتخطط بالفعل لأن تكون دولة ذات ثقل دولي، ولكن بخطوات سياسية منتظمة، حيث تبدأ من الداخل وتسير في طريق التنمية وتتبع نظاماً مستقلاً مفتوحاً في تنمية قوى الإنتاج في ضوء المعطيات الجديدة في العالم، وتنتهج ما تسميه (السوق الاشتراكي) وتحاول أن تستكمل بناء نفسها من الناحية التكنولوجية وتحقق التحديث الاشتراكي، أو ما أطلقت عليه العصرنات "التحديثات" الأربع Four Modernization، واحراز التقدم في الصناعة والزراعة والعلوم والتكنولوجيا والدفاع. وهكذا تحاول الصين أن تجمع بين الاشتراكية والرأسمالية من خلال إدماج مفهوم الصيني للاشتراكية مع المفهوم الغربي للرأسمالية.

1.2.5 التحول التاريخي والتجديد الذي مر به الصينيون في حركة التحديث

لقد دفع الصينيون قضية التحديث إلى الأمام، وغيروا ظروف حياتهم وبيئة معيشتهم تغييراً كبيراً بهدف السعي وراء قوة الأمة وتراثها من ناحية، وتحديث الثقافة الاجتماعية من ناحية أخرى.

ويعني تحديث الصينيين تحولهم من (تقليديين) إلى (معاصرين)، فإذا كان التقليديون هم ماضي الصين، فالمعاصرون هم مستقبله.

ان دراسة الصينيين هي في حد ذاتها دراسة أحوال الصين والمجتمع الصيني والثقافة الصناعية والتحديث الصيني.

في أثناء حرب الأفيون (1840- 1842) والفترة التاريخية التالية لها، اقتحم الامبرياليون بوابة الصين القديمة بالمدافع وهزوا بعنف التركيب النفسي لدى الصينيين المعتمدين على الثقافة التقليدية، وتسببوا لهم في إحداث جرح عميق لكرامة الأمة والثقة بالذات والصورة النموذجية القائمة على المفهوم التقليدي للثقافة، غرق الصينيون على أثرها في حالة من الشعور بالقلق والهم لم يعرفوها من قبل، وفقدوا التوازن النفسي والاجتماعي بصورة خطيرة.

وتعتبر حرب الأفيون السلسلة الأولى من الهزائم التي جعلت الكثير من الحكماء الصينيين من ذوي النظر البعيد يدركون أن ذلك ليس هزيمة في المجال العسكري

والسياسي فحسب، بل انها هزيمة كبرى للثقافة الصينية التقليدية أيضاً، ومنذ ذلك الحين بدأ الاحتكاك والتصادم بين المغزى الحقيقي لنظامين ثقافيين كبيرين هما: الثقافة الصينية، والثقافة الغربية.

هزت حرب الأفيون حياة الصينيين ومناهجهم وأحوالهم النفسية، وظهرت الثقافة الغربية في مجال رؤية الصينيين مع قدوم الأساطيل الحربية للقوات الكبرى ومدافعهم، إذ لم يتعود الصينيون على هذا الاحتكاك الثقافي كما لم يتعودوا على قبول الهزيمة الثقافية.

فقامت ثورة 1911 والتي تعتبر أهم حدث عرفته الصين في أوائل القرن العشرين حيث استطاعت الإطاحة بحكم النظام الإقطاعي الذي يجثم على صدر الشعب الصيني لمدة ألفي سنة، وفي الوقت ذاته قام زعيمها دكتور صن يات صن (1866- 1925) بتأسيس الجمهورية في الصين.

تلتها حركة 4 أيار/مايو 1919 وهي حركة فكرية ثقافية قدمت أفكاراً جديدة حول التعريف بالأمة الصينية والتي تعتبر نقطة التحول في بداية هذا القرن، ومنذ ذلك الحين حتى الآن شهدت ملامح الثقافة الاجتماعية الصينية تغيرات هائلة، وربما كان اتساع انتشار تغيرات الثقافة الاجتماعية في القرن العشرين وعمقها وشموليتها واستمرارها لا يمكن مضاهاته بأي قرن آخر منذ فجر التاريخ، لذا يمكننا القول إن القرن العشرين هو "العصر الكبير" للصينيين، حيث شهدت الصين فيه أعظم التغيرات، فشملت تغير البشر وطبيعتهم الفكرية وتغير الشخصية القومية بل وشخصية الأمة.

حدثت كل التغيرات الثقافية والاجتماعية في الصين خلال القرن العشرين بمقتضى التحديث، واجتاز الصينيون في هذه العملية الطويلة الحروب والثورات، وانقاذ الأمة من الاضمحلال والهدم والبناء، وتحديد اختيار السلطة السياسية، وتغييرات النظام الاجتماعي، وتعديل أسلوب الإنتاج، وأسلوب الحياة، كل ذلك يعتبر بمنزلة قبول الصينيين للتحديث والاستجابة له. وتجدر الإشارة أن العملية استغرقت مدة طويلة جداً، وشهدت صعوبات ومتاعب لا توصف.

ولكن لأسباب عديدة ومختلفة لم تدخل الصين فعلاً مسيرة التحديث بكل ما تحمله الكلمة من معنى إلا عندما بدأت الإصلاح والانفتاح، منذ أن بدأت الدورة الثالثة

الموسعة للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني عام 1978، والتي تعتبر أهم دورة عقدها الحزب الشيوعي الصيني منذ التحرير عام 1949، وتتجلى أهميتها في تغيير الأيديولوجية المرشدة للحزب، وتوجيه ضربة للمتشددين وتطبيق سياسة الإصلاح الاقتصادي والانفتاح على العالم الخارجي.

لقد دخلت السياسة والاقتصاد وغيرها من الجوانب الأخرى في الصين مسار التحديث، والأهم من ذلك أن هدف التحديث قد ظفر بالتأييد والإجماع من جانب الشعب الصيني كله، وقد أدرك الصينيون تدريجياً أن ما يسمى بـ "التحديث" ليس تحديث العلوم والتكنولوجيا وزيادة سرعة تحقيق الأهداف الاقتصادية، وتطور مستوى القوى الإنتاجية فحسب، بل إنه مضمون ثري يشمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية.

تدريب (12)

اعتبر الحكماء الصينيون حرب الأفيون هزيمة كبرى للثقافة الصينية التقليدية. ناقش ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (12)

لماذ سمي القرن العشرين بالعصر الكبير للصين؟

2.2.5 التحديث في القرن العشرين

شهد تاريخ الصين في القرن العشرين سلسلة من الأحداث الكبرى التي كان لها تأثير عميق بعيد المدى وبخاصة الأحداث الكبرى التي وقعت في العشرين سنة الأولى من القرن العشرين والتي تتسم بتحول تاريخي هام، فقد أطاحت ثورة 1911 بأسرة المانشو التي حكمت الصين لأكثر من مائتين وستين سنة، ووضعت نهاية للنظام الديكتاتوري الإقطاعي، الذي استمر لأكثر من ألفي سنة، وأعلنت نهاية النظام السياسي التقليدي، وعندما اندلعت حركة 4أيار/ مايو الثقافة الجديدة عام 1919 اصطدمت بعنف وحطمت النظام الفكري الثقافي التقليدي الذي يمثله كونفوشيوس والمذهب الكونفوشيوسي، لذلك يعتبر التحول من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين هو التحول التاريخي للصين من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، وكان هذا التحول

والتغير التاريخي شاقاً وعسيراً ومهماً، ونتيجة لذلك اجتازت الصين في القرن العشرين التغيرات الاجتماعية الكبرى الأكثر عنفاً واتساعاً وسرعة، والتي استمرت لأطول فترة لم تعرفها الصين من قبل. وما زال الصينيون يعيشون داخل عملية هذه التغيرات الكبرى ويشعرون بها حتى الوقت الحاضر، بل تستطيع القول إن التغير أهم خصائص الصين في القرن العشرين، حيث قام هذا القرن بإعادة رسم الصورة النموذجية للمزايا النفسية والشخصية لدى الصينيين بدرجة كبيرة. حقاً إن القرن العشرين هو قرن تقدم الصين صوب التحديث حيث دخلت جميع تغيرات الحياة فيه، واشتملت على تبديل النظام السياسي وتغيير الهيكل الاقتصادي، وتجديد الوعي، وإعادة تنظيم الأسس الثقافية.

وفي المرحلة الثقافية الجديدة كحركة 4 أيار/ مايو 1919 أظهر الصينيون تفهماً لقبول العلوم والتكنولوجيا الحديثة واستيرادها وتعتبر العلوم والديمقراطية رايتين لحركة 4/ مايو الثقافية الجديدة، بعدها أحرزت قضية العلوم والتكنولوجيا الحديثة في الصين تطوراً وتقدماً كبيراً، ودخلت في نطاق الهيكل الشامل لتطوير العلوم والتكنولوجيا العالمية وتحديث كل المنجزات العلمية والتكنولوجية المهمة في العالم، وبخاصة في الأربعين عاماً وأكثر التالية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية.

وأنشأت الصين في الأربعين عاماً وأكثر هذه إنساناً علمياً كاملاً، وقامت بتطبيق نظم الأبحاث العلمية، وجذبت أكبر عدد من الأفراد للاشتراك في الأنشطة العلمية والتكنولوجية، وقامت بتطوير عدد من الصناعات ذات المستوى الجيد.

وفي عام 1988 بلغ عدد الصينيين العاملين في مجال العلوم الطبيعية في الوحدات المملوكة للشعب بالصين 9,600,000 بزيادة 21,7 مرة عن عام 1952، وقد بلغت الصين واقتربت من المستوى المتقدم العالمي في مجال تكنولوجيا الطاقة الزراعية وعلوم الأحياء، وتكنولوجيا الصواريخ، والطاقة العالية في الكهرباء وتكنولوجيا الأقمار الصناعية للاتصالات وغيرها من المجالات الأخرى.

وباختصار يمكن القول إن القرن العشرين هو عصر تقدم الصينيين نحو العلوم الحديثة واستيعابها.

إن التحول إلى التحديث في الصين يعد بالنسبة لتكوين المجتمع الصيني بمنزلة الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الصناعي الحديث، ويلعب التصنيع دور القوة

الدافعة في عملية التحول والانتقال، والجدير بالذكر أن الصين لم تؤسس قبل عام 1949 نظاماً مستقلاً وقوياً للصناعة الوطنية، بل يمكن القول إنها عجزت عن ذلك. وبعد عام 49 وتخلص الصينيون من اضطهاد الإمبريالية وحصولهم على الاستقلال السياسي والاقتصادي، وبدأوا في التقدم نحو طريق التصنيع بصورة شاملة، وبعد أكثر من أربعين عاماً من الجهود المضنية، أنشأوا نظام الصناعة الحديثة ذات الهيكل الشامل، والنظام الاقتصادي الوطني. وفي الفترة من 1950- 1988 بلغت القيمة الإجمالية لرأس المال الثابت في الوحدات المملوكة للشعب في الصين 2,153,8 مليار يوان صيني، وكانت الزيادة الجديدة في الأصول الثابتة 1,561,9 مليار يوان صيني، وازدادت القيمة الأصلية لأصول الصناعة الثابتة أكثر من خمسين مرة بمقارنتها بعام 49، وبلغ عدد المشروعات الصناعية الكبرى التي تم تأسيسها باستثمار الدولة أكثر من ثلاثة آلاف مشروع، وإذا ألقينا نظرة على التغيرات الهائلة التي شهدها المجتمع الصيني في القرن العشرين، فليس من الصعب أن ندرك تأثير التصنيع العميق في المجتمع الصيني. ولكن لكون الصين جاءت (متأخرة) في مسيرة التحديث العالمية، لذلك لم تحقق التحول في مسيرة التحديث بصورة كاملة حتى الآن.

وأيا كانت الأحوال فإن تيار التصنيع والتكنولوجيا والعلوم الحديثة هي التي دفعت الصين في القرن العشرين إلى الأمام، كما عززت التحول التاريخي من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث الذي لا يمكن مقاومته.

وما كان ليتم هذا التحول لولا حرب التحرير الصينية 1945- 1949 والتي تعتبر الحدث الأكبر والأكثر أهمية في تطور الصين، إذ يطلق عليها حرب التحرير الكبرى، والتي تكللت بإقامة جمهورية الصين الشعبية في أول أكتوبر/ تشرين الأول/ 1949. وأكدت على الوحدة الوطنية والتضامن الاجتماعي لشعب الصين، وأسست نظاماً جديداً للسلطة السياسية في البلاد، وانتهجت نظام المؤتمرات الشعبية التمثيلية، وأقامت سلسلة من أشكال النظم الجديدة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها من المجالات.

وإذا عقدنا مقارنة بين النظام السياسي الاجتماعي التقليدي قبل ثورة 1911 والنظام السياسي الاجتماعي الحديث بالإضافة إلى مقارنة النظام السياسي قبل عام 1949 وبعده نرى موضوع التغير الهائل والواسع النطاق الذي طرأ على النظام في الصين

بجميع مناحيه حيث تحطم النظام السياسي للمجتمع التقليدي بالكامل، وتحقق التقدم بخطوات واسعة نحو التحديث السياسي وتعديله.

وفي تحول تحديث المجتمع الصيني تعد مَدْينةْ الريف جانباً مهماً في التغيرات الاجتماعية الكبرى، وتعتبر مَدْينةْ الريف ظاهرة مصاحبة لعملية التحديث، وفي الفترة من عام 1949- 1988 تطور عدد المدن من 168 إلى 434 مدينة منها 28 مدينة كبرى يقطن كل منها أكثر من مليون نسمة، ويمثل عدد سكان المدن في الصين 18.4٪ من العدد الاجمالي للسكان. (بن ، 1996 : ص222).

ونخلص إلى القول إن التحديث يعتبر الموضوع الرئيس للصين في القرن العشرين، وقبول الصينيين للقرن العشرين يعني قبولهم للتحديث وروحه وقيمه ومفاهيمه ومضامينه.

3.2.5 التحولات السياسية في الصين

يُعد، عزيزي القارئ، دخول الماركسية إلى الصين حدثاً كبيراً في تاريخ الثقافة الصينية في القرن العشرين وفي عملية تحولات التحديث الصيني، وقدوم الماركسية إلى الصين غير ملامح المجتمع الصيني وهو نتاج عملية الصدام بين الثقافة الصينية والغربية، وتبادلهما في العصر الحديث، وقد تم نقل الماركسية وإدخالها إلى الصين باعتبارها من العلوم الغربية، مع أنها في البداية لم تحظ بالاهتمام الكافي، وعندما وصلت أحداث ثورة اكتوبر الروسية إلى الصين أبدى الصينيون اهتمامهم القوي بها، وكما قال ماوتسي تونغ: "اكتشف الصينيون الماركسية بعد أن قام الروس بتعريفها، وبمجرد أن اندلعت ثورة اكتوبر أرسلت لنا الماركسية واللينينية، وساعدت العناصر التقدمية في الصين وفي العالم كله." (بن، 1996 : ص261).

وفي ظل تأثير ثورة أكتوبر قام لي داجاو، وتشن دوشيو وغيرهما من المثقفين التقدميين بتعريف الماركسية وإدخالها ونشرها في نطاق واسع وبحماسة عالية. وفي مرحلة 4 أيار/مايو 1919 بلغ انتشار الماركسية بالصين الذورة، وبعد تأسيس الحزب الشيوعي الصيني في أول تموز/ يوليو 1921 في مدينة شنغهاي اعتبرها الصينيون أساس نظرية التوجيه في ممارسة التحديث، ولعبت دوراً كبيراً في الحياة الصينية، بحيث لا توجد نظرية غربية أو مذهب فكري استطاعا أن يحققا في الصين الانتشار السريع

والقبول الكبير والتأييد على نطاق واسع ويلعبا دوراً هاماً في مسيرة التحديث الصينية (الثورة والبناء) مثلما فعلت الماركسية.

وبعبارة أخرى يمكننا القول ان الماركسية قدمت المشروع الفكري لتصميم النهوض الثقافي لدى الصينين، ونستطيع القول أن إعادة بناء الشقافة الصينية في القرن العشرين وخاصة في النصف الثاني منه (بعد عام 49) يعد بمنزلة الشيء المحسوس والملموس لذلك المشروع الفكري وحقيقته إلى حد كبير، ويصادف انتشار الماركسية ودخولها الصين مع المرحلة الحرجة للثورة الديمقراطية الصينية، وكان تفكير الصينين في قبولها وفهمها بوصفها الفكر المرشد للثورة الديمقراطية والسلاح الفكري لمناهضة الامبريالية ومعارضة الإقطاعية، وفي عبارة أخرى ان انتشار الماركسية تحقق في صراع المجتمع الصيني الداخلي ضد الإقطاعية والكفاح الخارجي ضد الإمبريالية. وأصبح انتشار الماركسية في الصين جزءاً من الثقافة الصينية، ويمكن القول إن ذلك الاندماج بين الماركسية والثقافة الصينية كان ناجحاً إلى حد كبير ولذلك استطاع ان يظفر بالانتشار والقبول على نطاق واسع في المجتمع الصيني.

4.2.5 القفزة الكبرى إلى الأمام

إن انتشار الماركسية في الصين "وتصيينها" منحا الشعب الصيني السلاح الفكري القوي الذي جعله يحرز الانتصار العظيم للثورة الديمقراطية الجديدة.

إن انتصار ثورة 1949 يُعد التحول التاريخي ذا المغزى العظيم في صين القرن العشرين، ويكمن مغزى ذلك التحول في إنجاز تغيير النظام والهيكل السياسي داخل عملية التحديث التي بدأت منذ أوائل القرن الحالي ووضع حد للاضطراب الاجتماعي الذي بدأ منذ حرب الأفيون، واستمر أكثر من قرن في دولة مثل الصين تنتمي إلى (الدول المتأخرة) في التحديث الذي يحتاج إلى سلطة الدولة القوية الموحدة والمستقلة وتعزيز الوحدة السياسية والاجتماعية الداخلية، وتكريس الظروف الملائمة في كل أنحاء البلاد لتأييد مسيرته، وقد هيأ انتصار الثورة الصينية كل تلك الأحوال، وتصدى أعضاء الحزب الشيوعي الصيني الذين في الحكم لهذه المهمة التاريخية الجديدة.

وقد أشار (ماو) عشية انتصار الثورة الصينية إلى: "أن إحراز الانتصار في كل أنحاء البلاد ليس إلا الخطوة الأولى في مسيرة عشرة آلاف لي (لي يساوي كم) . . .

إلى أن يقول: إن الثورة الصينية عظيمة ولكن مسيرتهـا فيما بعد أكثر طولاً والعمل أكثر عظمة وأكثر مشقة". (بن 1996 : ص27).

ان ما ذكره (ماو) عن العمل الأكثر عظمة ومشقة: هو، استعادة البناء الاقتصادي الشامل وتحقيق التصنيع وتحديث الاقتصاد، ودفع المجتمع الصيني نحو التحديث الكامل، بعد الانتهاء من تغيير النظام السياسي. واعتقد ماو أن بإمكان الصين الانتقال بسرعة وخلال عشر سنوات من مرحلة الرأسمالية إلى الشيوعية وسمى ذلك «بالقفزة الكبرى». (كنيدي، 1993: ص218).

كان الاقتصاد الصيني لم يزل متخلفاً آنذاك حيث كانت قيمة انتاج الصناعة الحديثة في الصين قبل عام 1949 لا تمثل أكثر من 10٪ من القيمة الإجمالية لإنتاج الاقتصاد القومي، وبعبارة أخرى إن مسيرة التصنيع في الصين لم تبدأ بصورة حقيقية قبل عام 49، وبعد تأسيس الصين واجتياز مرحلة السنوات الثلاث من تجديد الاقتصاد، اقترح الحزب الشيوعي الصيني (الخطة العامة للمرحلة الانتقالية) حتى كانت البداية الحقيقية للتصنيع الصيني، حيث كانت الخطة الخمسية الأولى (53-58) تتمحور على 156 مشروعاً من المشروعات الأساسية، وغيرت الهيكل الاقتصادي والإنتاجي في الصين وشيدت أساس التصنيع بنجاح.

وبدأ التصنيع الصيني في الخطة الخمسية الأولى، وكانت البداية تتخذ شكل القفزات والوثبات السريعة، وكانت الإنجازات التي حققها التصنيع هائلة وبارزة، حيث اعتقد الناس أن لحاق الصين بالدول الصناعية المتقدمة ليس أمراً صعباً.

وتجدر الإشارة، عزيزي القارئ، إلى أن الخط الذي انتهجه الحزب الشيوعي في المرحلة الانتقالية الذي نُشر عام 53 أعلن أن المهمة الرئيسة للحزب والشعب في كل أنحاء البلاد بعد انتصار الثورة هي تغيير الوضع الاقتصادي المتخلف وتغيير الصين من بلد زراعي متخلف فقير إلى دولة صناعية اشتراكية غنية.

إن القفزة الكبرى إلى الأمام منحت الصينين حلم الحياة من جديد وأصبح بإمكان الصينيين الاعتماد على إرادتهم الذاتية لتحقيق المجتمع المثالي الشيوعي، وأن الصين تستطيع التصنيع والتحديث بسرعة وتلحق بركب الدول الصناعية المتقدمة والمتطورة بل وتتفوق عليها. الأمر الذي دفع بعض المراقبين المتفائلين إلى توقع مضاعفة الصين لدخلها القومي أربع مرات في مطلع القرن القادم. (كنيدي : ص228).

5.2.5 الصينيون والثورة الثقافية الكبرى

بعد مرور عدة سنوات من التعديل الاقتصادي وحتى أواخر عام 1963 بدأ التصنيع الاقتصادي يتحول تماماً، ويسير الاقتصاد القومي في مجرى جديد، وفي ظل تلك الظروف اقترح الحزب الشيوعي الصيني عام 1964 تحقيق هدف "العصرنات (التحديثات) الأربع" ويعني إحداث التقدم في الصناعة، والزراعة والعلوم والتكنولوجيا والدفاع. وتقدم زعيم الصين "وينغ شياو بينغ" بالاقتراح نفسه عام 1973 ثم عاد شوان لاي وسلط الأضواء مرة أخرى على العصرنات الأربع عام 1975، وحدد المرحلتين اللتين تحققان هذا الهدف الذي بدأ من الخطة الخمسية الثالثة.

وشهدت المرحلة الأولى إقامة النظام الصناعي ونظام الاقتصاد القومي المستقل والمتكامل نسبياً، وفي المرحلة الثانية يتحقق تحديث الزراعة والصناعة والدفاع والعلوم والتكنولوجيا بصورة كاملة، وجعل الاقتصاد الصيني يتقدم نحو الصف الأمامي العالمي، ويرمز هذا الهدف وهاتان المرحلتان إلى وعي الصينيين بالتحديث وان قبولهم له بلغ مستوى جديداً ونقطة الانطلاق التاريخية الجديدة.

ولكن تورط الصينيين في الثورة الثقافية الكبرى والتي أطلق عليها "الفوضى العارمة" و"الكارثة الكبرى" والتي استمرت عشر سنوات وكان لها نتائج وخيمة حيث جعلت مسيرة التحدي الصيني تتعرض لنكسة ماحقة، كما جعلت الصينيين يفتقرون إلى فرصة اللحاق بمستوى التقدم العالمي والأكثر خطورة أنها أصابت الصينيين بجرح نفسي كبير لا تزال آثاره ماثلة في نفوسهم حتى اليوم، والثورة الثقافية في جوهرها حركة معادية للتحديث، حيث أفشلت مسيرة "العصرنات التحديثات الأربع" سلفاً وحطمت بناء الاقتصاد القومي تحطيماً شاملاً ودفعت به إلى حافة الانهيار واستخدمت ما يطلق عليه "الصراع الطبقي" ليحل محل "البناء الاقتصادي" وانتقدت ما يسمى بنظرية "القوة الانتاجية"، وأطلقت على كل الجهود المضنية التي بذلها الناس لتحقيق تطور الإنتاج لقب الرأسمالية، وعكرت صفو الإنتاج الاجتماعي والحياة الاقتصادية، وأنكرت الدور الهام لتطور العلوم والتكنولوجيا في بناء التحديث الصيني، كما أثارت البلبلة في صفوف العلماء والباحثين وتعرضت كرامة المثقفين وسمعتهم للضرر بصورة لم يسبق لها مثيل، كما قامت الثورة الثقافية بتحطيم الأساس التعليمي الحديث في الصين تحطيماً كاملاً، وأحدثت الوضع الفوضوي الذي استمر عشر سنوات وتسبب في تأخير الصينيين

جيلاً كاملاً واعتبرت كل الأفراد (وبخاصة المثقفون) الذي تربطهم صلة بالدول الأجنبية (خونة) وألحقت بهم الأضرار، ووطئت بالأقدام الحقوق الديمقراطية الرئيسة للمواطنين وقامت بترويج عبادة الأشخاص، والعودة إلى الكثير من الطقوس الدينية للخرافات والخزعبلات التي تم التخلص منها منذ فترة، وبالتالي جعلت نظام الحياة الاجتماعية والنظام السياسي يعيشان في حالة من الفوضى العارمة، واعتبرت الثقافة الغربية كلها فاسدة، فيما اعتبرت الاتحاد السوفيتي يمثل الردة إلى الرأسمالية ولا يوجد سوى الصين التي تعتبر العالم الجديد، وقاعدة الثورة الحمراء في العالم ويتحمل الصينيون المهمة التاريخية لتحرير البشرية جمعاء، لذا كان من السهل أن ينال اندلاع الثورة الثقافية وانتشارها الموافقة والتأييد من جانب الصينيين.

إن تحطيم الثورة الثقافية والتي استمرت عشر سنوات لقضية التحديث الصيني، كان خطيراً جداً ولكن أيا كانت الخطورة الكبيرة للكوارث والنكبات الناجمة عن الثورة الثقافية، فإنها لم تخمد الرغبة القوية في قلوب الصينيين الذين كرسوا أنفسهم لتحديث بلادهم وبعد انهاء الفوضى العارمة لها، خرج الصينييون من نكباتها بسرعة وتحولوا إلى قوى التحديث بصورة مطردة، وجعلهم يدخلون مرحلة تركيز القوة الحقيقية في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي وغيرها من المجالات الأخرى لممارسة التحديث بصورة كاملة، وقد بدأ ذلك التحول منذ الدورة الثالثة للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني التي عقدت في عام 1978 حتى قيل "لو لم تندلع الثورة الثقافية لما وجد التقدم التاريخي الهائل منذ عام 1978" (بن: ص288)، وتكمن أهمية تلك الدورة في أنها قررت في الوقت المناسب تحويل عمل الحزب الشيوعي الصيني إلى قوة فاعلة واهتمام الشعب الصيني كله إلى بناء وتحديث الاشتراكية، مما جعل الصينيين يظفرون بالتحرر الأيديولوجي وإذكاء حماسهم بصورة لم يعرفها التاريخ من قبل.

تدريب (13)

اذكر أهمية الدورة الثالثة للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني عام 1978.

أسئلة التقويم الذاتي (13)

1- ما المراحل التي حددها شوان لاي لتحقيق أهداف العصرنات (التحديثات) الأربع؟
2- كيف ساهمت الثورة الثقافية في تحطيم التحديث الصيني؟
3- لماذا تقبل الصينيون الثورة الثقافية؟

6. الخلاصة

بينا لك -عزيزي القارئ- في هذا الفصل حركات التحرر من الاستعمار لدول العالم الثالث، ويمكننا أن نخلص إلى الحقائق التالية:

1- الظلم أو عدم المساواة الذي مارسته الدول الاستعمارية على شعوب العالم الثالث واستنزاف ثروات تلك الشعوب هو سبب الثورات وحركات التحرر الوطني.

2- الصراع بين الفقراء والأغنياء والتناقض بين الديمقراطية والديكتاتورية كانت أحدى أسباب حركات التحرر الوطني.

3- إنشاء بُنى سياسية تكون انعكاساً للبنى الاجتماعية القائمة بحيث تصبح الطبقات الفقيرة الأغلبية (مقهورة) سياسياً والطبقات الغنية الأقلية (متحكمة)، ومع ازدياد الفوارق تتولد الطبقات المتعارضة وكل هذا يؤدي إلى نشوب الثورات.

4- ان هناك فوارق بين شعوب الدول المتقدمة والدول المتخلفة ويصاحب هذا الاحساس بالفوارق أن شعوب الدول المتخلفة ترى وهي على حق أن رخاء غيرها قد أخذ منها بوسائل النهب الاستعمارية، وأن مطلب العدل الاجتماعي هو المحرك للأحداث وحركات التحرر الوطني، إذ لا يستطيع الفقر والغنى أن يعيشا بسلام جنباً إلى جنب ولا يستطيع التقدم والتخلف أن يعيشا الوفاق جنباً إلى جنب، ولا يمكن للرخاء والحرمان أن يعيشا متجاورين.

5- إن طبيعة البناء الاجتماعي لبلدان العالم الثالث من حيث وجود طبقات وشرائح اجتماعية ثورية عديدة متداخلة مع بعضها البعض يجعل موضوع الشكل الكلاسيكي للحزب الذي عرفته المجتمعات الرأسمالية والأوروبية بحاجة إلى إعادة نظر شاملة في العالم الثالث. وهذا ما جعل حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث تتخذ إطاراً لتجميع القوى الثورية على أساس تحالف كل القوى المنتجة العاملة، وليس على أساس الحزب بما في ذلك الحركات الثورية الماركسية في كل من كوبا، فيتنام، السلفادور، والتي عبر عنها الزعيم عبدالناصر بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة.

6- إن القوى المؤثرة والمحركة لثورات التحرر الوطني في دول العالم الثالث هي من

الطبقات الكادحة والمتوسطة كالفلاحين والعمال والطلاب والضباط وصغار الموظفين وأصحاب الحرف الصغيرة وتوفير القيادة الناجحة لهم.

7- إن تشابه سمات وخصائص دول العالم الثالث أفرز تشابهاً في المشاكل والمعضلات التي تواجهها من تخلف اقتصادي واجتماعي وسياسي وما يعكسه من تخلف ثقافي وفكري.

8- إن اثر وثقل التغلغل الامبريالي والارتباط بسوقه واحتكاراته قد ترك بصماته وتأثيراته على دول العالم الثالث والتي بقيت بارزة حتى بعد استقلال هذه الدول وفكاكها من التبعية الامبريالية، وخير مثال على ذلك اليابان، والتي لا تزال تحت المظلة الأمريكية سياسياً برغم تفوقها الاقتصادي عالمياً.

9- تشكل دول العالم الثالث حوالي ثلثي شعوب العالم ومن الطبيعي أن تكون لسياساتها الداخلية والخارجية أثرها الكبير والمتنامي على السياسات الدولية وعلى التطور العالمي بشكل عام.

7. لمحة مسبقة عن الفصل الثامن

عزيزي القارئ، سيكون موضوع الفصل التالي هو "النظام العالمي الجديد" وهذا الفصل كما يوضح عنوانه يعرض إلى بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنتها واضطلاعها بالشؤون الدولية ولكن بعض الباحثين نظر إلى النظام الجديد من منظور مختلف، انطلاقاً من اعتبارات وحسابات خاصة واعتبروه نظاماً غير محايد وينحاز إلى طائفة من الدول على حساب دول أخرى، أما البعض الآخر فلا يتردد في وصف النظام الدولي الجديد بأنه يقوم أساساً على مبدأ المعيار المزدوج.

ومهما يكن من أمر فالأرجح في أوساط الباحثين المهتمين بتحليل العلاقات الدولية بأن المرحلة الجديدة لتطور النظام الدولي منذ أوائل عقد التسعينات ارتبط بحدثين كبيرين سنعرضهما لك أيضاً خلال الوحدة هما انهيار الاتحاد السوفيتي وأزمة الخليج الثانية، ويرى هؤلاء الباحثون أن العديد من الأحداث الدولية التي وقعت منذ أوائل العقد الحالي لم تكن لتحدث لو أن الاتحاد السوفيتي ظل قائماً ولم يعتره التفكك والانهيار.

ونأمل عزيزي القارئ أن تستخلص أنت أي الآراء أقرب إلى قناعتك من الآراء التي تم عرضها.

8. إجابات التدريبات

تدريب (1)

إن للعمال دوراً مهماً في حـركات التحرر الوطني لا يقل أهمية عن دور الطلاب والفلاحين والذين يشكلـون مع العمال القاعـدة العريضة والصلبـة لحركات التـحرر في العالم وأهميـة دور العمال لا يقره عدد أفراد الطبـقة في المجتمع بقدر مـا يقره نشاطهم وفاعليتهم ومشاركتهم في تحريك الجماهير وقيادتها بالتعاون مع الفئات الأخرى وبخاصة الطلاب والفـلاحون والجـنود والمثقـفـون، ولقد سـجلت الطبـقة العـاملة العـديد من الانتصارات في صـراعها مع الإقطاعية (العـمال الزراعيين) والبرجوازية الوطنيـة (عمال المصانع) في العـالم، حيث تم تخصيص الأول من شـهر مايو/ أيار من كل عـام عيداً عالمياً لهم.

تدريب (2)

أسباب انتصار الشعوب العربية في نضالها من أجل التحرر الوطني:

1- ظهور منظمات وطـنية مناضلة صاغت أيديولوجية قـومية وطنية ونجـحت في قيادة الجماهير ضد الاستعمار.

2- تنامي الشعور القومي والوطني والطبقي لدى الجماهير الكادحة.

3- تعلمت الشعوب العربيـة أن تميز بين أعدائها وأصدقائها من شـعوب العالم الأخرى ودوله من خلال التجربة والتعامل.

4- تقوية أواصر التضـامن والتعاون المتبادل بين الشعوب الـعربية والذي تجلى في دخول النفط معركة 1 أكتوبر/ تشرين 1973م.

5- التضحيـات التي قدمتها الشعـوب العربية في مختلف أقطارها وشاركـت بها جميع طبقـات المجتمع من بدو وفلاحين وعـمال وسكان مدن في أثناء حروبهم التـحررية ضد الاستعمار.

تدريب (3)

نادى سنغور بإنشاء امبراطورية أفريقية من الشعوب الأفـريقية الخاضعة للاستعمار الفرنسي ضـمن اتحاد فدرالي وقيام برلمان فـي هذه الامبراطورية والتي ستـضم الشعوب المستعمرة، حيث ستتم معاملتها على قدم المساواة في كل من الاتحاد والبرلمان.

تدريب (4)

عوامل وأسباب ظهور الأحزاب السياسية في بلدان العالم الثالث:

1- زيادة الوعي السياسي لدى الجماهير.

2- النضال ضد الوجود الاستعماري.

3- موقف السلطات الاستعمارية المجحف من قضايا الحريات العامة.

4- القمع الاستعماري لشعوب العالم الثالث.

5- قيام السلطات الاستعمارية بنفسها بإنشـاء أحزاب سياسية لإجهاض الحركات الوطنية والسيطرة عليها.

تدريب (5)

اندماج العناصر الاجـتماعية والاقتصـادية والدينية والجغرافية في الدولـة القومية الواحدة.

تدريب (6)

هناك أسباب موضوعية للثورة الجزائرية تعود لعاملين اثنين هما:

أ- الاستغـلال الاقتصادي الـذي مارسته فـرنسا بحق الجزائريين، إذ كانت حـالتهم في منتـهى السوء عـشيـة اندلاع الثـورة، علماً أن الجـزائر بلد غني بثـرواته الزراعيـة وموارده، ولكن ملكية الأرض الزراعية الخصبة تعود للفرنسيين والذين كانوا يمتلكون حوالي ثلثها، هذا بالإضافة إلى احتكار الفرنسيين للصناعة والتجارة في البلاد.

ب- الاضطهاد السياسي.

تدريب (7)

الدروس والعبر التي تم استـخلاصها من الثورة الفيتنامـية والتي شملت المجالات السياسية والتنظيمية والعسكرية والاجتماعية هي:

ففي المجال السياسي، والذي كان مسيطراً في البداية على حساب النضال المسلح تم تساوي أهمية الدوران، وفي النهاية سيطر النضال السياسي، بمعنى تجلت قدرة اليتنامين على تغيير أشكال النضال تبعاً لتغيير الأحداث.

في المجال العسكري: أهمية النضال المسلح، وبخاصة حرب العصابات التي اشتهرت فيها الثورة الفيتنامية.

في المجال التنظيمي تعبئة الشعب الفيتنامي وتنظيمه.

في المجال السياسي، اضطرار الرئيس الأمريكي جونسون إلى دعوة الفيتناميين إلى مائدة المفاوضات في باريس قدمت فيه جبهة تحرير فيتنام مشروعاً للعمل السياسي يتضمن عشر نقاط تدعو فيها إلى احترام الحقوق الوطنية لشعب فيتنام.

وكانت النتيجة أن خرجت الولايات المتحدة مهزومة في حربها مع الفيتناميين، وبذلك كما قال السناتور الأمريكي فولبرايت، "عجزت أكبر قوة ضاربة في التاريخ (الولايات المتحدة) على التغلب على ثورة تحريرية لشعب صغير."

تدريب (8)

حقق غاندي استقلال الهند من خلال الأمور الآتية:

1- استخدام غاندي لسلاح عدم التعاون السلمي.

2- مقاطعة الهنود للأصواف والبضائع الإنجليزية وعدم شرائها.

3- العصيان المدني.

4- رفض دفع الضرائب.

5- إضرابات المدارس.

6- إقامة سلطة ثورية في القرى.

7- النجاح في رص صفوف الجماهير الهندوسية في وحدة قوية ضد البريطانيين.

تدريب (9)

تشكلت جبهة السانديستا سنة 1962 من العديد من المنظمات الثورية، ولكن قواعدها ظلت محدودة طوال فترة الستينات وبداية السبعينات، وبرغم أنها حصلت على مساندة كاسترو طوال هذه الفترة ولكن شعبيتها ازدادت في النصف الثاني من عقد

السبعينات نتيجة للحوار الذي بدأ بينها وبين التيارات المعارضة، إلى أن تمكنت من إسقاط سوموزا بعد قيامها بالعمليات العسكرية التالية:

1- قيامها بالهجوم على مقر الحزب المسيحي في العاصمة ماناجوا في آذار/ مارس 1972م، واحتجزت مجموعة من الرهائن تمت مبادلتهم ببعض المسجونين السياسيين.

2- مهاجمتها لقوات الحرس الوطني في عدة مدن (اكتوبر/ تشرين أول 1977) الأمر الذي زاد من حماس المعارضة.

3- احتلال البرلمان في آب/ أغسطس 1978 واحتجاز 1500 رهينة الأمر الذي فجر الانتفاضة الجماهيرية وقيام الجماهير بالإضراب العام مع استمرار الهجمات على قوات الحرس الوطني.

4- هجومها الكبير على المدن الكبرى وسيطرتها على بعضها واحتلالها نصف العاصمة (ماناجوا) وإعلانها تشكيل حكومة مؤقتة بالتنسيق مع الجبهة الوطنية.

5- المساندة الكوبية السوفيتية للجبهة والثورة في مراحلها الأخيرة.

تدريب (10)

من الأعمال والإصلاحات التي قامت بها الثورة الكوبية بعد نجاحها ما يأتي:

1- تأميم الصناعات والمؤسسات الوطنية والأجنبية.

2- إلغاء الملكيات الزراعية الكبيرة.

3- منع الأجانب من امتلاك الأراض الكوبية.

4- تنظيم العمل ضمن التعاونيات الزراعية.

5- القضاء على التمييز العنصري.

تدريب (11)

لاتباعه نظاماً معيناً في الحياة والسير على نظرية متكاملة تمتد جذورها في أعماق التراث الحضاري الياباني، كل هذا فرض على الياباني مناهج معينة في حياته يعمل بموجبها وأنماطاً سلوكية خاصة ربما ينفرد بها الفرد الياباني عن سائر الأفراد، وتحديات مستمرة فضلاً عن أن الياباني يحترم عمله ويقدسه لدرجة العبادة، كما يتمتع الياباني بعقلية ديناميكية جعلته يتغلب على ضيق مساحة بلاده بالاستثمار الأمثل لقدراته الذاتية

والإبداع في صناعة الالكترونيات والأجهزة الكهربائية والسيارات، والجدير بالذكر أن الياباني لا يقوم بكل هذا بمفرده وإنما بروح الفريق الواحد الذي سيطر على الأزمات وجابه التحديات وأخضعها لإرادته، هذه الروح الجماعية هي التي وضعت الأساسي لنظام متكامل في الاقتصاد والسياسية والإدارة، والتي جعلت اليابان في مصاف الدول المتقدمة.

تدريب (12)

لقد هزت حرب الأفيون بعنف التركيب النفسي لدى الصينيين وتسببت في إحداث جرح عميق بكرامة الأمة الصينية، وخدشت الصورة النموذجية القائمة على المفهوم التقليدي للثقافة، وجعلت الكثيرين من الحكماء الصينيين يدركون أن هذه الحرب لا تعتبر هزيمة عسكرية وسياسية فحسب بل وهزيمة كبرى للثقافة الصينية التقليدية أمام الثقافة الغربية، ومن ذلك الحين بدأ الاحتكاك والصراع بين الثقافتين الصينية والغربية وهذا أمر لم يتعوده الصينيون بل ولم يكن يخطر لهم على بال، ونتيجة لذلك قامت ثورة 1911 تلتها حركة مايو 1919 وهي حركة فكرية ثقافية والتي تعتبر نقطة تحول في بداية القرن العشرين قدمت أفكاراً جديدة حول التعريف بالأمة الصينية وتراثها وثقافتها من منظور جديد، ومنذ ذلك الحين حتى الآن شهدت الثقافة الصينية تغيرات هائلة انعكست على الصينيين وطبيعتهم الفكرية وشخصيتهم القومية انتهت بإعادة رسم صورة جديدة نموذجية كبرى لجميع الصينيين على أنقاض الصورة القديمة.

تدريب (13)

ترجع أهمية الدورة الثالثة للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني عام 1978 إلى ما يأتي:

1- قررت في الوقت المناسب تحويل عمل الحزب الشيوعي الصيني إلى قوة فاعلة.

2- حولت اهتمام الشعب الصيني إلى بناء وتحديث الاشتراكية.

3- انكب حماس الصينيين للعمل بصورة لم يعرفوها من قبل.

4- حررت الصينيين أيديولوجياً.

5- ادخلت الصينيين وبقوة في تيار التحديث العالمي.

9. مسرد المصطلحات

- **الامبريالية** Imperialism ظاهرة اقتصادية سياسية عسكرية تتجسد في إقدام الدول القوية في العصر الحديث -أي الرأسمالية الصناعية- على التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأراضٍ أجنبية بدون رضى تلك الشعوب وبهدف استغلالها وإخضاعها ونهب ثرواتها.
- **الاوليغارشية** Oligarchy: حكم الأقلية أو الحكومة والدولة التي تقوم على السلطة الفعلية فيها على أيدي قلة من المجتمع، وهي عادة امتداد للحكم الأرستقراطي حين يفسد ويدخل مرحلة الانهيار، ويستخدم هذا التعبير في العصر الحديث لوصف الحكومات التي تعتمد على نفوذ أجنبي أو التي ليس لها رصيد جماهيري بحيث تعتمد على دوائر التأثير في السلطة مثل رجال المال أو الصناعة والتي تعتمد على القوة المسلحة.
- **البرجوازية الوطنية** National Bourgeoisie هي الشريحة الوسطى من الطبقة البرجوازية وتلعب دوراً تقدمياً في العالم الثالث وتقف وراء سياسة الاستقلال الاقتصادي ورفض التبعية الأجنبية.
- **البرغماتية** Pragmatism مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل هو المعيار الوحيد للحقيقة، فالسياسي البرغماتي يدعي دائماً أنه يتصرف ويعمل من خلال النظر إلى النتائج العملية المثمرة التي قد يؤدي إليها قراره.
- **البروليتاريا** Proletariat تاريخياً كان البروليتاري مواطناً من الطبقة السادسة والأخيرة في المجتمع الروماني، وفي أوائل القرن التاسع عشر ابتدأ استعمال هذه الكلمة في الأدبيات السياسية للدلالة على الطبقات الدنيا والبائسة والمعدمة من المجتمع، فتعتبرهم الماركسية مُستغلين من الرأسمالية وتدفعهم للوصول إلى السلطة تمهيداً لقيام مجتمع لا طبقي.
- **البيروقراطية** Bureaucracy مشتقة من الكلمة الفرنسية والإنجليزية Bureean أي مكتب وأصلها اللاتيني Burus أي اللون المعتم الذي يناسب المهابة والجاه، أما كلمة Cratio التي اشتقت منها بقية كلمة Bureancraty أي بيروقراطية فهي يونانية الأصل بمعنى حكم وبهذا تعني الكلمة حكم المكاتب.

- الدومينون Dominon اصطلاح يطلق على كل الأعضاء في الكومنولث باستثناء المملكة المتحدة الإنجليزية، والتي لم تتبع النظام الجمهوري في تسيير شؤونها ولم يعد هذا الاصطلاح متداولاً في السنوات الأخيرة.
- الديماغوجية Demagogy كلمة يونانية الأصل مشتقة من (ديموس) أي الشعب (ديموجية) أي العمل، تدل على مجموعة الأساليب والخطابات والمناورات والحيل السياسية التي يلجأ إليها السياسيون لإغراء الشعب أو الجماهير بوعود كاذبة أو خداعه ولو ظاهرياً من أجل مصلحة الشعب وعملياً من أجل الوصول إلى الحكم.
- الكرزمية Charisma: القيادة الذاتية التي تستمد سلطتها وقوتها من مواهب وإنجازات وقدرات شخصية تميز القائد من أقرانه وتؤهله لقيادتهم وبسط نفوذه وإرادته على مجتمعه بتأثيره الشخصي في عقولهم وسلوكهم. (الكيالي وآخرون، 1987 : ص ص 229-553).
- الكومنولث The Commonwealth رابطة دولية حرة بين بريطانيا ومستعمراتها السابقة التي استقلت عنها وظلت محافظة على ولائها للتاج البريطاني فالعاهل البريطاني هو رئيس الكومنولث وقد تأسست هذه الرابطة عام 1944م.
- الكونفوشية Confucius: نسبة إلى كونفوشيوس (551-479 ق.م)، ويعتبر أحد أهم مفكري الصين وأبرز حكمائها، ساد تأثيره الأيديولوجي خلال الفين وخمسمائة سنة وحتى سقوط الأمبراطورية الصينية 1911م وما زالت الدول الواقعة تحت التأثير الصيني في الشرق مشبعة بتعاليمه.
- الليبرالية Lebralism مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميادين الاقتصادي والسياسي، مبني على التعددية الأيديولوجية والتنظيمية الحزبية والثقافية.
- اللينينية Leninism مصطلح يشار فيه إلى فكر لينين ولم يستخدم في حياته إلا من قبل خصومه نحو عام 1903 وذلك بهدف الانتقاص من قيمة هذا الفكر وتحقيره، وقد عرَّف ستالين اللينينية بأنها "ماركسية عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية".
- الماركسية Marxism نظرية الاشتراكية العلمية منسوبة إلى كارل ماركس المنظم الرئيس للحركة العمالية الأوروبية في زمانه، وأن المحور الذي تدور عليه الماركسية هو الصراع الطبقي المحرك الرئيس لتاريخ هذا الصراع.

- **ميثاق الأطلنطي** Atlantic Pact تصريح مشترك صدر في الرابع عشر من آب/ اغسطس 1941 عن فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة حينذاك ونستون تشرتشل رئيس وزراء بريطانيا بعد اجتماع في نيوفوندلاند ينص الميثاق على ثمانية بنود. وقد انضمت إلى هذا الميثاق فيما بعد 25 دولة أخرى.

10. المراجع

أ- المراجع العربية:

1- بايك، دوغلاس، الفيتيكونج، الأساليب التنظيمية والصالحة لجبهة تحرير فيتنام، ترجمة خليل سالم، دار الطليعة للطباعة والنشر ط1، بيروت، 1968.

2- بونيه، غاربيل، الحرب الثورية في فيتنام، ترجمة أكرم ديري والمقدم هيثم الايوبي، دار الطليعة والنشر، بيروت ط1، 1970.

3- جاليه، بيير، العالم الثالث والعالم الإمبريالي، ترجمة ذوقان قرقوط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

4- حاتم، محمد عبدالقادر، الإدارة في اليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.

5- حرب، أسامة الغزالي، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1987.

6- حرب، محمد، جبهة التحرر الوطني، الاستقلال، والواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، 1983، بيروت.

7- ديليوسين، جوكوف، ستيبانوف اسكندروف، العالم الثالث، قضايا وآفاق، دار التقدم، موسكو، 1971.

8- رسل، برتراند، جرائم الحرب في فيتنام، ترجمة محمود فلاحة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1968 .

9- الرميحي، محمد، اليابان والشرق، مجلة العربي، العدد 411، فبراير 1993، الكويت.

10- الزعبي، موسى، نظام دولي جديد ام هيمنة أمريكية، دمشق ط1، 1993.

11- زهر الدين، صالح، من تجارب الشعوب، الدار التقدمية، لبنان، ط1، 1987.

12- سارتر، جان بول، عاصفة على السكر، ترجمة عايدة مطرجي ادريس، منشورات دار الامراء، بيروت، ط1، 1996.

13- عبدالملك، أنور، تغيير العالم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1985.

14- عربيات، غالب، تخلف العرب والعالم الثالث: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 ، 1983

15- العزي، سويم، الديكتاتورية الاستبدادية والديمقراطية والعالم الثالث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1987.

16- غريمال، هنري، حركـات التحرر الوطني في آسيا وأفريقـيا منذ عام 1919 وحتى الوقت الحـاضر، ترجـمة د. صـالح كـعدان، منشـورات وزارة الثقـافة والارشـاد القومي، دمشق، 1994.

17- فـريحات، حكمت عـبـدالكريم، الثورة الجـزائرية، الأصـول، المسار، النتـائج، محاضرة ألقيت في منتدى شومان، تموز، يوليو 1989.

18- فياض، علي، التـجربة العسكرية الفيـتنامية، مؤسـسة عيبال لـلدراسات والنشر، نيقوسيا، قبرص، ط1، 1990.

19- كنيدي، بول، الاسـتعداد للقـرن الحادي والعشـرين، ترجمة محـمد عبـدالقادر، وغازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1993 .

20- كوتولوف، ل، ن، تكون حركة التحرر الوطني في المشـرق العربي، ترجمة سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981.

21- الكيالي، عبـدالوهاب، وآخرون، الموسو عة السيـاسية، المؤسسة العـربية للدراسة والنشر، جـ1، جـ5، جـ6، ط1، بيروت 1987.

22- مجاهد، مسعود، الجزائر عبر الأجيال، الجزائر، دون تاريخ.

23- مصطفى، نادية محمود، الثورة في نيكاراغـوا، الأبعاد الأقليمية والدولية، مكتب النهضة المصرية ط1، القاهرة، 1988.

24- هادي، رياض عزيز، العالم الثالث من الحزب الـواحد إلى التعددية، سلسلة آفاق (11) دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1995.

25- وو بن، الصينيون المعاصرون جـ1، جـ2، ترجمة د. عبـدالعزيز حمدي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Ethridge, James M. Changing China, New World Press, First edition, Beiging, China, 1988.

2- Grande;William M. Leo The Revolution in Nicaragua, Another Cuba, Foreign Affairs Vol. 58 No. I, 1971- 1980.

جـ- المجلات والدوريات

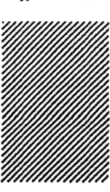
- مجلة السياسة الدولية - العدد 127 ، 1996.





الفصل الثامن

النظــام العالمــي الجــديد



1. المقدمة

1.1 التمهيد

مرحبا بك، عزيزي القارئ، إلى الفصل الثامن من كتاب "تاريخ العالم الحديث والمعاصر" والذي يعالج موضوعاً هاماً هو النظام العالمي الجديد، وكيف تشكل هذا النظام على أثر انتهاء الحرب الباردة والوفاق الدولي الذي تلا ذلك، واتجاه المجتمع الدولي نحو التفاهم ودون حروب، وقبول مبادئ التعايش السلمي من الدول كبيرها وصغيرها، وخلق المناخ الملائم للدول بعامة ودول العالم الثالث بخاصة لبناء حياتها والقضاء على تخلفها.

فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعلى أثر اتفاقية يالطا حصل الاتحاد السوفيتي على نفوذ كامل في شرق أوروبا وحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على نفوذ كامل في غربها وأقيمت للدفاع عن اتفاقيات الأحلاف، حلف الاطلنطي/ الغرب، وحلف وارسو رداً عليه للدفاع عن الشرق، وبموجب هذين الحلفين، عاد حلفاء الأمس وأطراف عملية الانقسام والتقسيم في اتفاقية يالطا واتفاقية بوتشدام، والذي عقد بعد يالطا بسنة إلى خصامهما الأصيل بين رأسمالية وشيوعية، وكانت المواجهة الحازمة لكل منهما إزاء الآخر حلفه العسكري، يحيط به أنصاره واتباعه استعداداً للصدام، إذ وصل التناقض بين الخصمين إلى ما لا تستطيع الدبلوماسية أن تفصل فيه.

وبظهور وانتشار الأسلحة النووية أدرك (المعسكران) المتنافسان أن الصراع المسلح بينهما لم يعد نصراً أو هزيمة وإنما أصبح دماراً شاملاً متبادلاً والكل فيه مهزوم.

وهكذا بدأ عصر الحرب الباردة وبمقتضاه ظلت المنافسة والخصومة قائمة ولكن التحكم بها أصبح ضرورياً، لأن الحرب المسلحة أصبحت مستحيلة.

أي أن المنافسة تمثلت في الجانب العقائدي في الدرجة الأولى وأصبحت منافسة اقتصادية واجتماعية وسياسية على كل طرف أن يثبت فيها لشعبه وللآخرين وبخاصة دول العالم الثالث أنه الأصلح بل والنموذج الواجب الاقتداء به والتحالف معه مع بقاء الاستعداد العسكري حتى لا يحصل طرف على ميزة أو يحقق اكتشافاً حازماً يمكنه من فرض شروطه على الطرف الآخر، وهكذا كان سباق التسلح.

هذا علماً أن الحرب الباردة في ظل سباق التسلح أرهقت أعصاب العالم في أوقات اشتداد الأزمات، ومرت على العالم ساعات احتبست فيها أنفاسه (خوفاً ورعباً) كما أوصلت الحرب الباردة بعض بؤر التوتر الدولي إلى حروب محلية أو أقليمية محدودة حيث قبل فيها الطرفان أن يتقاتلا بالوساطة وأن يجربا كفاءة سلاحهما في قتال دون أن يتورطا فيه مباشرة. وقد استمرت هذه الحالة بين المعسكرين حتى عام 1990 وبداية انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وما تلا ذلك من أزمة الخليج الثانية والتي كان من إرهاصاتها بروز الولايات المتحدة على المسرح الدولي كلاعب رئيس، وانكماش دور المعسكر الاشتراكي بل وتفككه نتيجة لانهيار الاتحاد السوفياتي، وظهور ما سمي بالنظام العالمي الجديد.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي القارئ، بعد قراءتك لهذا الفصل أن تكون قادراً على أن:

1. تعرِّف المفاهيم والمصطلحات والتعميمات وتبين القيم والاتجاهات والمهارات الواردة في هذا الفصل.
2. تبين أهمية سياسة الوفاق والتعايش السلمي في تحقيق الانفراج الدولي وتجنب الحرب.
3. توضح الأسباب التي أدت إلى شيوع الديمقراطية والأخذ بالتعددية السياسية في أوروبا الشرقية.
4. تستخلص الأسباب التي أدت إلى تداعي ظاهرة الحزب الواحد.
5. تبين الآثار التي ترتبت على أزمات العالم الثالث السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
6. تُحلل عوامل انتهاء الحرب الباردة وهيمنة الولايات المتحدة على الشؤون الدولية.
7. تستنتج آثار انهيار الاتحاد السوفيتي على الشؤون الدولية.
8. تبين أثر أزمة الخليج على النظام العالمي الجديد.

3.1 أقسام الفصل

يقسم هذا الفصل إلى ستة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف السابقة، حيث يتحقق الهدف الأول من خلال الفصل ككل، في حين يرتبط القسم الأول "سياسة

الوفاق الدولي والتعايش السلمي" . بالهدف الثاني. أما القسم الثاني "انتشار الديمقراطية والتعددية السياسية وتداعي ظهور الحزب الواحد في أوروبا الشرقية" فيرتبط بالهدفين الثالث والرابع، ويرتبط القسم الثالث "الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم الثالث" بالهدف الخامس.

أما القسم الرابع " انتهاء الحرب الباردة وهيمنة الولايات المتحدة على الشؤون الدولية" فيرتبط بالهدف السادس. في حين يرتبط القسم الخامس "انهيار الاتحاد السوفيتي وانحلال الأحزاب الشيوعية" بالهدف السابع.

ويرتبط القسم السادس "أزمة الخليج وأبعادها" وهو الأخير في هذه الوحدة بالهدف الثامن.

4.1 القراءات المساعدة

حاول، عزيزي القارئ، الانتفاع بالقراءات التالية نظراً لارتباطها المباشر بموضوع هذا الفصل:

1. إبراهيم، سعد الدين، التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، 1989م.
2. بركات، حليم، حرب الخليج خطوط في الرمل والزمن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م.
3. صايغ، يوسف، التنمية العربية من قصور الماضي إلى هاجس المستقبل، سلسلة دراسات عربية، منتدى الفكر العربي، عمان، 1994م.
4. محي الدين، خالد، انفراج لا وفاق، كراسات الثقافة الجديدة، القاهرة، 1978م.
5. هيكل، محمد حسنين، الزلزال السوفيتي، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1990م.
6. يفيموف، ديمتري، الحرب العالمية الثانية ومصائر شعوب آسيا وأفريقيا، القاهرة، 1985م.
7. Carpenter, Ted Galan, The New world Disorder Foreign Policy, No. 8, 1991.

2. سياسة الوفاق الدولي والتعايش السلمي

لقد انقسم العالم، عزيزي القارئ، بعد الحرب العالمية الثانية انقساماً حاداً إلى معسكرين، ففي 4 ابريل/ نيسان/ 1949 تكون حلف الاطلنطي من الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وكان واضحاً أنه حلف موجه ضد الاتحاد السوفيتي. وفي مواجهة هذا الحلف عقد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية معاهدة وارسو في 5 يونيو/ حزيران/ 1955، وبذلك انقسم العالم إلى معسكرين، وقامت الحرب الباردة التي تعكس في جوهرها الصراع المستمر بينهما، ذلك الصراع الذي استخدمت فيه الأسلحة والوسائل من الحروب الصغيرة المحدودة إلى تهديد باستخدام القوة إلى الاحتلال الفعلي والحصول على قواعد عسكرية.

وكان وجود الأسلحة الذرية وتطورها في يد القوتين العظميين يعني أن المواجهة المباشرة بين المعسكرين تعني الدمار الشامل، ولهذا لجأت القوى الإمبريالية إلى الحروب الأهلية لتجنب المواجهة الشاملة كما حصل في فيتنام والشرق الأوسط، وعندما ظهرت سياسة دالاس المعروفة بسياسة حافة الحرب كانت الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الإمبريالية تستفيد من هذه السياسة، ومن سياسة الحرب الباردة لإحكام قبضتها على الدول الصغيرة تحت ستار إبعادها عن خطر الشيوعية، وكانت تدعو هذه الدول للدخول معاً في أحلاف عسكرية ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي. وكان حلف بغداد أحد الأمثلة على تلك الأحلاف، والذي وقف عبدالناصر ضده، لأنه أدرك أن هذا الحلف الموجه ضد الاتحاد السوفيتي، موجه بالدرجة الأولى ضد استقلال الشعوب العربية، فأوجد عبدالناصر مع زعماء دول آخرين كتلة عدم الانحياز التي وقفت ضد الأحلاف العسكرية وضد الحروب.

1.2 الحرب الباردة

لم تكن الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى شرعت الإمبريالية في الإعداد لحرب جديدة ضد الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وضد حركات التحرر الوطني، أطلق عليها اسم (الحرب الباردة)، ولقد دعا تشرشل في خطابه المشهور عام 1946م إلى فرض ستار حديدي حول الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وإلى إقامة تكتلات عسكرية بهدف أن ينضم إليها العديد من بلدان آسيا وأفريقيا خدمة لهذه السياسة،

وكانت نقطة البدء في هذه السياسة هي إعلان مبدأ ترومان الذي أجاز للولايات المتحدة الامريكية التدخل في شؤون تركيا واليونان بدعوى حمايتهما من تهديد الاتحاد السوفيتي، ثم أعلن عن مشروع مارشال لدعم دول غرب أوروبا الرأسمالية واستخدامها كجزء من المخطط الأمريكي ضد البلدان الاشتراكية، ثم أعلن عن قيام حلف الأطلنطي عام 1949م، وأنشئ بعد ذلك حلف السنتو في جنوب شرق آسيا وحلف بغداد في الشرق الأوسط وغيرها من الأحلاف التي استهدفت ضرب حركات التحرير وإخضاع بلدان آسيا وأفريقيا. وبهذا تحركت الحرب الباردة التي أعلنها تشرشل عام 1946م إلى استراتيجية متكاملة ضد الاشتراكية وحركات التحرر الوطني، الأمر الذي اضطرت معه البلدان الاشتراكية إلى إقامة حلف وارسو عام 1955م.

ثم ارتفعت سياسة الحرب الباردة إلى مستوى خطير بعد قيام التكتلات العسكرية الأمبريالية في نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات ودعا دالاس وزير خارجية أمريكا ومعه نيكسون نائب رئيس الولايات المتحدة حينئذ إلى سياسة دفع الاشتراكية إلى الوراء أي العدوان المباشر على البلدان الاشتراكية والوصول بالعلاقات الدولية إلى حافة الهاوية، كما هاجما بعنف سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز والتي نادى بها بعض زعماء بلدان أفريقيا وآسيا، باعتبارها سياسة "غير أخلاقية" وفي الوقت نفسه استمر التدخل العسكري والحروب العدوانية في الجزائر والهند والصين وجواتيمالا وسان دومنجو ولبنان والأردن. كما حدث العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه.

ووجد المخطط الإمبريالي صعوبة متزايدة في تحقيق هذه الأهداف والتي سعى إليها من وراء شن حرب استعمارية محدودة، وكانت حرب فيتنام وما أسفرت عنه أكبر شاهد على ذلك. وبذلك تحددت السمات الأساسية لوضع عالمي جديد لا ترتبط فيه تعاظم القوة العسكرية بالضرورة بتعاظم القوة السياسية، وعلى حد تعبير كيسنجر -وهو صاحب فكرة الحرب المحدودة- أصبحت ترجمة القوة العسكرية إلى قوة سياسية أمراً يزداد صعوبة، غير أن ذلك لم يتم بسهولة إنما تم أيضاً بفضل سياسة أخرى اتبعتها البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرر والقوى الوطنية والديمقراطية والمحبة للسلام في العالم.

والجدير بالذكر أن الحرب الباردة في ظل سباق التسلح أضاعت على البشر موارد طائلة تكاد تصل في حسابها المالي إلى ثلاثين تريليون دولار، أكثر من ثلثها صرفته الولايات المتحدة، وهو ما يوازي ناتجها القومي لخمس سنوات كاملة.

كما كانت الترسانات النووية للحلفين الكبيرين حلف الاطلنطي وحلف وارسو تضم مخزوناً يصل إلى قرابة ربع مليون رأس نووي، لها قوة تدميرية تكفي لتمزيق الكوكب الأرضي ست مرات وتحويله إلى شظايا عالقة بفضاء الكون ومعها رفات كل الأحياء الذين عاشوا عليه.

كان كل هذا تحسباً واستعداداً لدعم المباراة الساخنة وراء الحرب الباردة، وظل الأمر كذلك إلى أن جاء صيف عام 1989، وانتهت الحرب الباردة على حد تعبير غورباتشوف نفسه بعد ختام قمته مع الرئيس الأمريكي جورج بوش، وتحول مخزون الدمار الشامل إلى مخزون مخلفات وفضلات لا بد من التفكير بطريقة للتخلص منها، ولو كانت قيمتها قد زادت على مليارات الدولارات.

كما أن انتهاء الحرب الباردة قد كان له تأثير واضح في حل الصراعات الإقليمية وإقامة أنظمة ديمقراطية تعددية قامت الأمم المتحدة بدور الراعي فيها. كما حصل في ناميبيا مارس/آذار/ 1990، وأنغولا مارس/آذار/ 1991، وكمبوديا عام 1993، وموزمبيق عام 1994، وإنهاء حكم الأقلية البيضاء العنصري في جنوب أفريقيا عام/ 1994 . (هادي، 1995 : ص 78).

تدريب (1)

تحدث عن مبدأ ترومان، اذكر أهدافه؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- هل كانت الحرب الباردة موجهة ضد الاشتراكية وحركات التحرر الوطني؟ ناقش ذلك.

2.2 التعايش السلمي

كان الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية ومجموعة دول عدم الانحياز تقدم بديلاً في المجال السياسي هو التعايش السلمي ومبادئ مؤتمر باندونج ونزع السلاح الشامل، هذا إلى جانب بروز قوة الدول الاشتراكية الاقتصادية والعسكرية.

هذه الظروف كلها دفعت العملاقين للاتجاه إلى التعاون الدولي بدلاً من الحرب. هذا التعاون الذي لا ينهي الصراع برمته ويحسمه ولكنه يُخفف منه ويذهب به بعيداً عن العنف.

وتجدر الإشارة إلى أن سياسة الدولة السوفيتية منذ نشأتها كانت تعمل على تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وعلى خلق المناخ الدولي الملائم لذلك، وكان لينين مؤسس الدولة السوفيتية هو أول من رفع شعار التعايش السلمي وقال: "إننا نريد التجارة مع البلاد الرأسمالية ومع أمريكا بالذات" (محي الدين، 1978، ص 8) وهذا أمر طبيعي إذ بعد نجاح الثورة البلشفية وانتصار الدولة الجديدة كانت هذه الدولة في حاجة إلى البناء، والبناء يحتاج إلى السلام. وخلال الحرب العالمية الثانية كان الشعب السوفيتي من أكثر الشعوب معاناة في الحرب إذ لم توجد أسرة سوفيتية لم تفقد لها ابناً أو قريباً في تلك الحرب، فمدينة لينينغراد على سبيل المثال قتل من سكانها مليون من أصل ثلاثة ملايين نسمة، ولهذا تعتبر فرصة السلام قضية عزيزة على قلب كل سوفيتي ويحرص عليها حرصه على حياته.

كما وجدت دول عدم الانحياز أن السلام والانفراج الدولي وتخفيف التوتر بين الدولتين الكبيرتين أفضل وأنه في صالح كل الشعوب ولهذا كانت هذه الدول، وكان لمصر وزعيمها عبدالناصر دورهما القيادي في هذا الكفاح من أجل السلام والانفراج الدولي، وبذلك قضى تخفيف حدة التوتر على فكرة المعسكرات والحذر من التعامل مع الدول المختلفة، إذ تنوعت علاقات دول العالم الثالث مع كلا المعسكرين.

ويمكن القول إن التغيير الذي حدث في العلاقات الدولية يدحض القول بأن التغييرات الجديدة وتخفيف حدة التوتر في العلاقات بين الدولتين العظمتين تؤدي إلى تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ.

ومن ناحية أخرى أثبتت التجربة والواقع أن التعايش السلمي والانفراج الدولي لا

يعني بقاء الاستعمار والعدوان مسيطرين على مقدرات الدول والشعوب المستضعفة دون أن تقوم هذه الشعوب والدول بممارسة النضال والكفاح لدعمها ومساعدتها من أجل تحريرها إذ أن الإنماء السوفياتي استمر يساعد كلاً من فيتنام وانجولا حتى تم تحررهما. دون الإخلال بالوفاق الدولي الذي تم بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية. والقاضي بالتفاهم والتشاور لحل الخلافات بينهما بالطرق السلمية، ودون اللجوء إلى الصدام المسلح.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل تم التعايش والاندماج بين المعسكرين على حساب شعب من الشعوب؟

والواقع العملي يبين أن ذلك لم يحدث، ففي ظل الانفراج الدولي استطاعت الدول الصغيرة أن تحقق انتصارات ضخمة، وفي ظل الانفراج تم تأميم صناعة البترول في كثير من الدول الصغيرة، وأمكن الدعوة إلى قيام قطاع اقتصادي جديد يجعل الدول المنتجة للبترول تفرض شروطها وتغير من صورة العلاقات غير المتكافئه، وفي ظله صدرت قرارات الأمم المتحدة بإدانة الاستعمار وإدانة الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية، واتخذت الأمم المتحدة خطوات عملية سياسية ومادية لمساندة القوى التحررية في جميع انحاء المعمورة، ولم يكن من الممكن تصور كل هذا إلا في جو دولي جديد، ومحاولة تخويف الجماهير والدول الصغيرة من الانفراج الدولي والتعايش السلمي، على أن التفاهم بين الدول الكبرى على حساب الدول الصغرى لا ينطبق مع الواقع لأن الدول الصغيرة ساهمت بنضالها في حدوث هذا التعايش والانفراج.

وعلينا ألاّ ننسى أن الاتحاد السوفيتي كان صديق العرب الرئيس في معركتهم ضد العدوان الإسرائيلي كما وقفت الدول العظمى ماديا وسياسيا الى جانب العرب ضد عدوان عام 67 حتى حرب أكتوبر 73. (محي الدين، 1978، ص 11).

وبعد اتفاقية نيكسون بريجينف عام 72 لم يحدث اتفاق أو اتجاه دولي ضد مصلحة الشعوب بل صدرت (قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين، والبيانات المشتركة السوفيتية الأربعة الخاصة بهذا الموضوع، ومشكلة انجولا، . . . الخ).

ولم تظهر إمكانية حل هذه المشاكل إلا في ظل الانفراج الدولي والتعايش السلمي، أما في ظل الحرب الباردة فلا يمكن إحراز مثل هذا التقدم.

من كان يتصور أن بلداناً مثل بيرو، الأردن، أو الكويت تشتري أو تفكر في شراء أسلحة سوفيتية؟

كما أن الانفراج الدولي لم يكن عائقاً أمام قيام حرب اكتوبر إذ تلقت مصر في أثنائها المساعدات من الاتحاد السوفيتي، ولم يمنع الانفراج (حرب انجولا)، ولم يمنع الشعب الفلسطيني من استمراره في المقاومة.

والجدير بالذكر أن الحرب الباردة كانت تعرقل كفاح كل الشعوب من أجل حقوقها ولهذا كان من الطبيعي أن تؤيد الشعوب الانفراج الدولي وتؤيد سياسة التعايش السلمي، وتكافح من أجل ذلك، كما علينا ألا ننسى حركات السلام في العالم ونضالها من أجل إقرار سياسة التعايش السلمي على الصعيد العالمي حيث قامت بتنظيم العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة تجنباً لأخطار الحروب وشجباً لسياسة العدوان ودعماً للعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الدول على أسس متكافئة ولصالح كل الشعوب، وسنعرض للدور الذي قامت به شعوب الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز في رفع علم التعايش السلمي وتوطيد أركان السلام في العالم.

أولاً: بالنسبة لنضال الشعوب.

ثانياً: للدول الاشتراكية (سابقاً).

ثالثاً: لدول عدم الانحياز.

أولاً: بالنسبة لنضال الشعوب: إن قوى السلام والقوى الديمقراطية والاشتراكية رفعت هي الأخرى لواء سياسة السلام والتعايش السلمي ودحر العدوان، وإقامة العلاقات الدولية في مختلف المجالات على أسس متكافئة، ولعبت هذه القوى دوراً هاماً منذ الحرب العالمية الثانية في تعبئة الرأي العام العالمي حول هذه الأهداف، حتى أصبح لها أثرها الإيجابي الفعال داخل الدول الإمبريالية نفسها، وخير دليل على ذلك ثورة الرأي العام الأمريكي نفسه ضد حرب فيتنام وما حدث أيضاً في كمبوديا حيث أن نضال الشعب الكمبودي قد أثار الرأي العام الأمريكي والذي ضغط على الكونغرس فأصدر قراراً أجبر حكومة نيكسون على وقف الغارات الوحشية على كمبوديا.

وأخيراً يمكن القول أن تعبئة الرأي العام العالمي من أجل السلام والتعايش السلمي له أثره البالغ لدحر العدوان وحماية حقوق الشعب عندما يرتبط نضال هذا الشعب سياسياً وعسكرياً أو كليهما معاً على أرض المعركة.

ويقيننا أن أثر الرأي العالمي يشتد ويتعاظم بالنسبة لقضية فلسطين عربياً وإسلامياً ودوليا، وسيكون قادراً على تعبئة القوى وحشد الإمكانات السياسية والاقتصادية وغيرها لإجبار حكومة الليكود برئاسة نتنياهو على المضي في طريق السلام والالتزام بمبادئه.

ثانياً: **بالنسبة للدول الاشتراكية (سابقاً):** إن وثائق مؤتمرات الأحزاب الشيوعية والخطب الرسمية ومواقف الدول الاشتراكية في المؤتمرات الدولية، تؤكد أن مجموعة هذه الدول التزمت خطاً سياسياً ثابتاً لا تحيد عنه منذ الحرب العالمية الثانية، ويقوم هذا الموقف على أساس المبادئ التالية:

1- احترام حدود الدول الأوروبية واتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

2- حل المشكلة الألمانية على أساس الاعتراف بوجود دولتين ألمانيتين كمنطلق لإقرار أمن أوروبي جماعي.

3- تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

4- اتخاذ مبادئ التعايش السلمي أساساً للعلاقات الدولية تجنباً للحرب النووية ونزع السلاح التام الشامل تحت الرقابة الدولية الفعالة.

5- تعزز العلاقات التجارية بموجب القيود التي فرضتها الحرب الباردة على أساس احترام المصالح المتبادلة والنفع المتكافئ في تنظيم العلاقات بين الدول.

6- مساندة حركات التحرر الوطني والدول المستقلة كمبدأ أساسي من مبادئ التعايش السلمي.

وهكذا فإن الدول الاشتراكية كانت تدعو دائماً إلى التعايش السلمي، والتعايش السلمي كما هو معروف، هو التعايش بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، وبالدرجة الأولى التعايش بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، وكان لينين أول من دعا إلى هذا المبدأ، كما أسلفنا، وأعلنه رسمياً وطالب بتطبيقه بعد ساعات قليلة من انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917، وإصدار مرسوم السلام.

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح التعايش السلمي بين الرأسمالية والاشتراكية شرطاً أساسياً لا مفر منه لقيام السلام في عصر الذرَّة ولقيام الاشتراكية في أكثر من بلد الأمر الذي أدى إلى نشوء نظام اشتراكي عالمي في مواجهة نظام رأسمالي عالمي ثم إلى تواجد وتعايش هذين النظامين لفترة تاريخية قد تطول أو تقصر.

وهكذا واجه عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية متطلبات جديدة بسبب تعدد النظم الأخرى العالمية، فقد أخذت الحقائق الجديدة والأدلة تتوافر على امتداد ربع قرن، على أن التعايش السلمي هو السبيل الوحيد أمام البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، الاشتراكية والرأسمالية، ما دام تواجدهما في هذا العالم ولفترة تاريخية هو أمر لا مفر منه إلا بشن حرب مؤذية تدمر العالم كله.

ولا ريب أن تعاظم قوى البلدان الاشتراكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية، ثم تضامن هذه البلدان مع نضال وحركات التحرر والشعوب قد غيرت من موازين القوى الدولية.

ثالثاً: بالنسبة لبلدان عدم الانحياز: لقد اتسعت دائرة الشعوب والبلدان المؤمنة بمبدأ التعايش السلمي ودحر سياسة العدوان، ولإقامة العلاقات البناءة بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة على أسس متكافئة وعادلة، أخذت الكثير من البلدان في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بعد أن حصلت على استقلالها السياسي خلال الخمسينات ترفع هي الأخرى علم التعايش السلمي وكان من أهم المبادئ التي أقرها مؤتمر باندوبج عام 1955 دعوة المؤتمر إلى احترام أسس هذا المبدأ وقيام تعاون دولي على أساس ميثاق الأمم المتحدة الذي يشكل في مجموعه أسس التعايش السلمي بين الدول، ثم دعا جميع الشعوب في العالم إلى أن تقدر النتائج المفزعة التي سوف تنجم عن نشوب حرب نووية.

في عام 1961 عقد أول مؤتمر لعدم الانحياز في بلجراد ودعا المؤتمر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى أن توقفا استعداداتهما للحرب وأن يستأنفا المفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية لإنهاء خلافات قائمة بينهما، وفي عام 1962 قامت منظمة الوحدة الأفريقية، واحتل مبدأ التعايش السلمي مكاناً بارزاً بين مبادئها.

وفي عام 1964 أكد مؤتمر عدم الانحياز الثاني في القاهرة على مبادئ التعايش السلمي باعتبارها الطريق الوحيد لتدعيم السلام والذي يجب أن يقوم على الاحترام والمساواة والعدالة.

هذا الارتباط الموضوعي بين حريات ومصالح الشعوب وقضايا السلام وقضية التعايش السلمي جعل مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز والذي عقد في جورج تاون عام 1974م بعد لقاء بريجينيف نيكسون في موسكو، يعلن: "ترحيبه بالتحسن الذي طرأ على العلاقات بين الدول الكبرى، كما سجل بارتياح الاتجاه الجديد نحو إجراء مفاوضات، وإبرام اتفاقيات ثنائية، مشيراً بذلك إلى الاتفاقيات الأمريكية الصينية والاتفاقيات والمعاهدات الثنائية التي تمت بين دول شرق أوروبا وغربها". (محي الدين، ص 22).

ولا جدال أن كل هذه الحقائق السياسية قد ازدادت رسوخاً في الستينات والسبعينات مما أجبر واضعي ومنظري السياسة الأمريكية على تغيير سياستهم وبدلاً من الحرب الباردة والتوتر والصراع المسلح، أو التهديد باستخدام القوة المسلحة قام بتفاهم واضح حول عديد من القضايا الدولية، وبدلاً من سباق التسلح المتصاعد ورفض تحديد الأسلحة الاستراتيجية ونزع السلاح وقعت اتفاقية المرحلة الأولى للحد من الأسلحة الاستراتيجية في موسكو، وأعلن في واشنطن بيان أمريكي-سوفيتي بتحريم الحرب النووية، كما أعلن التزام الطرفين بتوقع اتفاقية المرحلة الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية قبل 1974، وهذه الاتفاقية اعتبرت بمثابة الخطوة الأولى الإيجابية والواسعة نحو خفض صوري في الأسلحة الاستراتيجية تلتها فيما بعد خطوات، وبدلاً من رفض فكرة عقد مؤتمر للأمن الأوروبي والإصرار على توحيد ألمانيا وتعديل حدود ما بعد الحرب الثانية اضطرت الامبريالية إلى قبول قيام الدولتين الألمانيتين وتثبيت الحدود بينهما، وعقد اتفاقيات عدم اعتداء بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية.

وبعد ذلك أصبح الأمن الأوروبي ضرورة موضوعية لدعم المصالح الفردية والجماعية لدول وشعوب أوروبا الغربية والشرقية معاً برغم تناقض أنظمتها الاجتماعية واختلاف اتجاهاتها الأيديولوحية والفكرية.

وبدلاً من الحصار والمقاطعة التجارية والاقتصادية للدول الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفيتي والصين، قام عهد من التبادل الاقتصادي الواسع بين الدول الرأسمالية والاشتراكية، وأخذ التعاون الفني والتكنولوجي يتسع وأخذت العلاقات التجارية بين الطرفين تتدعم وأقيمت التسهيلات الائتمانية والورقية وازداد التعاون في المجالات الاقتصادية مع احتفاظ كل طرف بنظامه الاقتصادي والاجتماعي.

تلك بعض حصيلة سنوات الستينات والسبعينات والثمانيات التي تؤكد أن الدول الإمبريالية هي التي عدلّت سياستها ومناهجها، وأن البلدان الاشتراكية وبلدان عدم الانحياز وحركات التحرر والسلام كانت ثابتة المبدأ ونادت بالسلام ودعت إلى تنظيم العلاقات الدولية على أسس التعايش السلمي والعلاقات المتكافئة والبناءة بين الدول وإن اختلفت الأنظمة الاجتماعية والأيديولوجية بينها.

3.2 مبادئ التعايش السلمي

إن التعايش السلمي لا يعني مجرد التواجد السلمي السلبي للأنظمة المختلفة اجتماعياً، وإنما يقوم على مبادئ هي:

1- احترام استقلال الدول ومبادئها ووحدة أراضيها.

2- احترام مبدأ عدم الاعتداء ومبدأ التهديد باستخدام القوة.

3- احترام مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان.

4- المساواة في العلاقات الدولية بين جميع الدول كبيرها وصغيرها بصرف النظر عن موقفها ونظمها الاجتماعية على أساس مبدأ النفع المتبادل والمزايا المتكاملة.

5- إقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية.

والمهم هو السعي لصياغة العلاقات الدولية على الأسس والمبادئ السابقة التي حددها التعايش السلمي، ورضوخ الإمبريالية لما تفرضه هذه المبادئ من سياسات دولية أمر لن يتحقق بسهولة ويسر لأن تطبيق هذه المبادئ إن لم يغير من الطبيعة العدوانية للإمبريالية فإنه ولا شك سيضعف من قدراتها العدوانية أمام كفاح الشعوب لتغيير موازين القوى العالمية باستمرار وبشكل متزايد لصالحها.

التعايش السلمي إذن هو صيغة بديلة عن الحرب الباردة لصياغة العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، أي أنه أساس لتنظيم العلاقات بين الدول وليس أساساً للصراع الطبقي في كل بلد أو الصراع الأيديولوجي بين الأنظمة الاجتماعية أو كفاح الشعوب ضد الاستعمار والإمبريالية.

فهذه الصراعات الطبقية الأيديولوجية لا تتصل أساساً بالعلاقات الدولية التي تتغير وفقاً لتغير موازين القوى بين الدول إنما تتصل بالظروف الموضوعية الحتمية (الاجتماعية والاقتصادية) التي تعيشها كل بلد، وما دامت هناك اشتراكية ورأسمالية

فسيدور بينهما صراع أيديولوجي محتوم وما دام هناك استغلال استعماري فسيدور ضده صراع محتوم.

والخلاف الأساسي: هو أن الامبريالية كانت تريد لهذه الصراعات أن تتم في ظل سيادة الحرب الباردة على العالم خدمة لمصالحها. أما الشعوب فتريد بهذه الصراعات أن تتم في ظل سيادة التعايش السلمي على العلاقات الدولية لأنه في صالحها. لقد كانت الإمبريالية تستخدم الحرب الباردة ضد النظام السوفياتي كغطاء لضم البلدان الصغيرة في أحلاف عسكرية.

إلا أن التعايش السلمي كسياسة مناهضة للعدوان سيكون سلاحاً دولياً في يد الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والعدوان، لأن العدوان يتناقض مع سياسة التعايش السلمي التي تناهضه، ومن ثم يبقى الوقوف ضده بكل الوسائل دفاعاً عن الحقوق القومية للشعوب ودفاعاً عن التعايش السلمي نفسه. ولعل العزلة التي عاشتها إسرائيل في المحافل الدولية لمدة طويلة (قبل أزمة الخليج الثانية واتفاقات أوسلو) خير شاهد على أن مناخ التعايش السلمي على الصعيد الدولي يتناقض مع مصالح المعتدين.

ويمكننا هنا أن نطرح أكثر من سؤال، هل التعايش السلمي في صالحنا، وصالح شعوب العالم والسلام العالمي؟ هل كانت مصر كبلد عربي مؤسس في دول عدم الانحياز مستغلةً للخلاف بين الدولتين العظميين، أم كان موقفها مبدئياً مع الوفاق العالمي والتعايش السلمي، فهمنا أن نؤكد أن موقف مصر من الصراع بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا كان يعتمد على ألا يكون استغلالاً لهذا الصراع بحيث يأخذ من هذا الطرف فيضطر الطرف الآخر إلى العطاء، أي لم يكن موقف تجارة بين الدول الكبرى وإنما كان موقفاً مبدئياً كما عبّر عنه عبدالناصر في 5/10/1964، حيث قال:

"إن سياسة عدم الانحياز ليست تجارة في الصراع بين الكتلتين بهدف الحصول على أكبر قدر من المزايا من كل منهما". (محي الدين، ص 42) معنى ذلك أن موقف مصر كان في اتجاه إزالة سياسة الحرب الباردة ونبذ الحرب النووية والعمل على إزالة هذا النوع من الصراعات، التي كانت تهدد العالم بأخطار بالغة حتى تقوم بين دول العالم علاقات بناءة متكافئة، أي أن موقف مصر كان في اتجاه سياسة التعايش السلمي للتعاون مع أصحاب هذه السياسة وضد خصومها.

وأخيراً يمكن القول إن سياسة التعايش السلمي في العالم لا تزال هدفاً وأن أي عدوان إسرائيلي علينا كما حصل في في صدامات يوم الأقصى (أيلول/ سبتمبر 1990) والحرم الإبراهيمي شباط / فبراير 1995 سيصبح أمره وموضعه الرفض من العالم كله وسيثبت هذا الرفض ويتعاظم مع تزايد نفوذ مبادئ التعايش السلمي وتعاظمها مع العلاقات الدولية.

إن سياسة التعايش السلمي تناهض العدوان أيا كان صغيراً أم كبيراً، المهم أن تعرف البلدان العربية والصغيرة الناهضة كيف تنمي وتنظم وتعبئ إمكانياتها الذاتية وكيف تحسن استثمار مساعدة الأصدقاء، ثم كيف تستفيد من مناخ التعايش السلمي.

مما لا شك فيه أن سياسة التعايش السلمي المناهضة للعدوان وتباشيرها وانتصارها في العالم قد هيأت لنا فرصاً واسعة لكسب المزيد من الأصدقاء والمؤيدين لموقفنا والشاهد على ذلك ما طرأ من موقف معظم الدول الأوروبية بما فيها فرنسا وايطاليا وبريطانيا من تغير مفاجئ بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط، بعد أن كانت تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً، وذلك بفضل ازدياد تقبل هذه الدول لمبادئ التعايش السلمي.

تدريب (2)

اذكر مبادئ التعايش السلمي.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- هل مبدأ التعايش السلمي مفيد لنا كفلسطينيين في صراعنا مع اسرائيل؟

2- اشرح موقف مصر من سياسة التعايش السلمي؟

3. انتشار الديمقراطية والتعددية السياسية وتداعي ظهور الحزب الواحد في أوروبا الشرقية

1.3 الديمقراطية ونشأتها

يكثر الحديث عزيزي القارئ عن الديمقراطية في هذه الأيام وتلهج به الألسن وتتناوله الصحف ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة كما لم يحدث من قبل.

ونستطيع القول إن ذلك ارتبط أو توافق مع انهيار الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية وبروز وحدانية الهيمنة الأمريكية في العالم وبدء تطبيق السياسة الأمريكية الجديدة.

فعن أي ديمقراطية يجري الحديث؟ وما تعريفها؟ وكيف نشأت؟

إن اختلاف المراحل التي مر بها هذا المصطلح واختلاف الدعاة وتعدد أهداف الداعين واختلاف الدعوات، جعل الكلمة التي تتردد على كل لسان تبدو غامضة وبعيدة عن الفهم.

أ- تعريف الديمقراطية:

للديمقراطية تعاريف عديدة، وهل هي حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية. وقد عرفها أحد الكتاب بأنها المصطلح الاكثر غموضاً من بين المصطلحات السياسية في العالم المعاصر ذلك أن الأنظمة المختلفة في العالم سواء النظام في الولايات المتحدة أو أنظمة أوروبا الغربية والشرقية أو الانظمة ذات الحزب الواحد في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية كلها تصف نفسها بأنها أنظمة ديمقراطية. وظهر ذلك جلياً في المؤتمر الذي عقدته المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) عن الديمقراطية عام 1950 وشارك فيه أكثر من خمسين دولة مختلفة كل الاختلاف في أنظمتها السياسية وأصرت كلها أنها كانت (وربما وحدها) ديمقراطية. (علوش، 1994، ص 57).

وقد ورد في قاموس السياسة : "أن الكلمة اليونانية القديمة "ديمقراطية" تعني الحكم بواسطة الديموس The demos التي يمكن أن تترجم أما الشعب The people أو العامة The Mob، حسب توجه المرء الأيديولوجي. والكلمة من مقطعين Demos

وتعني الشعب و Kratos وتعني حكم أو سلطة، وبالتالي فإن كلمة الديمقراطية تعني حكم الشعب. (الحوراني وآخرون، 1995 : ص 40).

ويقوم جوهر الديمقراطية على اختيار الشعب لحكومته وخضوع السلطة للإرادة الشعبية أي سيطرة الشعب على الحكومة لذلك يقال بأنها حكومة الشعب ومن الشعب وإلى الشعب.

يقول الأستاذ جوجال Gokhale في كتابه دراسة في النظرية السياسية "إن كلمة الديمقراطية معروفة للكل، ولكن قد لا يستطيع أحد أن يُعرف الديمقراطية بجملة أو أثنتين، هنا يوجد مصطلح يبدو في الظاهر من السهل أن يُفهم ولكن في الواقع من الصعب جداً أن يُعرف وأن يفسر بوضوح وشمول".

ويمضي جوجال ليحدد كلمة ديمقراطية باليونانية وكيف كانت تعني "مشاركة كل الشعب في حكم المدينة- الدولة". ويورد جوجال تعريف أبراهام لنكولن "الديمقراطية حكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب" وهو كلام أخذه لنكولن عن رجل الدولة الأثيني كليون.

ويعود جوجال ليقول: "إن الديمقراطية كلمة بمعان مختلفة، وكل حزب يشير إليها ويحاول امتلاكها وكأنها الطلسم. (علوش، 1994: ص ص 58-60).

الملكيون يقولون إن ملكيتنا هي ملكة ديمقراطية. ويقول الجمهوريون إن الجمهورية هي ديمقراطية الحكم الذاتي، ولعل هذا جعل مفكراً سياسياً مثل جواهر لال نهرو «يصفها جيدة لأن بقية المناهج اسوأ منها» (عابش، 1992 : ص 84).

ويريد الاشتراكيون والشيوعيون أن تكون نقية ومطلقة، وعليه فإن الديمقراطية هي حكم الشعب أي حكم العامة لا الأباطرة ولا القياصرة ولا رجال الدين وهو الحكم الذي يعبر عن إرادة الشعب ويخدم مصالحه، والديمقراطية بهذا المعنى واضحة كل الوضوح، ولا تستطيع كل الاختلافات أن تفقدها أو أن تخفي معناها الحقيقي.

ب- نشأة الديمقراطية

والديمقراطية بالمعنى المذكور آنفاً ثمرة نضال طويل من أجل العدالة والمساواة والحرية في سبيل التخلص من الطغيان وإقامة حكم الشعب، أي حكم العامة مقابل حكم الأباطرة والقياصرة والأمراء والنبلاء... الخ.

كيف بدأت وأين نشأت؟

ان الإجابة على ذلك ترتبط بدراسة تاريخ تطور المجتمعات وتطور النظم السياسية ودراسة ذلك تبين لنا أن المجتمعات مرت بمراحل أساسية أربع:

الأولى: مرحلة الحكم الذي تحكمه عادات وتقاليد ولكن بدون قانون محدد ومعروف.

الثانية: مرحلة الحكم بحسب قانون وقد احتاج هذا إلى قرون من التطور، ويمكن أن نعتبر قانون حمورابي من أول هذه القوانين، ثم تلا ذلك قوانين أخرى في أثينا عام 620 ق.م وفي روما عام 450 ق.م. ولكن هذا لا يعني أن حكم القانون قد ساد، وأن العسف قد انتهى لأن ذلك لم يحدث حتى الآن.

الثالثة: مرحلة البحث عن صيغ حكم عادلة، وهناك من يرى في هذا المجال ان القرآن دستور فريد وأنه قدم صيغة حكم عادلة.

ويمكن أن نذكر هنا أن الماجنا كارتا عام 1215م كانت أول وثيقة في أوروبا تحد من الاستبداد هي التي صدرت في بريطانيا. وبرغم ذلك فإن الاستبداد لم يتوقف واستمر الطغيان في العالم أجمع.

والرابعة: مرحلة قيام النظام الديمقراطي الأوروبي على أساس سيادة الشعب واعتبار الشعب وحده مصدر السلطات. (علوش، 1994، ص 61).

وتجدر الإشارة أن أول ذكر لكلمة الديمقراطية وردت في كتاب المؤرخ توسيدس 460-400 ق.م على لسان القائد اليوناني الشهير "بركليس"، حيث قال: "إن دستورنا لا ينقل عن الآخرين فنحن نموذج للآخرين، وإن حكومتنا ترعى الأغلبية لا الأقلية، ولهذا تسمى ديمقراطية". ولقد ارتبط مفهوم الديمقراطية في الحضارة اليونانية بمفهوم حكم الشعب والمساواة أمام القانون والانتخابات والرقابة على من يمارس إدارة المرافق العامة. (الحوراني وآخرون، 1995، ص 41).

ومما يلاحظ أن مفهوم الديمقراطية أثار منذ البداية من الجدل ما يفوق غيره من المصطلحات في لغات البشر وقواميس الأمم والحضارات وهناك بعض المفاهيم ذات العلاقة بمفهوم الديمقراطية والتي يمثل بعضها تفسيرات وتأويلات لمفهوم الديمقراطية منها التعددية السياسية.

تدريب (3)

لقد وردت عدة تعريفات للديمقراطية، أيها أقرب إلى الحقيقة في رأيك؟ ولماذا؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- هل تعني الديمقراطية سيطرة الشعب على الحكومة؟

2.3 التعددية السياسية

التعـددية السيـاسيـة اليوم، عزيزي القـارئ، تعني تعدد التنـظيمات السـياسـية والأحـزاب وهو مـصطلح جـديد الظهـور والاسـتخـدام، وهو وثيق الـصلة بمصطلح الديمقراطية، والفكرة من التـعددية السياسية هي المشاركـة، الأخذ بالرأي والوصول إلى القرارات الهامـة على أوسع نطاق، والديمقراطية ليست فـقط قضية غالبـية تحكم أقلية. الحقيقة هناك فكرة فلسفية وفكرة خلقـية، الأقلية تقبل حكم الأغلبية لأن رأيها قد يكون خاطئا ويكون رأي الأغلبية صحيحاً، والأغلبـية كذلك عندما تتسامح مع الأقلية تتسامح ليس فقط من باب المعروف وإنما ربما لأنه يكون وجهة نظر الأقلية سليمة.

إن نظام التعددية السيـاسية نظام غربي، ولكنها أصبحت تجـربة إنسانية مقننة في الصكوك والمواثيق الدوليـة، وبالتالي لم تعد ملكاً للغـرب، وأصبحت ملكاً للجـميع، وأصبـحت سلاحاً لنا لا بد من إعمـاله. وان المتابع للقانون الدولي المعـاصر يلاحظ ان الإعلان العالمي لحقـوق الإنسان في مواد 19، 20، 21 تعرض لثلاثة الأركـان الرئيسة لمؤسسة التعددية السياسية :

المادة 19: تقرر أن لكل شـخص حق التمتع بحـرية الرأي والتعبيـر، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة.

المادة 20: تقرر على حق كل شخص في الاجتـماعات والجمعيات السلمـية وعدم جواز إرغام أحد على الانتماء إلى جمعية ما. أما المادة 21 فهي تؤكد على حق كل شخص في المشـاركة في إدارة الشـؤون العامة لبلده، إمـا مبـاشرة أو بواسطة ممثلين يُختـارون بحريـة، وتنص الفقـرة الثـالثـة من هذه المادة على أن إرادة

الشعب هي مناط سلطة الحكم وعلى أن إرادة الأمة يجب أن تتجلى من خلال انتخابات نزيهة تُجرى دورياً بالاقتراع وعلى قدم المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري. (ابراهيم، 1989، ص 328).

الملاحظ بالإعلان العالمي أنه لم يكن هناك ذكر للأحزاب كل ما ذكر الانتخاب السري والجمعيات، وأن توازنات القوى في الأمم المتحدة التي تصدر عنها مثل هذه الصكوك أدت إلى هذا، وذلك أن المعسكر الاشتراكي في ذلك الوقت كان ضد قضية التعددية السياسية وكان يأخذ بنظام الحزب الواحد، ولذا فإن ثقل المعسكر الاشتراكي أدى إلى رفع الأحزاب من كافة النصوص في الصكوك الدولية عند الحديث عن عناصر التعددية، بالإضافة إلى ظهور قوى أخرى وهي قوى العالم الثالث التي برزت كقوة مؤثرة في توازن القوى في المؤسسة الدولية في النصف الأخير من الستينات والسبعينات.

فعندما وضع الإعلان العالمي عام 1948 وبدايات الصكوك والوثائق الدولية كانت كل دول العالم الثالث وبخاصة الدول الأفريقية وأمريكا اللاتينية تسير أيضاً في اتجاه نظام الحزب الواحد، وذلك نتيجة سيادة عقلية الانقلاب العسكري وسيادة العسكر. وكذلك على الساحة الدولية وفي الأمم المتحدة وباستبعاد كل قوى المعسكر الاشتراكي وكل قوى العالم الثالث تقريباً من التأثير، أدى إلى الأخذ بالتعددية السياسية والتي لم يُنص عليها في أي صك من الصكوك الدولية بشكل واضح.

وخلاصة القول أن قضية التعددية السياسية التي انتهى منها العالم الرأسمالي الغربي منذ القرن التاسع عشر لم تتحول إلى نصوص في الصكوك الدولية نتيجة هذا التوازن للقوى. فالتعددية معروف أنها تقوم على الفصل بين السلطات، والفصل بين السلطات هو الأساس، ونعني بالسلطات السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية المستقلة خاصة وأن أهمية استقلال القضاء أصبحت قضية هامة على المستوى الدولي.

تدريب (4)

عرف التعددية السياسية.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1-ما موقف التعددية السياسية من الفصل بين السلطات؟

3.3 التحولات الجذرية البارزة في مجموعة بلدان أوروبا الشرقية

شهدت بلدان أوروبا الشرقية والتي كانت تعرف باسم البلدان الأوروبية الاشتراكية -قبل أن تخلت عن النظام الاشتراكي- تبدلات انقلابية أو ثورية تستحق التسمية التي أطلقها عليها أحد المفكرين "زلزال الشرق" وذلك بعد صعود ميخائيل غورباتشوف سدة الحكم في الاتحاد السوفياتي عام 1985 وتكثفت مسيرتها منذ النصف الثاني من عام 1989م.

وكان مؤتمر هلسنكي للأمن الأوروبي والذي انعقد في عام 1975 وبحضور ممثلي خمس وثلاثين دولة غربية وشرقية قد شكل بداية التحولات على الصعيد السياسي لخروجه بقرارات بالغة الأهمية بالنسبة لحقوق الإنسان والحريات إلى جانب قضايا الأمن القومي، ثم توج مؤتمر باريس، حول الأمن والتعاون في أوروبا والذي انعقد بالأعضاء أنفسهم في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1990 التوجه والمسار السياسي نفسه إضافة إلى إقفال ملف الحرب العالمية الثانية وملف الحرب الباردة التي تلتها نهائياً. وتنبغي الإشارة كذلك إلى القمتين الأمريكية- السوفيتية وقد عقدت الأولى في أيسلندة والثانية في مالطا والتي تناولت بشكل خاص أسس وشروط الصفقة السياسية والاقتصادية لانطلاق عملية التحول الجذري الذي نحن بصدده في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الدائرة في فلكه. كما تناولت القمتان بشكل محدد قضية وجوب منح الاتحاد السوفياتي حرية الهجرة لمواطنيه -وان كان التركيز معنياً أولاً بهجرة اليهود السوفيات إلى فلسطين المحتلة -، كان هذا الانطلاق في التحولات السياسية ممزوجاً بتحولات اقتصادية جذرية. أما في الجانب السياسي فقد كان التحول الجوهري هو أخذ الاتحاد السوفيتي إلى مدى أبعد وأسرع من الدول الأوروبية الشرقية بفلسفة الديمقراطية الليبرالية الغربية وبفكرها ومفاهيمها وبناها الهيكلية ومؤسساتها. وقد عنى هذا التحول الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية وحرياته ووضع ضوابط للتحقق من احترامها، وبحقوق المجتمعات في اختيار هيكلية ومضمون النظم التي ترغب في أن تعيش في ظلها كالانتخابات السرية وتعدد المرشحين وتبدل الحكومات، وفق ما تفرزه المؤسسات التمثيلية وما إلى ذلك من صيغ وآليات للمشاركة السياسية للجماهير.

قبل الانتقال إلى تعريف البعد الثاني من التحولات الجذرية، وتقع في نطاق الاقتصاد، لا بد من الإشارة إلى طبيعة الدينامية والآلية اللتين حملتا الدول الاشتراكية

الأوروبية على الأخذ بالنسق السياسي الديمقراطي على الطريقة الغربية. فالديناميةالمحركة وخاصة بعد أن تراخت قبضة الاتحاد السوفياتي على أوروبا الشرقية كان الشعور الشعبي الضاغط والمتزايد المطالب بمزيد من الحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمشاركة السياسية الحقيقية والفاعلة. وقد دعم هذا الشعور وزاده قوة الاعتقاد بأن الازدهار الاقتصادي الذي تتمتع به الدول الصناعية الغربية لم يكن ليبلغ مستواه الحالي والجيد والذي يسمح بدخل فردي مرتفع في ظل النسق الاشتراكي المعمول به في الدول الاشتراكية.

هذا بالنسبة لدينامية التحول السياسي، أما آليته فقد جاءت في ثلاثة أشكال، الأول كان قراراً قيادياً اتخذه غورباتشوف برضى الحلقة العليا في السلطة بالنسبة للاتحاد السوفيتي، عبر اعتماد جلاسوست "الشفافية والانفتاح" في مسار الحياة السياسية والاقتصادية وإدارة الحكم، واعتماد الهيكلة السياسية والاقتصادية (بروستيريكا) من أجل تخفيف صرامة التخطيط المركزي وتبني بعض مفاهيم وآليات اقتصاد السوق. وكان الشكل الثاني التحرك الشعبي السلمي الضاغط الذي اضطر القيادات في الدول الأوروبية الاشتراكية الأخرى، باستثناء رومانيا، للسماح بإعادة توجيه وهيكلة النسق السياسي والاقتصادي. أما الشكل الثالث فكان الثورة العنيفة كما شهدتها كل من رومانيا وألبانيا والتي أتت بالتحول السياسي والاقتصادي الذي نحن بصدده.

أما التحول الجذري الثاني في نطاق الاقتصاد، والذي يشمل مضمونه في الأساس التخلي -بدرجات مختلفة من السرعة والشمولية- عن النظام الاقتصادي الاشتراكي المتسم بتملك الدولة والقطاع العام لمعظم وسائل الإنتاج والتجارة والتحول الى سيطرة القطاع الخاص (الخصخصة Privatisation) والمعمول به في الدول الغربية منذ عدة سنوات.

مما يجدر ذكره تأييداً للتفاعل والترابط بين التحولات السياسية والاقتصادية، ان عملية التحول الديمقراطي أو الليبرالي الراهنة في الاتحاد السوفيتي وفي البلدان الأوروبية الاشتراكية كانت وراء عملية التحول الاقتصادي وتبني نسق اقتصاد السوق. فالولايات المتحدة الأمريكية أصرت واشترطت (وتصر وتشترط) على التلازم بين هذين التحولين، وهي تؤكد أن إمكانية التحول الاقتصادي بل ومصداقيته لا يمكن أن تتحقق إذا لم يسبقها أو يرافقها التحول السياسي، على اعتبار أن النسق السياسي الليبرالي لا يمكن أن يتعايش

إلا مع نسق اقتصاد السوق، والعكس بالعكس. وهكذا فإن المساعدات الغربية لا تتجه لدول أوروبا الاشتراكية بما فيها الاتحاد السوفيتي، ما لم يتم تبني كل من النسقين السياسي والاقتصادي الغربيين على السواء، مع ما يرافق ذلك من توجهات مركزية في السياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية الخارجية (وإلى حد بعيد في تفصيلات أو جزيئات هذه السياسة والعلاقات) لتتلاءم مع التوجهات والتوجيهات الأمريكية.

من هنا كان إصرار الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي بفتح أبوابه لهجرة اليهود السوفيات الراغبين في ذلك -إصراراً شكل شرطاً مركزياً - أولاً لاقتناع الولايات المتحدة بصدق نوايا السوفيات في "اعتناق مبادئ وآليات الديمقراطية الغربية والحرية"، وثانياً لقيام الولايات المتحدة بالالتزام بتقديم المساعدات المالية والتكنولوجية للسوفيت لتمكينهم من تجاوز أزمتهم الاقتصادية وتطبيق مبادئ اقتصاد السوق. ووازن السوفيت بين المكسب المتوقع من إرضاء العرب برفض إطلاق الهجرة والضرر المتوقع من إغضاب الولايات المتحدة في حال الاستمرار بالتشدد بالنسبة للهجرة فوجدوا أن مكسبهم من إرضاء العرب أقل بكثير من الضرر الناجم عن عدم إرضاء الأمريكان فكان فتح باب الهجرة على مصراعيه.

وثمة آثار متعددة تولدت أو هي في طور التكوين منها:

تبّني البلدان الأوروبية الاشتراكية السريع للفكر الليبرالي الغربي والفكر الاقتصادي الغربي الذي رافقه ضغط غربي مضمونه انه بدون هذا التبني لن يكون العالم الغربي مستعداً لإضفاء المصداقية على موقف الدول الاشتراكية الجديد والذي يعكس رغبتها في دخول عصر الوفاق الدولي ولا لتقديم المساعدات التكنولوجية والمالية والتي تحتاجها الدول الاشتراكية في تحولها إلى النسق الغربي السياسي والاقتصادي.

وينبغي اخيراً أن تتناول الأثر الدولي الأبرز للتحولات السياسية والاقتصادية الراهنة في أوروبا الاشتراكية ودلالته بالنسبة للمنطقة العربية بعامة ولقضية فلسطين والهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي اليها بخاصة سيما وأن دول أوروبا الاشتراكية كانت تمارس توازناً سياسيا وعسكريا مع مجموعة حلف الأطلسي. وتقوم بدعم حركات التحرر العالمية إيماناً منها بجدارة هذه الحركات بالدعم من جهة ومعارضة للولايات المتحدة من تجاهلها أو مقاومتها لهذه الحركات من جهة أخرى. تم تغير هذا الموقف وأصبح موقف الدول الاوروبية الاشتراكية ينسجم الى مدى بعيد مع التوجهات والمواقف

السياسية الأمريكية والأطلسية وبالتالي أصبحت أقل دعماً للحركات التحررية في العالم واقتصر هذا الدعم على التعاطف اللفظي في الغالب.

وباختصار فأن الوفاق الدولي الجديد خلق هيكلية سياسية ودبلوماسية واقتصادية جديدة في النظام العالمي وخلط أوراق التحالفات السابقة فيما بين الغرب والشرق وأقام تحالفات جديدة أخذت تولد الخشية والريبة في دول العالم الثالث مع فقدان هذه الدول دعم الدول الاشتراكية الفعال لها. وأصبح لزاماً عليها أن تواجه منفردة تدخلات الولايات المتحدة وسيطرتها العالمية وغطرستها.

وبات من الواضح أن مجموعة الدول الاشتراكية بما فيها الاتحاد السوفياتي لا يمكنها الاستمرار بممارسة دور الند القوي للولايات المتحدة ذلك أن نقاط ضعف خطيرة جداً قد تكشفت في قدرات هذه المجموعة تكنولوجياً واقتصادياً، بل ونفسياً لدى شعوبها المحبطة، بحيث يصبح من الضروري منطقياً حسم نسبة ذات شأن من فاعلية قدراتها العسكرية مقابل المجموعة الأطلسية.

ولا بد لنا من أن نؤكد بالتالي على وجوب توقع ضعف الدعم السياسي السوفيتي لقضية فلسطين وقيام الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين، وذلك بسبب انحسار موقع الاتحاد السوفيتي السياسي العالمي في ظل الوفاق الدولي الجديد الذي تحتل الولايات المتحدة ضمنه موقعاً أكثر سيطرة من قبل بما يقرب من درجة "احتكار القوة"، من جهة، ومن جهة ثانية رغبة السوفيت في عدم "إزعاج" الولايات المتحدة وهم على أبواب الحصول على مساعدات تكنولوجية ومالية ضخمة منها لإعادة هيكلة اقتصادهم.

تدريب (5)

هل كان للمساعدات الأمريكية للأتحاد السوفيتي دور في فتح أبواب الهجرة لليهود السوفيت؟ ناقش ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- اذكر أهم التحولات الجذرية الراهنة في مجموعة الدول الأوروبية الاشتراكية.

4.3 انهيار الأنظمة السياسية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية

انتهى النظام السياسي في الاتحاد السوفيتي مع نهاية عام 1991، إثر استقالة جورباتشوف مع التأكيد على أن النظام الشمولي السوفيتي قبل جورباتشوف كان شاخ كثيراً. وأنه لم يكن من الممكن أن يستمر لفترة طويلة بعد منتصف الثمانينات. وذلك لعدة أسباب لعل أهمها أن استراتيجية جورباتشوف قد اتسمت بعدم التوازن الداخلي حيث ركزت على الإصلاح السياسي. وأهملت الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية الأمر الذي اسفر بدوره عن انهيار كان لا بد منه. طالما كان مطلوبا من الاقتصاد السوفيتي بتحمل أعباء التسلح لمواجهة الغرب، أولا، ثم لمواجهة الصين بعد ظهور الخلاف معها ثانيا، هذا بالإضافة إلى ظاهرة عدم التوازن من تطور ونمو المجتمع علاوة على النزعات القومية والحاجة الى الديمقراطية والتي كانت تتفاعل في الخفاء.

كل هذا جعل الانهيار وشيكا والتغيير متوقعا إلا أن الكثيرين لم يتوقعوا ان يحدث التغيير بمثل الصورة التي جرى عليها، ومما زاد الأوضاع سوءاً سماح جورباتشوف بتفكك الكتلة السوفيتية الأوروبية - على أساس مفهوم جديد للأمن القومي السوفيتي - وذلك لتركه النظم الشيوعية تتداعى في شرق أوروبا. وتقدم تنازلات هائلة في مجال نزع السلاح ووقف سباق التسلح.

وفي واقع الامر كانت الثورات والحركات الاصلاحية والتصحيحية داخل الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية قد تبدو نتاجاً لمخزون متراكم. وهائل من السخط على نحو عشوائي ومتداخل بين ثلاث نزعات كبرى - غير متبلورة - هي النزعة الديمقراطية، والنزعة القومية ونزعة التحول الى الرأسمالية. (عبد العليم 1992، ص 75).

كما يمكننا القول إن الأحداث التي تمثلت بانهيار الأنظمة الشيوعية في كل أوروبا الشرقية ابتداء من عام 1989 وانتهاءً بانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 كان لها آثار بالغة الأهمية على مسيرة التطور الديمقراطي وطرح صيغ جديدة للتعددية السياسية في دول العالم خاصة الدول التي تأخذ بالنظام الاشتراكي "فقد تخلت بعض هذه الدول بالفعل عن صيغة نظام الحزب الواحد واتجهت للتعددية". (هادي، 1995 : ص 75) ذلك أن انهيار الأنظمة الشيوعية قد أعطى الدليل على أن أنظمة الحزب الواحد يمكن أن تنهار بسرعة كقصور من رمال.. كما أن انهيار هذه الأنظمة الشيوعية قد حرر العقبات السيكولوجية والسياسية وجعل التغيرات السياسية، ممكنة..

ويربط كثير من المحللين، اليوم بين الاتجاهات الجديدة نحو الديمقراطية في العالم الثالث والتطورات التي عصفت بالأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي "فانهيار الأنظمة الشيوعية قد نجح في التخفيف من التنافس بين القوتين العظميين في إضعاف قدرة بعض الدول على الممارسة الدبلوماسية بالتهديد بأن تلجأ إلى إحدى القوتين لطلب الحصول على ما لم تحصل عليه من القوى الأخرى، بل إنه مع فشل الدول الشرقية في البقاء نموذجاً للاشتراكية، فإن إنهيار أنظمة هذه الدول كان له أثره السلبي على بعض الدول ومنها على سبيل المثال الدول الأفريقية التي كانت تتبع الاتجاه الاشتراكي "ولكن الدول الأفريقية التي كانت ذات ميول غربية استطاعت أن تفيد مما حدث في الشرق بإعلان اتجاهها نحو التعددية السياسية، على أساس أن الدول الغربية لا تستطيع أن تشجع مثل هذا الاتجاه في الدول الشرقية وتتنكر له في القارة الأفريقية". (هادي، 1995 : ص75) كما أن بعض دول العالم الثالث اقتنع بأن انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية يعني بقاء نموذج واحد للديمقراطية هو النموذج التعددي الليبرالي عندما كان وجود نموذج ماركسي لينيني للديمقراطية هو أقوى حجة على عدم عالمية النموذج الغربي، ومن ثم أهم مبرر لتعدد النماذج الديمقراطية، أما وقد وضعت هذه التطورات نهاية للنموذج الماركسي اللينيني للديمقراطية فلم يعد لمقولة تعدد النماذج ما يدعمها خصوصاً أن الشعوب التي أسقطت هذا النموذج لم ترض بغير النموذج الغربي بديلاً. . وقبل هذه التطورات الكبرى كانت تجارب العالم الثالث قد أكدت على أن لا مجال للحديث عن نموذج متميز للديمقراطية. . وأن هذه المقولة تقود إلى التستر على أوضاع منافية لأي نوع من الحياة الديمقراطية. . وقد أخذ النموذج الغربي يحظى بقبول واسع في العالم الثالث سواء بوعي أو بغير وعي.

4. الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم الثالث

1.4 الخصائص المشتركة لدول العالم الثالث

كثر الحديث عزيزي القارئ عن دول العالم الثالث وكثرت عنها الدراسات، وتلك الدراسات في جملتها تأتي من خارج العالم الثالث، ولا شك أن للعالم الأول دخلاً كبيراً في إطلاق هذه التسمية والتي شاعت في الستينات، وهناك سؤال يطرح نفسه علينا، هو ما الذي نعنيه عندما نتحدث عن العالم الثالث؟

في محاولة الإجابة عن هذا التساؤل نجد بالضرورة أن هناك عالمين آخرين غيره هما العالم الأول أوروبا الغربية والجزر البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا أو ما يطلق عليها بالدول الديمقراطية الغربية، وهي مجموعة من الدول تشترك في أساس حضاري واحد وأوضاع اقتصادية متماثلة. والثاني الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وبلاد أوروبا الشرقية والتي اقتدت بأيديولوجية معينة تتمثل بالنظرية الماركسية ورسمت حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على ضوئها ووفقاً لمبادئها. ويبقى بعد ذلك مجموعة من دول العالم لا تشترك مع العالمين السابقين في الأساس الحضاري ولا في الإيمان في العقيدة الماركسية. وهذه المجموعة من دول العالم تمتد لتشمل قطاعاً ضخماً من دول القارة الآسيوية وتوشك أن تحتوي على دول القارة الأفريقية كلها والأغلب من دول أمريكا اللاتينية، هذه المجموعة من الدول هي ما تعنيه عادة عبارة دول العالم الثالث. (الجمل، 1977: ص20).

والسؤال الذي يطرح نفسه أيضاً: هل هناك خصائص مشتركة بين دول العالم الثالث تجيز لنا أن نضعها في إطار واحد تجعل منه عالماً قائماً بذاته؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول باطمئنان، نعم. وهذه الخصائص هي :

1- **الميراث الاستعماري** : إذ توشك دول العالم الثالث كلها أن تكون قد عاشت خلال القرنين الماضيين بل وأغلب الفترة الماضية من القرن الحالي في ظل الاستعمار الغربي، وربما عاش بعضها مستعمرا لأكثر من عدة قرون حيث وصل الاستعمار لبعض بلدان العالم الثالث في أعقاب النهضة الأوروبية الحديثة وتحت شعار نشر المسيحية ولكنه اضطر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ان اتخذ ستاراً غير

المسيحية هو دعوى تحديث البلاد وتحضيرها. ولكنه في الحقيقة كان يهدف الى امتصاص ثروات البلاد الطبيعية وإيجاد أسواق لمنتجاته وربط اقتصادياتها باقتصادياته.

2- التخلف الاقتصادي والاجتماعي والذي يقاس بمعيارين أساسين متكاملين ومتلازمين في الغالب يتعلق الاول بمستوى متوسط دخل الفرد ويتعلق الثاني بتقدم عوامل الإنتاج، وإذا أمعنا النظر إلى العالم الذي نعيش فيه فإننا سنواجه بحقيقة مره وقاسية تتمثل في سوء التوزيع البشع بين دخل الفرد في الدول المتقدمة، ودخله في الدول المتخلفة. والتي تقع في نطاق العالم الثالث وهذه الدول تجمع إلى جوار ضآلة مستوى دخل الافراد تخلفاً واضحاً في الإنتاج وتزيد من هذه الظاهرة وتضاعف خطورتها وجود قلة قليلة توشك أن تستأثر بكل مصادر الثروة الأمر الذي يجعل حالة الفقر لدى الغالبية تصل إلى صورة بشعة وبالغة القسوة.

3- التمزق القومي وعدم الوعي بمفهوم الدولة. ذلك أن عدداً لا بأس به من دول العالم الثالث وبخاصة في افريقيا ما زالت تعيش مرحلة قبلية ولم تشكل بعد أمما واضحة السمات والمعالم. بل وإن وكثيرا منها يتكلم مواطنوها لغات عديدة ولا يجدون وسيلة للتفاهم بينهم سوى لغة الدول المستعمرة نفسها. كما هو حاصل في بعض البلدان الأفريقية التي تتكلم الفرنسية وبعض البلدان الآسيوية بخاصة الهند وباكستان اللتان تتكلمان الانجليزية، هذه الوضعية تدفعنا الى القول بأن الدولة كمفهوم حديث لم تخلق في بلدان العالم الثالث الا بعد وصول الاستعمار.

هذا هو العالم الثالث وهذه بعض خصائصه وسماته المشتركة، والتي تبرر إطلاق اصطلاح العالم الثالث عليه، وهو عالم مبحر في بحر مليء بالأزمات والمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يصعب حلها، وهو بالمحصلة يضم دولاً فقيرة ومتخلفة تكنولوجياً وإن كانت تملك في مجموعها موارد ضخمة من المعادن والطاقة والثروة البشرية والحيوانية ولكنها تفتقر إلى التجانس الذي يميز كلاً من العالمين الأول والثاني.

تدريب (6)

ماذا نعني بقولنا دول العالم الثالث؟

أسئلة التقويم الذاتي (6)

1- إلى أي مدى كانت تصرفات الدول الاستعمارية تتفق مع ما كانت ترفعه من شعارات في بلدان العالم الثالث؟

2- هناك خصائص مشتركة بين دول العالم الثالث - عددها مع شرح إحداها.

2.4 الأزمات السياسية في العالم الثالث

ذكرنا سابقاً، عزيزي القارئ، أن حكومات العالم الثالث تنوء بالأزمات والمشكلات سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية، ولو تطرقنا إلى مناقشة أهم العوامل التي أثرتْ على الوضع السياسي الحالي في العالم الثالث وساهمت إلى حد بعيد في إشاعة الاضطراب السياسي فيه وإغراقه في بحر من الأزمات السياسية لوجدناها تشير إلى الآتي:

1- **الاستعمار** : نتيجة سيطرة شعوب أوروبا على شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لفترة طويلة من الزمن، وإن الشعوب القبلية في أفريقيا وجزء من آسيا والامبراطوريات التقليدية في آسيا قد تغيرت نتيجة لصراعها مع الإمبريالية الغربية. كما لا تنكر أن الدول الاستعمارية قد قدمت مفاهيم جديدة في التجارة والعلاقات الاجتماعية والنظم السياسية، تأثرت بها شعوب العالم الثالث إلا أن الطلب على التغيير في هذه المجتمعات قد ازداد بعد رحيل المستعمر مباشرة، ومثال ذلك ما حصل في تايلاند والصين.

وفي هذا الخصوص يمكن القول إن الاضطرابات السياسية دائماً تتلو التحرير لذا نجد أن التاريخ السياسي لآسيا وأفريقيا بعد الحرب مليء بالانقلابات والعصيان، وبالرغم من أن الاستعمار بشكله القديم قد ترك أو حاول أن يترك حكومات على النمط الديمقراطي الغربي، إلا أن الحكومات التسلطية هي التي سادت في العالم الثالث وذلك نتيجة للاضطراب السياسي وهي القاعدة بدل أن تكون الاستثناء.
(الرميحي، ديناميات التغيير السياسي والاجتماعي في العالم الثالث، مجلة عالم الفكر 1995، ص 348).

2- **التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية** : الاقتصاد المتطور يحتاج إلى وسائل مواصلات سريعة لنقل العمال والمواد الخام الأولية والمصنعة من وإلى الأسواق، والتغيرات الاقتصادية أيضاً يتبعها تغيرات في نمط الحياة الاجتماعية مما يسبب ضغوطاً على الحكومات من قبل الشعب قد لا تستطيع هذه الحكومات لأسباب متعددة إنجازها.

3- **نمو المدينة** : ساعدت الزيادة في السكان والرغبة في حياة أفضل على نمو المدينة وتضخمها، ومن المعروف أن سكان المدينة يحتاجون إلى خدمات حكومية أكثر من سكان الريف، تتمثل في الطرق والمواصلات والمدارس وإلى مجموعة كبيرة أخرى من الخدمات، وسكان المدن أكثر استعداداً للانتظام في أشكال سياسية وجمعيات وأحزاب تطالب بإصلاحات أو بتحدي النظام القائم.

4- **ثورة الاتصالات العالمية** : والتي جلبت معها مشكلات متعددة حيث جاءت بالتلفزيون والسينما والصحافة والإذاعة، والتي تحمل أخباراً عن المنتجات المادية للعالم ومن أكثر العواصم تطوراً. والغسالات الأوتوماتيكية والطباخات على الغاز هي مجال لتحرر الناس الذين لا يزالون يغسلون على ضفاف الأنهار أو يطبخون على نار الحطب.

هذه بعض النقاط الأساسية والعوامل التي تؤثر في المتغيرات السياسية في دول العالم الثالث، وتؤدي إلى نشوب أزمات سياسية فيه، هذا بالإضافة إلى عدد من العوامل لها تأثيرها في التطور والتحديث السياسي في بلدان العالم الثالث اهمها :

أ - **الشخصية القيادية** : وهي شخصية مؤثرة تظهر في الأزمات في الدول التي لا تتوفر لها مؤسسات وأنظمة وقوانين. فمثل هذه الشخصية قد يكون لها دور في التحديث والتطور السياسي في بلدها.

ب - **البيروقراطية** : نظراً لعدم وجود مؤسسات سياسية في دول العالم الثالث في الغالب وبروز دور الولاء القبلي والعائلي في هذه الدول. الأمر الذي يجعل للسياسيين من سيطرة وهيمنة على الأفراد والموظفين العاملين في الدولة وهم في العادة غير اكفياء لذا فإن البيروقراطية تتفشى وتسود وتلعب دوراً مؤثرا في التطور السياسي لبلدان العالم الثالث.

ج - **الأحزاب السياسية** : يندر وجود أحزاب سياسية فاعلة في بلدان العالم الثالث الأمر الذي يؤدي إلى ظهور مجموعات شكلية تلعب دورها في الظاهر ولكنها في الواقع تعتمد على شخصية زعيم قوي وهذا لا ينفي وجود احزاب في الدول العالم الثالث كما هو في الهند على سبيل المثال. قد أثبتت فاعليتها في إطار التحديث السياسي.

د - **التعددية السياسية المقيدة** : لا توجد تعددية سياسية بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة. في أغلب دول العالم الثالث والتي اعتادت على نمط من الحكم العسكري أو الحكم القائم على الحزب الواحد. وظل العديد من القادة السياسيين يتذرعون بأسباب وحجج مختلفة للعمل بالتعددية أو تقييدها. فعلى سبيل المثال وضعت الحكومة التونسية القيود على التعددية ولم تسمح بالترشيح لرئاسة الجمهورية التي أجريت عام 1994م سوى لمرشح واحد هو (زين العابدين بن علي). وفي جيبوتي والتي اخذت بالتعددية الحزبية غير انها اقتصرت ذلك على ثلاثة احزاب سياسية فقط هي العيسى والصومالي والعرب بينما بقي حزب العفر غير معترف به.

هـ - **الجيش** : هو الطريقة الوحيدة والغالبة في العالم الثالث والتي يمكن عن طريقها تحويل السلطة من الأرستقراطية إلى شرائح اجتماعية أخرى، ويقوم الجيش في العالم الثالث بدور الإسفنجة التي تمتص العاطلين عن العمل، وتوفر مصادر رزق لقطاع كبير من الشعب، دون أن يكون بمقدور هذه القطاعات المشاركة الإيجابية في الساحة السياسية.

وكثيراً ما تتم الانقلابات العسكرية لأسباب شخصية خاصة عندما تغلق سبل الترقيات في وجوه الضباط الكبار، لأن الانقلابات العسكرية أقل احتمالاً في أجواء حكم شعبي يحقق طلبات شعبه. ومن أهم اسباب الانقلابات العسكرية ايضاً هي الأزمات السياسية والمظاهرات والإضرابات وعدم الاستقرار السياسي بوجه عام.

تدريب (7)

1- ما العوامل السياسية ذات الأثر على الوضع السياسي في بلدان العالم الثالث ؟

أسئلة التقويم الذاتي (7)

1-هل للجيش من دور في تطور بلدان العالم الثالث؟ ناقش ذلك.

3.4 الأزمات الاقتصادية في العالم الثالث

نستطيع أن نصف العالم الثالث بأنه العالم الأكبر، من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان، إذ يحتل 60% من مساحة العالم، ويربو عدد سكانه على 70% من سكان الكرة الأرضية، وهو أكبر من العالمين الأول والثاني مجتمعين، وهذه النسب المئوية الهائلة التي يتمتع بها العالم الثالث يقابلها اختلاف مريع في توزيع الثروة بين هذا العالم والعالمين الآخرين، والفرق الشاسع أيضاً بين شمالي الكرة الأرضية الذي تحتله دول العالم المتقدمة وجنوبها الذي تشغله دول العالم المتخلفة من حيث الدخل الفردي، ومن المعروف أن الجوع والحرمان والأمية، آفات وأمراض تستشري في جسد العالم الثالث الذي انهكه الاستعمار ردحاً طويلاً من الزمن وإلى هذا الاستعمار كما ذكرنا يرجع الشطر الأكبر من المشكلات التي يعانيها ذلك العالم، كما ترجع إليه السياسة التي وضعها لاستمرار تلك المشكلات وبقائها تنخر في ذلك الجسد الذي تركه مستنزف الموارد عليلاً، منهك القوى، ولا يغرنك ما تقدمه الدول الرأسمالية وغيرها من دول العالم الثاني من مساعدات للعالم الثالث فهي مرتبطة أولاً وأخيراً بمصالح تلك الدول المانحة *سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. (كامل، 1985: ص9).*

وإذا دخلنا إلى العالم الثالث نفسه وجدنا تفاوتاً هائلاً بين بلدانه، فثمة بلدان وطبقات اجتماعية تعيش في تلك البلدان أبعد من أن توصف بالفقر بل إنها تتمتع في حقيقة الأمر بثراء فاحش قد يفوق ثراء بعض الدول المتقدمة ومع ذلك تحسب هذه الدول في عداد دول العالم الثالث وهنا تكمن المفارقة.

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح هو: ما العوامل والأسباب التي تساعد على نشوء الأزمات الاقتصادية وتولد الفقر في دول العالم الثالث؟ ولعل أهمها:

1- **الزيادة السكانية**: وهي المشجب الذي تعلق عليه بلدان العالم الثالث معظم مشاكلها. وكان المفكر الإنجليزي «مالتوس» هو أول من نادى بإرجاع فقر الأمم إلى زيادة عدد السكان، واعلن أن السكان يتزايدون بموجب متتالية هندسية في حين أن زيادة المواد الغذائية تتم على أساس متتالية حسابية (والفرق بين المتتاليتين كبير) ومن ثم فقد تنبأ مالتوس بحدوث مجاعة هائلة ستجتاح العالم في المستقبل، اذا لم يتم وضع حد للنمو السكاني المخيف من جهة، والعمل على تنمية موارد العالم الغذائية من جهة اخرى.

وواقع الأمر أن المشكلة ليست في جوهرها مشكلة ازدياد عـدد السكان في البلاد الفقيرة بقدر مـا هي مشكلة سـوء توزيع هؤلاء السكان على الأراضي، حيث تـضم معظم بلدان العالم. ومنها بلـدان العالم الثالث مساحـات واسعة من الأراضي تكاد تكون خالية من السكان. ويتكدس الناس في المدن وبالتالي نرى أن لا عـلاقة حتمية بين الفقر والكثافة الكتابة السكانية فثمة بلدان مرتفعة ومتوسطة ومنخفضة الدخل تدخل في عداد البلدان ذات الكثافة السكانية المرتفعة فالحبشة مثلا ذات كثافة سكانية تعادل كثافـة الولايات المتحدة الامريكيـة بيد أن متوسط دخل الفـرد السنوي منها لا يكاد يزيد عن مائة دولار، وسنغـافوره تعاني يزيد من كثافـة سكانية هائلة (3900 نسمة للكيلو متـر المربع) غير ان دخل الفـرد فيهـا يزيد ثلاثين ضعفـا عن دخل الفرد في إثيوبيا. كما يتمتع الفـرد في اليابان بدخل يزيد عن دخل الفرد في كثير من البلدان الاوروبية. علما أن الكثافة السكانية في اليـابان مرتفعة عنها في الهند ذات الدخول المنخفضة. (كامل: 1985، ص 10)

2- **الموارد الطبيـعية** : تشكل الموارد الطبيعـية ذريعة أخرى تلجأ إليهـا معظم حكومات العالم الثالث لتبرير تخلف شعوبها، والواقع أن هذا التبرير قد يكون مضللاً وخادعاً في كثـير من الأحيان، إذ أن التـفاوت في الثروة بين الأمم لا يمت كثـيراً بصلة إلى اختلاف الموارد الطبـيعية، فاليابان مثـلاً لا يملك شيئاً من النفط، كمـا أنها تستورد معظم المواد الطبـيعيـة من الخارج لإنتاج صناعاتهـا الضخمـة، ومع ذلك فإن دخل الفرد فـيهـا يفوق دخل الفرد فـي المكسيك التي تملك مـعادن وفيـرة وثرية خصـبة ومقادير غزيرة من البتـرول وأنهاراً كافية لتوليد طاقة كهـربائية هائلة، فالتفاوت في الثروة بين الأمم يرجع مـعظمه إلى حسن أو سوء استـغلال الموارد الطبيـعية لا إلى وجود هذه الموارد نفـسها. وقد كـانت الأرجنتين التي تعد من أكبـر الدول المصدرة للقمح في العالم، دولة مستوردة للقمح طيلة أجيال مـتعاقبة حتى هاجر إليها أناس من نوعية مختلفة ومن ثقافات مختلفـة وذوي مهن ومهارات متنوعة فاستحالت إلى دولة من أكبر الدول المصدرة للقمح في العالم بأسره.

3- **الغـذاء** : هناك عـبـارة نشـرت على غـلاف كتـاب ذائع الصـيت عنـوانه "القنبلة السكانية" تقول: وأنت تقرأ هذه الكلمات يموت ثلاثة أطفال في العالم جوعاً ويولد أربعة وعشرون آخـرون". والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هناك علاقة حقـيقية

بين هلاك الأطفال جـوعاً وولادتهم بهـذه الكثرة؟ والواقع أن المجاعـات تحدث في العالم على الرغم من وجود فائض غذائي فيـه، بل قد تحدث مجاعة في بلد يكون فيه هذا الفائض. وحقيقة الأمر كما تثبت الإحصائيات المتاحة أن المواد الغذائية تزداد في العالم أسرع مما يـزيد عدد السكان ومقدار الطعام الذي يحـظى الفرد الواحد به ارتفع اليـوم عمـا كان عليـه منذ قرن مـضى، وما تعـانيه بعض مناطق العـالم من مجاعات يأتي في معظمه من النظم السياسية أكثر مما يأتي من حجم السكان، إذ أن كثيراً من دول العالم الثالث تمنع استخدام المحاريث والأجهزة الآلية الزراعية (الميكنة) بحجة أنها تقلل من فرص العمل.

وليس معنى هذا أن دول العالم الثـالث قد كتب عليها أن تعاني الفـقر والتخلف والتبعيـة إلى الأبد، إن هذه الدول تستطيع أن تخرج من أوضاعها الـسيئة وأن تحطم ما يفرض عليها من ضعف وتخلف بأن تنظر إلى الأمـور نظرة واقعية وبأن تضع لمشكلاتها حلولاً مبتكرة تتناسب مع ظروفهـا وبيئتها، كما أننا نجد في كـثير من الأحيان أن بعض دول العالم الثالث تعاني من أبنائها أنفسهم مـا لا تعانيه من الغرباء الأجانب، وكثير من دول العالم الثـالث التي نالت استقـلالها بشق الأنفس والتي انتـزعت حريتهـا بعد عناء شديد من براثن الاستعمار عادت وبددت هذا الاستقلال وأضاعت تلك الحرية لا لشيء إلا أنها لم تحسن استغلال مواردها ولم تحقق كل إمكاناتهـا وضل سعيها وكانت النتيجة أنها انتكست على أيـدي حكامها المتطلعين إلى تحـقيق الأمجاد الشـخصيـة، انتكاسات يصعب الخروج منها والتقدم بعدها.

4- **إنشاء المشاريع الضخمة** : وهي مشاريع ذات مردود اقتصادي ضعيف ولا تعادل ما أنفق عليهـا من اموال وما بذل فـيها من جهـة. وتؤدي في نهاية الأمر إلى خـسائر مادية فادحة.

5- **الهجرة** : وتعتبر من آفات العالم الثالث، إذ أن كثيرا من حكومات هذا العالم تدفع بابنائها وبخاصـة المتعلمون الى الهجرة وبذلك يهدرون مـورداً هاما من موارد البلاد كان يمكن أن يسـاعد في تنمـية بلدة وتحسـين أحوالها ويعـتبر هذا العـمل حمـاقة اقتصادية عدا عن كونه عملا غير اخلاقي.

6- **البـيروقراطية**: وهي منتشـرة على مسـتوى واسع في بلدان العالـم الثالث ويمكن إرجـاعهـا الى نظام الحكم أولا ونظام التـعليم ثانيا. إذ يـسعى الحكام إلى توطيـد

مراكزهم وتشديد قبضتهم على الافراد والمواطنين وتشكيلهم وفقاً لقوالب وأنماط سهلة التوجيه والخضوع والإذعان وذلك عن طريق وضع نظم تعليمية وتربوية تضمن لهم ذلك. وبذلك تصبح البيروقراطية عقبة في سبيل التنمية بدلاً من ان تسهم في التقدم الاقتصادي والثقافي والسياسي لتلك البلدان.

وعندما لا تستطيع البيروقراطية استيعاب الأعداد الضخمة من الشبان الذي تفرزهم الجامعات والمعاهد عاماً بعد عام فإنها لا تجد أمامها بديلاً عن هذا إلا أن تجعل فئة كبيرة من هؤلاء الخريجين -فئة عاطلة- ساخطة خطرة ومدمرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

بعد أن عرضنا لأهم الأزمات الاقتصادية التي تعرقل التنمية في دول العالم الثالث، يبقى الاختيار الصعب أمام شعوب هذه الدول، فهي إما أن تستكين وترضى بالتبعية والانسياق وراء نموذج من النماذج التي تفرضها الدول العظمى، وهي من دول العالم الأول وفي هذا فقدان لشخصيتها وطمس لهويتها أو أن تتصدى للأزمات التي تواجهها وتبحث في صدق عن همومها وتلتمس طريقها الخاص بها، وتهتدي إلى الحلول الخلاقة التي تمكنها من الخروج من أزماتها سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية.

تدريب (8)

هل هناك أي علاقة بين تخلف دول العالم الثالث وتقدم دول العالم الأول؟ اشرح.

أسئلة التقويم الذاتي (8)

1- اذكر عاملاً أو أكثر من عوامل وأسباب نشوب الأزمات الاقتصادية في دول العالم الثالث.

2- اكتب عن تفشي آفة البيروقراطية في دول العالم الثالث وأسبابها.

4.4 الأزمات الاجتماعية في العالم الثالث

أغلب الظن أن المشاعر الحالية والحافلة بالإحباط ونفاذ الصبر في دول العالم الثالث لا ترجع إلى معدل النمو بقدر ما ترجع إلى المشاكل والأزمات التي لم يتمكن

هذا النمو من حلها وعلى رأسها الأزمات الاجتماعية، ويزودنا عقد الثمانينات بأدلة متزايدة على كثير من حالات الفشل. إذ في بداية الثمانينات ظل هناك أكثر من 400 مليون شخص يعانون من سوء التغذية، وأما الذين يعانون الفقر المطلق أي الذين يعيش الفرد منهم بدخل يقل عن 75 دولاراً ربما كانوا أكثر من ضعف هذا العدد. ويوجد اليوم في العالم الثالث حوالي 600 مليون من الأميين البالغين كما يواجه الموت قرابة 15 مليون من الأطفال الذي تقل أعمارهم عن الخامسة، وبالنسبة للبليون شخص الذين يعيشون في أفقر هذه البلدان فقد حققت الأعوام الثلاثين الماضية زيادة في الدخل الحقيقي للفرد يتراوح بين دولارين إلى ثلاثة دولارات في السنة. (لوب، 1986 : ص 7).

وفضلاً عن ذلك ثمة ما يدعو إلى الخوف من أن تتفاقم المشكلات الاجتماعية التي عجزت دول العالم الثالث عن حلها خلال العقود السابقة مثل مشكلات النظافة والبطالة والجوع.. بالإضافة إلى الأزمات الاجتماعية والمتمثلة بالسكان والتغذية والتعليم والفقر، والتي سنحاول الوقوف عندها وتحليلها.

1.4.4 السكان

خلال العقود الثلاثة الماضية تضاعف تقريباً عدد سكان البلدان النامية، إذ ارتفع عددهم من بليون نسمة في عام 1950 إلى أكثر من بليونين عام 1980 أي بمعدل 2.4٪ سنوياً، وهو معدل لم يسبق له نظير ليس فقط في تاريخ هذه البلدان وإنما في تاريخ العالم المتقدم أيضاً. علماً أن هذه التقديرات تفيد أن هذا المعدل كان يقل عن 1٪ لهذه البلدان قبل الحرب العالمية الأولى، وظل معدل النمو السكاني أدنى من 2٪ حتى عام 1940 (علماً أن معدل البلدان المتقدمة حوالي 1٪ حالياً).

هذا الانفجار السكاني كان مباغتة للخبراء فحتى عام 1950 كانت دراسة استقصائية أجرتها الأمم المتحدة للفترة بين عامي 1950-1980 لا تزال تتوقع زيادات سنوية تتراوح بين 0.7 و1.3٪ بالنسبة لأفريقيا وآسيا، ولم يعلم الخبراء بوجود الانفجار إلا خلال الستينات.

وقد كان هذا النمو السكاني السريع يرجع أساساً إلى الانخفاض السريع وغير المتوقع في معدل الوفيات في هذه البلدان جميعاً. ففي بلدان العالم الثالث انخفضت الوفيات بسرعة تزيد قرابة خمس مرات على السرعة التي كانت منخفضة بها في البلدان

المتقدمة عندما كانت هذه البلدان الأخيرة عند مرحلة مماثلة في التطور، وعلى سبيل المثال ففي ثمانية أعوام من عام 1945-1953 كان الهبوط في معدل الوفيات في سري لانكا يعادل تقريباً الانخفاض في هذا المعدل في السويد في قرن بأكمله (من عام 1771-1871). (لوب، ص 16)

وقد كان من أكثر ما ترتب على الزيادة السكانية في العالم الثالث من نتائج لافتة للنظر، الانفجار الأشد حدة في معدل التوسع الحضري، فمنذ ثلاثين عاماً كان سكان الحضر في هذه البلدان حوالي 250 مليوناً، أما اليوم فيصل إلى 800 مليون، ففي عام 1950 كان شخص من كل خمسة أشخاص في العالم الثالث يعيشون في المدن أما اليوم فإن النسبة واحد إلى ثلاثة.

ومنذ ثلاثين عاماً كانت هناك ست مدن فقط في العالم بأسره لم يكن من بينها إلا مدينة واحدة في العالم الثالث هي بيونس آيريس يتجاوز عدد سكان كل منها خمسة ملايين نسمة، وقد بلغت هذه المدن في عام 1975 إحدى وعشرين مدينة من بينها عشر مدن في البلدان النامية، وربما تصل اليوم إلى خمسة عشر مدينة او تزيد.

2.4.4 التغذية

ففي داخل العالم الثالث كانت استراتيجيات التنمية المتبعة منذ نهاية الحرب الثانية موضع تحد يتزايد منذ نهاية الستينات حتى الآن، وكان النقاد يجادلون بأن عشرين عاماً من النمو الاقتصادي لم تسفر عن تحسن يذكر في حياة غالبية الناس. بين عامي 1960-1975 زاد متوسط استهلاك الفرد من السعرات الحرارية في العالم الثالث، وكانت هذه الزيادة مع ذلك أبطأ في أفقر البلدان فضلاً عن أن التقدم كان يتفاوت من بلد إلى آخر، وبينما كان التقدم هاماً للغاية في أمريكا اللاتينية وشمال أفريقيا والشرق الأوسط والصين فإن استهلاك الفرد من السعرات الحرارية لم يتغير في البلدان الآسيوية الأخرى على حين تضاءل في أفريقيا جنوبي الصحراء.

لقد أعلنت الأمم المتحدة في عام 1974 أن 400 مليون شخص يعانون من سوء التغذية في العالم الثالث، وأيا كان التقدير الذي نستخدمه فيما يتعلق بعدد من الناس الذي يعانون سوء التغذية فإنه يسهم إلى مجموع سكان العالم الثالث نسبة كبيرة جداً فهي تتراوح بين 20-50٪. (لوب، ص 49).

3.4.4 التعليم

واجهت بلدان العالم الثالث زيادة سريعة في عـدد حجرات الدراسة كما ازدادت بدرجة كبيرة أعداد هيئات التدريس فـيها، وعلى الرغم من ذلك فإن عدد التلاميذ لكل معلم ظل عالـياً حتى الوقت الحاضر (أعلى مـرة ونصف من مثيله في البلدان المتـقدمة) كما لم يطرأ عليه في الحقيقة تغيير يذكر منذ عام 1960 ويماثل ذلك في الأهم معدلات التسـرب من المدارس وهي معدلات لم تكن تتحسن إلا ببطء شديد فحـتى عند نهاية السبعينات كان حوالي نصف التلاميذ يتركون المدارس قبل أن يصلوا إلى الصف الرابع.

كما وجهت إلى التعليم الابتـدائي تهمة تشجيع النزوح من الريف بدلاً من تعليم القرويين الدراسات العـملية التي قد يحتاجـون إليها وكذلك وجهت إلـى التعليم العالي تهمة إفراز خـريجين متعطلين ليس لتدريسهم صلة باحتـياجات بلدانهم. ومع ذلك فإن نقداً كهـذا إنما يشير بالفعل إلى أننا لا نسـتطيع لدى تقييم التعليم فـي العالم الثالث أن نكتفي بالإشارة إلى الاحصائيات المتـعلقة بالانتظام والمدارس وإلى عدد الخريجين فقط، بل علينا أن نعالج مشكلـة الأمية ونوليها اهتمـامنا الكافي للحد من نسبتهـا المرتفعة في الكثير من بلدان العالم الثالث تمهيداً للقضاء عليها.

4.4.4 الفقر

استناداً إلى إحصـائيات البنك الدولي فإنه يقطن في آسيـا ثلاثة أرباع ممن يعانون الفقر المطلق في العالم، كما أجرى مكتـب العمل الدولي مؤخراً دراسة لتطور الفقر في الريف في ستة بلدان آسيـوية (بنغلادش، اندونيسيا، ماليزيا، باكـستان، الفلبين، سري لانكا) وأربع ولايات هندية (أوتار، براديس، بيـهار، تاميل نادو والبنجـاب) وان نتائج هذه الدراسة تشير إلى تدهور عام في الأحوال المعيشية لسكان الريف في البلدان السابقة الذكر. كما تخلص دراسـة شاملة أجراها بنك التنمية الإسلامي في الـسبعينات إلى أنه يوجد توافق عام في الآراء على أن مشكلة الفقر في الريف قـد تفاقمت كثيراً في منطقة بنك التنمية الإسلامي في العقد الماضي.

وعلى شاكلة جنوب آسـيا فإن أفريقيـا جنوبي الصحراء تعد إحـدى مناطقه التي ينتشر فـيها الفقر عـلى أوسع نطاق.. وأخيراً ففي أمريكا اللاتيـنية فيما يبـدو أن نسبة السكان الذين يعيشون فـي فقر قد تناقصت إلا أن أعدادهم المطلقة مـا زالت هي نفسها بهذا القدر أو ذاك.

تفيد تقديرات اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية التابعة للأمم المتحدة أنه في عام 1960 كان نصف سكان المنطقة يعيشون في فقر، وربع هؤلاء السكان يعيشون في فقر مدقع وفي عام 1970 أصبحت هاتان النسبتان 40٪ و 19٪ على التوالي ولكن الأرقام المطلقة (110 ملايين شخص يعيشون في فقر و55 مليوناً في فقر مدقع) ظلت كما هي على وجه التقريب. (لوب، ص 67).

ومما لا ريب فيه، عزيزي القارئ، أنه قد حدث شيء من التقدم في إشباع الاحتياجات الأساسية لسكان العالم الثالث. مثال ذلك أن الأحوال الصحية قد تحسنت وأن التعليم قد مضى قدماً من الناحية الفعلية في جميع البلدان، هذا فضلاً عن أن أوضاع الطبقات الأشد فقراً قد تحسنت في عدد كبير من البلدان النامية، على أن التقدم الذي أحرزته هذه البلدان في قطاعي الصحة والتعليم على سبيل المثال كان بطيئاً، بيد أنه فيما يتعلق بالأحوال المعيشية لاشد سكانها بؤساً وتعاسة يكون لدينا ما يكفي للانزعاج، فالنسبة لمئات الملايين من البشر الذي يعيشون في أفريقيا جنوبي الصحراء، وفي جنوب آسيا يبدو واضحاً أن الحياة لم تتحسن منذ الحرب العالمية الثانية، والحقيقة أنه قد يكون من قبيل التفاؤل أن نقول إن أوضاعهم لم تزدد سوءاً.

بالنسبة لبلدان العالم الثالث -والحقيقة بالنسبة لجميع الدول- تميزت السبعينات بانتفاضات لها دلالتها، ارتفاع أسعار النفط عقب حرب تشرين الأول/ اكتوبر 1973 وارتفاعها ثانية بين عامي 78-80 (حيث أن الارتفاع في أسعار النفط والحبوب، وكذلك في أسعار الأسمدة والسلع الإنتاجية أدى إلى زيادة كبيرة في فاتورة الواردات).

كما شهد العالم الثالث طيلة ثلاثين عاماً نمواً اقتصادياً ليس له سابقة في التاريخ، فناتجه المحلي الإجمالي زاد بمقدار خمس مرات ومتوسط دخل الفرد وصل إلى أكثر من الضعف، وأقامت البلدان الجديدة أجهزتها الإدارية وشيدت هياكلها الأساسية ونمت مواردها الطبيعية، وكان هناك تقدم ملحوظ في الصحة والتعليم والإسكان.

غير أنه في ختام هذه الفترة من النمو الاستثنائي أخذت عيوب وشروخ عديدة تبدو واضحة للعيان، فالفجوة بين البلدان المتقدمة والنامية تزداد اتساعاً باستمرار، كما أن الفجوة داخل بلدان العالم الثالث نفسه ازدادت بدورها.

وفي العقود القادمة سيظل تطور نواة الفقر هذه يشكل التحدي الحقيقي الذي يواجه العالم الثالث، وستكون غالبية القضايا الحيوية للتنمية متعلقة بأحوال هذا البليون

من الرجـال والنساء الـذين تطحنهم أبشع صـور الفقـر، ويؤكـد براندت رئيس اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية (مـستشار ألمانيا الاتحادية الأسبق) في تقرير اللجنة الأهمية الأساسـية لهـذه المسألة ويعلن أن: "الأولوية ينبـغي أن تعطى لأفقـر البلدان والمناطق، ونحن ندعو إلى مبادرة رئيسة لصالح أحزمة الفقر في أفريقيا وآسيا". (لوب، ص 92).

وبات واضحاً اليوم أن الاسـتراتيجيات الحاليـة للتنمية لن تحل هذه المشكلة، لأن عقوداً ثلاثة من التنميـة قد أسفرت في أفضل الحالات عن ركود فـعلي في أحوال أكثر من نصف سكان العالم الثالث وحتى في أسوأ الحالات عن تدهور هذه الأحوال.

ومهـما يكن من أمر فـإن المسؤولية الرئيـسة عن التنمـية ستـقع على دول العالم الثالث نفـسهـا وأن أداءها الاقتصـادي سيتـوقف في الجانب الأكـبر منه على جـهودها الخاصة، ومع ذلك فإن المجـتمع الدولي يتحمل مسؤوليـة هامة، فمن الواضح اليوم أن بلدان الشمال لم تعد باستطاعتها تشكيل سياساتها دون الاهتمام ببلدان الجنوب، بقدر ما لم يعد باستطاعة هذه الأخيرة تحديد استراتيـجياتها الإنمائية دون أن تضع موضع الاعتبار أوضاع الدول الصناعيـة والاجراءات التي تتخذها، وبقـدر ما هو من الجوهري الآن أن يعاد النظر في النمو في البلدان النامية يكون من الضروري أيضاً أن يعاد تحديد العلاقات الاقتـصادية بين الدول الغنيـة والفقيـرة في عالم متـرابط، فاليوم لم يعـد بوسع البلدان المتقدمة أن تتجاهل دور العـالم الثالث، وعلينا أن نحول هذا الترابط السلبي إلى تضامن إيجابي وفعلي.

تدريب (9)

هناك جيوب عديدة من الفقر في دول العالم الثالث، اذكرها.

أسئلة التقويم الذاتي (9)

1- بيّن أهم المشكلات الرئيسة والتي كانت السبب في الأزمات الاجتماعية خلال العقود الماضية في بلدان العالم الثالث

5.انتهاء الحرب الباردة وهيمنة الولايات المتحدة على الشؤون الدولية

عاش العالم عملياً في الفترة من 1945-1990م في نظام دولي هيمنت عليه سياسة المجابهة المستمرة التي تميزت بمظهرين أساسيين: التنافس الأيديولوجي من جهة والتسابق نحو التفوق العسكري من جهة أخرى، وكان ميدان هذه المجابهات الكرة الأرضية بالكامل، وقد أطلق على هذه الفترة عصر الحرب الباردة.

وقد تنبأ بعض المفكرين والمراقبين السياسيين منذ عقد من الزمن عن حدوث تطور في النظام الدولي والذي كان قائماً. وظهور عالم متعدد الأقطاب بسبب تصاعد قوة أوروبا الموحدة أو ألمانيا أو اليابان، ولضعف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في المجالات الاقتصادية لأمكن تحديد خمس مناطق سياسية مستقبلية هي: الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، الصين، اليابان، أوروبا الغربية، بحيث تتقاسم مناطق النفوذ في العالم كله. ولا بد من الإشارة هنا أن أحداً من المفكرين لم يخطر بباله الانهيار السريع للاتحاد السوفيتي والطريقة التي انهار بها، إذ كانت التوقعات تقول بانضمام لاعبين جدد في الرهانات الدولية ويزداد عددهم. ويصيب التعب اللاعبين القدامى ويزداد عدد المشاركين في النادي النووي وتطرأ تعديلات هامة على توزيع دائرة القوى العالمية وهكذا وبعد خمس وأربعين سنة من الحرب الباردة والصراع المستمر من أجل الهيمنة بين نظامين للقيم وطرازين للمجتمع متناقضين يجد العالم نفسه أمام مفترق طرق، ويسعى الرأسمالية العالمية وحلفاؤها للهيمنة على المؤسسات الدولية وبالتالي خلق نظام دولي جديد.

ومع شيوع مفهوم النظام الدولي الجديد وانتشاره تعددت الرؤى والتصورات والتقييمات بشأنه بل وقد وصلت إلى حد التضارب والتناقض.

من هذا المنطلق، عزيزي القارئ، تم طرح عدد من الأسئلة تجول في الفكر حول عدد من القضايا والتساؤلات المرتبطة بأشكالية النظام الجديد أهمها:

1- هل هناك فعلاً نظام دولي جديد في هذه المرحلة من تطور العالم.

2- إذا كانت الإجابة بنعم، ما المقصود به، وما العوامل التي ساهمت وتساهم في خلق

هذا النظام وتشكيله؟ وما طبيعة هذا النظام؟ وما الذي يميزه عن النظام القديم؟ وما ملامح بنيته أو ما هيكل هذا النظام؟ وأخيراً ما القيم التي يستند إليها هذا النظام؟

1.5 مفهوم النظام الدولي (العالمي) الجديد وهيكله

اتجه الغالبية العظمى من الباحثين لاستخدام اصطلاح النظام العالمي الجديد New World Order لوصف التطورات التي شهدها ويشهدها العالم في أعقاب الحرب الباردة وأوضحوا في هذا الصدد التحول الذي يشهده العالم بعد انتهاء هذه الحرب، و ظهور تحولات رئيسة في هيكل توزيع القوة والقواعد التي تحكم التفاعلات الدولية. فلقد شهد العالم مثل هذا التحول خلال القرن العشرين في عامي 1919، 1945 نهاية كل من الحربين العالميتين الأولى والثانية. ونهاية الحرب الباردة لا تمثل استثناءً لهذا النمط، وان اختلفت القوة الدافعة لهذا التحول ومظاهره. (بدران، 1995 : ص 25).

فإذا كان التحول الأول الذي شهده هذا القرن في أعقاب الحرب العالمية الأولى قد جاء نتيجة للتطلعات القومية داخل أوروبا، فإن التحول الثاني في أعقاب الحرب العالمية الثانية تضمن صراعاً أيديولوجياً عالمياً بين قوتين عظميين. أما روح وهيكل التحول الثالث الذي شهده هذا القرن في نهايته فيتم تشكيله في إطار التأثير السياسي لانتصار التحالف الغربي في الحرب الباردة، وإذا كان هؤلاء الباحثون يتفقون على المفهوم العام للنظام العالمي الجديد بمعنى تغير هرم السلطة والقوة والقواعد التي تحكم العلاقات بين الدول، فإنهم يختلفون في توصيف المقصود بالجديد في هذا النظام، كما يختلفون في تركيزهم على الأبعد المختلفة له وفي رؤيتهم لهذه الأنظمة.

فبينما اهتم البعض بهيكل النظام، اتجه فريق ثان للاهتمام بمصادر التهديد في هذا النظام، واهتم فريق ثالث بتوجيهات التفاعلات داخل هذا النظام، وسنتناول بإيجاز وجهات النظر المختلفة حول الأبعاد السابق الإشارة إليها.

1.1.5 هيكل النظام

ركز أنصار هذا البعد على دور القوة في هذا النظام سواء أكانت هذه عسكرية او اقتصادية. وبينما اعتقد أنصار القوة العسكرية أن الولايات المتحدة الامريكية سوف تمارس دور القطب الواحد كي تسيطر على الأحداث الدولية، تحدث أنصار القوة الاقتصادية عن نظام تعدد القوى الذي لا يسمح بسيطرة أي قوة منفردة على التفاعلات والأحداث الدولية.

يرى أنصار الفريق الاول أن الولايات المتحدة أصبحت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القوة الوحيدة والعظمى على تنظيم الأوضاع والأحداث العالمية ودون معارضة أحد إلا أن بعض الباحثين شككوا في هذا القول مستندين على عدد من العوامل تؤيد وجه نظرهم وهم يرون أن هيكل النظام العالمي الجديد هيكل يتسم بتعدد القوى. ويرى أنصار الفريق الثاني والقائلون بتعدد مراكز القوى أنه لا توجد دولة واحدة تتمتع بتفوق كامل في جميع عناصر القوة ويرون أن الولايات المتحدة الأمريكية وإن كانت تتمتع بتفوق عسكري وسياسي ودبلوماسي إلا أنها في المجال الاقتصادي لا ترقى إلى الأداء الأوروبي والياباني في هذا المجال وتجدر الإشارة هنا إلى أن مراكز القوى الأخرى في النظام العالمي الجديد لا تتمتع منفردة بعناصر القوة اللازمة لقيادة العالم كما يشكك أنصار الفريق الثاني بعدم قدرة الولايات المتحدة على القيام بدور القطب الواحد لأنها لا تستطيع إيلاء الترتيبات السياسية والاقتصادية على مستوى العالم أجمع.

في إطار مثل هذا النمط من التحليل يوضح أنصار تعدد القوى أنه من الصعوبة بمكان تصور إمكانية قيام الولايات المتحدة بدور حاسم في مجال تحقيق الاستقرار العالمي والديمقراطية في العالم، وإذا كانت الولايات المتحدة قد اتبعت سياسة تدخلية فعالة في حالة أزمة الخليج الثانية فإن هذه الأزمة اتسمت ببعض الخصائص الفريدة، فهناك العديد من العوامل ساهمت في دعم فعالية التدخل الأمريكي سواء على المستوى الداخلي أو الدولي، فقد تعلقت القضية بمصالح الغرب في البترول كما وأن شخصية صدام حسين كان من السهولة بمكان تصويرها على أنه مناهض للمصالح الغربية في إطار تهديداته باستخدام الأسلحة الكيماوية، وكذلك فإن الإشارة إلى سابقة تدخل الولايات المتحدة في جرانادا وبنما كأحد السوابق التي تشير إلى نجاح الولايات المتحدة في فرض رؤيتها في النظام العالمي الجديد بمساندة الأنظمة الديمقراطية في العالم مقولة مردود عليها فإن ظروف التدخل الأمريكي في هاتين الدولتين قد يصعب تكراره، فكلا الدولتين كانت دولة صغيرة وذات موقع جغرافي تستطيع الولايات المتحدة أن تدعم قوتها العسكرية فيه بأقل جهد وأكبر فعالية ممكنة.

2.1.5 النظام العالمي الجديد كمصدر من مصادر التهديد

في عدد من البحوث والمصادر التي تناولت النظام العالمي الجديد نرى اهتمام بعض الباحثين التركيز على مصادر التهديد الذي يواجهه هذا النظام في مجال السلم

والأمن والرفاهية الاقتصادية ويركز أغلب الباحثين بهذا الصدد على الجنوب، كمصدر لمثل هذه التهديدات وان عمد البعض منهم على إبراز الشمال كمصدر لها وتطرق الباحثون إلى ظاهرة استمرار الصراعات في دول العالم الثالث وغياب دور القوى العظمى الذي ساد خلال الحرب الباردة واستمرار تسليح هذه الدول وفشل الديمقراطية وانتشار الفقر والمخدرات واللجوء إلى الهجرة، ويوضح أحدهم Carpenter أن العديد من الصراعات التي تتعرض لها دول الجنوب لن تختفي باختفاء الحرب الباردة فعدد من هذه الصراعات ترتبط بالحدود التي فرضتها الدول الاستعمارية على هذه الدول وهي الحدود التي تسعى بعض دول الجنوب تغييرها، مثال ذلك المطالب العراقية بالكويت والتي ترجع إلى سنوات سابقة لتولي صدام السلطة في العراق، وهي ترجع بالواقع إلى العشرينات من هذا القرن فيما قامت بريطانيا بفرض حدود تحافظ على المحمية البريطانية في الكويت، (بدران، ص 30)، ويشير الباحثون إلى عدد من آخر التهديدات يفرضها الجنوب على هذا النظام مثل الفقر الذي يرى فيه البعض المصدر الرئيس للفوضى العالمية وزيادة الهجرة من الجنوب إلى الشمال، ومشاكل المخدرات والبيئة التي قد تؤدي إلى مواجهات من الدول المتقدمة التي تسعى لحماية الصحة.

ويعتقد الباحثون أن اتساع الفجوة بين الشمال والجنوب يمثل مصدراً هاماً لعدم الاستقرار في النظام العالمي الجديد فبالرغم من أن بعض الدول النامية في آسيا نجحت في إحراز تقدم هائل في مجال التنمية الاقتصادية إلا أن الغالبية العظمى من دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية شهدت اتساعاً في الفجوة التي تفصل بينها وبين الدول المتقدمة، هذا الاتساع في الفجوة في مستويات المعيشة يتم في فترة يشهد فيها العالم انتشاراً هائلاً للثقافة الغربية وأنماط الاستهلاك السائدة في الغرب من خلال وسائل الإعلام وقد ترتب على هذا الوضع ارتفاع تطلعات الشعوب الفقيرة، الأمر الذي أدى بدوره إلى زيادة حدة التوتر بين الشمال والجنوب، والذي انعكس في زيادة الحركات المعادية للغرب في دول العالم الثالث.

مع نهاية الحرب الباردة فإن التفاوت الاقتصادي بين الشمال المصنع والجنوب المحروم سيكون مصدر التهديد الحاسم، وإذا لم يتم تدارك تلك الأوضاع من رفع الظلم وتحسين مستوى المعيشة وتسهيل دور التكنولوجيا فإن الجنوب سيحصل على ما حرم منه بالقوة، إن هيمنة الشمال في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية على العالم

أجمع تؤدي إلى ظهور بؤر متعددة قد تكون في البداية إقليمية ثم تصبح شاملة ويكون الفقراء والجياع الضحية أولاً وأخيراً.

3.1.5 توجيهات التفاعلات الدولية

وبينما اهتم بعض الباحثين بالتركيز على التكتلات الإقتصادية الاقليمية في النظام الدولي الجديد اهتم البعض الآخر بظاهرة الاعتماد المتبادل (أي زيادة اعتماد الوحدات الدولية الواحدة منهم على الأخرى) كأحد الخصائص التي تميز هذا النظام، وفي هذا الصدد ناقش كلا الفريقين إمكانية مساهمة مثل هذه التفاعلات في تحقيق السلام في النظام العالمي الجديد.

تدريب (10)

هل يمكن اعتبار النظام الدولي الجديد مصدراً من مصادر التهديد في العالم؟

أسئلة التقويم الذاتي (10)

1-هيكل النظام الدولي الجديد يتسم بتعدد القوى، ناقش هذه العبارة.

2.5 سمات وملامح النظام الدولي الجديد

ماذا نقصد أصلاً باصطلاح النظام الدولي الجديد؟ وإلى أي مدى يحق لنا في الوقت الحاضر ومنذ بداية العقد الحالي تحديداً الحديث عن نظام دولي جديد؟ وما السمات والملامح العامة المميزة لهذا النظام؟

سأحاول، عزيزي القارئ، أن أجيب عن هذه التساؤلات ولكن مهما كانت إجابتي كافية، فلا بد لك من الاطلاع على المزيد من المراجع بخصوص هذا الموضوع الشيق والهام.

1.2.5 ما المقصود بالنظام الدولي الجديد؟

المعروف أنه لا يوجد ثمة تعريف واحد متفق عليه بين جمهور الباحثين لاصطلاح النظام الدولي الجديد، فالكل ينظر إلى هذا الاصطلاح من زاوية خاصة أو من منظور

مخـتلف، انطلاقاً من اعـتبارات وحـسابات خاصـة، في حين يصـفه البـعض بأنه نظام محايد، ويصفه البعض الآخر بأنه نظام غير محايد أو منحاز إلى طائفة أخرى من الدول في المجتـمع الدولي على حسـاب الطوائف الأخرى، أما البـعض الثالث فـلا يتردد في وصف النظام الدولي الجديد فإنه يقوم أساسـاً على مبدأ المعيار المزدوج Double Standard. (هلال، 1995، ص 11).

وبصفة عامة يمكن القول بأن اصطلاح الـنظام الدولي والذي شاع استخدامه على نطاق واسع من جانب الباحثين والمحللين خلال الفترة الأخيرة، إنما يستخدم للإشارة إلى شبكة علاقـات القوى التعاونية منهـا والصراعية على حد سـواء، والتي تتم بين أعضاء المجتمع الدولي على المستويين العالمي والإقليمي والتي تجري وفقاً لنسق أو منظومة معينة للقيم.

ويسـتدل من ذلك في واقع الأمـر، عزيزي القـارئ، على أن أي نظام دولي إنما تتحدد عناصره في مجموعة رئيسة تتمثل أبرزها فيما يلي:

1- إن النظام الدولي كمفـهوم مجرد إنما يقـوم أساساً على مبدأ الصـراع والمواجهة بين القوى الفاعلة فيه، وذلك على خلاف الحال في التنظيم الدولي الذي يفترض فيه أن يقوم على مبدأ التعاون والتآزر.

2- ان أي نظام دولي لا بد وأن تسـود فـيه طريقـة أو طرق مـعينة لإدارة الأزمـات أو العلاقات المتـبادلة بين أطرافه وإنما يحقق أو على الأقل لا يعـارض المصالح الوطنية لفئة الدول المهيمنة من بين هذه الأطراف.

3- إن كل نظام دولي تتوافر له في العـادة سمات وملامح خاصة تميـزه بدرجة ملحوظة عن النظام الـسـابق له ومن هنا يقـال بـأن كل نظام دولي يكاد يرتـبط بواقـعـة أو وقائع Events معـينة تشكل نقطة أو تاريخاً فاصـلاً بين مرحلتين مخـتلفتين لتطور العلاقات الدولية، ومن ذلك مثلاً الواقعة أو الحدث المتمثل في اندلاع الحرب العالمية الأولى، كما أن نشوب الحـرب العالمية الثانية قد شكل بدوره تاريخاً حـاسماً يفصل بين فترة ما بين الحربين ومرحلة جديدة (الانهيار الرسمي للاتحاد السوفيتي) سواء في تفاعلاتها السياسية أو في قواعدها.

وطبقاً للرأي الراجح في أوسـاط الباحثين المهتمين بتحليل العـلاقات الدولية فإن المرحلة الجديدة لتطور النظام الدولي منذ أوائل عقد التسعـينات قد ارتبط بحدثين كبيرين

هما: حرب الخليج الثانية (فبراير/شباط 1991 وانهيار الاتحاد السوفتي، ك1/ ديسمبر 1991) ويرى هؤلاء الباحثون وبحق أن العديد من الأحداث التي وقعت على المسرح الدولي منذ أوائل العقد الحالي لم تكن لتحدث لو أن الاتحاد السوفيتي قد ظل قائماً.

ومما لا شك فيه أن التحولات العنيفة في العلاقات الدولية منذ بداية العقد المذكور قد خلقت شعوراً عاماً قوياً لدى الكثير من الباحثين بأن النظام الدولي أضحى الآن على أعتاب مرحلة جديدة تكاد تختلف من حيث خصائصها وسماتها العامة عن تلك المراحل التي تطور خلالها هذا النظام طيلة الفترة الممتدة من عام 1945 (نهاية الحرب العالمية الثانية) وحتى نهاية الثمانينات على وجه التقريب. ولعل هذا الشعور العام هو الذي يمكن أن يفسر لنا شيوع استخدام اصطلاح "النظام الدولي الجديد" في السنوات الأخيرة.

وقد استغل الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش المصطلح نفسه في بداية أزمة الخليج الثانية في الثاني من آب/ اغسطس 1990، وذلك بهدف حشد التأييد العالمي ضد العراق، كما عاد الرئيس بوش واستخدم هذا المصطلح مراراً بعد ذلك، ولا سيما بعد أن بدأ الدور السوفيتي في الضعف ثم الانهيار مع توالي عمليات تفسخ الأطر الاتحادية، لما كان يعرف باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ومن ذلك مثلاً ما أعلنه الرئيس بوش في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي في 5 آذار/ مارس 1991 من أن حرب الخليج كانت المحك الأول لنظام عالمي جديد.

وفي أعقاب نجاح الولايات المتحدة في إدارة أزمة الخليج وتدمير آلة الحرب العراقية وتحرير الكويت وإعادة حكومتها الشرعية، عاد الرئيس الأمريكي السابق ليعلن بوضوح في خطاب له بالكلية الحربية بقاعدة ماكسويل الجوية: "إن اركان النظام الدولي الجديد هي: تسوية المنازعات بالوسائل السلمية، والتضامن الدولي في مواجهة العدوان، والعمل من أجل تحقيق مخزونات الأسلحة وإخضاعها للسيطرة ومعاملة الشعوب معاملة عادلة". (هلال، ص 12).

وبعد ذلك أصبح الحديث عن النظام الدولي الجديد يمثل أحد الموضوعات الأساسية في مختلف وسائل الإعلام في الدول المختلفة، كما أنه أضحى مادة خصبة للبحث والدراسة من جانب المحللين الذين تباينت آراؤهم بشأن شكل هذا النظام وسماته الرئيسة والقوى الفاعلة فيه، وعما إذا كان سيظل أحادي القطبية كما هو الآن، أم أن

التطورات الدولية اللاحقة سوف تقود مستقبلاً أي شكل معين من أشكال توازن القوى بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان، وبما يعيد إلى الأذهان نظام تعدد الأقطاب الذي كان سائداً خلال الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية. (سعيد، 1991 : ص 20).

ومع ذلك فليس بوسع أي باحث أن يذهب إلى حد التسليم تماماً بمقولة أن النظام الدولي الذي عرفه العالم طيلة الفترة الممتدة بين عامي 1945-1990 قد ولى إلى غير رجعة، وأن نظاماً دولياً جديداً بكل معنى الكلمة قد حل محله. فالحق أن ما يشهده العالم اليوم ومنذ انهيار الاتحاد السوفياتي، إنما هو أقرب إلى وصف الفوضى الدولية منه إلى إي وصف آخر، أو على الأقل يمكن القول بأن النظام الدولي عبر مرحلة انتقالية ذات طبيعة خاصة قد تستغرق عدة سنوات لكي يعود لها الاستقرار النسبي. وقد يكون من الحكمة عدم التسرع في إصدار الأحكام فيما يتعلق بالصورة العامة التي سيكون عليها النظام الدولي بعد انهاء المرحلة الانتقالية الراهنة.

2.2.5 ملامح تطور النظام الدولي في المرحلة الراهنة

قد يكون من المفيد، عزيزي القارئ، وقبل أن نعرض لهذه للملامح أن نعيد التأكيد على ما سبق وأشرنا إليه فيما يتصل بحقيقة أن أي نظام دولي لا يبدأ من فراغ وإنما تكون له مقدماته الأولوية التي تصله بالنظام الدولي السابق له، الأمر الذي يشكل قدراً من الاستمرارية في تطور العلاقات الدولية على نحو معين، ومرد ذلك أن التطور التاريخي لا يعرف الاندفاعات العشوائية أو الانقطاعات المفاجئة، فلكل شيء مقدماته وأصوله وجذوره.

ومؤدى ذلك أن بعضاً من الملامح التي سيلي ذكرها يمكن تلمسه أيضاً من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الثمانينات تقريباً ومن ذلك مثلاً أن القاعدة المعروفة في نطاق القانون الدولي العام المعاصر بقاعدة عدم جواز اللجوء إلى القوة أو التهديد باستخدامها في نطاق العلاقات الدولية المتبادلة لها حدودها التي تعود إلى اتفاقية لاهاي للسلام عامي 1899م و1917م، وكذلك إلى عهد عصبة الأمم الذي أبرم في إطار معاهدات صلح فرساي عام 1919م، والشيء ذاته ينطبق على الموضوع الخاص بتطور الحماية الدولية لحقوق الإنسان. ونعود الآن إلى الملامح المميزة للنظام الدولي في تطوره الراهن ويمكننا إيجازها بالآتي:

1- ثورة الاتصالات وما نتج عنها من اختصار للوقت والمسافات بين مختلف القارات في العالم.

2- **الثورة العلمية والتكنولوجية** : وما ترتب عليها من إفراغ الحاسبات الالكترونية كسمة مميزة لهذه الثورة.

3- **الإنتاج الصناعي** : حيث أصبح من الشائع اليوم أن نجد العديد من المنتجات الصناعية كالسيارات والأجهزة الالكترونية يتم تجميع مكوناتها في أكثر من دولة علاوة على تخصص كل دولة في صنع أحد هذه المكونات.

4- **المشكلات الدولية الراهنة** : كتلك المتعلقة بالإرهاب أو تلوث البيئة أو التضخم أو نقص الغذاء والعمل على مواجهتها بجهود دولية مشتركة كون أن هذه المشكلات أصبحت حجر عثرة في طريق السلم والاستقرار العالمي.

5- **السيادة الوطنية** : والتبدل الذي طرأ على مفهومها والذي لا يمكن عزله عن حقيقة أن الدول التقدمية لم تعد هي اللاعب الوحيد في نطاق العلاقات الدولية كما كانت سابقا بل أصبح هناك كيانات دولية أخرى عديدة تضطلع بدور فاعل على المسرح العالمي. بالإضافة إلى ذلك هناك منظمات دولية (حكومية وغير حكومية) مثل اليونسكو واليونسيف وهناك الشركات والمؤسسات الدولية والتي أصبحت تمثل إحدى الظواهر الأساسية المميزة للعلاقات الدولية المعاصرة.

ويمكننا القول ليس في وسع أي محلل سياسي أن يتجاهل حقيقة أن انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والتي استمرت قرابة أربعة عقود قد خلق إطاراً جديداً للسياسة الدولية يتسم بالتغير السريع، إطار ذو سمات خاصة ومتميزة حيث أنه لا يقتصر على القضايا السياسية وإنما يمتد ليغطي مجالاً رحباً للتنظيم الاجتماعي والإنساني أيضاً، وأن التطورات التكنولوجية العنيفة التي يشهدها العالم في الوقت الحاضر صارت تؤثر على الوزن النسبي لعناصر الإنتاج بمعنى أنها زادت من قيمة وأهمية دور المعرفة والمعلومات، وظهر اصطلاح "مجتمع المعلومات" للدلالة على هذا التطور النوعي الجديد، ولعلنا لا نبالغ في القول في هذا المقام بأن انهيار الاتحاد السوفيتي إنما كان في أحد جوانبه تعبيراً عن عدم قدرة مؤسساته العلمية والاقتصادية على الاستجابة لمتطلبات التغيير التكنولوجي السريعة هذه.

والحق أنه مع اعترافنا بالآثار الضخمة التي نجمت عن انهاء عصر الحرب الباردة بين قطبي النظام الدولي إلا أن القول إن هذا النظام سيشهد خلال المستقبل المنظور توجهات سياسية جديدة تقوم على إحلال مبدأ التعاون محل مبدأ الصراع، والمواجهة ليس مقطوعاً بصحتها تماماً.

تدريب (11)

يرى الباحثون أن العديد من الأحداث العالمية التي وقعت منذ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات لم تكن لتحدث لو لم يتفكك الاتحاد السوفيتي. ناقش ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي (11)

1- هل النظام الدولي الجديد نظام محايد أم منحاز ؟

3.5 هل هناك نظام دولي جديد؟

قد يكون من المفيد، عزيزي القارئ، قبل التطرق إلى التحليل الفكري والأكاديمي لمفهوم النظام الدولي الجديد إلقاء الضوء على الجذور التاريخية لهذا المفهوم. فعلى الرغم من شيوع استخدام مفهوم: النظام الدولي الجديد في أثناء أزمة الخليج الثانية وفي أعقابها، إلا أن هذا لا يعني أن المفهوم جديد تماماً أو هو نتاج مباشر للأزمة، بل الجديد في الأمر كان الاستخدام الأمريكي لهذا المفهوم وتحديد دلالاته وصياغة معانيه. ويمكن تتبع جذور هذا المفهوم منذ مطلع السبعينات من هذا القرن على الأقل، حين بدأت حركة عدم الانحياز تطالب بقيام نظام اقتصادي عالمي جديد يحقق قدراً من العدالة في توزيع الموارد والثروات بين دول الشمال المتقدم ودول الجنوب المتخلف ويحد من مظاهر استغلال ثروات دول الجنوب لحساب الشمال، ويسمح بتوظيف موارد هذه الدول من أجل تنميتها وتدعيم قدرتها في الاعتماد الفردي والجماعي على الذات. وبعد ذلك بدأت بلدان الجنوب تطرح مطالب إقامة "نظام إعلامي عالمي جديد" يحد من ظاهرة احتكار الدول الغربية لمصادر المعلومات ولوسائل الاتصال، ويحقق درجة أكبر من الديمقراطية والتوازن في تدفق المعلومات من الدول المتقدمة والدول المتخلفة.

هذا وقد تزايد استخدام مفهوم النظام الدولي الجديد منذ أن تولى غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي السابق في عام 1985، وتبنيه للبيرويسترويكا (إعادة البناء)

والجلاستوست (المصارحة والمكاشفة) وقد استندت البيرويسترويكا إلى رؤية معينة للنظام الدولي والعلاقات الدولية مفادها: المطالبة بإقامة تأسيس نظام دولي جديد يقوم على القيم الأساسية العامة وليس على المواجهات والصراعات الأيديولوجية وإعطاء الأولويات للتحديات المشتركة التي تواجه البشرية مثل مشكلات البيئة والتلوث وتدعيم مجالات الجوار والتعاون الدولي والاعتماد المتبادل بين الدول والمنظمات الدولية، وذلك لبناء مجتمع دولي أفضل، وتجنب استخدام القوة لفض المنازعات بين الدول، وإحلال مبدأ توازن المصالح محل توازن القوى، ووقف ميثاق التسلح على المستوى العالمي، ورفض مبدأ التعدد والاختلاف في الأنظمة السياسية والاجتماعية، واحترام حق كل شعب في اختيار الطريق الذي يلائمه. (ابراهيم، 1995 : ص 50).

يتضح مما سبق، عزيزي القارئ، أن مفهوم النظام الدولي الجديد قد ظهر إلى حيز الوجود في إطار مطالبة دول الجنوب بتصحيح الاختلالات والتفاوتات بين الشمال والجنوب على الصعيدين الاقتصادي والإعلامي، كما برز المفهوم أيضاً في إطار حركة الإصلاح والتغيير التي شهدها الاتحاد السوفيتي السابق، بعد وصول غورباتشوف إلى الحكم، ولذلك فإن الجديد الذي حدث مع بداية أزمة الخليج الثانية هو تبني الولايات المتحدة الأمريكية للمفهوم وإعطاؤه معاني ودلالات ومبادئ حددها الرئيس الأمريكي السابق (بوش) في خطاب ألقاه في قاعدة مونتغمري الجوية في الاباما في 13/ 4/ 1992 حيث جاء في الخطاب: "إن النظام العالمي الجديد لا يعني تنازلاً عن سيادتنا الوطنية أو تخلينا عن مصالحنا، انه يتم عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا وهو يعبر عن وسائل جديدة للعمل مع الأمم الأخرى من أجل ردع العدوان وتحقيق الاستقرار والازدهار، وفوق كل شيء يحقق السلام، إنه ينبع من التطلع إلى عالم يقوم على التزام مشترك بين الأمم، كبراها وصغراها، مجموعة من المبادئ التي يجب أن تستند عليها علاقاتنا، ومنها: التسوية السلمية للمنازعات والتضامن في وجه العدوان، وتخفيف ترسانات الأسلحة والتعامل العادل مع كل الشعوب. هذا النظام الذي يتسم بالقدرة على العمل المشترك، اجتياز الامتحان الحقيقي في حرب الخليج". (ابراهيم، ص 51)

وبرغم ما جاء من مبادئ ومعان ساميه في خطاب الرئيس الامريكي، إلا أن التساؤل الجوهري الذي يطرح نفسه هو: إلى أي مدى يتم ترجمة هذه المبادئ والشعارات إلى سياسات وممارسات عملية في تعامل حركة الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى

الدولي؟؟ وإلى أي مدى يلتقي التصور الأمريكي للنظام الدولي الجديد -على مستوى الممارسة- مع طموحات وآمال بلدان الجنوب التي دعت إلى "نظام اقتصادي عالمي جديد، ونظام إعلامي عالمي جديد".

ثم نعود للإجابة عن السؤال الذي طرحناه سابقاً:

هل هناك نظام دولي جديد؟؟

هناك ثلاثة اتجاهات بخصوص الإجابة عن التساؤل:

أولها: يقول بوجود نظام دولي جديد.

ثانيها: ينفي وجود ما يعرف بالنظام الدولي الجديد.

ثالثها: يرى أنه من السابق لأوانه الحديث عن نظام دولي جديد في الوضع الراهن وأن هذا النظام لا يزال تحت التكوين أو قيد التشكيل والتبلور، ومن ثم لم تستقر معالمه بصورة نهائية بعد. وعليك عزيزي القارئ أن تتمحص هذه الإجابات وتختار أيها أقرب إلى قناعاتك.

4.5 الولايات المتحدة والنظام الدولي الجديد (النظام الأحادي القطبية)

تنطلق المدرسة التي تعتنق أو تبشر بالنظام الأحادي القطبية من فرضية تبدو بسيطة ومفادها أن الولايات المتحدة خرجت منتصرة من المواجهة الحادة التي شكلت السمة البارزة لعلاقاتها مع الاتحاد السوفيتي طيلة أكثر من أربعة عقود، وزاد من هالة هذا الانتصار أنه كان بمثابة الضربة القاضية التي أخرجت الاتحاد السوفيتي من الملعب، لتصبح الولايات المتحدة وحيدة بالقوة العسكرية التي تملكها إلى جانب الطاقات الانتصارية الهائلة التي لديها ويستدل أصحاب هذه المدرسة على أحادية هذا النظام، من حدثين هامين أولهما قيادة الولايات المتحدة للتحالف الذي نشأ غداة غزو العراق للكويت، وثانيهما موقع الولايات المتحدة في عملية السلام العربية الإسرائيلية.

والجدير بالذكر أن الحديث عن النموذج أو النظام الأحادي القطبية "أو النظام الهرمي" شهد حوارين أحدهما أكاديمي المصدر وثانيهما سياسي، ويصبان معاً في التساؤل حول الموقع المستقبلي للولايات المتحدة الأمريكية.

فالحوار الأول قائم بين الذين يقولون بصعود قوة الولايات المتحدة وهم أصحاب النموذج الهرمي، والذين يقولون بسقوط الولايات المتحدة وهو سقوط تتسم به كل

الإمبراطوريات في لحظة معينة من تاريخها بعد ما تتسع الفجوة بين التزاماتها الكونية من جهة وإمكاناتها المتقلصة من جهة أخرى وعادة ما ينعكس هذا التقلص في تراجع القدرة على الإنتاجية وعلى التنافس الاقتصادي، ويذهب البعض مثل "إدوارد لتواك" والذي كان من أهم مستشاري رونالد ريغان إلى التساؤل: "في أي تاريخ ستصبح الولايات المتحدة دولة من العالم الثالث"؟ (حتى، 1995، ص 107).

وثاني الحوارين: يقوم بين أصحاب المدرسة التدخلية الذين يريدون من الولايات المتحدة أن تقوم بدور شرطي العالم وبين الاتجاه الانعزالي الداعي إلى انسحاب الولايات المتحدة من هذه المسؤوليات العالمية المكلفة دون مردود، وبالطبع هناك اتجاه وسطي أميل إلى التدخل ويفرض على الولايات المتحدة مسؤوليات عالمية دون أن يطرح هذه المسؤوليات بشكل مطلق، ويبدو أن الإدارتين الأمريكيتين بعد الحرب الباردة تعتنقان هذا المذهب، وتميلان إلى التدخل غير المباشر أو بالكلفة الأدنى في قضية معينة بواسطة الأمم المتحدة أو تأييد قيام سياسة متعددة الأطراف، وينقل عن كريستوفر وزير الخارجية الأمريكي قوله: "إن القضايا التي تتعلق بمصالح حيوية تلجأ إلى القوة إذا كان ذلك ضرورياً، أما المصالح الأخرى (غير الحيوية) فتتعامل معها بأسلوب متعدد الأطراف" (حتى 1995، ص 108)، ويتحدث البعض عن مذهب كلينتون، أو التدخل المحدود، وهناك أيضاً مبدأ التدخل الانتقائي الذي تحدث عنه وزير الدفاع "لي اسبن" وذلك لتحديد ما هو حيوي وما هو غير حيوي وينتقد بعض أصحاب هذا الاتجاه المحايد، الاعتماد الامريكي على الدفاع عن مصالح الولايات المتحدة بواسطة السياسة متعددة الأطراف باعتبار أن ذلك يؤثر سلبياً على المصالح الامريكية وعلى الدور الأمريكي في العالم.

يمكن تعداد جملة من الأسباب تقف حائلاً دون قيام هذا النظام الأحادي الذي يتطلب أن يكون القطب المتربع على قمة الهرم والمحور الأساسي في الانساق الرئيسة للتفاعلات. وهذا ليس حال الولايات المتحدة للأسباب التالية:

1- تراجع الإمكانيات الاقتصادية الأمريكية، وقال كلينتون حول القيود الاقتصادية، قبيل الانتخابات للرئاسة: "إن السياسة الخارجية والسياسة الداخلية لا يمكن فصلهما في عالم اليوم وإذا لم نكن أقوياء في الداخل فلا يمكننا أن نقود العالم الذي فعلنا

الكثير لصنعه" (حتي، 1995، ص 109) والمشكلة الاقتصادية في الولايات المتحدة تندرج تحت عناوين تراجع الإنتاج والقدرة على التنافس في الأسـواق الدولية، كما ينعكس ذلك على الميزان التجاري وزيادة الفروقات الاجتماعية.

2- سلبيـات المجتمع الامريكي، لئن كـان هناك بريق للنموذج السياسي الأمـريكي فإن النموذج المجتمعي الأمريكي بسلبياته وتفككه وانهياره الخلقي والثقافي غير قادر على أن يشكل عامل جذب وبالتالي بناء نفـوذ، فالثقافة الأمريكية تبدو غريبـة في قيمها وتقاليدها وتشكل تهديداً لقـيم ومفاهيم مرسخة في العديد من المجـتمعات، ويرى زيغنيو بريجنسكي أن الانكشاف الرئيس لأمريكا يكمن في الخطر غير الملموس الذي تشكله ثقافتها.

3- إن القوة العسكرية ليست كافيـة في أن تؤسس لدور كاملٍ نظام أحادي القطبية إذ أن كل التفاعلات لا تخضع لمـنطق الردع العسكري أو بالأحرى لا تتطلب حجم الردع العسكري الموجود في الولايات المتحدة وبالتالي تكلفته.

6. انهيار الإتحاد السوفيتي وانحلال الأحزاب الشيوعية

كان الاتحاد السوفيتي دولة مساحتها 24.4 مليون كم2 أي ما يعادل سدسي مساحة الكرة الأرضية، ولقد جعلت هذه الحقيقة الاستراتيجية الاتحاد السوفيتي منيعاً من أي هجوم خارجي يقوم به أمراء الحرب منذ شارلس الثاني عشر ملك السويد وحتى هتلر، فقد اكتشفوا دائماً الثمن الباهظ الذي دفعوه عندما حاولو غزو هذا البلد، ومن الناحية الاقتصادية شكل الاتحاد السوفيتي سوقاً محلية كبيرة المستوى لا تعتمد كثيراً على التجارة الأجنبية، وهذه ميزة لا يشاركه فيها سوى الصين والولايات المتحدة، كما يمتلك قاعدة زراعية هائلة بما فيها أرض صالحة للزراعة تعادل مساحتها مجموع مساحة الأرض الزراعية في الولايات المتحدة وكندا معاً، وتحتوي أرضها على كمية من المواد الخام في العالم، فقبل انهياره كان الاتحاد السوفيتي أكبر منتج للحديد والنيكل والرصاص والنفط والغاز الطبيعي في العالم، وثالث أكبر منتج للفحم وثاني منتج للذهب والكروم وأول منتج للفضة والنحاس والزنك في العالم، وكان العلماء السوفيات يفتخرون بأن بلدهم يحتوي على 58٪ من احتياط الفحم، 58.7٪ من احتياط النفط 40٪ من خام الحديد، 88٪ من المنغنيز، 54٪ من أملاح البوتاس، فالواضح أن هذه البلاد محظية بشكل غير عادي بالمصادر الطبيعية. (كيندي، 1983 : ص 292).

أدى استغلال مثل هذه المصادر إلى خلق قاعدة صناعية هائلة، ومع منتصف الحرب العالمية الثانية وبرغم خسارة أرض واسعة أصبح الاقتصاد السوفيتي الثاني في العالم بعد الاقتصاد الأمريكي بالإضافة إلى شبكة سكك الحديد والطيران الكثيفة وأسطول بحري تجاري كبير، ويسكن هذه البلاد 288 مليون نسمة (1989)، كما يدعم بأكثر أنظمة التعليم شمولاً في العالم، وكان التعليم مجاناً من سن السابعة إلى سن 17 وحسب الإحصائيات الرسمية كان حوالي 100 مليون شخص يدرسون في المدارس والكليات، وكان نظام التعليم موجهاً للاستغلال الاقتصادي أكثر منه لتحصيل المعرفة من أجل المعرفة، وظهر هنا النوع من التعليم في العدد الهائل من المهندسين حوالي 40% من خريجي التعليم العالي وأنه يملك 14.9 مليون مهندس يضاف إليهم 17.4 مليون فني نشط اقتصادياً، وأصبح الاتحاد السوفيتي من وجهة نظر قادته واحداً من أكبر قوتين عظميين عسكريتين في العالم، فقد امتلك أنواعاً متعددة من الأسلحة النووية والتقليدية

ويمتلك أكبر قوة صواريخ في العالم وثاني أكبر جيش في العالم بعد الصين وثاني أكبر قوة عرفها العالم بعد الولايات المتحدة. (كنيدي، ص 293)

كما ضم الاتحاد السوفيتي خمس عشرة جمهورية تضم كل جمهورية أقليات عرقية وأخرى تتمتع بإدارة سياسية ذاتية، ورسمياً كان يضم الاتحاد السوفيتي ثلاثاً وخمسين وحدة إدارية سياسية عرقية تضم حوالي 100 مجموعة عرقية.

1.6 التحولات في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية

لقد بدأت جذور هذه التحولات وديناميـاتها بصورة متسارعة مع تولي "غورباتشوف" السلطة في الاتحاد السوفيتي (السابق) عام 1985، إلا أنه يمكن تتبع جذورها في فترات تاريخية سابقة عن ذلك. وقد مثلت سياستا "البيرويسترويكا والجلاسنوست" اللتان طرحهما غورباتشوف قوة الدفع للتحولات في بقية بلدان أوروبا الشرقية على المستويين الداخلي والخارجي.

وجدير بالذكر أن تبني غورباتشوف للبيرويسترويكا قد جاء لمواجهة الأزمة التي بدأ الاتحاد السوفيتي يواجهها منذ منتصف السبعينات، وهي أزمة شاملة ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وقد عرض غورباتشوف في مؤلفه الشهير "البيرويسترويكا" لبعض مظاهر هذه الأزمة بصورة تفصيلية، ونظراً لطبيعة الارتباط التاريخي والسياسي والأيديولوجي بين الاتحاد السوفيتي وبقية بلدان أوروبا الشرقية فإن تطبيق البيرويسترويكا في الاتحاد السوفيتي قد ساهم في تسريع التحولات السياسية والاقتصادية في بقية بلدان أوروبا الشرقية.

وقد ترتب على هذه التحولات السياسية والاقتصادية والتي جرت في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية منذ منتصف الثمانينات انهيار الأنظمة الشيوعية في هذه الدول -وهي أنظمة كانت تتمحور حول الحزب الواحد والدور المركزي للدولة- واتجاهها إلى تبني أشكالٌ من التعددية السياسية والاقتصاد الحر، كما ترتب على هذه التحولات تخلخل الهياكل التنظيمية للكتلة الشرقية، وهي الكومنكون وحلف وارسو، وعلى الصعيد الخارجي اتجهت هذه البلدان إلى الاندماج في الاقتصاد الرأسمالي العالمي والسعي إلى الاشتراك في المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية.

كما أدت التحولات في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية إلى انتهاء المواجهة الاستراتيجية بين القوتين العظميين، وبالتالي تم وضع نهاية للحرب الباردة بمعناها

التقليدي، وقد تجلى ذلك في سلسلة المحادثات والاتفاقات التي عقدت بين الجانبين بشأن حظر السلاح والحد من التسلح فضلاً عن الاتفاق بينهما بشأن تهدئة الصراعات الإقليمية وتسوية بعضها الآخر. ومن المؤكد أن هذه الترتيبات قد تمت بتقديم تنازلات سوفيتية في معظم الحالات وهو الأمر الذي بدأ يجسد حقيقة تراجع دور الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى على الصعيد العالمي لحساب تصاعد دور الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من اتجاه بلدان أوروبا الشرقية إلى تبني أشكالٍ من الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الحر إلا أن الأوضاع في هذه الدول لم تستقر بعد، فهي تسعى لإنجاز التحول السياسي والاقتصادي وسط مجموعة من التحديات الكبرى على الصعيدين الداخلي والخارجي، فالديمقراطية لم تتجذر بعد في هذه الدول بل إن إمكانات التراجع عن الديمقراطية في بعضها لا تزال متوفرة، وتعتبر المشكلات الاقتصادية من التحديات الأساسية التي تواجه هذه الدول وهي في مرحلة التحول، فهي تعاني من ضعف مقومات الانتقال نحو اقتصاد السوق، خاصة وأن معظمها لم يحقق هدفاً ملموساً على صعيد مواجهة المشكلات الاقتصادية القائمة منذ عام 1985. كما أنها غير قادرة على إقامة التوازن بين تبني آليات السوق من ناحية وخفض برامج الضمان الاجتماعي من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ما سبق فإن التحولات في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية قد ساهمت في انبعاث مشكلة القوميات داخل بعض هذه الدول من ناحية وفيما بينها من ناحية أخرى، وقد كانت هذه المشكلة أحد العوامل التي ساهمت في تفتيت الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا، وهناك دول أخرى مهددة بالتفتت الداخلي، كما كانت هذه المشكلة عاملاً لتفجر صراعات إقليمية بين بعض هذه الدول. (توفيق، ص 59).

ومن ناحية أخرى فقد تغيرت جغرافية أوروبا السياسية والاستراتيجية وظهرت نصف دزينة من الحكومات تحاول هي وشعبها التعامل مع الظروف الجديدة، ومن بين كل السكان الذي تأثروا بهذا التغيير كان سكان ألمانيا الشرقية السابقة، إذ أن لهم وضعاً مختلفاً عن الآخرين، حيث أنهم واجهوا مشاكل البطالة والتأقلم مع طريقة الحياة الرأسمالية الجديدة ورفع مستوى حياتهم إلى مستوى ألمانيا الغربية، إلا أنهم من حسن حظهم قد اندمجوا مع دولة غنية وانتقلوا إلى أسرة مرفهة، وثمة عالم مختلف يواجه المجر التي خبرت لسنين طويلة طريقة الحياة الغربية، وكذلك رومانيا التي عانت من

التشوه الاقتصادي لنظام تشاوشيسكو، ومع ذلك فمهما كان عدم التشابه بين هذه الشعوب فعلى كل منها تحريك اقتصاده ومجتمعه من نظام إلى آخر. وسيكون إنشاء حكومات ديمقراطية سياسياً أكثر سهولة في بعض هذه الأمم منه في أمم أخرى، وفي هذا الإطار ستكون بولندا أكثر الدول حظاً بسبب وحدتها الثقافية والدينية وشعورها العميق بهويتها الذاتية وربما تنطبق نفس هذه المزايا على المجر.

أما دول أوروبا الوسطى فقد تنتظر فترة أطول لتحقيق الشرعية السياسية، حيث التقاليد الديمقراطية أكثر ضعفاً، وحيث لا يزال الشيوعيون يتمتعون بالتأثير وحيث الظروف الاقتصادية أكثر سوءاً.

وسيكون ضمان الشرعية السياسية أكثر صعوبة إذا برزت الإنقسامات العرقية مرة أخرى، كما حصل في الاتحاد السوفيتي المنهار، وسيكون الوضع في بولندا على هذا الصعيد أفضل من غيره بسبب انسجام سكانها عرقياً وبسبب تخلي ألمانيا عن ادعاءاتها بالاراضي التي تسيطر عليها بولندا، وينطبق هذا الأمر على المجر التي يشكل فيها المجريون نسبة 93٪ من السكان، وعلى النقيض من ذلك تعتبر يوغوسلافيا السابقة، هي أكثر الدول التي تعاني من الانقسامات العرقية والتي لم تتجاوز الستين عاماً الطويلة من تاريخها ككونفدرالية، مُشكّلة من ثقافات ولغات وأديان متناقضة، وبعيداً عن الصراع المركزي بين الصربيين وغيرهم حول سيطرة بلغراد والتي أدت إلى حرب أهلية عنيفة توجد أيضاً مشاكل حول مستقبل مقدونيا وكوسوفو والتي يمكن أن تنفجر في أي وقت.

ومع أن التوترات غير حادة بنفس القدر مع معظم البلدان المجاورة إلا أنها ورثت مشاكل عميقة من الأغلبية والأقلية. إذ تفاوضت حكومة براغ مع السلوفاكيين حول عدة مسائل تتدرج من اسم البلد إلى المطالبة باستقلال ذاتي أكبر لسلوفاكيا لكن بحيث لا تصل الحركة إلى الاستقلال التام.

وباختصار يمكن القول إن لدى مجتمعات أوروبا الوسطى والشرقية الكثير مما يجب أن تفعله دون أن تقلق من التغيرات العالمية، وهي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهد والعمل للحصول على الأموال الضرورية لتبني بدائل جديدة في مجالات الوقود ونمط الحياة، وإعادة بناء مادتهم الاقتصادية، سيما وهذه الأمم تمتلك مصادر هامة ولديها الكثير من الناس الموهوبين والطموحين وتاريخ طويل من الصناعة الجيدة مثل تشيكوسلوفاكيا، والمجر، وغيرهما، وهم بهذه المواهب واستعدادهم للقرن الحادي والعشرين يمكنهم اللحاق بالمجتمعات المتطورة في زمن قصير.

تدريب (12)

تركت البيروسترويكا آثاراً عديدة على دول أوروبا الشرقية والوسطى الاشتراكية. اذكرها.

أسئلة التقويم الذاتي (12)

تتمتع بولندا بوضع خاص بين دول أوروبا الشرقية الاشتراكية. علل.

2.6 سقوط الحزب الشيوعي

أكد غورباتشوف قبل الإطاحة به أنه لم يكن لدى أحد في العالم ولن تكون سلطة أكبر مما كان لديه في عام 1985. وربما كان محقاً في ذلك إذ كانت تتجمع في أيدي سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي كل خيوط السلطة الشيوعية للنخبة البيروقراطية الشيوعية الحاكمة فعلاً، وهي سلطة هائلة وتعتبر تكثيفاً لسلطة القيادة البيروقراطية الشمولية للحزب الشيوعي السوفيتي. وهكذا فإن إقالة غورباتشوف كانت تعتبر مجرد إسقاط أحد رموز السلطة السوفيتية الشيوعية، خاصة بعد أن فقد الحزب الشيوعي السوفيتي احتكاره لسلطة الدولة وللحياة السياسية وكل مبرراته التاريخية وأسانيده الأيديولوجية، وربما لم يكن غورباتشوف يدرك أنه بإضعاف سلطة الحزب الشيوعي السوفيتي كان يصفي حكمه بالذات. واستمر غورباتشوف في اثناء إسقاطه وإقالته يتوهم بأنه قوة الشرعية السوفيتية تستطيع إيقاف محاولات تقويض وحدة الشعوب السوفيتية، ولكن هذا الوهم سرعان ما تحطم على صخرة انقلاب اغسطس/ آب الفاشل.

والواقع أن المحاولة اليائسة للانقلاب العسكري الفاشل والذي وقع ضد غورباتشوف في 19 اغسطس/ آب 1991 قد أجهزت على الحزب الشيوعي السوفيتي، وحطمت مشروع المعاهدة الاتحادية الجديدة، والتي كان مقرراً أن يوقعها غورباتشوف في 20 اغسطس/ آب 1991 مع رؤساء اثنتي عشرة جمهورية (أي جميع الجمهوريات الاتحادية السوفيتية باستثناء جمهوريات البلطيق الثلاث) وعجلت بإعلان الاستسلام التام في الحرب الباردة. ومع أن بيان لجنة الطوارئ والتي تشكلت عقب الانقلاب قد أعلنت

أن هدف الانقلاب هو تجاوز الأزمة الشاملة التي حصلت والإبقاء على الاتحاد السوفيتي، بيد أن هذه الأزمة قد تفاقمت نتيجة تقويض النظام القديم، ويشترط تجاوز الأزمة إقامة نظام جديد. وجدير بالذكر أن فشل الانقلاب كان محتماً بسبب تردد وانقسام قادته وقواته، مع أنه وعد بالردة إلى الشمولية وربما بإحياء الحرب الباردة، برغم ما أصاب الأمبراطورية السوفيتية من تصدع، وما أصاب الشيوعية من انهيار، نرى أن سقوط الحزب الشيوعي السوفيتي ونهاية الدولة المركزية السوفيتية، كان محصلة مجموعتين من الأسباب المباشرة تفجرت بين تولية غورباتشوف زمام الحزب الشيوعي في مطلع عام 1985م والإطاحة به من رئاسة الدولة في أواخر عام 1991م، تتصل الأولى بانهيار الحزب الشيوعي السوفيتي ونهاية السلطة الشمولية السوفيتية قبل وبعد انقلاب اغسطس 1991م وتتعلق الثانية بازدهار الحركات القومية الانفصالية بدءاً من ليتوانيا وغيرها من جمهوريات البلطيق، وامتداد هذه الحركات الانفصالية إلى جورجيا وغيرها من جمهوريات ما وراء القوقاز، أضف إلى هذا ازدهار نزعة التعنت القومي في روسيا ونزعات الاستقلال والانفصال في غيرها من الجمهوريات السلافية الأوروبية انتهاء بنزعة التمايز القومي والثقافي في كازاخستان وغيرها من جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية. (عبد العليم، 1992 : ص 17).

تفسر هذه الأسباب التي ذكرت مجتمعة فشل محاولات غورباتشوف قبل وبعد الانقلاب إعادة بناء الدولة الاتحادية السوفيتية على أساس فدرالي أو كونفدرالي جديد، ومع هذا الفشل تلاشت آخر مبررات بقاء دولة اتحادية مركزها موسكو.

والواقع أن أخطر ما أقدم عليه غورباتشوف وكان فيه نهايته ومقتل النظام والحزب والدولة هو تحول مخاطرته بإضعاف الشمولية إلى مغامرة خاسرة أودت بالحزب الشيوعي ودولة الاتحاد.

وجدير بالذكر أنه حين تم تنصيب غورباتشوف زعيماً للحزب والدولة في 11 آذار/ مارس 1985 كان المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي يسلمان بضرورة التغيير بعد مقاومته بتنصيب تشيرننكو خلفاً لاندروبوف، وكانت الشعارات التي رفعها غورباتشوف ضمن الحدود التي لا تهدد بانهيار الحزب والدولة. ووافق الحزب على القبول بمخاطرة التغيير انطلاقاً من إدراك خطورة الاستمرار في وضع الركود وعبث مواصلة نزيف الحرب الباردة واستحالة الحكم بالأساليب الشمولية البالية،

وقد طرح غورباتشوف في البداية تسريع التنمية وتحديث الاقتصاد ثم دعا بعد ذلك إلى البيرويسترويكا -أو إعادة البناء- والجلاستوست (المكاشفة والمصارحة)، والتي تم توظيفها في البداية لفضح النظام القديم وتبرير إعادة البناء ثم تحولت إلى أداة لإصلاح سياسي استهدف في البداية إضعاف القوى البيروقراطية التي قاومت إعادة البناء حفاظاً على سلطتها وامتيازاتها أو خوفاً مما بدأ بتصفية للنظام الشيوعي وتقويض للسلطة السوفيتية.

أما تفكير غورباتشوف الجديد (داخلياً) في اتجاه مراجعة الماركسية اللينينية و(خارجياً) في اتجاه الاستسلام في الحرب الباردة، وما ترتب على ذلك من إضعاف للشمولية ومن ازدهار للحركات القومية الانفصالية وما قاد إليه كل ذلك من أزمة اقتصادية، كل تلك الأسباب قد وسعت صفوف المعارضين لغورباتشوف داخل الحزب والدولة.

لكن إضعاف جهاز الحزب الشيوعي والإطاحة برؤوس النخبة البيروقراطية من المدنيين والعسكريين التقليديين وازدهار التيارات السياسية والثقافية والاجتماعية والقومية وتعاظم التكتل والاستقطاب والانقسام داخل الحزب الشيوعي ذاته، ودور غورباتشوف عبر لعبة التوازن بين القوى القديمة للنظام والقوى الجديدة للمعارضة، والإقدام على إجراء انتخابات ديمقراطية للسوفيات على جميع المستويات. إن هذا كله وغيره قد خلق مقدمات سقوط الحزب الشيوعي السوفيتي ونهاية السلطة الشمولية المركزية بعد أن تقوضت هيبة وسطوة كل منهما.

لتوضيح مما سبق نذكر على سبيل المثال أنه في النصف الأول من شهر مارس/ آذار 1991 صار الاتحاد السوفيتي ساحة صراع للمئات والآلاف من الأحزاب والمنظمات السياسية الجديدة بالإضافة إلى ثلاثين ألف جمعية وهيئة ثقافية وعمالية واجتماعية سائبة ذات نشاط يتصل بشكل أو بآخر بالعمل السياسي وتنظيماته. (الخولي، ندوة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 1992، ص 49).

بيد أنه يجدر أن نلاحظ أن هذه الأحزاب والمنظمات والجمعيات والهيئات كانت تعبيراً عن إضعاف الشمولية أكثر منها قوة قادرة على الإطاحة بسلطة الحزب الشيوعي السوفيتي. والذي سقط مع نقل السلطة إلى مؤسسة الرئاسة في المركز وسقوط مرشحيه في الانتخابات البرلمانية والرئاسية وخاصة تلك التي غلب عليها نفوذ الجبهات الشعبية الانفصالية ونجاح مرشحوها بما في ذلك المنشقون عن الحزب الشيوعي.

وأخيراً يجب أن نعترف بأن غورباتشوف ذاته والذي انتقلت إليه كل سلطات الحزب الشيوعي السوفيتي والنخبة البيروقراطية المركزية بدأ يفقد زمام السيطرة على مقاليد الحكم والأمور ودفعته نزعته إلى المبادرة نحو التسليم بإسقاط مؤيديه المحافظين (ليجاتشيف وريجكوف) ومؤيديه الليبراليين (شيفرنادزة، باكوفيليف) وهم أبرز أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي، وان غورباتشوف في إطار لعبة التوازن بين القوى التي سعت إلى خلق بدائل ليبرالية للنظام السياسي السوفيتي مستغلة الجلاستوست والبيرويسترويكا. وتلك القوى التي حاولت الحفاظ على النظام السياسي السوفيتي. وتراوح غورباتشوف بين القوتين والجانبين ليحفظ التوازن بينهما ولكنه أصبح في المحصلة معزولاً بل ومرفوضاً من الجانبين معاً. فضلاً عن عزلته ورفضه من قبل شعوب الاتحاد السوفيتي التي حملته مسؤولية الفوضى والتفكك والأزمة التي قاد الاتحاد إليها بطريقة هدم فيها النظام القديم وعجز عن إقامة نظام بديل. (عبد العليم، ص 19)

وقبل الانقلاب العسكري الفاشل في أغسطس/ آب 1991 كان الحزب الشيوعي عاجزاً عن القيام بانقلاب سياسي ناجح كما جرى حين تمت الإطاحة بغورباتشوف من قبل، وإذا قمنا بتحليل عوامل فشل المحاولة الانقلابية لوجدنا أسباب عجز الحزب عن القيام بمبادرة ينقذ فيها النظام والحزب والاتحاد من النهاية التي بدت واضحة للجميع. ولم يكن الانقلاب سوى خطوة يائسة لإنقاذ الماضي، وأن السبب في فشل الانقلاب ترجع إلى تردد وانقسام القوى التي استند إليها أكثر مما سقط نتيجة قوة ووحدة القوى التي عارضته وقاومته. ومهما يكن من أمر فإن تورط الحزب الشيوعي السوفيتي في تأييد الانقلاب علناً أو ضمناً يعتبر بمثابة سقوط لمشروعيته ذاتها وإعلاناً بإفلاسه فضلاً عن أنه كشف عن عجزه عن القيام بأي فعل، ومما زاد من صعوبة الأمر على الحزب الشيوعي السوفيتي أن الأحزاب الشيوعية في ليتوانيا ولاتفيا واستونيا كانت قبل انقلاب أغسطس/ آب 1991، قد انشقت عن الحزب الشيوعي السوفيتي، هذا علاوة على انضمام قيادات وأقسام من الأحزاب الشيوعية في أرمينيا وجورجيا ومولدفيا إلى القوى الانفصالية القومية وأضحى الشيوعيون أقلية في برلمانات روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا، وتشير الإحصائيات أن 4.2 مليون من أعضاء الحزب الشيوعي قد تخلوا عن عضويته من مجموع 19 مليون خلال 18 شهراً فقط وذلك في الفترة من يناير/ كانون الثاني 1990 وحتى يوليو/ تموز 1991، وأن عدد أعضاء الكومسمول (المنظمة الشبابية للحزب)

تدهور من 41.9 مليـون في عام 1985 إلى 23.6 مليـون عام 1991 ويظهر أن مـزاجاً تصفوياً انـهزامياً ساد بين الشـيوعيين كمـا اعترفت بذلك مجلة اللجنة المركـزية للحزب الشيوعي السوفـيتي. وكان أن سلم الحزب بإنهاء احتكاره للسلـطة وإلغاء المادة السادسة من الدستور التي تنص على ما سمي بدوره القيادي ومـوافقته في البرلمان السوفيتي على تفويض سلطات هائلة للرئـيس، والذي سمح لنفسه بالقـبول باغتصـاب السلطة بعد أن عجز عن اسـتردادها سياسياً ودسـتورياً، وكان قرار غورباتشوف بالاسـتقالة من منصب سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيـتي ودعوته اللجنة المركزية للحزب الى حل نفسـها، وملاحقـة يلتسن للحزب واستيـلائه على مقاره وأرصدته وإغـلاقه ثم محاصرة صـحفه وتجمـيد نشاطه في القوات المسلحـة وأجهزة الأمن بمثـابة ضربات قاصمـة دمرت البناء الحزبي تدميراً شبه كامل. (عبد العليم، ص 20)

وكانت ضـغوط الولايات المتحدة الأمـريكية وحلفائها من الدول الأوروبـية ضد الاتحاد السوفيـتي قبل وبعد غورباتشوف وقبل وإبان وبعـد انقلاب اغسطس/ آب 1991 عاملاً حـاسماً في تقويض النظام الشيـوعي وإسقاط السلطة السوفيـتية، وتفكيك الدولة الاتحادية.

تدريب (13)

لماذا فشل غورباتشوف في سـياسية (البيرويسـترويكا) لإعادة بناء الدولة الاتحادية السوفيتية؟

أسئلة التقويم الذاتي (13)

1-هناك عدة أسـباب ساعـدت على انهيار الحزب الـشيوعي السوفـيتي قبـيل الانقلاب العسكري على غورباتشوف عام 1991. عددها.

3.6 أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه

شهـدت السنوات الأخيرة من القرن العـشرين العديد من التطورات التي غـيرت وجه العالم كله، وفي مقدمة تلك التطورات وبلا جـدال انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه والذي جاء بعد عـشرين شهراً فقط من انهـيار جدار برلين، ولقد فـاق هذا الانهيار في

حجمه وسرعته كافة توقعات وتحليلات الباحثين والمراقبين بمن فيهم من كان أكثرهم رفضاً للاتحاد السوفيتي، حتى أن بعضهم قد اعتبره زلزالاً شديداً هز مواقع وأفكاراً عديدة في كافة أنحاء المعمورة، واستلزم مراجعة شاملة لمنظومة كاملة من المفاهيم والأفكار.

ففي أعقاب انقلاب اغسطس/ آب 1991 الفاشل ضد غورباتشوف دخل الاتحاد السوفيتي كدولة وككيان سياسي مرحلة التفكك والانهيار بصورة سريعة، وذلك على أثر تحرك جمهورياته نحو الاستقلال وقيامها بتشكيل رابط الكومنولث الجديد على أنقاض الاتحاد السابق. هذا وقد فسر بعض الباحثين والكتاب عملية انهيار الاتحاد السوفيتي بعدد من العوامل منها:

1- وجود بعض المشكلات وجوانب القصور التي شابت إدارة غورباتشوف لعملية التحول السياسي والاقتصادي في الاتحاد السوفيتي، والتي ترتب عليها أن ظل شبح الأزمة الاقتصادية مخيماً على البلاد من ناحية واختلال صيغة التوازن الداخلية والتي اتبعها غورباتشوف حيال التيار المحافظ الذي ظهر وبدأ يعارض إصلاحاته من ناحية أخرى.

2- التيار الليبرالي والذي طالبه بإدخال إصلاحات جذرية في زمن قياسي وقد تبنى غورباتشوف تياراً ثالثاً بين التيارين السابقين هو التيار الإصلاحي المعتدل، وعندما سعى غورباتشوف لتوجيه ضربته للجناح المحافظ -والذي كان بعض رموزه يتولى قيادة الجيش والداخلية والمخابرات العامة- وقع الانقلاب الفاشل الذي عجّل بانهيار الاتحاد السوفيتي.

3- تفاقم مشكلة القوميات في الاتحاد السوفيتي كان من العوامل الهامة التي سهلت عملية تفككه وانهياره، فالاتحاد السوفيتي كان يشكل إمبراطورية مترامية الأطراف تضم العديد من القوميات واللغات والأجناس التي لم تكن متشابهة من حيث التاريخ والثقافة واللغة والأوضاع الاجتماعية، وقد ضمت بعض هذه القوميات للإمبراطورية الروسية قسراً في القرن الثامن عشر، كما شهدت فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين عمليات واسعة للتهجير القسري للسكان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق أخرى فضلاً عن عمليات اقتطاع أراضٍ من بعض الأقاليم وضمها إلى أقاليم أخرى وكان ذلك في عهد ستالين، هذا بالإضافة إلى

فرض الثقافة واللغة الروسية على حساب الثقافات واللغات الأخرى في الاتحاد السوفيتي. (توفيق، ص 60)

ومع تولي غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي واتجاهه لتطبيق الجلاستوست والبيرويسترويكا بدأت صحوة القوميات في الاتحاد، وقد بدأت هذه الصحوة بالمطالبة من قبل بعض الجمهوريات الاتحادية بتغليب اللغات القومية على لغة الاتحاد إلى أن تطورت إلى المطالبة بضرورة إخراج أبناء القوميات الأخرى وبخاصة الروس، وانتهت فيما بعد إلى تحقيق الاستقلال والسيادة. وتشكلت رابطة الدول المستقلة على أنقاض الاتحاد السوفيتي، وجدير بالذكر أن هذه الرابطة قد واجهت منذ تأسيسها مجموعة من المشكلات والتحديات الكبرى جعلت منها كياناً هشاً وغير مستقر، فباستثناء بعض المقولات والشعارات العامة حول الديمقراطية الليبرالية والتعددية السياسية فإن البرامج المطروحة لبناء نظم ديمقراطية واقتصاديات حرة تبدو ضعيفة وواهية، هذا بالإضافة إلى جملة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وما يترتب عليها من مؤثرات وآثار سياسية. كما أن ضعف المساعدات الاقتصادية التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية إلى ورثة الاتحاد السوفيتي ساهم في تفاقم مشكلات دول الرابطة. وهناك أيضاً الاختلافات والتناقضات القائمة بين دول الرابطة والتي وصلت في بعض الحالات إلى حد الاقتتال المسلح كما حصل في الصراع بين أرمينيا وأذربيجان حول أقليم ناجورنو- كاراباخ. وتخوف بعض دول الرابطة من احتمالات السيطرة الروسية، بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن هناك مشكلات أخرى واجهت دول الرابطة منها: مشكلة الوجود والتعدد في القوات المسلحة ومشكلة التداخل والترابط بين اقتصاديات هذه الدول فضلاً عن بعض مشكلات الحدود والتي يمكن أن تنفجر في المستقبل. كل هذه الأمور تجعل من غير المتوقع أن تصمد الرابطة طويلاً وإن صمدت لبعض الوقت فمن غير المتوقع أن تتسم بالفاعلية.

1.3.6 انفصال جمهوريات الاتحاد

لقد توالت أهم أحداث تفكك الاتحاد السوفيتي بانفصال جمهوريات الاتحاد على النحو التالي:

انفصال ليتوانيا: والتي قادت الحركة الانفصالية القومية في منطقة البلطيق وموافقة البرلمان في 11 مارس/ آذار1990 على إعلان الاستقلال. تلتها استونيا حيث وافق

البرلمان في 4 أبريل/ نيسان 1990 على بدء مرحلة الانتقال من الاستقلال الكامل وكان أن استقلت فعلياً في 20 اغسطس/ آب 1991. ثم لاتفيا وبرغم أن الجبهة الشعبية القومية لم تحصل على أغلبية الثلثين في البرلمان لكنها أكدت انفصالها في 3 مايو/ أيار 1990 واستقلت فعلياً في 21 أغسطس 1991.

وعدا ليتوانيا فإن جورجيا وحدها هي التي أعلنت الاستقلال، إذ عجل الصدام بين القوات السوفيتية والقوميين الجورجيين بإعلان برلمانها الاستقلال في 9 أبريل/ نيسان 1991. بعد ذلك توالى إعلان الاستقلال من: بيلاروسيا في 25 اغسطس/ آب 1991 ومولدافيا في 27 اغسطس/ آب ثم أذربيجان في 30 اغسطس/ آب، وكما أعلنت اوكرانيا الاستقلال في 24 اغسطس على أساس أن يتم الاستقصاء حوله في ديسمبر/ كانون الأول 1991. وكانت أرمينيا هي الجمهورية الوحيدة التي أعلنت قبل الانقلاب أنها تنوي الالتزام بالدستور السوفيتي والذي يقرر فترة انتقال تصل إلى خمس سنوات للانفصال عن الاتحاد السوفيتي.

وبعد أسبوع واحدة من فشل انقلاب اغسطس/ آب 1991 لم يتبق من جمهوريات الاتحاد السوفيتي قانونياً سوى جمهورية روسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمس، وهي: كازاخستان، وأوزبكستان، وقيرغيزيا، وطاجيكستان وتركمنيستان، علماً أن الجمهوريات الإسلامية قد أعلنت شكلياً استقلالها قبل الانقلاب. وسواء كان إعلان الاستقلال فعلياً أو شكلياً فقد ساهم هذا وذاك في عملية هدم بنية الاتحاد السوفيتي القديمة سياسياً واقتصادياً وأيديولوجياً.

وجدير بالذكر أن مجلس السوييت الأعلى (البرلمان السوفيتي) كان قد وافق في الرابع من أبريل/ نيسان 1990 عقب استقلال ليتوانيا على قانون انفصال الجمهوريات شريطة موافقة ثلثي سكان الجمهورية على الاستقلال في استفتاء شعبي عام وعلى أن يتم في فترة انتقالية تصل إلى خمس سنوات، وإزاء عدم خضوع ليتوانيا لقانون الانفصال وإلغاء القوانين التي أصدرتها بشأن الاستقلال فرضت الدولة السوفيتية حصاراً اقتصادياً وعسكرياً على ليتوانيا وأعلن غورباتشوف أن قرار استقلال ليتوانيا مغامرة سوف تكلف شعبها والاتحاد السوفيتي والسلام العالمي ثمناً باهظاً ويجب على ليتوانيا الالتزام بالقوانين السوفيتية وعليها إلغاء قرار الاستقلال الذي اتخذته من جانب واحد.

ولم يعترف غورباتشوف في استقلال جمهوريات البلطيق الثلاث، ليتوانيا، استونيا، لاتفيا، إلا بعد انقلاب اغسطس/ آب 1991 وأعلن "أنه إذا كانت هذه رغبة شعوب هذه الجمهوريات فعلينا أن نوافق على هذا" (عبدالعليم ص23) ويعتبر هذا الإعلان تسليماً بالأمر الواقع، واستسلاماً من الرئيس القائد المهزوم، وجدير بالذكر أن يلتسن حاكم موسكو الفعلي قد سبق غورباتشوف بالاعتراف باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاث.

2.3.6 انقلاب 19 اغسطس/ آب 1991

وقد تم اختيار هذا التوقيت لقطع الطريق على توقيع المعاهدة الاتحادية الجديدة والتي كانت ستنهي عملياً الاتحاد السوفيتي من منظور العلاقات بين المركز «الاتحادي السوفيتي» والجمهوريات الاتحادية الأخرى. إذ كان مقرراً أن يوقع غورباتشوف يوم 20 اغسطس/ آب 1991، هذه المعاهدة مع رؤساء اثنتي عشرة جمهورية أي جميع الجمهوريات الاتحادية باستثناء جمهوريات البلطيق الثلاث، ولم يكن قد نشر عشية الانقلاب نص هذه المعاهدة، ولكن كان معروفاً أنها ستنقل الكثير من أجهزة الدولة المركزية السوفيتية والهيئات المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي إلى أجهزة الجمهوريات الاتحادية، بيد أن تصفية احتكار الحزب الشيوعي للسلطة كنتيجة للجلاستوست، وإضعاف النظام السياسي الشمولي وسقوط النظم الشيوعية في دول أوروبا الشرقية وتقوية الكتلة السوفيتية الشيوعية الأوروبية كثمن لإنهاء الحرب الباردة وتدهور هيبة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى باستمداد العون من الدول الصناعية والتسليم بالإدارة الأمريكية المنفردة لأزمة الخليج، إن كل هذا كان كافياً للانقلاب على غورباتشوف حتى من قبل الذين دعموا البيرويسترويكا بهدف تحديث قاعدة النظام الشيوعي السوفيتي والارتقاء بمكانة القوى السوفيتية العظمى، وكان التحرك لوأد المعاهدة الاتحادية الجديدة للإبقاء على الاتحاد السوفيتي وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من النظام الشيوعي ومكانته الدولية.

بيد أن الانقلاب وقد فشل، بدأ معه العد التنازلي والمتسارع لتفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية ونهاية القوة السوفيتية العظمى.

بعد فشل الانقلاب وعودة غورباتشوف حاول الأخير إنقاذ الاتحاد السوفيتي من الانهيار والذي بدأ محتماً بعد تفكك جهاز الدولة تحت تأثير نزعة الاستقلال في جمهورية روسيا بخاصة ونزعات الانفصال في الجمهوريات الأخرى بعامة.

وكان مشروع المعاهدة الاقتصادية الاتحادية والذي تم توقيعه في 18 اكتوبر/ تشرين أول 1991 في الكرملين آخر محاولة لإنقاذ الاتحاد السوفيتي بيد أن المعاهدة الجديدة قلصت بدرجة أشد سلطات الدولة الاتحادية المركزية، حيث لم يوقع عليها سوى ثماني جمهوريات هي (روسيا، بيلاروسيا، أرمينيا، جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمسة) مقابل اثنتي عشرة جمهورية، كانت مستعدة للتوقيع على معاهدة 20 اغسطس/ 1991 والتي لم تر النور حيث أكد الرؤساء الموقعون على المعاهدة أن شعوبهم تصر على نيل السيادة السياسية والاقتصادية، وأكدت المعاهدة على ضرورة الانتقال إلى اقتصاد السوق والاندماج في الاقتصاد العالمي وضرورة الحفاظ على العلاقات الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية التي تربط الدول الأعضاء. (عبدالعليم، ص24).

وعلى أي حال فإن هذه المعاهدة الاقتصادية كما نرى أظهرت الإصرار على الاستقلال السياسي، ولم تكن خطوة إلى الأمام بل كانت خطة واسعة للخلف على طريق إنهاء وجود الاتحاد السوفيتي. وكان الانقلاب الدستوري للحلف السياسي لمعاهدة منيسك والذي وقع في 8 ديسمبر/ كانون أول 1991، حيث أعلن رؤساء الدول الإسلامية -وروسيا، وأوكرانيا، وبيلاروسيا- أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، كما هو منصوص عليه في القانون الدولي وكحقيقة جغرافية سياسية لم يعد موجوداً وكان هذا الإعلان بمثابة رصاصة الرحمة التي صوبت إلى الاتحاد السوفيتي والرئيس غورباتشوف وعجلت بالنهاية المحتومة. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي ومعه الحزب الشيوعي أيضاً تكون قد طويت صفحة من التاريخ ستظل أحداثها ماثلة في تفكير العالم ومشاعره.

تدريب (14)

اذكر عوامل انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه.

أسئلة التقويم الذاتي (14)

1- لعبت القوميات دوراً بارزاً في انهيار الاتحاد السوفيتي. اشرح.

2- ما أسباب انقلاب 19 اغسطس/ آب 1991 على غورباتشوف؟

7. أزمة الخليج وأبعادها الدولية

1.7 الجذور التاريخية للأزمة

تعود المشكلة الكويتية- العراقية، عزيزي القارئ، منذ أن كان الاستعمار البريطاني قوة عظمى يمتلك أقوى أسطول بحري في العالم، وتغطي أملاكه أرجاء المعمورة بحيث لم تكن الشمس تغرب عنها، وكانت الهند درة التاج البريطاني بمواردها وموقعها الجغرافي وبريطانيا شديدة الحرص على حماية هذه الدرة، وكان الهم البريطاني يتركز فقط على المجال الأمني للقارة الهندية والطرق التجارية المؤدية إليها ولبقية مستعمراتها في جنوب آسيا وشرق أفريقيا، في وقت لم يكن النفط قد اكتشف بعد.

من خلال ذلك أدرك الاستعمار البريطاني القيمة الاستراتيجية للخليج العربي بصفة عامة كسياج أمني وطريق حيوي للتجارة مع الهند، فاهتم بفرض سيطرته على جانبيه معتمداً في ذلك على أسطوله البحري، وبدأت بريطانيا لتحقيق ذلك تتحرك في اتجاهين، الأول محاولة إيجاد موطئ قدم لها في أقاصي شمال الخليج لسد الطريق أمام مشروع الخط الحديد الحجازي الذي كانت ألمانيا ستقوم بتنفيذه بالاتفاق مع الدولة العثمانية، والثاني إجراء اتصالات ثنائية وسريعة مكثفة مع الدول الأوروبية الطامعة في الوصول إلى الخليج العربي، وكانت آنذاك الدولة العثمانية وألمانيا وفرنسا وروسيا.

وكانت الجزيرة العربية كلها حينذاك ضمن أملاك الإمبراطورية العثمانية والتي لم تكن تولي الاهتمام الكافي بتدعيم وجودها وسيطرتها على الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية المطلة على بحر العرب والمحيط الهندي ولا على منطقة الخليج العربي، ربما لافتقارها لاسطول تجاري يضاهي الأسطول البريطاني، فاستغلت بريطانيا ذلك وأحكمت سيطرتها على تلك المناطق وخاصة الساحل الغربي من الخليج باتفاقيات تعقدها مع شيوخ القبائل العربية. واتفقت مع شيوخ قطر والبحرين بعد اتفاقها مع شيوخ دبي وأبوظبي، وكانت المنطقة الساحلية بعد البحرين شمالاً تحت السيطرة العثمانية حيث كان للدولة العثمانية قلاع وقواعد عسكرية في الكويت والقطيف والقصير والظهران، كما جاء في تقرير كتبه المقيم البريطاني بالإنابة في بوشهر. (عودة، 1991 : ص 17)

انتهزت بريطانيا عند نهاية القرن التاسع عشر ضعف الامبراطورية العثمانية والتي كانت تواجه الكثير من المشاكل الداخلية فقفزت إلى منقطة أعالي الخليج، ووقع

اختيارها على منطقة الكويت والتي تقيم فيها عشيرة عربية من قبيلة عنزة وتحكمها عائلة الصباح، هاجرت إلى الكويت من صحراء نجد بعد جفاف شديد في عام 1712، وسكنت في حصن ابن عريعر، وبما أن بريطانيا تعترف بمكاتباتها الرسمية بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند أن الكويت جزء من الامبراطورية العثمانية وكانت بحكم التقسيمات الإدارية جزءاً من منطقة البصرة، لذلك بدأت بريطانيا تبحث عن الشيخ الذي يقبل التفاوض معها بالسر من وراء ظهر الدولة العثمانية، فحاولت مع الشيخ محمد الصباح حاكم العشيرة في التسعينات من القرن التاسع عشر ولكنها فشلت في التأثير عليه فعمدت إلى تدبير مؤامرة انقلابية عليه كان يرأسها مبارك الصباح وهو أخ غير شقيق للحاكم الذي قام بقتل أخويه الحاكم الشيخ محمد وشقيقه الشيخ جراح، ونصب نفسه شيخاً للعشيرة بمساعدة بريطانيا في عام 1895، وبذلك حصلت بريطانيا على الامتيازات التي تريدها من الشيخ مبارك سراً بعد التوقيع على اتفاقية معه في كانون الثاني / يناير 1899وأعطت هذه الاتفاقية لبريطانيا امتيازات واسعة مقابل حمايتها للشيخ مبارك وأبنائه من بعده وضمان وراثه السلطة لأبنائه وأحفاده من آل الصباح. (نوفل، 1991: ص80) وفي عام 1922 قام المعتمد البريطاني في الخليج بيرسي كوكس، فوضع بإصبعه خطاً رملياً فصل فيه البصرة عن الكويت بموجب اتفاقية العقير التي شارك فيها كوكس عن الكويت مع ممثلين عن الحكومتين العراقية والسعودية. وأسماها حدود الكويت. وبهذا حرم العراق من أي منفذ تطل من خلاله على البحر، وبهذا يمكن القول إن الأزمة ابتدأت بالجذور البريطانية واكتملت بالرعاية الأمريكية، حيث تم في إيران الإطاحة بحكومة مصدق وتدخلت المخابرات الأمريكية عام 1953 بإعادة شاه إيران ومنذ عام 1958 تبدأ خلافات العراق مع إيران ثم سرعان ما تتخلص أمريكا من الزعيم عبدالكريم قاسم في انقلاب عام 1963، وبعد ذلك بخمس سنوات 1968 استلم حزب البعث زمام الأمور في العراق وبدأت مسيرة العراق في تأميم النفط، وقام الشاه بإيعاز من أمريكا بتسليح الأكراد العراقيين لإضعاف القوة العراقية، وبعد ثلاث سنوات استطاع الشاه انتزاع اتفاق الجزائر والذي تنازل فيه العراق لإيران عن حقوقه الملاحية في شط العرب مقابل وقف المساعدات الإيرانية- الأمريكية للأكراد في الشمال، وما تلبث أمريكا حين اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 إلى قيام رئيسها كارتر بإعلان مبدئه، والذي ينص على التدخل العسكري الأمريكي في منطقة الخليج لحماية الممرات المائية المؤدية إلى الثروات النفطية، ثم تنشب الحرب العراقية- الإيرانية بموافقة ضمنية أمريكية،

وتذبذب الموقف الأمريكي مع العراق مرة ومع إيران مرة أخرى إلى أن انتهت هذه الحرب عام 1988م.

انكب الحكم في العراق بعد الحرب على تنفيذ مخططات سريعة في التطور الصناعي والعسكري وربط بين التصنيع المدني والإنتاج الحربي وشرع في استيعاب التكنولوجيا الحديثة، وأطلق أول قمر صناعي واستأنف برنامجه النووي بعد أن توقف على أثر تدمير مفاعله النووي عام 1981م. (ياسين، 1993 : ص 204).

إزاء هذا التقدم النوعي ساد القلق الأوساط الحاكمة في إسرائيل، وشاركها الولايات المتحدة بعض قلقها، عندما تبين أن الحكم في العراق مصمم على ردم الثغرة التكنولوجية التي تفصله عن الدول الصناعية.

وعلى ما يبدو في نظر واشنطن يعد امتلاك إحدى دول العالم الثالث ذات النظام الفردي وغير الديمقراطي للتكنولوجيا خطيئة لا تغتفر وتجاوزاً للخط الأحمر الدولي، وهذا هو السبب الأهم وغير المباشر لحرب الخليج.

2.7 معنى حرب الخليج وأهدافها

تعددت تسميات هذه الحرب وأوصافها فقيل إنها استمرار للحروب الصليبية ضد الإسلام وإنها حرب إمبريالية صهيونية ضد العرب، وإنها نزاع بين الشرق والغرب، وإنها حرب أهلية عربية. . .الخ.

والحقيقة أنها ربما هي كل ذلك معاً ولكن بعض الباحثين والمراقبين يرون أنها حرب أمريكية بالدرجة الأولى تقوم الولايات المتحدة عن طريقها بتثبيت نظامها الجديد، وترسيخ التبعية العراقية وتأمين النفط ومنع قيام أي قوة عظمى منافسة بعد أن تم احتواء الاتحاد السوفيتي على أثر انهياره بسرعة فاجأت الجميع بمن فيهم القيادات الأمريكية. (بركات، 1992 : ص 242).

من هذا المنطلق يمكننا القول إن حرب الخليج لم تبدأ باجتياح العراق الكويت بل تعود جذورها كما أسلفنا إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وتعود بداياتها إلى دمج الوطن العربي في النظام الرأسمالي الذي ورثت الولايات المتحدة قيادته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

ويمكننا القول إن بوادر هذه الحرب بدأت تلوح في الأفق بعد عام 1989، حيث بدأت الأجواء تتلبد في المنطقة بعد أن حطت الحرب العراقية- الإيرانية أوزارها وقامت حملة إعلامية غربية تندد باستخدام الجيش العراقي للأسلحة الكيميائية ضد الأكراد في مدينة حلبجة، وتطويره صواريخ سكود التي تحمل رؤوساً كيميائية ونووية تصل إلى عمق اسرائيل وباقتنائه المدفع العملاق، وكثر الحديث عن خلل استراتيجي حدث في توازنات الشرق الأوسط.

وإذا تعمقنا في فهم طبيعة هذه الحرب وأسبابها وأهدافها كما حددتها سياسة الإدارة الأمريكية نجد أن هذه الإدارة بررت تدخلها بذرائع وأسباب عديدة منها منع احتلال العراق السعودية، وهذا ما نفته السلطات العراقية في حينه، ثم تحرير الكويت، والمحافظة على السلم والإقدام بدافع إنساني أخلاقي للدفاع عن دولة صغيرة ضعيفة تعرضت للاعتداء من قبل دولة قوية مستبدة.

أما الأهداف الحقيقية لحرب الخليج والتي بدأت تنكشف تدريجياً من خلال الحرب وما بعدها، فقد شملت الآتي:

1- الاستمرار في السيطرة التامة والمباشرة على النفط العربي بحيث تؤمن استيراده بأدنى الأسعار، وتمنع العرب من استعماله كقوة اقتصادية وسلاح سياسي كما حصل في حرب أكتوبر 1973م.

2- ترسيخ التبعية العربية الشاملة، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

3- تدمير قدرات العراق العسكرية وهدم البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية العراقية، والقضاء على امكاناته العلمية والتكنولوجية وإعادته إلى مركز التخلف.

4- إقامة ترتيبات أمنية جديدة وتأمين قواعد عسكرية أمريكية في المنطقة في إطار النظام العالمي الجديد.

5- تأمين استمرار التفوق الإسرائيلي وإيجاد حل سلمي جزئي للقضية الفلسطينية.

6- محاصرة الشعب العراقي كي يتجرد من مبادئه والتخلص منها.

7- فضح ضعف الاتحاد السوفيتي (قبل انهياره) أمام شعوب العالم الثالث، وبخاصة الشعوب العربية التي اعتادت الاستعانة به في الأزمات الدولية عن طريق إظهاره بعدم قدرته على التأثير في مجريات الأمور.

8- الإيحاء لدول العالم الثالث بأن زمن التمرد والمقاومة قد انتهى ولم يعد أمامها سوى طريق التعاون والرضوخ.

9- إلحاق هزيمة معنوية ونفسية بالشعب العربي، وتشكيكه بهويته القومية والقبول في الأمر الواقع.

10- فتح الأسواق العربية أمام الشركات الأمريكية وفرض نظام السوق الحرة.

اقتضت هذه الأهداف أن تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية إلى مواجهة عسكرية مع العراق بحجة احتلال العراق للكويت بتاريخ 2 آب/ اغسطس 1990 ورفضت أي مساعٍ أو حلولاً سلمية من أي جهة كانت سواء من أوروبا أو الاتحاد السوفيتي أو البلدان العربية أو دول العالم الثالث، وكان اختيار الحرب قراراً أمريكياً فرضته الولايات المتحدة على الأمم المتحدة وأوروبا والعرب. مع وجود أطراف أخرى كانت تريد الحرب، منها اسرائيل والتي وجدت فيها فرصة سانحة لأن تحارب اعداءها دون أن تدفع الثمن، وحكومة الكويت والتي لم يكن لها دور في صنع القرار والتي أبرزت بشاعة الاحتلال العراقي لدى العالم الغربي الأمر الذي سهل مهمة الإدارة الأمريكية وساعدها في التغلب على المعارضة الداخلية، وشن الحرب.

في ضوء الأهداف السابقة تستنتج أن حرب الخليج هي بالدرجة الاولى حرب أمريكية للهيمنة وفرض التبعية وفرض نظامها الجديد على العالم دون منازع أو منافس. يؤكد هذا الاستنتاج اعتراف بعض الرسميين الأمريكيين ومنهم بريجنسكي» المستشار السابق للشؤون العسكرية والذي قال «إنها حرب امريكية ٪90، وأمريكية فيما يتعلق بالنظام الدولي الجديد والوليد حديثا». (الزعبي، 1993، ص 283).

وعزز هذا القول «آرثر شليزنجر» المستشار السابق للرئيس الامريكي والذي ذكر «هذه الحرب في المقام الأول حرب أمريكية، ليس لمنظمة الامم المتحدة سوى الغطاء الدولي» (الزعبي، ص 283).

كما أشار الكاتب الفرنسي «ريجيه روبريه، إلى ذلك في أحد مقالاته : «لم تخف الولايات المتحدة انها خططت للحرب قبل عشر سنوات من اجل إقامة قواعد عسكرية دائمة لقواتها في الخليج من أجل التمكن من مراقبة إنتاج النفط والسيطرة على الأسعار». (الزعبي، ص 283).

تدريب (15)

هل كانت حرب الخليج حرباً امبريالية ضد العرب؟

أسئلة التقويم الذاتي (15)

1- اذكر خمسة أهداف على الأقل من الأهداف الحقيقية لحرب الخليج.

3.7 حرب الخليج بين الأسباب والنتائج

1.3.7 الأسباب

هل كان دخـول القوات العـراقية في فـجر الثانـي من أغسطس/ آب 1990 إلى الكويت هو السبب وراء هذه الحـرب؟ أم أن كل ما حدث أمر مـخطط له ومدبر؟ وهل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا معنية بإقامة السلام العادل في الشرق الأوسط وحل مشاكل العرب أم هو النهـوض والصحوة التي حصلت في العراق بعد الحـرب العراقية- الإيرانيـة. . . وإعلان الزعـيم العراقي صـدام حسين وتهـديده بإحراق نصف اسـرائيل وعرضه لبعض صناعاته الصاروخية، وربما كان ذلك السبب الأكبر لدخول صدام حرب الخليج والتي أتت على الكثير من مقدرات بلاده وأجزاء من جيشه.

وكان صدام حسين قد حذر في قمة مجلس التعاون العربي والذي عقد في عمان فبراير/ شباط 1990 وضم كلا من العراق، مصـر، الأردن، اليمن، من بقاء أساطيل الولايات المتحدة في الخليج على الرغم من انتهاء الحـرب العراقية- الإيرانية، وأن منطقة الخليج ستصبح في قبضـة الإدارة الأمريكية إن لم يتنبه أبناء الخليج وكل العرب لذلك. وأن الرئيس صـدام يشعر أنه مـسـتـهدف من قبل واشنـطن التي تمهد لحرب في مـنطقة الخليج، استـشف الملك حـسين -ملك الأردن- خـطورة الموقف وقام فور انتـهاء القـمة بجوله على القادة الخليجيين نقل خلالها مطالب بغداد الثلاثة:

أ- رسم الحدود مع الكويت، بحيث تحتفظ العراق بكامل حقل الرميلة النفطي.

ب- استئجـار جزيرتي وربة وبوبيان غير المأهولتين واللتين تشكلان منفـذ العراق المباشر إلى البحر.

جـ- إلغاء الديون المترتبة على العراق.

وللأسف جاء الرد سلبياً، فقرأ فيه الرئيس صدام تحريضاً أمريكياً للتضييق عليه وصرّح بذلك أمام وفد البرلمانيين العرب والذي كان بزيارة لبغداد في نيسان/ ابريل 1990 وقال لهم: لقد وصل العراق إلى حال يبدو وفق تقديراتهم بأنها حال غير مسموح بها" وفاجأ صدام العالم في الشهر نفسه ابريل/ نيسان بالإعلان التالي: "لدينا الكيماوي المزدوج، ومن يهددنا بالقنبلة الذرية سنرد عليه بالمزدوج فوالله لنجعلن النار تأكل نصف اسرائيل إذا حاولت القيام بأي عمل ضد العراق". (ياسين، ص 209)

هبت عاصفة إعلامية وسياسية عاتية تندد بإعلان صدام وتصدرت إسرائيل وواشنطن الحملة، وأدلى وزير الخارجية الأمريكي "جيمس بيكر" بتاريخ 25 نيسان/ ابريل 1990 أي قبل أكثر من ثلاثة أشهر من احتلال الكويت بتصريح ملفت للنظر كشف فيه أن واشنطن تبحث عن فرض عقوبات على العراق بسبب امتلاكه أسلحة غير تقليدية وتهديد أمن إسرائيل، فدعا الرئيس العراقي إلى عقد قمة عربية في بغداد 28 أيار/ مايو 1990 لبحث موضوعين هما:

الحملة الإعلامية على العراق وهجرة اليهود السوفييت إلى اسرائيل، وطلب صدام في نهاية المؤتمر عقد جلسة مغلقة للرؤساء العرب صارحهم خلالها بأن بعض الدول الشقيقة لا تلتزم بقرارات منظمة أوبيك، مما أدى إلى انخفاض سعر النفط والذي وصل أحياناً سبعة دولارات للبرميل الواحد بدلاً من ثمانية عشر دولاراً، وأن كل خفض مقداره دولار واحد للبرميل يخسر العراق من جرائه مليار دولار في السنة. وأشار في كلمته أن ما يحدث هو نوع من الحرب على العراق وساوى بين الحرب العسكرية والحرب الاقتصادية، دعا الرئيس العراقي في حزيران/ يونيو 1990 الدول الأعضاء في الأوبيك إلى إبرام اتفاقية شاملة تلزمهم بالحصص الإنتاجية وأكد حق العراق في الصدام مع العرب والذين لا يلتزمون بالحد الأدنى الذي تم الاتفاق عليه في قمة بغداد.

في 17 تموز/ يوليو 1990 وبمناسبة الذكرى الثانية والعشرين للثورة العراقية اتهم صدام علناً بعض دول الخليج بطعن العراق في الظهر بخنجر مسموم، وبالتآمر مع الولايات المتحدة التي تريد أن تضمن تدفق النفط بأبخس الأثمان وتريد أن تتحكم بمصير مصدري النفط والمستهلكين.

في اليوم التالي 18 تموز/ يوليو أرسل وزير الخارجيـة العراقي طارق عزيز بمذكرة إلى جامعة الدول العربية اتهم فيها الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة بتنفيذ مخطط لتدمير الاقتصاد العراقي، وأن اعتداء الكويت على العراق اعتداء مزدوج عسكري (إقامة منشآت عـسكرية ومخافر داخل أرض العـراق)، واقتصادي (إقـامة تجهيـزات نفطية في حقل الرميلة العراقـي وبيع نفطه)، أعقب العراق هذه الشكوى للجامعة العـربية بحشد ثلاثين ألف جندي في بادئ الأمـر ثم ضاعـفهـا إلى مائة ألف جندي على حـدوده مع الكويت، والتي لم تكترث جدياً للتهديدات ولا للحشـود العسكرية وتعاملت معها على أنها مجرد ابتزاز، ومما زاد في تعنت الكويت تصـريح أمريكي رسمي أبدت فيه واشنطن أنها ملتزمة بحمـاية أصدقائها بصورة فردية وجماعيـة، استدعى الرئيس صدام على أثر ذلك سفيرة الولايات المتحدة الأمـريكية في بغداد "ابريل غلاسبي" يوم 25 تموز/ يوليو وحملها رسالة إلى الرئيـس الأمريكي جورج بوش حول العلاقات العراقـية الأمريكية، وحـول نزاعه مع الكويت، وأجـابت السـفيـرة حول النزاع الحـدودي مع الكويت. أن الخارجية الأمريكية دأبت منذ الستينات بإرسال توجهات تؤكد أن لا علاقة لأمريكا بهذه القضية (ياسين، ص 211)، وأن جيمس بيكر طلب من المتحدث الرسمي الأمريكي أن يؤكد هذا التوجـيه، وتمنت غـلاسبي أن يحل النزاع في إطار الجامـعة العـربية، أو عن طريق الرئيس مبارك، وأكـد لها الرئيس العراقي أن الرئيس مبـارك يُمهد لعقـد لقاء عربي في جدة لايجاد حل سلمي للنزاع مع الكويت، واسـتنتج الرئيس صدام من هذه المقابلة أن الولايات المتحدة لن تتدخل عسكرياً واستنتـجت الدبلوماسية الأمريكية أن الرئيس صدام لا ينوي احتـلال الكويت، وإن كانت الاستـخبارات الأمـريكية توقعت دخـول الجيش العراقي إلى المناطق المتنازع عليهـا فقط. رتب الرئيس مبارك لقاء عراقياً كـويتياً في جدة وحصل على وعد من الرئيس صدام بعدم الإقدام على أي عمل عسكري قبل انعقاد هذا الاجـتمـاع والذي تم في 31 تموز/ يوليو 1990، وطمـأن الرئيس المصري المسـؤولين الكويتـيين بذلك، الأمـر الذي زاد في رفضــهم لكل مطالب الـعراق، هذا وقـد نصح الرئيس ياسر عرفات -رئيس منظمة التحرير الفـلسطينية- الكويتيين (الامير وولي العهد) والذي زار الكويت في تلك الآونة خـصـيصـاً لهـذه الغاية، لتـقـديم بعض التنازلات للعراق، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصيحته وقال لهم في نهاية الزيارة: "اللهم اشهد إني قد بلّغـت". (مقابلة شـخصـية مع الرئيس عـرفات - بغداد - ديسـمبـر كانون الاول 1990).

وتم عقد اجتماع جدة في موعده، ولم يحمل ولي العهد الكويتي الشيخ سعد العبدالله إلى جدة أي اقتراحات واكتفى بتعليمات أمير الكويت الذي قال له:

"نصحنا أصدقاؤنا بألا نعطي شيئاً"، ويقصد بذلك الأمريكيين، وفشل اجتماع جدة والذي ترأس الجانب العراقي فيه عزة ابراهيم، ورأى صدام في الموقف الكويتي المتشدد إهانة شخصية له وقال غاضباً: "سيدفعون الثمن غالياً" (ياسين ص 212). ومما زاد في غضب صدام عرض البنتاغون على وزير الدفاع الكويتي إرسال قوة أمريكية للحماية، فكان أن اجتاحت القوات العراقية الكويت في 2 اغسطس/ آب وقبل 8/5 موعد وصول القوات الأمريكية.

أكد الرئيس العراقي التزاماته باتفاقية عدم الاعتداء الموقعة مع العربية السعودية وأبلغ القادة السعوديين بذلك، واستدعى القائم بالأعمال الأمريكي في 6 اغسطس/ آب وحمله رسالة إلى "بوش" أكد فيها ضمان تدفق النفط كما كان في السابق، وفي اليوم نفسه أوفد بوش وزير دفاعه "ديك شيني" لإقناع السعوديين بإنزال قوات أمريكية في أراضيه، وللحقيقة لم يوافق القادة السعوديون على العرض الأمريكي إلا مضطرين إذ أوهم الوزير الأمريكي بواسطة صور التقطتها الأقمار الصناعية أن العراق يستعد لغزو السعودية وكان أن وصلت طلائع الجيش الأمريكي في 5 اغسطس/ آب وانتشرت في أرجاء أغنى منطقة نفطية في العالم، وكان رد العراق على ذلك في اليوم ذاته بإعلان ضم الكويت ليصبح المحافظة التاسعة عشرة متورطاً أكثر في الفخ الأمريكي المنصوب.

في هذه الأثناء قام الملك حسين -ملك الأردن- بمساعيه لإيجاد حل عربي للأزمة وحصل من الرئيس العراقي على وعد بسحب جيشه من الكويت شريطة تلبية جميع مطالبه، بالإضافة إلى إقناع الجامعة العربية بعدم اتخاذ أي قرار علني ضد العراق. وفيما كان الرئيس الأمريكي يشجع الملك حسين على متابعة مساعيه اتصل بالرئيس المصري طالباً منه استصدار قرار عربي سريع يدين العراق، أي أن بوش أجهض الوساطة العربية والتي كانت تلوح في الأفق قبل استكمالها. (ياسين، ص 213)

في اليوم العاشر من أغسطس/ آب التأمت القمة العربية في القاهرة، واقترح الرئيس عرفات تأليف وفد عربي من مصر، الجزائر، اليمن، الأردن وفلسطين لمقابلة الرئيس صدام في بغداد مؤكداً أن حل الأزمة في هذا الإطار ممكنة جداً، ولكن الرئيس المصري رفض المشاركة بحجة أن صدام نكث بتعهداته السابقة له، وأصرّ على أن يطرح

على التصويت مشروع توصية يدين العراق، ويدعو إلى إرسال قوات عربية إلى الخليج، أيد الاقتراح إحدى عشرة دولة من أصل واحدة وعشرين.

بعد يومين من مؤتمر القمة اتخذ صدام موقفاً كان له صدى كبير في العالم بعامة والعالم العربي بخاصة مطالباً الربط بين انسحاب العراق من الكويت وانسحاب اسرائيل من الأراضي العربية في كل من فلسطين وسوريا ولبنان بالإضافة إلى انسحاب الجيش السوري من لبنان، كما طالب لاحقاً بالتوزيع العادل لعائدات النفط العربي على كل البلدان العربية.

نخلص إلى القول: إن مطلب العراق من جهة وإجهاض بوش للوساطات العربية وغيرها من جهة أخرى جعلت اللعبة الأمريكية تستمر، وكان أن أجبرت العراق على الخروج من الكويت بعد سبعة شهور من دخولها وهي مثخنة الجراح، وأن فصول المسرحية لم تنته بعد ما دام الحصار الاقتصادي مفروضاً على العراق وبرغم خروج قواته من الكويت منذ أكثر من ست سنوات.

2.3.7 النتائج

ان حرب الخليج الثانية حملت في طياتها الكثير من النتائج الخطيرة إذ لم يكن القصد من وراء هذه الحرب القضاء على العراق أو استرجاع الكويت كما يبدو في الظاهر، بل إن هذه الحرب قد نشبت وجاءت القوات الأمريكية وحلفاؤها إلى المنطقة من أجل القضاء على الثورة العلمية العربية، والإجهاز على التقدم العلمي والعسكري العربي، إذ ليس كما هو معروف أي عداء بين الولايات المتحدة والعراق، بل إن ما يجب أن يعرفه كل ذي بصيره هو التخوف الرهيب من نهضة عربية علمية أو تكنولوجية يكون من شأنها عرقلة أو حرمان المجتمع الغربي من نهب خيرات الوطن العربي، ويمكن إيضاح التخوف الأمريكي بالآتي:

1- تخوف الولايات المتحدة في المرحلة القادمة من دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية والتي ستكون مستقبلاً قادرة طامحة إلى أداء دور اقليمي لا يخضع للضوابط الأمريكية.

2- إن دول العالم الثالث والتي تنقسم إلى ثلاث فئات هي، الدول النفطية، ودول أوروبا الشرقية، والدول النامية الأخرى، وما يهم أمريكا والمعسكر الغربي منها هي

الدول النفطية والتي يجب السيطرة عليها وإذا لم يتأت ذلك بشكل مباشر فعن طريق إقامة قواعد عسكرية فيها.

3- ان التخلص من عقدة فيتنام بشكل نهائي صار يشكل ضرورة أمريكية فتبعيات فيتنام وما تلا تلك الحرب من مشاهد لا زالت ترهق كاهل السياسة والشعب الأمريكي والمراهنة في البيت الأبيض وغيره أن لا فيتنام أخرى على الإطلاق، لذا فإن هذه الحرب يجب أن تظهر وكأنها أشبه بالنزهة وخاصة بالنسبة للجنود الأمريكان، وتدمير الطرف الآخر تدميراً كاملاً.

4- ان المواجهة بين الولايات المتحدة وإحدى دول العالم الثالث ربما تخلق حالة بديهية من التعاطف الدولي مع الدولة الضعيفة، لا من قبل دول العالم الثالث فحسب بل من قبل معظم الدول الصناعية الغربية ولتخوف الولايات المتحدة من إرباكها أو عزلها، اقتضى الأمر أن تخوض الولايات المتحدة المعركة في ظل تحالف واسع يضم دولاً غربية ودولاً من العالم الثالث بحيث لا تبقى منفردة وعملت على اتخاذ القرارات في إطار مجلس الأمن الدولي بحيث يبدو الأمر مواجهة بين الأمم المتحدة وإحدى الدول العاصية وليس بين الولايات المتحدة وإحدى دول العالم الثالث.

5- عدم استغلال الإعلام بشكل جيد، وإن تحويل معركة عسكرية محدودة إلى انتصار سياسي كبير شيء ممكن إذا أحسن استغلال الإعلام، وينبغي عن طريق الإعلام تعبئة الرأي العام الداخلي وتحويل اهتمام المواطن الأمريكي من الأمور الداخلية المتردية إلى الأمور الخارجية.

وهناك وجهة نظر أخرى تقول إن القوات الحليفة جاءت لنصرة دولة صغيرة تعرضت للاعتداء وعضو في الامم المتحدة، واترك لك عزيزي القارئ لتتبنى إحدى وجهت النظر او كلتيهما معا.

في مواجهة هذه الظروف تصرف الرئيس صدام بردود الفعل، ولم يفسح له بوش أن يلتقط أنفاسه وكان مقدراً للحسابات العراقية أن تكون صحيحة لولا سياسة الانفتاح التي سار عليها الاتحاد السوفيتي وانشغاله بمشاكله الداخلية مما أطلق يد واشنطن في الشؤون العالمية، ورغبة بوش في إظهار نفسه بمظهر الرئيس الحازم وليس المتردد، بالإضافة إلى اعتقاد القيادة العراقية أن الولايات المتحدة ما زالت تعاني من عقدة فيتنام،

وأن فرنسا لن تشارك في الحملة العسكرية، وسيستخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو في مجلس الأمن وبدخول اسرائيل المعركة سيتحول النزاع إلى حرب عربية إسرائيلة تثير عاصفة لن تهدأ في الشارع العربي في جميع أقطاره تؤثر في موقف الحكام والرؤساء العرب.

وكما نعرف جميعاً وتعلم، عزيزي القارئ، فإن أياً من توقعات العراق لم تتحقق، إذ لم يختلف موقف باريس عن موقف واشنطن ولم تستخدم موسكو حق الفيتو، بل وافقت على كل العقوبات الاقتصادية والعسكرية، وتحرك الشارع العربي بحماس ولكن لم يتبدل موقف حكامه ولم تتورط إسرائيل في المعركة على الرغم من قصفها بصواريخ سكود، حيث تعهدت لها الولايات المتحدة بتدمير العراق عسكرياً واقتصادياً، وإزالة أسلحة الدمار الشامل التي يملكها، وقد تم تنفيذ ذلك إلى حد كبير برغم كل ما قيل خلاف ذلك، وتم تفجير حربين أهليتين في العراق إحداهما شيعية في الجنوب، والثانية كردية في الشمال، وبدأ العراق وكأنه منقسم عملياً إلى ثلاث دول، ولكنه استطاع فيما بعد التغلب على أزمته، ونجح إلى حد ما في ذلك حيث انتهى التمرد في الجنوب لصالحه أما في الشمال فالأمور لا تزال غير مضبوطة.

ومع موقف وقف إطلاق النار في حرب الخليج بموافقة الطرفين، إلا أن الحرب لم تتوقف ولا زالت الولايات المتحدة وبعض حلفائها مصرين على تدمير قوة العراق العسكرية، ومن خلال قرارات مجلس الأمن لا زال العراق تحت الحصار الاقتصادي، وأطفال العراق وشعب العراق يعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة.

4.7 أزمة الخليج والمستقبل العربي

طرأت على العالم العربي منذ بداية التسعينات أحداث وتطورات حيوية وهامة لا ترتبط كلها بالضرورة مباشرة بالعالم العربي ودوله ولكن كان لكل منها دور هام في صياغة عناصر جديدة لواقع عربي جديد مؤثر في توجهه وبشكل سياساته، وعلى رأس هذه الأحداث أزمة الخليج وآثارها على الواقع العربي اقتصادياً وسياسياً وأمنياً. فعلى صعيد المستقبل الاقتصادي العربي، أوضحت الأزمة شدة اقتناع الدول العربية لوضع استراتيجية اقتصادية شاملة ومتكاملة ذات أهداف قريبة وبعيدة، يتم بناؤها على أساس الاستفادة من الطاقات والإمكانات المتنوعة لمجموعة الدول العربية في إطار بناء اقتصاد

متكامل يخدم أهداف ومصالح كافة الدول الأعضاء وليس لمصلحة فئة أو مجموعة على حساب الفئات الأخرى.

وفي هذا المجال تقع على الدول العربية النفطية مسؤولية رئيسة ليس لكونها أكثر الدول العربية ثراء، ولكن لامتلاكها لمصدر رئيس من مصادر التأثير والنفوذ على الصعيد العالمي، وهو ما تم استغلاله في السبعينات، وأطلق عليه اسم (سلاح البترول) حيث أثبت فاعليته في خلق ثقل عربي ملموس ومؤثر على الساحة الدولية حينذاك، وجدير بالذكر أن العالم الصناعي يسعى اليوم لدراسة سبل تمكنه من تفادي آثار سلاح البترول وتجريد الدول المالكة له من أي قدرة على استخدامه لخدمة أهدافها القومية أو المحافظة على مصالحها الاستراتيجية مما حدا ببعض القارئين لهذه المسألة في الولايات المتحدة إلى الدعوة لتبني استراتيجية بترولية أمريكية جديدة تضع في اعتبارها القرب الجغرافي كأساس لاستيراد البترول.

وفي دراسة نشرها مؤخراً مجلس الأمن القومي الأمريكي أعدها باحثان مرموقان أحدهما عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي ومستشار سابق للرئيس ريجان والثاني من كبار خبراء الطاقة، ذهب الباحثان إلى أن البترول العربي والذي يشاع عنه كونه أرخص بترول في العالم هو في الواقع يكلف الولايات المتحدة من ثلاثة إلى خمسة أضعاف سعره الفعلي واضعين في الاعتبار نفقات المساعدات العسكرية والمجهود الدبلوماسي والأمني الذي تنفقه الولايات المتحدة سنوياً لحماية مصادر البترول العربي، مشيرين بذلك إلى النفقات التي دفعتها الولايات المتحدة في أزمة الخليج، واقترح الباحثان إنشاء مجمع طاقة أمريكي يضم الولايات المتحدة وكندا والمكسيك وفنزويلا وكولومبيا، بهدف توفير بترول رخيص وعالي الجودة دون الحاجة إلى بترول الشرق الأوسط. وجدير بالذكر أن مثل تلك النداءات والدراسات قد تلقى قبولاً لدى صناع القرار الأمريكي.

يضاف إلى ذلك ظهور عدة تكتلات اقتصادية مثل مجموعة الدول الأوروبية ومجموعة جنوب شرق آسيا فضلاً عن مجموعة دول الشمال الأمريكي وتضم (الولايات المتحدة، كندا، المكسيك) ويبلغ تعداد كل من هذه التكتلات حوالي 350 مليون نسمة، تضاف إليها كوريا واليابان ودول أمريكا اللاتينية لتبقى مجموعات الدول الأفريقية والآسيوية الفقيرة بما فيها المجموعة العربية والتي سيكون عليها أن تختار إلى أي الفريقين تريد الانضمام. (المجدوب، مجلة السياسة الدولية، ص 129).

أما على صعيد المستقبل السياسي العربي فلعل أسوأ مشكلات العالم العربي على الاطلاق في تاريخه المعاصر هي مشكلة نظم الحكم والتي تعرضت لأشد مراحل افتضاحها عالمياً خلال أزمة الخليج وهي نظم يكتسب شعب بأسره هويته من خلال هوية فرد واحد، هو الحاكم المطلق، وبالتالي يتم تحديد توجهات ومصائر تلك الدول طبقاً لأهواء وطموحات الحاكم ومواقفه الشخصية من مختلف القضايا.

ان مسؤوليات القيادات العربية السياسية في قيام حرب الخليج ونتائجها عديدة وعلى هذه القيادات حل المشاكل العربية المتراكمة منذ زمن بعيد ان كان على الصعيد الداخلي أو على صعيد العلاقات العربية فيما بينها، واحتواء أزمة الخليج وإيجاد الحلول المرضية لها.

وأصبح من المحتم على الدول العربية ان تعمل على تطوير نظمها السياسية وتنشيط مؤسساتها التشريعية والتنفيذية والقضائية والاقتصادية إذ أن العالم اليوم يعيش عصر (العوله والخصخصه) وهو ما لا يمكن تحقيقه دون مؤسسات متخصصة عالية الكفاءة وذات استقلالية معقولة. وإلا ستبقى هذه الدول تسير كالسلحفاة والعالم من حولها يسير بسرعة الصاروخ.

تدريب (16)

هل كان لحرب الخليج من آثار اقتصادية على الوطن العربي؟

أسئلة التقويم الذاتي (16)

1- ما الدور الذي يمكن أن تقوم به الدول النفطية العربية على الصعيد الاقتصادي عربيا وعالميا ؟

5.7 دور مجلس الأمن والأمم المتحدة في الأزمة

بين أهم وسائل حرب الخليج وخصوصياتها استعمال الإدارة الأمريكية كلاً من الأمم المتحدة ومجلس الأمن كوسيلة وغطاء شرعي لها، وللأسف لم ترتفع الأمم المتحدة إلى مستوى مسؤولياتها ودورها التاريخي المفترض أن تقوم به، ولا شك أن بنية الأمم المتحدة المهلهلة قد سهلت للولايات المتحدة أن تصول وتجول كما تشاء، خاصة

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وفي ظل هذا الوضع يبطل التوازن المطلوب وتتحول الأمم المتحدة إلى أداة في يد الولايات المتحدة ولا تزال.

وجدير بالذكر أن مجلس الأمن الدولي قد اتخذ جميع قراراته المتعلقة بأزمة الخليج منذ بداياتها وحتى الوقت الحاضر بمبادرة أمريكية وأن جميع قرارات هذا المجلس تصنع في واشنطن وليس في أورقة الأمم المتحدة كما يجب أن تكون، وبذلك تحولت الأمم المتحدة إلى مجرد منظمة اسمية وتسليمها حكومة الولايات المتحدة مهمة تنفيذ قراراتها دون رقابة أو محاسب، تكون قد تخلت عن مسؤولياتها كلياً، وتتخلى الأمم المتحدة عن مهمة إيجاد حل سلمي للأزمة وترك الحبل على الغارب للولايات المتحدة ومنها سلطة شن الحرب دون أن يشارك في تحديد أهدافها ووسائلها وإيقافها تكون بذلك قد فقدت احترامها وهيبتها، وكان من أخطر ما فعلت الأمم المتحدة أنها وافقت على القرار 678 والذي يقضي باستعمال جميع الوسائل الضرورية دون تحديد أو توضيح أو إشراف أو الرجوع إليها في ما يتعلق بتنفيذها.

ومن المؤسف أن الأمم المتحدة لم تصر حتى على اتخاذ موقف مبدئي انطلاقاً من تقديرها لأهمية دورها التاريخي في ظل النزاعات الدولية، ومن المحزن حقاً أن الأمم المتحدة لم تظهر أنها قادرة خلال جميع مراحل هذه الأزمة الدولية أن تدرك أنها تتصرف كمجرد أداة في تنفيذ السياسية الأمريكية لذا لم يكن من الغريب أن يقوم ديفيد كاي رئيس فريق التفتيش التابع للأمم المتحدة وكان موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية وكان يزود الخارجية الأمريكية بتقاريره قبل أن يرفعها إلى الأمم المتحدة وهي المؤسسة التي تدفع له رواتبه.

لقد سمحت الأمم المتحدة لنفسها بأن تصبح أداة في يد الإدارة الأمريكية سواء في الحرب أو بعدها، وفي أثناء استمرار الحصار وتجويع الشعب العراقي والتسبب في موت أطفاله، وواقع الأمر لم يكن بالإمكان التمييز بين موظفي الأمم المتحدة وموظفي الإدارة الأمريكية.

وكما كان يفعل ديفيد كاي فعل رودلف إيكوس رئيس مفوضية الأمم المتحدة لتدمير أسلحة الدمار الشامل برفع تقاريره إلى واشنطن أولاً ثم الأمم المتحدة.

8. الخلاصة

بيّنا لك، عزيزي القارئ، في هذا الفصل أن العالم عاش عملياً في الفترة من عام 1945- 1989م في نظام دولي هيمنت عليه سياسة المجابهة المستمرة، بين معسكرين متنافسين هما: المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة ممثلاً بحلف الأطلنطي، والمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي ممثلاً بحلف وارسو، وقامت بينهما الحرب الباردة والتي تعكس في جوهرها الصراع المستمر بين المعسكرين، ذلك الصراع الذي استخدم فيه كل طرف، من الوسائل والأسلحة والحروب الصغيرة والمحدودة إلى الاحتلال الفعلي والحصول على قواعد عسكرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن مخازن الحلفين الكبيرين ضمت أكثر من مليون وربع المليون رأس نووي كانت كافية لتمزيق الكرة الأرضية وتحويلها إلى رماد. خلال هذا الجو الدولي والمشحون بالتوتر قامت مجموعة من الدول وعلى رأسها مصر والهند بتبني سياسة عدم الانحياز وقدمت هذه الدول بديلاً في المجال السياسي هو التعايش السلمي ونزع السلاح الشامل، الأمر الذي دفع العملاقين إلى التعاون بدلاً من الحرب والخصام واستئناف المفاوضات بينهما من أجل التوصل إلى تسوية سلمية وإنهاء الخلاف بينهما، وكان أن أعلن الطرفان التزامهما بالحد من الأسلحة الاستراتيجية. وصدر في واشنطن بيان أمريكي- سوفياتي في السبعينات بتحريم الحرب النووية.

وظل الأمر كذلك إلى أن جاء صيف عام 1989م وانتهت الحرب الباردة بعد اجتماع قمة غورباتشوف- بوش، وكان من نتائجها حل العديد من الصراعات الإقليمية، وتلا ذلك بعد فترة وجيزة انهيار الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، وقيام وضع دولي جديد انطوى على أسس ومفاهيم وموازنات دولية جديدة عبّرت عنها الأسس الدولية بمختلف اتجاهاتها عن إيمانها بالديمقراطية التعددية وظهر ذلك جلياً في العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية والتي عقدت في الفترة من 1990-1993م، وقد انعكس كل ذلك على اتجاهات النظم السياسية في أوروبا الشرقية والعالم الثالث وتوجهها نحو التعددية والديمقراطية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب أوحد في نطاق النظام الدولي الجديد وظهر ذلك جلياً واضحاً في حرب الخليج الثانية وما حققته الولايات المتحدة من هيمنة وصلت إلى حد احتواء الأمم المتحدة وجعلها غطاء شرعياً لها.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

يعتبـر مبدأ ترومان نقـطة البداية في فرض سيـاسة الستار الحـديدي حول الاتحاد السوفـيتي والبلدان الاشتراكـية وإقامة التكتـلات العسكرية ضدهمـا، والعمل على ضم العديد من بلدان العالم وبخاصة بلدان آسيا وأفريقيـا لخدمة هذه السياسية وقد أجاز هذا المبدأ للولايات المتحـدة التدخل في شؤون تركيا واليـونان بدعوى حمايتهـما من تهديد الاتحاد السـوفيتي.

تدريب (2)

مبدأ التعايش السـلمي يقوم على الآتي:

1- احترام استقلال الدول ومبادئها ووحدة أراضيها.

2- احترام مبدأ عدم الاعتداء ومبدأ التهديد باستخدام القوة.

3- احترام مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبـدان.

4- المساواة في العلاقات الدوليـة بين جميع الدول بغض النظر عن أنظمتها الاجتـماعية والاقتصادية وعلى أساس مبدأ النفع المتبادل والتعاون.

5- إقامة العلاقات الاقتصادية والعلمية والثقافية بين جميع الدول كبيرها وصغيرها بغض النظر عن مواقفها ونظمها.

تدريب (3)

لقد أثار مفهوم وتعريف الديمقراطية الكثير من الجدل ولكن أقربها إلى الحقيقة هو "الديمقراطيـة هي حكم الشعب بواسطة الشـعب لمصلحة الشعب" لأنهـا حكم الشعب (العامة) وليس حكم طبقة أخرى وهو حكم يعـبر عن إرادة الشعب ويخدم مصالحه، لا مصالح طبقـة أو فئة معينة منه، ويجب أن يتصف هذا الحكم بـالعدالة والمساواة والحرية بين جميع المواطنين.

تدريب (4)

التعددية السياسية هو مـصطلح جديد وثيق الصلة بالديمقراطية وهو يعني المشاركة والأخذ بالرأي للوصـول إلى القرارات المهمـة التي تتعلق بمصير الأمـة. وإن إرادة الأمة

يجب أن تظهر من خلال الانتخابات النزيهة وبرغم أنه نظام غربي في الأساس إلا أنه أصبح ملكاً للبشرية جميعها، ولأهمية التعددية السياسية نجد أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يؤكد على أركانها الأساسية في ثلاث مواد منه هي المواد 19، 20، 21 وهذه المواد تؤكد وتقرر أن لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير وحق كل شخص في الاجتماعات والمشاركة في الجمعيات والمشاركة في إدارة شؤون بلده إما مباشرة أو بواسطة ممثلين يتم اختيارهم بحرية مطلقة من خلال انتخابات نزيهة.

تدريب (5)

نعم، كان للمساعدات الأمريكية (المالية والتكنولوجية) للاتحاد السوفيتي (سابقاً) دور في فتح أبواب الهجرة لليهود السوفييت إلى فلسطين لدرجة أن الولايات المتحدة أصرت بل واشترطت على الاتحاد السوفيتي بفتح أبواب الهجرة لليهود السوفييت الذي سرعان ما أذعن لرغبة الولايات المتحدة وشرطها، ولقد وازن الاتحاد السوفيتي عند إذعانه للشرط الأمريكي بين الضرر الذي سيلحق بعلاقاته مع الدول والشعوب العربية وبين الفائدة التي سيجنيها من إرضاء الولايات المتحدة فوجد أن المكسب والفائدة يفوقان الضرر المتوقع فكان أن فتح الاتحاد السوفيتي باب الهجرة على مصراعيه أمام اليهود السوفييت.

تدريب (6)

هو ذلك الجزء من العالم الذي يشمل دول أفريقيا كلها وأمريكا اللاتينية بمعظمها والجزء الغالب من دول آسيا وتحتل دوله 60٪ من مساحة العالم ويزيد عدد سكانه عن 70٪ من سكان الكرة الأرضية، وجدير بالذكر أن الدول الداخلة في إطار العالم الثالث متباينة وهذا أمر طبيعي لاتساع هذا العالم وتنوع حضاراته وثقافاته. ومع ذلك فإنه ثمة سمات وخصائص مشتركة بين بلدان هذا العالم، ويطلق بعض الباحثين عبارة العالم المتخلف على دول العالم الثالث وأحياناً يطلقون عبارة أكثر تهذيباً ودبلوماسية هي "العالم النامي" وتجدر الإشارة إلى أن دول العالم الثالث على امتداد القارات الثلاث وباستثناء الهند، لا تنظر إلى التعددية السياسية نظرة ارتياح بمعنى أن السلطة في هذه الدول عادة ما تكون في يد شخص واحد أو مجموعة واحدة، وأن ظاهرة تداول السلطة تكاد تختفي تماماً وأن الحكام في هذه البلدان لا يتغيرون طالما بقوا على قيد الحياة إلا عن طريق الانقلابات.

تدريب (7)

العوامل السياسية ذات الأثر على الوضع السياسي في بلدان العالم الثالث هي:

1- الاستعمار وما خلفه بعد رحيله من حكومات تسلطية سادت دول العالم الثالث.

2- التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية وما يتبعها من تغيرات اجتماعية وسياسية.

3- نمو المدينة واتساعها وما يتبع ذلك من المطالبة بحياة أفضل للسكان، عن طريق الجمعيات والأحزاب السياسية والتي في أثناء مطالبتها بالإصلاح ربما تصطدم بالنظم السياسية الحاكمة.

4- ثورة الاتصالات العالمية وما ينتج عنها من مشكلات.

5- الشخصية القيادية المؤثرة في التحديث السياسي.

6- البيروقراطية العامة والتي تعرقل وجود مؤسسات سياسية تنافس النظم القائمة.

7- الأحزاب السياسية للإشراف على أداء الحكومات وتقويم هذا الأداء وبيان سلبياته لتلبية مطالب المجتمع وما تتصف بهذه الأحزاب من أيديولوجية تتمحور عادة في دول العالم الثالث حول الاستقلال القومي.

8- التعليم ودوره في تثبيت النظام السياسي أو تحديث هذا النظام.

9- الجيش ودوره في الانقلابات العسكرية التي تتميز بها دول العالم الثالث لتحويل السلطة من فئة إلى أخرى.

تدريب (8)

نعم هناك علاقة بين تخلف دول العالم الثالث وتقدم دول العالم الأول والفرق شاسع من حيث الدخل الفردي بين شمال الكرة الأرضية الذي تحتله دول العالم المتقدمة وبين جنوبها الذي تشغله دول العالم الثالث إذ أن مشاكل وأزمات دول العالم الثالث كالفقر والجوع والأمية والبطالة وانتشار الأمراض المزمنة، يرجع الشطر الأكبر منها للاستعمار الذي جثم سنوات طويلة على صدر دول العالم الثالث، واستنزف مواردها لصالحه وصالح مواطنيه وترك شعوب العالم الثالث حائرة منهوكة القوى، وان ما تقدمه الدول الرأسمالية الغنية (دول الشمال) لدول الجنوب ودول العالم الثالث مرتبط أولاً وأخيراً بمصالح الدول المانحة أكثر منه بمصالح الدول النامية والأدلة على ذلك كثيرة وواضحة.

تدريب (9)

ان جيوب الفقر منتشرة في قارات العالم الثلاث، آسيا، أفريقيا، أمريكا اللاتينية، حيث يوجد في آسيا ثلاثة أرباع من يعانون الفقر المطلق في العالم، وخاصة في كل من بنغلادش واندونيسيا، وماليزيا، وسري لانكا، والفلبين، وباكستان، والهند وخاصة في أربع ولايات هي أوتار، زاويس، وبيهار، وتاميل نادو، والبنجاب، وكذلك في أفريقيا حيث يستوطن الفقر في جميع الدول جنوبي الصحراء الأفريقية، وأيضاً في معظم دول أمريكا اللاتينية وإن كان نسبتهم قد تناقصت في السنوات الأخيرة. وخلاصة القول أن الفقر سيظل يشكل التحدي الحقيقي الذي يواجه دول العالم الثالث لعقود قادمة.

تدريب (10)

لقد تباينت آراء الباحثين حول النظام الدولي الجديد وهل هو أحادي أو متعدد القوى، فأصحاب الرأي الأول اعتقدوا أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه يمكن أن تقوم بدور القطب الواحد المسيطر والمسير للأوضاع الدولية كونها أقوى دولة عسكرياً في العالم، وأن دور القوى العظمى الأخرى كاليابان وألمانيا يقتصر على تنفيذ التوجهات الأمريكية، أما أصحاب الرأي الثاني فقد تشككوا في إمكانية وجود قطب واحد يستطيع تنظيم الأوضاع العالمية واستندوا على عدد من العوامل لعل من أهمها أنه لا توجد دولة واحدة في العالم تتمتع بتفوق واضح في جميع عناصر القوة، وأن الولايات المتحدة وإن كانت تتمتع ببعض هذه العناصر كالقوة العسكرية والسياسية، إلا أنها في المجال الاقتصادي تعاني من بعض المشاكل مقارنة بالأداء الياباني أو الألماني أو الأوروبي في هذا المجال، إضافة إلى أن مراكز القوى الأخرى في العالم لا تتمتع منفردة بعناصر القوة اللازمة لقيادة العالم، بل لا بد من التعاون والتآزر كي تستطيع التأثير في الشؤون العالمية وهل ستقود التطورات الدولية مستقبلاً إلى شكل معين من أشكال توازن القوى بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان، أم سيسود نظام القطب الواحد. قد يكون من الحكمة عدم التسرع في إصدار حكم قطعي على أيهما يقود العالم حالياً ولننتظر خلال المرحلة الانتقالية الراهنة لدى من ستكون الغلبة وإن غداً لناظره قريب.

تدريب (11)

إن التحولات العنيفة التي حدثت في الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية منذ أوائل عقد التسعينات أدت إلى انتهاء المواجهة الاستراتيجية بين القوتين العظميين وتم وضع نهاية للحرب الباردة والتي استمرت أكثر من أربعة عقود كان خلالها المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي نداً قوياً وخصماً شرساً للمعسكر الغربي الرأسمالي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، وعاش العالم في الفترة من 1945-1990 في نظام دولي هيمنت عليه سياسية المجابهة المستمرة، ولعل الذاكرة تعود بنا إلى الإنذار السوفيتي الذي وجه إلى الدول الثلاث المتآمرة بريطانيا- فرنسا- إسرائيل في حرب السويس عام56 وكذلك الصدام العنيف الذي كاد أن يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة في أزمة الصواريخ بكوبا عام 1961م.

وظن الكثيرون أن الصراع سيستمر على كوكب الأرض بين نظامين متناقضين للقيم وقوتين عظميين وكانت كل قوة تأخذ على عاتقها حماية حلفائها بالقوة العسكرية وكي تحافظ هذه القوة على مكاسبها فقد تسلحت بتراسانات من الأسلحة الفتاكة واستراتيجيات منوعة وبرزت أسماء عديدة كالردع والتدمير المتبادل وحرب النجوم. . .الخ. ولكن الطبيعة فرضت نفسها على تصرفات تلك القوتين وبهذا أصبحتا مجبرتين على نوع من التعايش المسلح، لعدم قدرة أي منهما على تحقيق نصر عسكري على الطرف الآخر. ولكن انهيار الاتحاد السوفيتي المفاجئ أخل بطرفي المعادلة ورجحت كفة الولايات المتحدة وشاع استخدام اصطلاح "النظام الدولي الجديد" ويرى معظم الباحثين المهتمين بتحليل العلاقات الدولية أن العديد من الأحداث ومنها على سبيل المثال حرب الخليج الثانية لم تكن لتحدث لو أن الاتحاد السوفيتي ظل قائماً.

تدريب (12)

لقد تركت البيرويسترويكا والتي طرحها غورباتشوف آثاراً عديدة على دول وبلدان أوروبا الشرقية على الصعيدين الداخلي والخارجي ومن أهمها:

1- تسريع التحولات السياسية والاقتصادية في هذه البلدان.

2- اتجاهها إلى تبني أشكال من التعددية السياسية والاقتصاد الحر.

3- تخلخل الهياكل التنظيمية للكتلة الشرقية وهي الكوميكون، وحلف وارسو.

4- اتجاه هـذه البلدان إلى الاندماج في الاقـتصـاد الرأسمـالي العالمي. . والسـعي إلى الاشتراك في المؤسسـات الاقتصادية والمالية الدولية.
5- وأخيراً انتهاء المواجهة الاستراتيجية بين القوتين العظميين ووضع نهاية للحرب الباردة والتي استمرت ما يزيدعلى خمسة وأربعين عاماً.

تدريب (13)

لقد فـشل غورباتشوف في سيـاسية البيـرويسترويكا لإعـادة بناء الدولة الاتحادية السوفيتية على أساس جديد للأسباب التالية:

1- تعاظم الانقسام داخل الحـزب الشيوعي ثم انهياره وضعف وانهيـار السلطة الشمولية السوفيتية بانهياره.
2- ازدهار الحركـات القوميـة الانفصاليـة في معظم الجمـهوريات بدءاً من جمـهوريات البلطيق ومروراً بجمهوريات القوقاز ونهاية بجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية.
3- التعنت القومي في جمهورية روسيا على وجه الخصوص.
4- الدور الذي قام به غورباتشـوف (داخلياً) عبر لعبة التـوازن بين القوى القديمة للنظام والقوى الجديدة للمعارضة والذي أصبح على أثره مرفوضاً من الجانبين.
5- دور غورباتشوف (خارجياً) في اتجاه الاستسلام في الحرب الباردة.
6- الأزمة الاقتصادية التي نشبت نتيجة للأسباب السـابقة.

تدريب (14)

عوامل انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه:

1- القصور الذي اتسـمت به إدارة غورباتشوف لعمليـة التحول السياسي والاقتصادي في الاتحاد السوفيتي.
2- استمرار الأزمة الاقتصادية التي ظل شبحها مخيماً على البلاد دون وضع حد لها أو معالجتها.
3- ظهور التيار الليبرالي وتزايد قوته حيال التيار المحافظ.
4- تفاقم مشكلة القومـيات في الاتحاد السوفيتي خاصة وأن الاتحاد الـسوفيتي كان يضم العديد من القـوميات واللغـات والأجناس والتي كانت مـختلفة من حـيث التاريخ

واللغة والثقافة والأوضاع الاجتماعية هذا بالإضافة إلى فرض اللغة والثقافة الروسية على اللغات والثقافات الأخرى في الاتحاد السوفيتي، الأمر الذي حدا ببعض الجمهوريات الاتحادية بالمطالبة بتغليب لغاتها القومية بل والمطالبة بضرورة إخراج أبناء القوميات الأخرى من جمهورياتهم وبخاصة الروس.

5- الاختلافات والتناقضات التي نشبت بين دول الرابطة التي تشكلت على أنقاض الاتحاد السوفيتي حيث وصلت هذه العلاقات إلى حد الاقتتال المسلح كما حصل في الصراع بين أرمينيا وأذربيجان.

6- توالي انفصال جمهوريات الاتحاد السوفيتي والذي بدأ بانفصال ليتوانيا ثم أستونيا فجورجيا وبعد أسبوع من فشل انقلاب اغسطس/ آب 1991. لم يبق من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سوى جمهورية روسيا وجمهوريات الوسطى الإسلامية الخمس.

7- فشل انقلاب 19/ اغسطس/ آب 1991 والذي بدأ معه العد التنازلي لتفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية بل ونهاية القوة السوفيتية العظمى.

8- الانقلاب الدستوري للحلف السياسي لمعاهدة "منسك" والذي وقع في 8 ديسمبر/ كانون أول 1991 حيث أعلن رؤساء الجمهوريات الإسلامية ومعهم روسيا، وأكرانيا، وبيلاروسيا انتهاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية "قانونياً" وكان هذا الإعلان بمثابة رصاصة الرحمة التي انهت امبراطورية الاتحاد السوفيتي ورئيسه غورباتشوف.

9- الضغوط والتدخلات الدولية، خاصة من قبل الولايات المتحدة.

تدريب (15)

نعم كانت حرب الخليج الثانية حرباً أمريكية أمبريالية ضد العراق بخاصة والعرب بعامة، أما أنها حرب أمريكية فهذا أمر غير مشكوك فيه، وذلك بالاعتراف الصريح لبعض الرسميين الأمريكيين ومنهم بريجنسكي المستشار السابق لرئيس الولايات المتحدة للشؤون العسكرية وآرثر شلينزنجر وهو أحد المستشارين السابقين للرئيس الأمريكي أيضاً. أما أنها حرب موجهة ضد العراق ذلك لأن القدرات العسكرية العراقية أصبحت تهدد السيطرة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وتشكل خطورة على أمن أسرائيل الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة هذا بالإضافة إلى تخوف أمريكا من تحكم القوة العراقية بالنفط شريان الحياة في أمريكا والغرب.

وأما أنها موجهة ضد العرب أيضاً ذلك لترسيخ التبعية العربية الشاملة للولايات المتحدة زعمية النظام العالمي الجديد مع ضمان التفوق الاسرائيلي وتأمين النفط للأسواق الغربية بأدنى الأسعار ومنع العرب من استعماله كقوة اقتصادية وسلاح سياسي وهذه العناصر هي التي حددت طبيعة علاقة الولايات المتحدة بالعرب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن.

تدريب (16)

لم يكن لأزمة الخليج أو حرب الخليج من آثار اقتصادية على الوطن العربي فحسب بل وأثار سياسية واجتماعية وأمنية، فعلى الصعيد الاقتصادي أثبتت الأزمة شدة اقتناع الدول العربية بوضع استراتيجية اقتصادية شاملة ومتكاملة ذات أهداف قريبة وبعيدة يتم بناؤها على أساس الاستفادة من الطاقات والإمكانيات المتنوعة لمجموعة الدول العربية النفطية وغير النفطية منها في إطار بناء اقتصاد متكامل يخدم أهداف ومصالح كافة الدول العربية وليس لمصلحة فئة أو مجموعة على حساب الفئات الأخرى، وفي هذا المجال تقع على الدول العربية النفطية مسؤولية كبرى لامتلاكها مصدراً مهماً ورئيساً من مصادر التأثير والنفوذ في العالم، وهذا ما تم استغلاله في حرب تشرين / اكتوبر 1973 وأطلق عليه في حينه سلاح البترول (وهو سلاح ذو حدين) ولكن للأسف الشديد كان البترول هو أحد الأسباب الرئيسة في حرب الخليج الثانية ونزف الجرح العربي بالحد الثاني لهذا السلاح وذلك لعدم التنسيق بين الدول العربية النفطية وإنفاقها على معدلات الإنتاج، الأمر الذي أدى إلى خفض سعر البترول وخسارة العراق بليارات الدولارات نتيجة لذلك. هذا علاوة على المليارات والتي تقدر بحوالي 60 مليار تكلفة الحرب والتي تم تسديدها من خزينة الدول النفطية وبخاصة الكويت والإمارات العربية المتحدة. مما أوقع دول الخليج النفطية في عجز مالي واقتصادي سيستمر لسنوات طويلة قادمة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المليارات من الدولارات قد ذهبت إلى خزائن الولايات المتحدة وحلفائها، وعلى حساب الاقتصاد العربي والتنمية العربية.

10. مسرد المصطلحات

- الحرب الباردة Cold War

مصطلح استخدمه أول مرة برنارد باروخ لوصف حالة التوتر القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.

- حلف وارسو Warsaw Pact

معاهدة جماعية للضمان العسكري بين دول أوروبا الشرقية الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي أبرمت في مايو/ أيار 1955 بمدينة وارسو عاصمة بولونيا، ومنها اكتسبت الاسم، وأكد الحلف على الالتزام بالعمل من أجل السلام العالمي وتحقيق أهداف الأمم المتحدة وأهداف التعايش السلمي وأنشأ الحلف قيادة مشتركة للقوات المسلحة مقرها موسكو.

- الحياد الإيجابي Positive Neutralism

هو منهج سياسي يقتضي من الدولة التي تسير عليه أن تتفاعل سياسياً مع الأحداث العالمية وأن تشارك في حل مشكلات المجتمع الدولي على أساس عدم الانحياز وحسبما تمليه مبادئ العدالة الدولية بهدف الوصول إلى تحقيق الأمن والسلام العالميين. وقد نشأ هذا المفهوم من الجو العام الذي كان يسود العلاقات الدولية بسبب الحرب الباردة وقد تجسد لأول مرة وبشكل عملي في مؤتمر باندونج.

- الكوميكون Comecon

هو اسم مختصر للتعبير الإنجليزي الذي يطلق على "مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة Council For Mutual Economic أنشئ في 25/ يناير/ ك2/ 1949 في موسكو واقتصرت عضويته على عدد من البلدان الشيوعية ويهدف هذا المجلس إلى تشجيع التبادل التجاري بين الدول الأعضاء في سبيل تحقيق التكامل الاقتصادي فيها.

- المالتوسية Malthusianism

هي مذهب القس الإنجليزي الاقتصادي توماس مالتوس (1766- 1864) ويستند هذا المذهب على فكرة رئيسة تتلخص في أن الإنسان ينزع إلى التكاثر وفق وتيرة أكبر كثيراً من وتيرة تكاثر الغذاء المتوافر، في حين يتكاثر الناس وفق متوالية هندسية فإن الغذاء لا يتزايد إلا وفق متوالية عددية.

- مؤتمر باندونج Bandoeng Conference

مؤتمر تاريخي عقد في مدينة باندونج الأندونسية خلال الفترة الواقعة بين 18-24 نيسان/ ابريل 1955 وذلك لبحث الأهداف المشتركة بين الدول التي حضرته وبلغ عددها 21 دولة أفريقية وآسيوية حيث استبعدت الدول الغربية منه، (الكيالي وآخرون، 1987، ص ص 299-533)، اسفر المؤتمر بالإضافة إلى التعايش والتعاون بين الدول الأعضاء على تعزيز نضال شعوب العالم الثالث من أجل الاستقلال وتصفية الاستعمار.

10. المراجع

أ- المراجع العربية:

1- إبراهيم، حسنين توفيق، النظام الدولي الجديد، بحث في مجلة عالم الفكر، العددان الثالث والرابع مجلد 23، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 1995م.

2- إبراهيم، سعدالدين، التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، 1989م.

3- بافلوف، أوليانوفسكي، آسيا تختار، ترجمة دار التقدم، موسكو، 1975م.

4- بالكوفيتش، دانييل، الديمقراطية وقرار الجماهير، الهيئة المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط1، القاهرة، 1993م.

5- بدران، ودودة، مفهوم النظام العالمي الجديد في الأوبيات الامريكية، بحث في مجلة عالم الفكر، العددين الثالث والرابع مجلد 23 تصدر عن تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، دولة الكويت 1995م.

6- بركات، حليم، حرب الخليج خطوط في الرمل والزمن، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1992م.

7- التميمي، محمد تيسير، حرب الخليج بين الأسباب والنتائج، المطبعة الأهلية ط1، عمان 1993م.

8- الجمل، يحيى، التعددية السياسية في العالم الثالث، محاضرة القيت في مؤسسة عبدالحميد شومان، مايو / ايار / 1991م.

9- الجمل، يحيى، الوطن العربي والعالم الثالث، بحث في مجلة الدوحة يناير/ كانون الثاني / 1977م.

10- حتي، ناصيف، يوسف : أي هيكل للنظام الدولي الجديد، بحث في مجلة عالم الفكر، العددين الثالث والرابع مجلد 23، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، دولة الكويت، 1995م.

11- حوراني، هاني وآخرون، المرشد إلى الأحزاب السياسية، مركز الأردن الجديد للدراسات والنشر، عمان، 1995م.

12- الزعبي، موسى، نظام دولي جديد أم هيمنة امبريالية جديدة، ط1، دمشق، 1993.

13- سعيد، عبد المنعم، حرب الخليج والنظام العالمي الجديد، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الاول، 1991م.

14- صايغ، يوسف، التنمية العربية من قصور الماضي إلى هامش المستقبل، سلسلة دراسات عربية، منتدى الفكر العربي، عمان.

15- صايغ، يوسف، دلالات التحولات الجذرية في مجموعة البلدان الاشتراكية الأوروبية بالنسبة للوطن العربي وقضية فلسطين، محاضرة ألقيت في مؤسسة عبدالحميد شومان، 29/ مايو/ أيار 1991م.

16- عايش، حسني، البقاء في عالم متغير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م.

17- عايش، حسني، الديمقراطية هي الحل، جمعية عمال المطابع التعاونية، ط 1، عمان 1992م.

18- عبدالعليم، طه، انهيار الاتحاد السوفيتي وتأثيراته على الوطن العربي، ندوة عقدت في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، شارك فيها العديد من الكتاب والباحثين، القاهرة، 1992م.

19- عبدالملك، أنور، تغيير العالم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1985م.

20- علوش، ناجي، الديمقراطية والمفاهيم والإشكالات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994م.

21- عودة، عودة بطرس، حرب الخليج من المسؤول؟ دار الكرمل، ط1 عمان، 1991م.

22- فورسايت، ديفيد، ب، حقوق الإنسان والسياسة الدولية، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العاليمة، ط1، القاهرة، 1993م.

23- كامل فؤاد، العالم الثالث بين الحقائق والاوهام، بحث في مجل الدوحة

يونيو/ حزيران/ 1985م.

24- كنيدي، بول، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبدالقادر وغازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1983م.

25- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1 ص 5، بيروت 1987م.

26- لوب جاك، العالم الثالث وتحديات البقاء، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1986م.

27- محي الدين خالد : انفراج وفاق، دراسات الثقافة الجديدة، القاهرة ط 1978.

28- نوفل، احمد سعيد، أرضية الصراع في الخليج العربي، مجل المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م.

29- هادي، رياض عزيز، العالم الثالث من الحزب الواحد إلى التعددية، سلسلة آفاق (11) دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1995م.

30- هلال، علي الدين، النظام الدولي الجديد، بحث في مجلة عالم الفكر، العددين الثالث والرابع، مجلد 23 تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، 1995م.

31- هيكل، محمد حسنين، الزلزال السوفياتي، دار الشروق، القاهرة ط2، 1990م.

32- ياسين منير، حرب الخليج بين الماضي والمستقبل، مؤسسة زهران للطباعة والنشر، عمان، 1993م.

ب- المراجع الأجنبية:

1- Roberstson David, Dictionary of Politics Penguin, Reference, 1987.

2- Cokhale B. K.: A study of Political Theory, Himalaya Publishing House, 1985.

3- Pfaff, William, Redefining World Power, Foreign Affairs Vol. 70. No.1, 1991.

4- Carpenter, Ted Galen, The New World Disorder Foreign Policy, No. 8, 1991.

5- John, Lewis: Toward The Post Cold War, Foreign Affairs, No. 2, 1991.

6- Brezinski, Zbigniew, Out of Control. New York, Charles Scribneris Sons. 1993.

جـ- المجلات والدوريات:

1- مجلة الدوحة - الدوحة - العدد 114-1985م.

2- مجلة السياسة الدولية العدد 111، 1993م.

3- مجلة الطريق، مجلة فكرية سياسية شهرية، بيروت، 1996م.

الأعداد: 1، 2، 3، 1995- 1996م.

4- مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث والعشرون - العددان الثالث والرابع، يناير، مارس، ابريل، مايو 1995م.

5- مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر العدد الثالث، أكتوبر، يونيو، ديسمبر، 1979م، الكويت.

6- مجلة المستقبل العربي.



هذا الكتاب

هذا الكتاب يتناول تاريخ العالم الحديث والمعاصر، بدءا من عصر النهضة في أوروبا مرورا بالثورات والحركات القومية والثورة الصناعية بها ونشأة الاستعمار، هذا إلى جانب تناول الأسباب التي أدت إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية ونتائجهما، ثم ظهور فكرة التعاون الدولي لحل المنازعات التي كانت تقوم بين الدول الكبرى ثم حركات التحرير من الاستعمار في بلدان العالم الثالث وعوامل قيامها.

ثم يعالج الكتاب موضوعاً هاماً هو النظام العالمي الجديد، وكيف تشكل هذا النظام على أثر انتهاء الحرب الباردة والوفاق الدولي الذي تلا ذلك، واتجاه المجتمع الدولي نحو التفاهم ودون حروب، وقبول مبادئ التعايش السلمي من الدول كبيرها وصغيرها، وخلق المناخ الملائم للدول بعامة ودول العالم الثالث بخاصة لبناء حياتها والقضاء على تخلفها، وذلك في ثماني فصول هي (أوروبا منذ عصر النهضة وحتى مطلع القرن التاسع عشر، الثورات والحركات القومية في أوروبا، الثورة الصناعية والاستعمار الأوروبي، الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية، عصبة الأمم وهيئة الأمم والمنظمات المنبثقة عنها، حركات التحرر من الاستعمار، النظام العالمي الجديد).





الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات

P.O Box: 203 Heliopolis 11757 Cairo - Egypt
Mobile: 002-010-1763677 Mobile: 002-010-3401184
E-Mail: info@uarab.net u_arab@yahoo.com Web : www.uarab.net